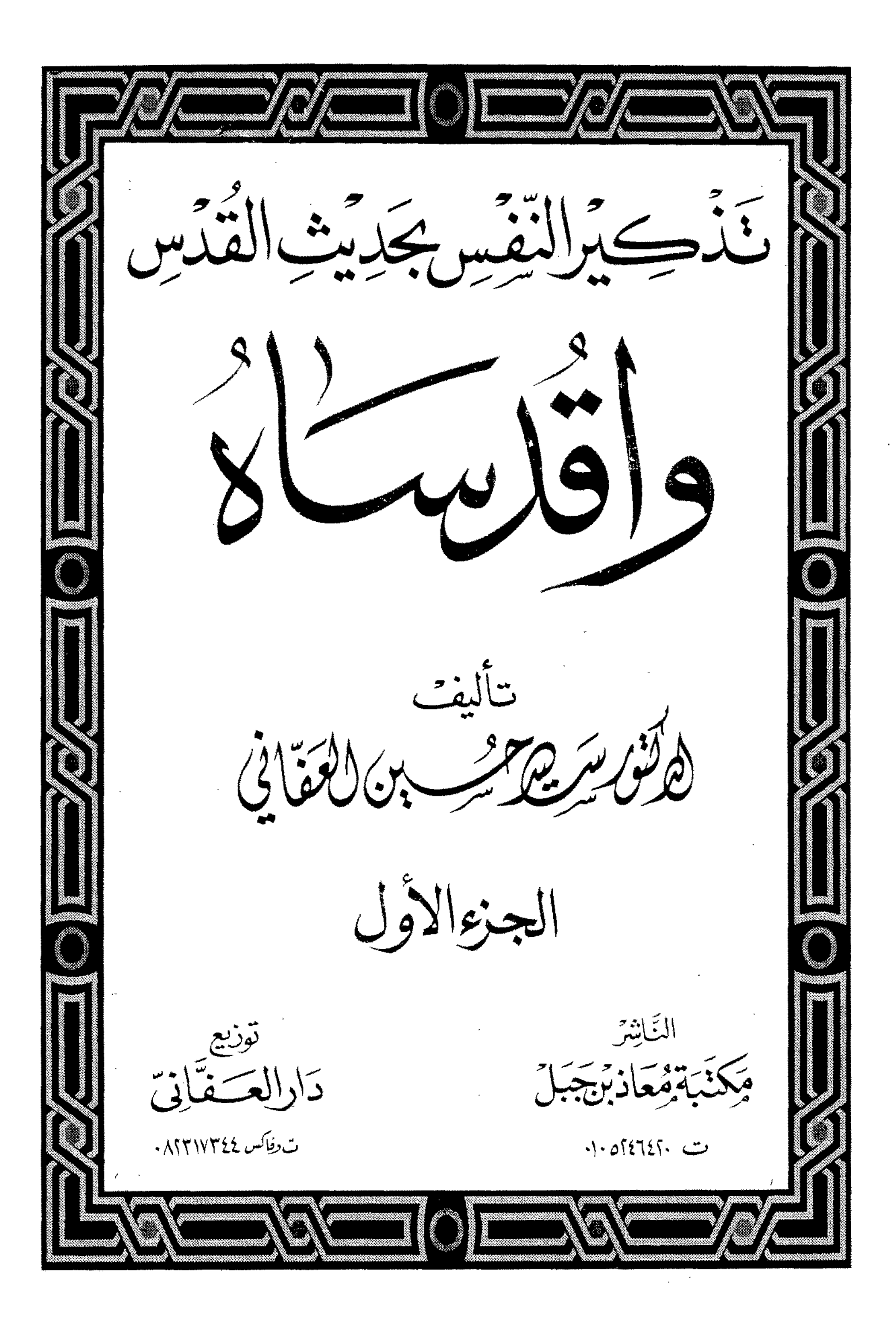


تذكير النفس بحديث القدس

واقدساه

تأليف

الدكتور سيد حسين العفاني

الجزء الأول

الناشر
مكتبة معاذ بن جبل
ت ٠١٠٥٢٤٦٤٢٠

توزيع
دار العفاني
ت وفاكس ٠٨٢٣١٧٣٤٤

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الأولى

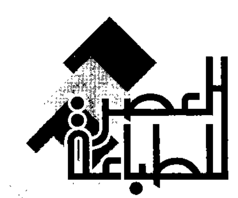
التوزيع داخل جمهورية مصر العربية

مكتبة معاذ بن جبل

جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

بني سويف ت: ٣١٧٣٤٤/ ٠٨٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠١ / ٢٧٢٧



هاتف : ٢٩٨٤٣٧٥
فاكس : ٢٤٣٣٢٤٩
محمول : ٠١٠١٩٠٠٠٣٨

تذكير النفس بحديث القدس واقدساه



إلى محمد الدُّرَّة

♥ إلى شهيد القدس.. من تصحو المآذن في وجهه.. والبراكين من قبره توقظ الغفاة

أفديك يا ولداه بالدنيا.. وما ملكت يمين

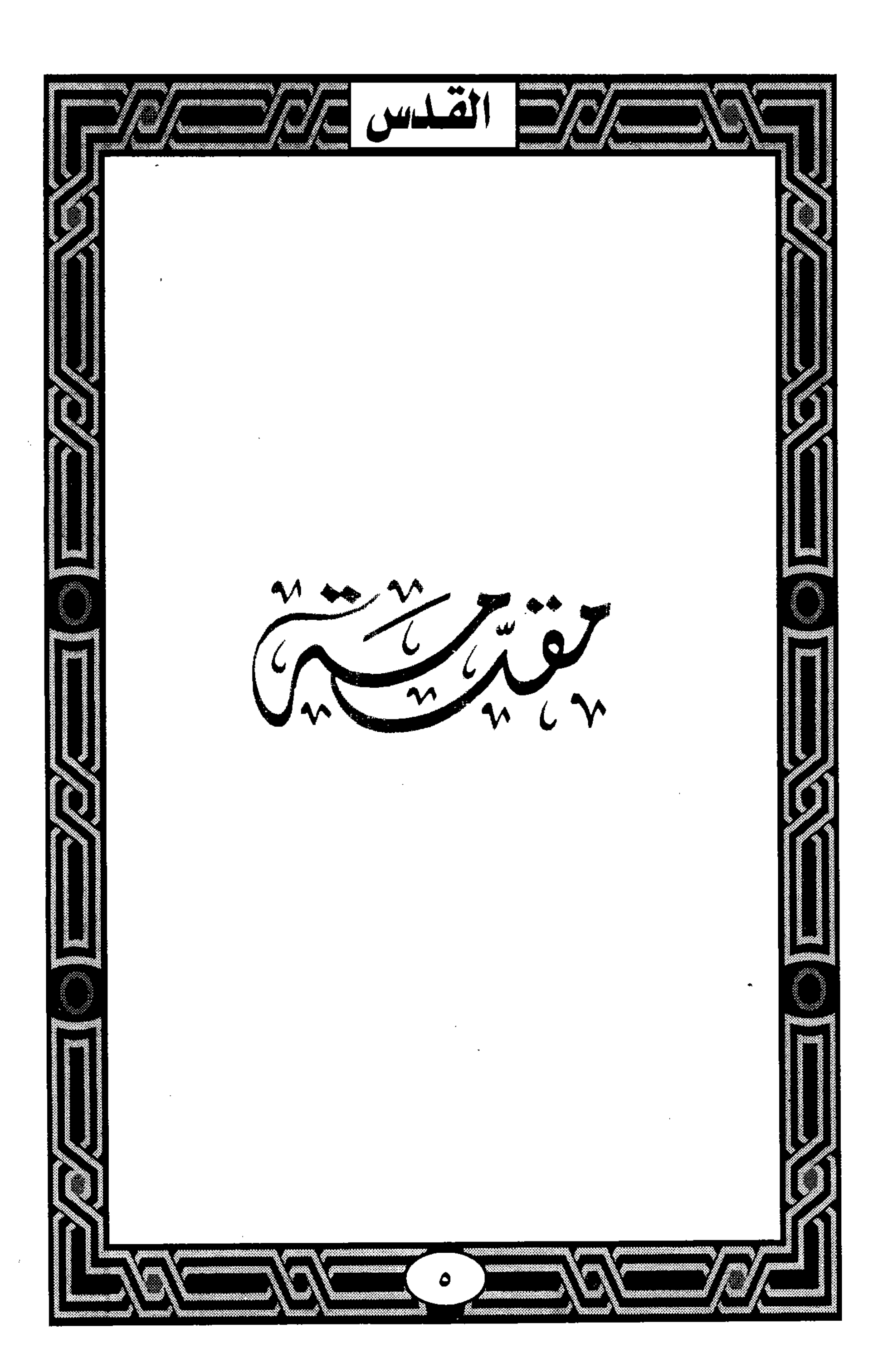
يا أجمل الأطيار في وطني.. وغصن الياسمين

يا نفحة الأقصى.. ويا غرس الجدود الفاتحين

أفديك يا ولدي بمن خانوا ومن جبنوا على مر السنين.

---

(١) نسأل الله له أن يتقبله في عداد الشهداء.



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

❁ مقدمة ❁

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

لو كُتب كتاب بـدمع العين ووجيب القلب وخفق الضلوع، وأريج السحر لكتبت به جمعي عن القدس، وكتابي هذا «تذكير النفس بحديث القدس (وا قدساه)».

كيف لا، ولبيت المقدس والمسجـد الأقصى كان الإسراء، ولأرضه فُتحت السماء، وعنه تُؤثر أنباء الأنبياء وآلاء الأولياء، ومشاهد الشهداء، وكرامـات الكُرماء، وعـلامات العلمـاء، وفيـه مَبـارك المَبَارّ، ومـسارحُ المسارّ، وصـخرتها الطُّولى القـبلة الأُولى، ومنها تعالت القـدم النبوية، وتوالت البركة العلوية وعندها صلى نبينا ﷺ بالنبيين، وصحب الروح الأمين، وصعد منها إلى أعلى عليين.

فمـا أجلّه وأعظمه، وأشرفـه وأفخمـه، وأعلاه وأجلاه، وأسـماه وأسناه، وأيمن بركاتـه وأبرك ميامنه، وأحـسن حالاته وأحلى مـحاسنه، وأزين مباهجه وأبهج مزاينه، وقد أظهر اللَّه طُوله وطَوْله بقوله ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[1].

❑ إلى القدس هاجر إبراهيم عليه السلام، وتكون الهجرة إليها آخر الزمان، وتمنّى موسى عـليه السلام أن يدنيه اللَّه منهـا عند موته، وشدد اللَّه لداود ملكه بهـا، وألان له الحديد، وتاب اللَّه على داود بـالقدس، وردّ اللَّه على سليـمان عليـه السلام مـلكه في بيت المقدس، وبشـر اللَّه زكريا بيـحيى في المقدس، وكانت الأنبـياء صلوات اللَّه عليهم وسـلامه

(١) «عيون الروضتين» (٣/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨).

يقربون القـرابين بها، وتهبط الملائكة إلـيها، وكفل زكـريا مريم عليهـما السلام بهـا، وتقبل اللَّه من امرأة عـمران نذرها بها، وفـضل اللَّه مريم على نساء العالمين فيها، وبشر اللَّه مريم بعيـسى عليه السلام فيها، وفيها آتى اللَّه الحكم ليـحيى صبـيًّا، ولد فيها عيـسى عليه السلام، وبها كان يحيي الموتى بإذن اللَّه، وأُنزلت عليه المائدة فيهـا، ورفعه اللَّه إلى السماء منها، وهي مـستقر خلافـة المهـدي عليه السلام، ولا يهبـطها الدجال، ويُقـتل على يد المسيح عليـه السلام، ويُهلِك اللَّـه يأجوج ومأجـوج في أرضها. .

أرض النبوات والبركـات، أرض الرباط والجهاد. . زهرة المدائن. . مدينة اللَّه. . بيت السماء. . أرض الإسراء والمعراج.

للَّه كم هي مباركة مقدسة مبوأ صدق، دار رباط.

فانهض فهاتيك الربى قد فوّحَتْ ... بالعِطْر من عَبَق الجـهـاد المُلْهِمِ

أمــجــاد تاريخ ووحي نبــوة ... وجــلالُ إِســراءٍ وعــزّةُ مــسلِمِ

ورفــيف آيات تموجُ بســاحــهــا ... نُوراً فــيــغــمُــر من رُبًى أوْ مَـعْلَمِ

❁ ❁ ❁

□ وفي كـتابنـا هذا. . نذكر أسـمـاء القدس، ومكانـها ووديانهـا وجبالها وأبوابها، والمسجد الأقصى وأبوابه، ثم نعرّج على فضل القدس في الكتاب والسنة، ونتكلم عن تاريخهـا قبل الإسلام، ثم مكانة القدس عند الصحـابة، واهتمـامهم بفتـحها، ونذكـر فتحـها في أيام الصـحابة الأبرار، ونتكلم عن تاريخ القدس بداية من الخلافة الأموية حتى سقوطها في زمن الفاطميين العبيديين، وكيف سقطت.

□ونفرد مساحة كبيرة لسقوط القدس في أيدي الصليبيين ونذكر المذابح التي تمت عند احتلالها.

□ثم نذكر الأحداث التي مهّدت لفتح القدس بداية من عصر عماد الدين زنكي، ثم ولده المبارك نور الدين محمود بن زنكي، والأسباب التي أدت إلى استعادة فتحها على يد البطل ولي اللَّه صلاح الدين الأيوبي.

ثم نذكر ـ لحظة بلحظة ـ الساعات المجيدة ساعات الفتح، وما تلاها، وأول خطبة في المسجد الأقصى بعد الفتح، وكيف سجل أدباء الإسلام هذه الأيام.

□ثم نعرج على تاريخ فلسطين بعد صلاح الدين، ثم في أيام المماليك.

□ثم نتكلم عن تاريخ فلسطين في أيام الخلافة العثمانية، ونذكر الدور المشرّف للخليفة عبد الحميد الثاني، وكيف قاوم اليهود ورفض بيع فلسطين لهم؛ فكان جزاؤه خلعه من الخلافة بل وإسقاط الخلافة بأسرها.

□ونذكر كيف دخل اللّنبي فلسطين ومعه عرب الحويطات، ونذكر وعد بلفور والأيام السوداء للانتداب البريطاني حتى سلموا فلسطين لليهود.

□ونذكر جهاد شعب فلسطين حتى سنة ١٩٤٨، وإذا ذكرت فلسطين يذكر القسّام ورجاله وبطولات رجال من أرض الإسراء.

□ثم نعرّج على حرب ١٩٤٨ والدور البطولي للإخوان المسلمين على أرض فلسطين وبطولات أحمد عبد العزيز ورجاله، ثم نذكر خيانة العلمانيين والقادة للقدس وفلسطين، وكيف أن أكبر خيانة منهم للقدس أنهم بدلوا الراية، وخدعوا الأمة وزيّفوا طبيعة المعركة حين غيّبوا الإسلام

عنهـا، وجـربوا كل الرايات، ولم تطق أسـماعـهم نداء الإسـلام: «وا قدساه»، صُـمّت آذانهم عن نداء الإسلام وأذانه حتى سـقطت الأمة في الوحل.

◻ ثم نتكلم عن عـداوة الغرب الصليـبي والمكر اليهـودي، والكفر الأحمر الشيوعي، وقدم عدائهم لـلإسلام وأنه عقيدة راسخة عندهم.. ونذكر ما فعل اليهود بأهلنا في فلسطين، والمذابح التي ارتكبوها في حق الشعب المؤمن، ونفصّل في أن اليهود لا حقَّ لهم في فلسطين.

◻ وتحت عنوان «الـعـقـيـدة أولاً» ذكـرنا من أخطـأ من الاتجـاه الإسلامي، وزعم أن عداوتنا لليهود ليست دينية، وإن صحّ قول القائل: «ليس من قصد الحق فأخطأه كمن تعمّـد قصد الباطل»، ننبه على الخطأ من باب «أن الدين النصيحة»، فهذا نسف «للولاء والبراء».

◻ وتكلمنا عن الأحـاديث الضعـيفـة والموضوعـة حول «القـدس» والبدع المتعلقة بالصخرة والقدس.

◻ ثم نعـرّج على الأحـاديث النبـوية العطرة التـي تبث الأمل في النفـوس وتحيـيه، من أن المسـتقـبل للإسلام في القـدس، وأن الخلافـة الإسلامـية سـتحل بالقدس قـبل المهدي، وأن المهدي سـتكون خلافـته بالقـدس... وكيف أن أعظم فـتنة على الأرض - وهي فتنة الـدجال - سـتنتهي على هذه الأرض المبـاركـة، كمـا أن فتنة «يأجـوج ومأجـوج» ستكون نهايتها على هذه الأرض المقدسة.

فأمل الإسلام ومسـتقبل الإسلام في القدس زاهر.. أمل نعيش به وله، نشق به سجوف الليل السامري، بفجر الإسلام الوضيء.

أملٌ على أجـفـاننا وكُـبُـودنا وعلى مـحـيّـانا وفـوق المبْـسَم
أملٌ كـأنّ الفـجـر في بسـمـاته ورَفـيـفُـه بين الطُّيـوف الحُـوَّمِ
ونضمٌّ في أحنائنا شَرَف الهـوى والشـوق بين مُـجَنَّحٍ ومُكَتَّم
للّه مـا تهـفـو القلوب إلى غـدٍ زاهٍ على مَـرِّ الزَّمـان مُـوَسَّم
ومـواكبُ الإيمان تَجْلو نصْـرَها لتُـعِـيـد لألأةَ الفُـتـوحِ اليُـتَّمِ

❁ ❁ ❁

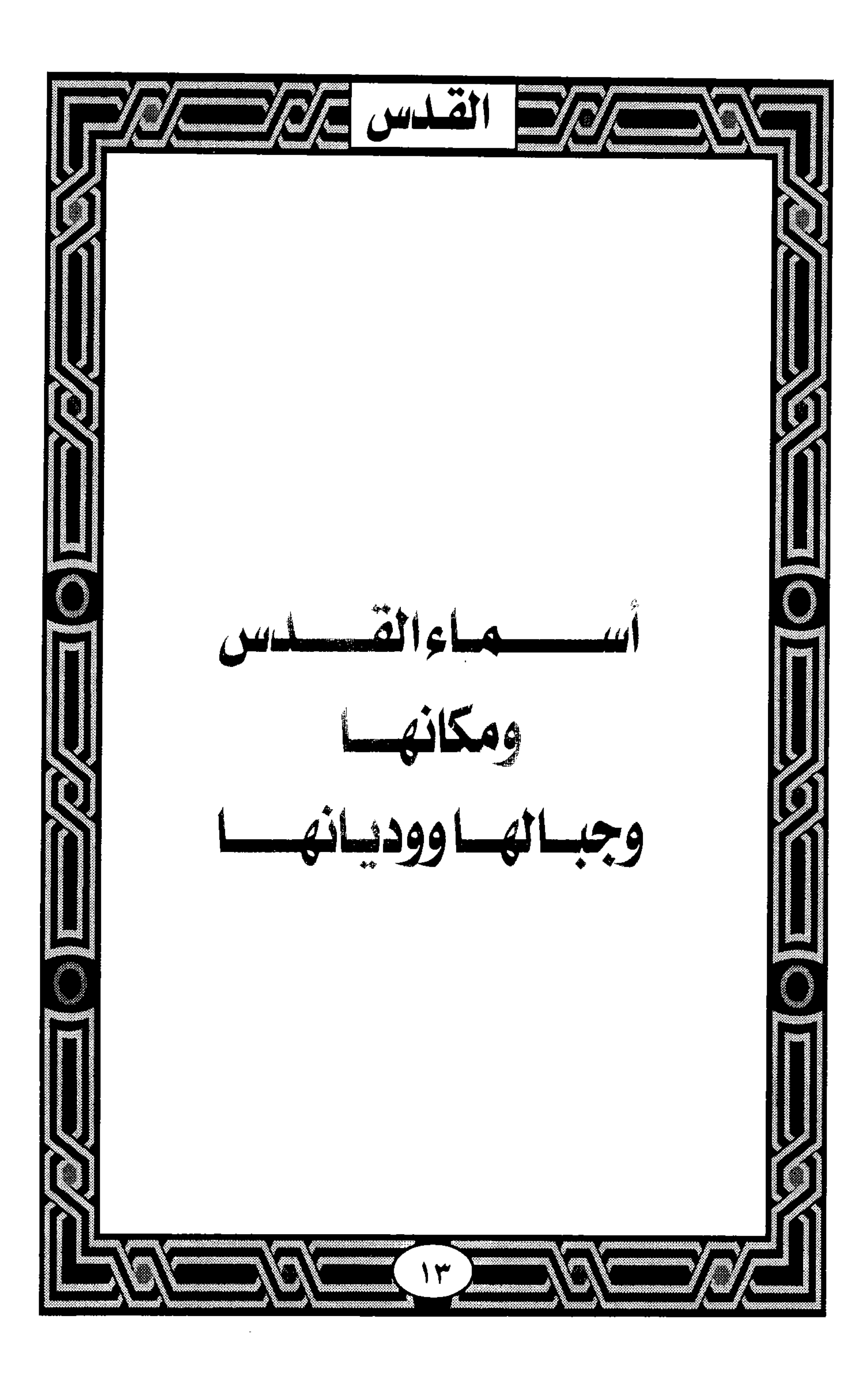
اللَّهم إني أسـألك بأن لك الحـمـد لا إله إلا أنـت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكـرام يا حي يا قيوم اللَّهم صلِّ على محمـد وآله، اللَّهم ارزقنا شهادة في سبيلـك، واحشرنا إليك من بطون السبـاع، وحواصل الطير. . وخـذ لدينك من اليهود حـتى ترضى، خذ لأعراض المسلمين حتى ترضى، وخذ لـدماء المسلمين حتى ترضى، خذ لأطفال المسلمين حتى ترضى، خذ لمحـمد الدرّة حتـى ترضى، واجعل ثأره وثأر الإسلام من اليهود على أيدينا.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين،

وكتبه

سيد بن حسين العفاني

شوال ١٤٢١هـ



أسماء القدس ومكانها وجبالها ووديانها



أسماء مدينة القدس

اعلم يا أخي أن كثرة الأسماء تدل على علوّ مكانة المسمى.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٧٨): «ولبيت المقدس عدة أسماء تقرب من العشرين منها:

إيلياء بالمد والقصر، وبحذف الياء الأولى، وعن ابن عباس إدخال الألف واللام على الثالث، وبيت المقدس بسكون القاف وبفتحها مع التشديد، والقدس بغير ميم مع ضم القاف وسكون الدال، وبضمها أيضًا، وشلّم بالمعجمة وتشديد اللام وبالمهملة، وشلام بمعجمة، وسَلِم بفتح المهملة وكسر اللام الخفيفة، وأوْرِي سلم بسكون الواو وبكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة.

قال الأعشي:

وقد طفت للمال آفاقه دمشق فحمص فأوري سلم

ومن أسمائه: كورة، وبيت إيل، وصهيون، ومصروث آخره مثلثة، وكورشيلا، وبابوس بموحدتين ومعجمة، وقد تتبع أكثر هذه الأسماء الحسين بن خالويه اللغوي في كتاب (ليس)».

* **مدينة السلام (أورو سالم) - أورشليم:**

هو أقدم اسم عرفه البشر لها. وقد سماها به أقدم سكانها الكنعانيون العرب. منسوبة إلى «سالم أو شالم أو شاليم»، وهو اسم مؤسسها، أو إله السلام عند الكنعانيين. وكلمة «أور» كلمة سومرية معناها «مدينة». وذكرها الأكاديون باسم «أورو سالم» والأكاديون نزلوا

العراق في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد من الجزيرة العربية.

وأقدم النقوش التي ورد فيها ذكر هذه المدينة موجود في المتحف المصري بالقاهرة، وهذه النقوش تُسمى «لوحات تل العَمارنة» ترجع إلى عهد الفرعون أمنوفيس الثالث «امنحتب الثالث» من حاكم القدس من قبله ـ عبد يحيبا ـ (١٤١١ ـ ١٣٧٥ قبل الميلاد) ويتكرر اسم أورشليم بعد هذا في لغات أخرى كما في نقوش الإمبراطور الآشوري سنحاريب (٧٠٠ ق.م) يرد اسمها «أوروسليمو».

❑ وفي العبرية (يروشاليم)، وفي النقوش اليونانية من عهد الإسكندر الأكبر المقدوني (حوالي ٣٣٠ ق.م) وردت بلفظ «هيروسوليما» باختصار.

وانتشر اسمها من الكتاب المقدس في جميع لغات العالم تقريبًا.

❑ واسم «أورشليم» ليس عبريًّا أصيلاً، فقد كانت تحمل هذا الاسم قبل دخول بني إسرائيل بشهادة نص تل «العمارنة»، وبدليل أن اليهود وجدوا صعوبة في كتابة اسمها باللغة العبرية (يروشاليم)، فهذه الياء الواقعة قبل الميم الأخيرة لم تكن تُثبتُ في الكتابة العبرية، وقد كُتِبت بدونها في أسفار العهد القديم ٦٥٦ مرة، وكتبت بها ست مرات فقط، ولذلك نص علماء التلمود على وجوب كتابتها بلا ياء.

أورشليم معناها إله السلام أو مدينة السلام أو ميراث السلام.

❑ وأحبار اليهود يدّعون أن سام بن نوح قد سمّاها «شلم» أي: السلام، وأن إبراهيم الخليل سمّاها «يرأه» وهي بمعنى الخوف بالعبرية، فسماها اللَّه بالاسمين معًا (يراه ـ شلم) أي: «أورشليم» بمعنى: الخوف، والسلام أي: السلام المتولد من الرعب.

وما قال أحد قبل أحبار اليهود أن سام بن نوح هو الذي سمى المدينة باسمها، حتى التوراة نفسها[١] .

* **القُدْس:**

اسم تُعرف به المدينة منذ القدم، ولقد ذكر المؤرخ اليوناني «هيرودوت» في تاريخه المشهور اسم مدينة كبيرة في الجزء الفلسطيني وسمّاها «قديتس» مرتين في الجزء الثاني والثالث من تاريخه.

ويقول المستشرق اليهودي الفرنسي «سالومون مونك» في كتابه «فلسطين» إن هذا الاسم على الأرجح هو «القدس» مُحَرّفًا في اليونانية عن النطق الآرامي «قديشتا».

وغلب اسم القدس على المدينة بعد العصر الأموي.

* **يبُوس**: وهذا الاسم أطلقه نبي اللَّه «يوشع بن نون» عليه السلام على المدينة، ويبوس نسبة إلى «اليبوسيين» من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية، وهُم سكان القدس الأقدمون أوْ هم أول من سكنها، أو أول من دوّن التاريخ أنهم سكنوها.

* **إيلياء:**

هذا الاسم سمّاها به الامبراطور الروماني «هدريان» سنة ١٣٥م. وإيلياء اسم جد عائلة الإمبراطور، أو اسم عائلته، وبقي هذا الاسم شائعًا حتى الفتح الإسلامي.

---

(١) انظر: «القدس.. مدينة اللَّه.. أم مدينة داود؟» للدكتور حسن ظاظا ص(٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٧).

وأهل اللغة يذكرون له صورًا متعددة: «إيلياء» بالمدّ، و«إيليا» بالقصر، و«إلْيا» بحذف الياء الأولى، و«الإليا» بإدخال الألف واللام على الثالث.

* **بيت المقدس:**

وقد جاء في حديث الإسراء في «صحيح مسلم».

قال النووي في «شرح مسلم»: «أما بيت المقدس، ففيه لغتان مشهورتان غاية الشهرة:

إحداهما: بفتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة (المَقْدِس).

والثانية: بضم الميم وفتح القاف، والدال المشددة (المُقَدَّس).

قال الزجاج: البيت المقدّس: المُطَهَّر. وبيت المَقْدِس: أي المكان الذي يُطَهَّر فيه من الذنوب.

* **شلّم**: بالمعجمة وتشديد اللام.

* **سلّم**: بالمهملة.

* **شلام**: بمعجمة.

* **سَلِم**: بفتح المهملة وكسر اللام الخفيفة.

* **أُورْي سَلِم**: بسكون الواو وبكسر الراء، بعدها تحتانية ساكنة.

قال الأعمشي

وقد طُفْتُ للمال آفاقَه ... دمشق فحمص فأُورْي سَلِمْ

* **صهيون**: وذلك من أجل الجبل الذي في الجنوب الغربي من القُدْس. أقام عليه اليبوسيّون أول حصن لهم عليه. ومن معان صهيون: «الحصن»

أو «الجبل المشمس».

* مصروث: آخره مثلثة.

* كورشيلا.

* موقعها وجوّها:

تقع القدس على خط عرض ٣١ درجة ٤٦ ٤٥ شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ٣٥ درجة ١٣ ٢٥ شرق جرينتش. وهي هضبة غير مستوية تمامًا يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ و٢٤٦٩ قدمًا. وجَوُّها قارِّي صحراوي إلى حدٍّ كبير، فالحرارة فيها قد تتجاوز ٣٠ درجة صيفًا، وقد تنزل إلى خمس درجات تحت الصفر شتاءً، كما أن التفاوت في الحرارة كبير بين النهار والليل، ومطرها شتوي متوسط، ورطوبتها متوسطة أيضًا، ويندر بها الثلج.

وليس بها أنهار، وإنما تحيط بها عيون كثيرة تتفاوت في غزارة الماء وصلاحيته للشرب، وأهمها عين سلوان[1]، وتندفع من بعض هذه العيون جداول مؤقتة بهطول الأمطار. وكانت المدينة إلى عهد ليس بالبعيد تعتمد أساسًا على تجميع مياه الأمطار في صهاريج وآبار أُعِدَّت لهذا الغرض، وأعلى مرتفعاتها يوجد على حافَّاتها الشرقية والجنوبية الغربية والشمالية، ولذلك اعتُبِرَتْ منذ القدم موقعًا استراتيجيًّا قويًّا جدًّا، واشتهرت بأنها لا تظهر عند الزحف عليها مِنْ بُعْد، بينما تستطيع حاميتها

---

(١) وقف عثمان بن عفان عين سلوان على ضعفاء بيت المقدس.

وبعين سُلْوان التي في قُدْسها ... طعم يُوَهِّم أنه من زمزمِ

أن تكشف تحرُّكات المهاجمين لها وهم ما يزالون على مسافة طويلة.

تبعد القدس: ٥٢ كيلو مترًا عن البحر المتوسط.

و٢٢ كيلاً عن البحر الميت.

و٢٥٠ كيلاً عن البحر الأحمر.

* **وأهم جبالُها:**

(١) **جبل المُكَبِّر:** يقع في جنوب القدس، وتعلو قمّته ٧٩٥م عن سطح البحر.

(٢) **جبل الزيتون أو (جبل الطور):** ويسمى أيضًا «طور زيتا» يعلو ٨٢٦م عن سطح البحر، وهو المواجه لأسوار الحرم من الجهة الشرقية، يفصله عنه واد عميق سريع الانحدار هو (وادي قِدْرون).

وهو من الوجهة التاريخية من أهم الجبال المحيطة بالقدس.

والتلمود يسميه «جبل المسْح» أي: جبل التتويج؛ لأنهم يأخذون من زيتونه الزيت المقدَّس الذي يُستعمل في تتويج ملوكهم، وعليه كانت تُحرق بقرة القربان الحمراء في التلمود.

ويكشف مدينة القدس، قديمها وجديدها.

(٣) **جبل المشارف:** سُمِّي بذلك؛ لأنه يُشرف على القدس، ويُقال له أيضًا: «جبل المشهد»، وهو الذي أطلق عليه الغربيون اسم «جبل سكوبس» نسبة إلى قائد روماني، ويقع إلى الشمال من مدينة القدس بانحراف قليل إلى الشرق.

(٤) جبل بطن الهوا: وهو امتداد جبل الزيتون في الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس، يفصله عنها «وادي سلوان» الذي يتصل في هذه النقطة نفسها بوادي قِدْرون ويسميه اليهود «هارها مشحيت» أي: «الجبل الفاضح» ويزعمون أن سليمان عليه السلام أقام عليه المعابد الوثنية لنسائه الأجنبيات، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾.

(٥) جبل صهيون وجبل أكرا: في الجنوب الغربي للقدس القديمة، وكانت عليه قلعة اليبوسيين التي انتزعها داود منهم بالحرب، وبنى عليه الملك اليوناني «أبيفانوس» قلعة سمّاها «أكرا» ومِن ثم أصبح هذا الجبل يُسمى: جبل أكرا.

(٦) جبل موريا أو «جبل بيت المقدس»: القائم عليه الحرم القدسي.

❑ ومن الجبال المُطِلَّة على القدس: «**تل العاصور**»: يرتفع ١٠١٦م عن سطح البحر يقع بين قريتي دير جرير، وسِلْوَاد. وهو الجبل الرابع في علوّه في فلسطين.

* أهم وديان القدس:

(١) وادي جهنم: واسمه القديم (وادي قِدْرون): وتسميه العرب «وادي سُلوان» شرقًا وجنوبًا.

يفصل السور الشرقي للقدس عن جبل الزيتون. وبه نبع سلوان، والذي ينساب منه مجرى ماء اسمه «جيحون».

وكان هذا الوادي نفسه يحمل قبل مجيء بني إسرائيل اسم قبيلة

«هنّم» ـ بتشديد النون ـ فكان يقال له: (وادي هنَّم) أو (وادي بني هنَّم). وكلمة الوادي كانت في لغات سامية قديمة متعدِّدة هي كلمة «جي»، فكان يقال: «جيهنم» أي: هذا الوادي نفسه، وكانت هذه القبيلة ـ في الوثنية البعيدة في القدم ـ تقدِّم الضحايا البشريَّة إلى إلـهها (مولك) بذبحها وإلقائها في النار، ومن هذه الصورة أطلق اسم (جهنَّم) على مكان العذاب في الآخرة للشبه القائم بينهما. ووادي (هنَّم) أو (سلوان) أو (جيحون) هذا يمتد على طول جنوبي القدس حتى الطرف الجنوبي الشرقي من جبل صهيون، وسمي هذا الوادي بين العرب (حقل الدماء).

يبتدئ وادي جهنم على بُعد نحو (٢٥٠٠م) إلى الشمال الغربي من القدس بالقرب من حي الشيخ جرّاح ويسير إلى الجنوب الشرقي إلى أن يصل إلى زاوية السور الشمالية الشرقية، وأخيرًا ينتهي في البحر الميت، وهناك يُعرف بوادي النار.

(٢) وادي الجبَّانة أو «التيروبيون»[١] : يفصل جبل صهيون عن غرب القدس، ويبدأ حيث ينتهي وادي سلوان، وكان يسمى في الجزء الجنوبي الغربي من القدس «وادي الزبالة» أو «وادي الدِّمَن» أو «وادي القُمامات».

(٣) وادي الربابة: ينحدر من باب الخليل في السور الغربي لمدينة القدس مارًّا بالجنوب الغربي من بيت المقدس إلى بئر أيوب، ويفصل جبل صهيون عن تل أبي ثور.

وهذه الأودية (جهنم والربابة ووادي «تيروبّيون» التي تحيط بالمدينة

---

(١) معناه: «صانعو الجُبْن».

القديمة من جـهاتها الثـلاث: الشرقيـة والجنوبية والغربيـة، كانت تُؤلف خطوطًا دفاعية طبيعية تجعل اقتحام القدس أمرًا صعبًا في الأزمنة القديمة. وأما جهتها الشمالية، والشـمالية الغربية، فكانت مكشوفة، فكانت تأتي منها معظم الجيوش الغازية.

(٤) وادي الأرواح: أو العـفاريت، يدور حـول غـرب جبل صـهيـون، وأقصى الجنوب وبه مدافن للموتى.

سور مدينة القدس وأبوابها

كانت القـدس (يبوس) في أول نشأتهـا مدينة محـاطة بسور منيع، وعليه قلاع حصينة..

ومع تطور المدينـة واتسـاعها على مرّ العـصور، كان يبنى حـولها سور، فـإذا جاءها الغـزاة هدموه، ثم أعيـد بناؤه، وهكذا دواليك، فلم تخلو مرحلة مـن مراحلها من وجـود السور، وآخر من جـدّد بناء سور مديـنة القدس السلطان سليـمان القـانوني. وكان علـوّ السور ٣٨ قـدمًا ونصف قدم، وعليه ٣٤ برجًا وسبعة أبواب.

وهذا السور على هيئة شكل مربّع منتظم طوله ميلان ونصف ميل.

فأول سـور بُني حول القـدس، حوالي سنة ٢٥٠٠ قـبل الميلاد.. وكُلّ من نُسِب إليه البناء فـيما بعد، فإنما هو بناء تجـديد وترميم، وليس بناء تأسيس.



* أمّا أبواب سور المدينة، فهي سبعة: وهي:

١ ـ باب الخليل أو (باب يافا): غربًا، وكان قديمًا يُسَمّى «باب إبراهيم»، ويقع في الحائط الغربي.

٢ ـ باب النبي داود (باب صهيون): جنوبًا وهو في الحائط الجنوبي يعرفه الأجانب باسم «باب صهيون» أنشأه السلطان سليمان عندما أعاد بناء سور المدينة، وهو على جبل صهيون ملاصق لقبور ملوك آل داود.

٣ ـ باب المغاربة: وهو في الحائط الجنوبي لسور القدس، وهو أصغر الأبواب، ويسمى «الباب الصغير». ومن الأثريِّين من يزعم أنه باب القمامة القديم، والراجح أن باب القمامة كان إلى الجنوب أكثر، في أسفل الجبل، ومن هذا الباب تخرج جنازات الموتى لتدفن على جبل الزيتون.

٤ ـ الباب الجديد: ويسمى أيضًا (باب عبد الحميد): فُتِح في الجانب الشمالي للسور على مسافة كيل غربي باب العمود وهو حديث العهد، يعود إلى أيام زيارة السلطان غليوم الثاني لمدينة القدس سنة ١٨٩٨م.

□ وله قصة: فعندما زار الإمبراطور غليوم الثاني القدس سنة ١٨٩٨م في زمن عبد الحميد الثاني، دخل المدينة وهو متّشح برداء أبيض راكبًا جوادًا حاسبًا نفسه حاجًّا وصليبيًّا متمثلاً بأحد أجداده القدماء الذين حاربوا في القدس أيام الحروب الصليبية، ولم يدخل الإمبراطور المدينة من أحد أبوابها المعروفة، بل فَتَحت له الحكومة ثغرة في السور بالقرب من باب الخليل، والغاية من ذلك أن لا يكون الإمبراطور تحت سقف أي سلطة أجنبية..!!

٥ ـ باب العمود (باب دمشق): في الشمال الغربي، واليهود تسميه باب

شكيم (نابلس) وسُمِّي باب دمشق؛ لأنه مخرج القوافل إليها.

٦ ـ «**باب الزاهرة**»، أو «**باب الساهرة**»: وهو عند الغربيين يُسمى باب «هيروديس»، ويقع إلى الجانب الشمالي من سور القدس على بُعْد نصف كيلو شرقي باب العمود. وبناؤه الحالي تركي.

٧ ـ **باب الأسباط، أو باب ساباط**: ويسميه الغربيون «باب القديس أسطفان» يقع في الحائط الشرقي، واليهود كانوا يسمونه قديمًا باب (يهوشافاط)؛ لأنه يُطِلّ على الوادي المسمى بهذا الاسم.

وهذه الأبواب كلها مفتوحة.

وهناك أبواب مغلقة وهي:

- **باب الرحمة**: ويُسميّه الأجانب (الباب الذهبي) لجماله ورونقه ويقع على بُعْد ٢٠٠م جنوبي باب الأسباط في الحائط الشرقي للسور.

ويعود إلى العصر الأموي.. مغلق أغلقه العثمانيون بسبب خرافة سرت بين الناس آنذاك، مفادها أن الفرنجة سيعودون ويحتلون مدينة القدس عن طريق هذا الباب.

- **الباب الواحد**: مغلق في الحائط الجنوبي من السور قرب الزاوية الجنوبية الشرقية. وهو في ابتداء الزاوية.

- **الباب المثلث**: وهو في الحائط الجنوبي، بعد الباب الواحد، وهو مؤلف من ثلاثة أبواب.

- **الباب المزدوج**: وهو من بابين، يعلو كليهما سور.

وهذه الأبواب المغلقة الثلاثة، تشير الدلائل على أنها أُنشئت في العصر الأموي.

أبواب سور القدس على مرّ العصور

الاسم العربي	الاسم الافرنجي	الجهة	المقدس عام ٩٨٥	عام ١٢٢٥	مجير الدين ١٤٩٦ وفي الوقت الحاضر
باب الخليل	باب يافا أو الخليل	في الحائط الغربي «مفتوح»	باب محراب داود باب البلاط	باب داود باب القديس أليعازار	باب الرحبة «مغلق» باب الرحمة «مغلق» باب دير الصرب
باب العمود	باب دمشق	الحائط الشمالي «مفتوح»	باب العمود	باب القديس ستيفن	باب العمود باب الدهرية «مغلق»
باب الساهرة	باب هيرودوس	الحائط الشمالي	باب جب أرميا	باب مادلين	باب الساهرة
باب الأسباط	باب أريحا، أو باب القديس ستيفن		باب أريحا	باب ياهو شافاط	باب حي «الطورية» «مغلق»
—	باب المغارة أو باب القمامة		باب سلوان	باب الدباغة	باب حي المغاربة
باب النبي داود	باب النبي داود أو باب صهيون	في الحائط الجنوبي «مفتوح»	باب صهيون أو باب التيه	باب صهيون	باب حارة اليهود باب السر «مغلق» الباب المقابل للقلعة «مغلق»
باب المغاربة	—	في الحائط الجنوبي «مفتوح»			
باب الجديد	—	في الحائط الشمالي			
باب الرحمة	الباب الذهبي	في الحائط الشرقي «مغلق»			
باب الواحد	—	في الحائط الجنوبي «مغلق»			
باب المثلث	—	في الحائط الجنوبي «مغلق»			
الباب المزدوج	—	في الحائط الجنوبي «مغلق»			

هذا عدا أبواب وبوابات داخل القدس نفسها مثل «باب حطة» الذي يصل إليه الداخل إلى القدس من باب الزاهرة، وباب السلسلة القريب من المسجد الأقصى.

❑ سور مدينة القدس:

الشمالي: ٣٩٣٠ قدم.

الشرقي: ٢٧٥٤ قدم.

الجنوبي: ٣٢٤٥ قدم.

الغربي: ٢٠٨٦ قدم.

المحيط: ١٢٠١٥ قدم.

❑ ارتفاع السور:

٣٨ قدمًا ونصف، وله أربعة وثلاثون برجًا وسبعة أبواب.

وصف المسجد الأقصى

* وهو من القدس سواد العين وسويداء القلب:

.. نعم نعم.. ليس في عالم القداسات مسجد.. إنما هو نبضة من محمد ﷺ، وسيأتي في الحديث: **«وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا»**.

والمسجد الأقصى في قلب القلب وسويدائه، وحتى لا ينسى الناس معالم المسجد الأقصى، فها نحن نفصّل في معالمه حتى تكون صورته ماثلة أمام العين.

❑ إن اليهود نقشوا الشمعدان السباعي على عملاتهم، فلم لا ننقش صورة الأقصى في القلب ونتمثلها أمام العين؟

من فاته الأصل هدّ الشوق بالأثر.

□ الهيئة العربية العليا لفلسطين توثّق آثار المسجد الأقصى:

أصدرت الهيئة العربية العليا بمناسبة حريق المسجد الأقصى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م[1] بيانًا ذكرت فيه المعالم الرئيسية في المسجد الأقصى. وهذا نصّ البيان:

درج المسلمون على تسمية المسجد القائم إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة المشرفة «المسجد الأقصى المبارك» والحقيقة أن المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم يشمل الحرم القدسي الشريف بأجمعه. الذي هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

□ الوصف الفني للمسجد:

يقع المسجد الأقصى في القسم الجنوبي من ساحة الحرم الشريف. فالزاوية الشمالية الغربية تبعد عن سور باب المغاربة نحوًا من سبعين مترًا، وتوازي واجهته الشمالية سور الحرم من الجنوب، والخط المستقيم المسحوب على واجهته هذه ينحصر بين سوري الحرم الشرقي والغربي بطولٍ يقرب من مائتين وخمسة وثمانين مترًا.

□ أقسام المسجد الأقصى:

ويقابل الداخل للمسجد من الجهة الشمالية رواق كبير أنشئ في

(١) ادّعت إسرائيل أن شابًّا استراليًّا يدعى دينيس مايكل وليم موهان ويبلغ من العمر ٢٨ عامًا - وكان قد دخل فلسطين المحتلة قبل أربعة أشهر من وقوع الحريق - هو الذي ارتكب الجريمة، وزعمت أنها قبضت عليه وستقدمه للمحاكمة. ولكن لم يمض وقت طويل حتى أعلنت السلطات الإسرائيلية أن دينيس هذا معتوه، وأطلقت سراحه.

زمن الملك المعظم عيسى بن أبي بكر صاحب دمشق سنة ٦٣٤هـ ثم جدد بعده. وهو مؤلف من سبع قناطر عقدت على ممر ينتهي إلى سبعة أبواب كل باب يؤدي إلى رواق من أروقة المسجد السبعة.

وللمسجد عدا هذه الأبواب باب في الجهة الشرقية، وآخر في الجهة الغربية، وهناك مدخل لجامع النساء الواقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد، وهو مؤلف من رواقين ممتدين غربًا مسافة ٥٣ مترًا إلى أن يتصلا بجامع المغاربة، وقد بني جامع النساء في عهد الفاطميين.

ويقع في الجهة الشرقية أيضًا جامع عمر، وقد أُطلق عليه اسم أمير المؤمنين عمر؛ لأنه بقية الجامع الذي بناه عمر - رضي اللَّه عنه - عند فتح القدس.

ويقع في الجهة الشمالية الغربية إيوان كبير، ويقع بالقرب منه إيوان جميل يسمى محراب زكريا.

وفي المسجد أعمدة كثيرة تقوم على قواعد جميلة، وتعلوها تيجان غاية في الجمال والإبداع.

وفي أعلى الأقواس صفان من الشبابيك، يفتح القسم السفلي نحو الرواقين الجانبيين.

وسطح الرواق الرئيسي أعلى من سطح الرواقين المجاورين له. وفوق كل رواق من هذين الرواقين نصبة من الخشب قليلة الارتفاع في الوسط تسمى «الجملون».

والحائط الجنوبي للمسجد متين جدًّا، ويقوم على أساس قوي منذ زمن قديم، وهو أقوى وأمتن من الجدران الأخرى التي ترجع إلى عصور

متأخرة، لذلك لم يكن من السهل أن يتأثر هذا الحائط المتين بجريمة الإحراق التي اقترفها اليهود، لولا الحفريات التي قاموا بها تحت الأسوار بعد احتلالهم القدس، ولولا استعمال المجرمين مواد فنية شديدة الاشتعال.

ويبلغ ارتفاع القبة الوسطى في المسجد ٢١ مترًا تقريبًا، بينما يقوم داخل البناء على صحن قائم على أعمدة، ويبلغ ارتفاعه ١٦ مترًا و ٥٠ سنتيمترًا.

❑ قباب المسجد الأقصى[١]:

قبة السلسلة.

قبة المعراج.

قبة محراب النبي.

قبة يوسف.

قبة الشيخ الخليلي.

قبة الخضر.

قبة موسى.

قبة سليمان.

القبة النحوية.

---

(١) قبة السلسلة: بنيت في عهد عبد الملك بن مروان.
قبة المعراج: بنيت عام ٥٩٧هـ: ١٢٠٠م.
قبة محراب النبي: بنيت عام ٩٤٥هـ: ١٥٣٨م.
قبة يوسف: بنيت عام ٥٨٧هـ: ١١٩١م.
قبة الشيخ الخليلي: حديثة بنيت في القرن التاسع عشر.
قبة موسى: بنيت عام ٦٤٩هـ: ١٢٥١م.
القبة النحوية: بنيت عام ٦٤٠هـ: ١٢٠٧م.

□ مآذن المسجد الأقصى[1] :

مئذنة باب المغاربة.

مئذنة باب السلسلة.

مئذنة باب الغوانمة.

مئذنة الأسباط.

□ أروقة المسجد الأقصى:

الرواق الممتد من باب حطة إلى باب شرف الأنبياء (باب فيصل).

الرواق المحاذي لباب شرف الأنبياء.

الرواقان السفليان اللذان تحت دار النيابة شمال الحرم من الغرب ورواقان فوقهما مستجدان.

الأروقة الغربية وتمتد من باب الغوانمة إلى باب المغاربة.

الرواق الممتد من باب الغوانمة إلى باب الناظر.

الرواق الممتد من باب الناظر إلى باب القطانين.

الرواق الممتد من باب القطانين إلى باب السلسلة.

الرواق الممتد من باب السلسلة إلى باب المغاربة.

---

(١) مئذنة باب المغاربة: أو المئذنة الفخرية، بنيت عام ٦٧٧هـ: ١٢٧٨م. ورممت عام ١٣٤١هـ: ١٩٢٢م.

مئذنة باب السلسلة: بنيت عام ٧٣٠هـ: ١٣٢٩م.

مئذنة باب الغوانمة: بنيت عام ٦٩٧هـ: ١٢٩٧م.

مئذنة باب الأسباط: بنيت عام ٨٦٩هـ: ١٣٦٧م. ورممت عام ١٩٣٧م.

□ سُبُل الحرم:

وقد أُنشئت سبل عديدة في جوانب الحرم للوضوء والشرب وأكبرها.

سبيل قايتباي[١].

سبيل شعلان[٢].

سبيل باب الحبس.

سبيل البديري[٣].

سبيل قاسم باشا[٤].

□ أبواب الحرم المفتوحة:

باب الأسباط، باب حطة، باب شرف الأنبياء[٥] باب الغوانمة[٦]، باب الناظر[٧]، باب الحديد، باب القطانين، باب المتوضأ، باب السلسلة، باب المغاربة[٨].

□ أبواب الحرم المغلقة:

باب السكينة، باب الرحمة، باب التوبة، باب البراق.

---

(١) أُنشيء عام ٨٦١هـ وجدده قايتباي عام ٨٧٠هـ: ١٤٤٥م. وأُعيد ترميمه في عهد عبدالحميد الثاني عام ١٨٤٢م.

(٢) أنشأه الملك المعظم عيسى وجدده الملك برسباي عام ٨٣٢هـ. كما جدد عمارته السلطان مراد الرابع العثماني عام ١٦٣٧م بعد أن بقي نحو قرنين وهو خراب.

(٣) سبيل طوله متران وعرضه وارتفاعه أربعة أمتار. والمعتقد أنه تم في زمن السلطان محمد الأول العثماني سنة ١١٥٣هـ. تسميته أتت من منشئيه آل البديري.

(٤) دعي بذلك نسبة إلى قاسم باشا متولي القدس في عهد السلطان سليمان القانوني.

(٥) ويسمونه أيضًا الباب العتم وباب فيصل.

(٦) ويسمونه باب الخليل وباب الوليد.

(٧) ويسمونه باب علاء الدين، وباب الحبس، وباب المجلس.

(٨) يقع غربي الحرم إلى الجنوب ويسمونه باب النبي، وباب البراق.

▫ عدد النوافذ (في الأقصى):

١٣٧ وكلها كبيرة من الزجاج الملون.

▫ العقارات الموقوفة على الحرم:

دار الأيتام الإسلامية، تكية خاصكي سلطان، خان السلطان، دار المحكمة الشرعية عند باب السلسلة، دار الشيخ الحنبلي، كلية روضة المعارف، المدرسة البكرية، حمام الشفا، دكاكين على مقربة منه في سوق القطانين، دار حبس الرباط، دار حبس الدم.

وجميع هذه العقارات داخل السور في البلدة القديمة، وهناك عقارات أُخرى موقوفة خارج السور في أحياء مختلفة من مدينة القدس.

* متفرقات عن الحرم القدسي:

▫ الإضاءة في الحرم:

كان في الحرم عام ١٩٤٤م ٣٣٠ مصباحًا، منها ١٣٠ لإضاءة مسجد الصخرة، و٢٠٠ للمسجد الأقصى، وأما المآذن وباقي المنشآت الأخرى الكائنة في ساحة الحرم فإنها تضاء بالكهرباء.

وفي عام ١٩٤٨م، كان عدد القناديل التي تضاءُ بالزيت ٤٠٠ والمصابيح الكهربائية ٢٠٢.

وفي عام ١٩٥٨م لم يبق للزيت والشمع من أثر والحرم كله يضاء بالكهرباء.



* **المسجد الأقصى سنة ١٩٧٢م :**

ومما كتبه الأستاذ محمود العابدي عن الحرم المقدسي قوله[١] : إذا اجتزنا باب الأسباط[٢] لا نلبث أن نغير اتجاهنا إلى اليسار في طريق جنوبي، في الزاوية الشمالية الشرقية من الحرم الشريف، هنا تنفتح أمامنا ساحة واسعة تضم سدس مساحة القدس الداخلة ضمن الأسوار. نمشي في طريق مبلط زرعت على جانبيه أشجار الزينة، ثم نرقى درجات تنتهي بأقواس ارتفعت على أعمدة رشيقة، هذه الأقواس تسمى «الموازين»، وتوجد في باقي جهات ساحة الصخرة الأربع موازين أُخرى. ومن تحت هذا الميزان، نلتفت إلى الجهة الشمالية من الحرم لنرى عدة قباب ومآذن وأروقة وأبواب، أشهرها الباب الذي غير اسمه إلى باب «فيصل» عندما دخل منه الملك فيصل بن الحسين، ملك العراق لأول مرة سنة ١٩٣٣م. وها هي الأروقة الواسعة وما فوقها من مدارس، تدل على ما بلغه المسلمون في عصر المماليك من تقدير للعلم، وأشهر هذه المدارس «المدرسة العمرية» التي كانت أيام الانتداب «كلية روضة المعارف الوطنية».

نشاهد نوعين من المآذن «المربعة» في عصر المماليك و«المستديرة» من أيام الحكم العثماني. هذه هي القباب التي كانت مخصصة للغرباء

---

(١) نقلاً عن مجلة «قافلة الزيت» التي تصدر في «الظهران» في المملكة السعودية ـ عدد رمضان ١٣٩٢هـ: تشرين الأول ١٨٧٢م بتصرف.

(٢) باب الأسباط: واقع شمالي الحرم وفي أقصاه من الشرق عليه كتابة تفيد أن السلطان سليمان القانوني أمر بإنشائه عام ٩٤٥هـ.

والمتصـوفة، وأهل العلم المنقطعين للتـدريس احتسابًـا لوجه اللَّه. نخطو قليلاً فوق هذا الفناء المبلط، ونـرى فوهات الصهاريج التي تتجمع فـيها مياه الأمطار، البعض منها واسع جدًّا، ولكل منها اسم خاص.

أمامنا قبـة مرتفعة رائعة الجـمال، تسمى قبـة «المعراج»، وقد بناها أحد سلاطين المماليك.

❑ قبة الصخرة:

. . . والآن نطوف ببناء قـبـة الصخـرة نطوف بهـذا البناء المثـمن الشكل، والذي يبلغ طول كل ضلع مـنه عشرين مـترًا وارتفـاعه عـشرة أمتار. نصف الارتفـاع السفلي مصفح بصفائح الرخـام الأبيض الجميل. ونصفـه العلوي مغشى بتـرابيع من القاشـاني الأزرق. وقد كتـبت عليه سورة «يس» بالأبيض[1] . وكان قد أمر بتركيبه السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٦١م.

وفي هذه الواجهـات الثماني عدة نـوافذ فيهـا الزجاج الملون الذي سنصف جماله من الداخل. ونوالي طوافنا حتى نأتي إلى الباب الغربي، ويقابله عن اليـمين الميزان الغـربي الذي يوصل إلى باب القطانين، ومنه يصل الناس إلى الحرم، فـإذا درنا نحو الجنوب شـاهدنا الباب الجنوبي، وهو أغنى أبواب الصـخـرة بالنقـوش، ومنـه يؤدي الميـزان الجنوبي إلى المسـجد الأقصـى. وكذلك البـاب الشرقي الذي تعلو للشـرق منه قـبة «السلسلة» التي كانت النموذج الأول الذي بنيت عليه قبة «الصخرة».

---

(١) تحتوي قبـة الصخرة على كتابة كوفيـة قوامها آيات قرآنية يبلغ طولهـا نحو ٢٤٠ مترًا من الفسيفساء المذهبة على أرضية زرقاء داكنة. وذلك بأعلى التثمينة الداخلية.

نوالي طوافنا حتى نعود إلى الباب الشمالي الذي واجهناه أول وصولنا إلى فناء الصخرة فوق هذه التثمينة الخارجية سطح مائل، يتدرج في الارتفاع من أطراف التثمينة حتى يتصل برقبة القبة، ترتفع القبة على مستوى الفناء عشرين مترًا، ويرتفع في أعلاها هلال نحو أربعة أمتار، وقد غطت القبة من الخارج بصفائح من الرصاص القابل للتمدد، كما أن لونه لا يتغير مهما طال عليه الأمد.

أما اليوم فقد صُفِّح السقف بصفائح الألومينيوم المطلي بالذهب. حصل ذلك التبديل بعد الإصلاح الذي جرى على أثر إصابتها بقنابل الهون في حرب سنة ١٩٤٨.

❏ قبة الصخرة من الداخل:

ندخل مسجد الصخرة من الباب الشمالي، ونقف متأملين مندهشين لنعرف براعة المهندس الذي شيد هذا البناء، وجعل الداخل من أي باب من الأبواب الأربعة يستطيع أن يرى جميع ما في داخل البناء من الأعمدة والدعائم، فتظهر أمامه مباشرة، لا يحجبها عن نظره أي حاجب. نخطو إلى الأمام في تثمينة، يقف فيها ١٦ عمودًا وثماني دعائم، إلى تثمينة أخرى قامت فوقها رقبة مستديرة مكسوة بالفسيفساء، ذات الفصوص المتراصة بأشكال زخرفية، قوامها فروع نباتية بألوان متجانسة، تميل إلى زرقة هادئة غاية ما تكون جمالاً وروعة، وفي وسط الرقبة كرنيش من الرخام عليه نقوش مذهبة فوق ١٦ شباكًا مكونة من الخارج من بلوكات من القاشاني المزخرف، بفتحات في وسطها، ومن الداخل مكسوة بالرخام المعرق، وقد بنيت بحيث تأخذ شكلاً دائريًّا.

وبين كل دعامتين ثلاثة أعمدة من الرخام الملون، تحمل أربعة عقود كسيت بترابيع من الرخام الأبيض والأسود.

وبين الجزء الدائري من مبنى قبة الصخرة، والمثمن الخارجي مثمن أوسط، يتكون من ثماني دعائم مكسوة بالرخام المعرق وستة عشرة عمودًا رخاميًّا ملونة مرتبة بحيث يفصل بين كل دعامتين منها عمودان، ويعلو هذه الدعائم والأعمدة عقود زينت بطنياتها وتواشيحها بأنواع من الفسيفساء ذات الرسوم النباتية المختلفة، بألوان متجانسة ومذهبة، وبين الأعمدة أوتاد خشبية مكسوة بالبرونز بنقوش كلاسيكية مذهبة، وهذا المثمن الأوسط يفصل الرواق الأوسط عن الرواق الخارجي، ويغطي هذين الرواقين جمالون من الخشب عليه ألواح من الرصاص من الخارج، ومبطن من الداخل بألواح خشبية عليها نقوش مختلفة.

لنخطُ إلى الأمام لنقف أمام الباب الغربي، وننظر إلى زجاج إحدى النوافذ من الجانب الشمالي، لنرى منظرًا يختلف عن المنظر الذي رأيناه من الأمام، وعما سنراه من الجانب الجنوبي. وجميع الشبابيك الجصية المزججة يختلف كل منها عن الآخر في الزخارف والألوان.

استطاع البناء العربي أن يكسر الأضلاع الثمانية إلى أنصاف أضلاع، فحصل بذلك على ستة عشر ضلعًا قصيرًا، نصب عليها رقبة تشبه الطبل في شكلها. وفوق هذه الرقبة التي انتصبت فوق التثمينتين ركبت القبة، وهي قبة مزدوجة، خارجية وداخلية، صنعت من الخشب المغطى بطبقة من الجص المزخرف بمجموعة من الفصوص الذهبية بألوان مختلفة، وقد كتبت عليها آية «الكرسي»، وتنفذ من جدرانها أربعون

نافـذة تعلوها ٥٦ طاقـة، أقل اتسـاعـًا من النوافـذ، وتطل على داخل المسجد، وقد كتبت عليها تواريخ وأسماء مصلحيها.

ومـعظم النوافـذ المزينة بـالذهب صـفت بأمـر السلطان سليـمـان القانوني، كما جدد أكثـر أبوابها، وجاءها بقطع القاشاني والزخارف من مختلف بقاع الأرض.

الصخرة:

تحت هذه القـبة صخـرة برزت نحو المتـر عن الأرض بشكل غـير منتظم، يبلغ طولها نحـو ١٨ مترًا وعرضهـا ١٣ مترًا[١]، وأحـيطت بحاجز خشبي حفر حفرًا فنيًّـا رائعًا، وأثناء زيارتنا هذه نصل إلى باب في الجنوب الشرقي تحـت الصخرة نقف مـأخوذين بجمـال القوس الذي أُقيم على مـدخله، ندخل الباب الجميل، ونهـبط ١٦ درجة توصلنا إلى «الغار» وهو كـهف أبعاده ٤,٥ × ٤ أمتار، وله سـقف يرتفع ثلاثة أمتار، وفيه ثغرة سعتها نحـو المتر. وفي الداخل محرابان يطلق على كل منهما اسم إبراهيم عليه السلام.

نخرج من الباب الجنوبي من مـسجد الصخرة، ونتـقدم إلى الأمام لنصل إلى الميـزان الجنوبي، وقـبل أن نهبط سلمـه نرى على يميننا منبـرًا صنع من الرخام البديع، وتعلوه قـبة رائعة الجمال وقـد أقيم ليكون منبرًا للمبلغ الـذي يسمع صوت الإمـام في الأقصى، فيـبلغه بصـوته العالي ليسمعه المصلون في مسجد الصخرة.

---

(١) طولها من الشمـال والجنوب ١٧,٧٠ مترًا وعرضها من الشـرق إلى الغرب ١٣,٥ مترًا، وأقصى ارتفاع لها عن أرض البناء متر ونصف متر.

◘ المزولة:

نهبط الدرج حتى نصل بركة تسمى «الكأس»، يتوضأ منها المصلون. وإذا التفتنا إلى الوراء شاهدنا تخطيطًا على الصفحة القائمة فوق أعمدة الميزان، هو رسم ساعة شمسية يستدل المؤذن بها على وقت الظهر، وذلك عندما تكون الشمس في وسط السماء ثم تأخذ في الزوال نحو الغرب، لذلك تسمى المزولة[١].

ها هو المسجد الأقصى يقابلنا بأبوابه السبعة، ونلاحظ أن أوسطها أعلاها، ومنه نلج إلى البهو الأوسط الذي يعلو عن الأبهاء الجانبية. ومعظم الأبنية الحالية في الأقصى هي من أعمال الملك عيسى بن الملك العادل أخي صلاح الدين، والذي يرجع تاريخها إلى سنة ١٢٣٦م.

يبلغ طول المسجد الأقصى ٨٠ مترًا وعرضه ٥٥ مترًا وله ٥٣ عمودًا، بينها ٤٩ سارية مربعة، بنيت من الحجارة وارتفاع الأعمدة والسواري خمسة أمتار[٢]، وقامت فوقها أقواس حجرية اتساع كل منها تسعة أمتار يربط بين الأعمدة شدادات من النحاس.

نذرع هذه الأبهاء الرحبة إلى أن ينتهي بنا المطاف إلى تحت القبة القبلية التي ترتفع ١٧ مترًا عن الأرض، وقد غطتها الفسيفساء الجميلة، والتي تضم مظهرًا جميلاً من مظاهر الفن.

عندما استرد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ:

---

(١) في الحرم مزولتان شمسيتان لمعرفة الوقت واحدة عربية. رسمها مفتي الشوافعة محمد طاهر أبو السعود حوالي عام ١٩٢٠، والثانية زوالية رسمها المهندس المقدسي رشدي الإمام.

(٢) قطر الأعمدة في قسمها الأعلى ٤٣سم وفي الأسفل ٥٢سم.

١١٨٧م بذل كل ما في وسعه لتحسينه ورصفه وتدقيق نقوشه فأحضر من الرخام ما لا يوجد مثله، ومن الفصوص المذهبة من صنع القسطنطينية، وكان قد أخذ في جمعه منذ أن وطد العزم على استرجاع البلاد.

ولقد جدد صلاح الدين محراب المسجد وزينه بالفسيفساء كما جلب للأقصى المنبر الذي عمله نور الدين.

□ في ساحات الحرم:

وإذا ما أجلنا النظر في أرجاء الحرم وساحاته رأينا محاريب بأسماء كثيرين من الأنبياء والصالحين. إننا في مكان رحب هادئ جميل جليل. فما أعظمها من متعة روحية.

«نستنتج من ذلك كله أن حدود منطقة الحرم لم يطرأ عليها تغيير محسوس منذ أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك، أي: منذ نهاية القرن السابع الميلادي. وأما الاختلاف في الأرقام التي تدل على المقاييس فمرده دون شك إلى أخطاء الكتاب، وإلى اختلاف الذراع الذي يتراوح طوله بين الذراع الملكي الهاشمي الذي يساوي ١,٥ قدم والذراع الملكي المتأخر الذي يقرب طوله من ٢ قدم، والذراع المعماري الذي استعمل في القرن الخامس عشر، والذي يقرب طوله من ٢,٢٥ قدمًا».

*** بالأرقام:**

□ **الحرم القدسي، وهو المقصود باسم المسجد الأقصى:**

يقع على مساحة مربعة طول الجهة الغربية منها ٤٩٠ مترًا.

طول الجهة الشرقية منها: ٤٧٤متراً.

طول الجهة الشمالية منها: ٣٢١متراً.

طول الجهة الجنوبية منها: ٢٨٣متراً.

أبواب الحرم القدسي:

باب الأسباط - باب حِطَّة - باب شرف الأنبياء (فيصل) - باب الغوانمة (الخليل - الوليد) - باب الناظر - باب الحديد باب القطانين - باب المتوضأ - باب السلسلة - باب المغاربة (أو باب النبي - أو باب البراق).

محيط الحرم القدسي:

الحائط الشمالي: ١٠٤٢ قدم.

الحائط الشرقي: ١٥٣٠ قدم.

الحائط الجنوبي: ٩٢٢ قدم.

الحائط الغربي: ١٦٠١ قدم.

المحيط: ٥٠٩٥ قدم.

الصخرة:

طولها ١٧,٧٠ متراً.

وعرضها ١٣,٥٠ متراً.

ويبلغ ارتفاعها عن الأرض نحو ١,٢٥ متر إلى مترين، وينزل إلى المغارة التي تحتها بإحدى عشرة درجة من جهة القبلة، وهي محاطة بدرابزين، قيل من الحديد، وقيل من الخشب.

قياس آخر:

طولها ٥٧ قدمًا.

عرضها ٤٣ قدمًا.

ترتفع من قدم إلى ستة أقدام عن البلاط.

❑ القبة (قبة الصخرة):

القبة مثمنة الشكل، طول كل جانب ٦٧ قدمًا.

ارتفاع القبة ١٧٠ قدمًا.

مبنية على أربع دعائم، واثني عشر عمودًا.

ولها أربعة أبواب إلى الجهات الأربعة.

❑ البراق:

قسم من سور الحرم القدسي الغربي. في الزاوية الجنوبية الغربية. وهو حائط البراق الذي ربط فيه البراق النبوي ليلة الإسراء.

طوله ١٥٦ قدمًا.

ارتفاعه ٥٦ قدمًا.

❑ المسجد الجامع:

(ويسمونه المسجد الأقصى مجازًا) يقع جنوبي جامع قبة الصخرة.

وطوله ٨٠ مترًا.

وعرضه ٥٥ مترًا.

عدا ما أضيف إليه من الأبنية، وأول ما يقابلك من هذا المسجد عند مدخله من الجهة الشمالية رواق كبير أنشأه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق سنة ٦٣٤هـ. وللمسجد عشرة أبواب، وقبته من الخشب مغطاة بالرصاص.

❑ المسجد العمري:

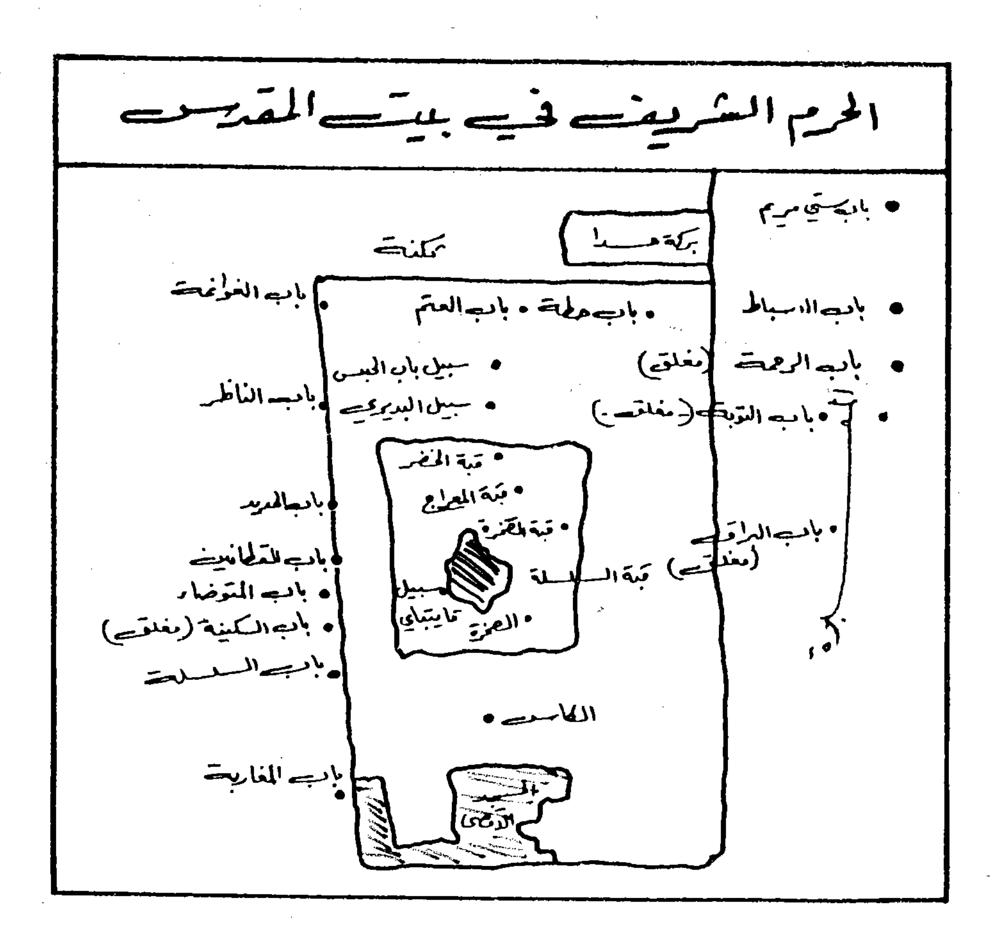
يقع في الجنوب من ساحة كنيسة القيامة، وقد يُقال: مسجد عُمر:

لموقع المسجد الجامع داخل سور الحرم؛ لأنه المكان الذي خطه عُمرُ لصلاة الجماعة عند الفتح، وفي شرقي المسجد الجامع بناءٌ يطلق عليه مسجد عمر أيضًا.

أبواب الحرم الشريف في العصور المختلفة

المقدسي سنة ٩٨٥م	ناصر خسرو عام ١٠٤٧م	مجير الدين عام ١٤٩٦م	الأبواب الحديثة سنة ١٨٩٠
١ ـ باب حطة	باب حطة	باب النبي	باب النبي تحت باب المغاربة
٢ ـ باب النبي	باب النبي	باب الأقصى القديم	باب الأقصى القديم، الباب المزدوج القديم
٣ ـ باب محراب مريم	باب العين		الباب الفردي القديم والباب الثلاثي
٤ ـ باب الرحمة	باب الرحمة وباب التوبة	باب الرحمة وباب التوبة	باب الرحمة وباب التوبة الباب الذهبي
٥ ـ باب البركة	باب الأبواب	باب الأسباط	باب الأسباط
٦ ـ باب الأسباط	باب الأسباط	باب حطة	باب حطة
٧ ـ الباب الهاشمي	باب الصوفية	باب الدوادارية	باب العتم
٨ ـ باب الوليد		باب الغوانمة	باب الغوانمة
٩ ـ باب إبراهيم	باب صقر	باب الناظر	باب الناظر
١٠ ـ باب أم خالد		باب القطانين أو باب الحديد	باب الحديد أو باب القطانين أو باب المتوضأ
١١ ـ باب الوليد	باب داود وباب السكينة	باب السلسلة وباب السكينة	باب السلام وباب السلسلة

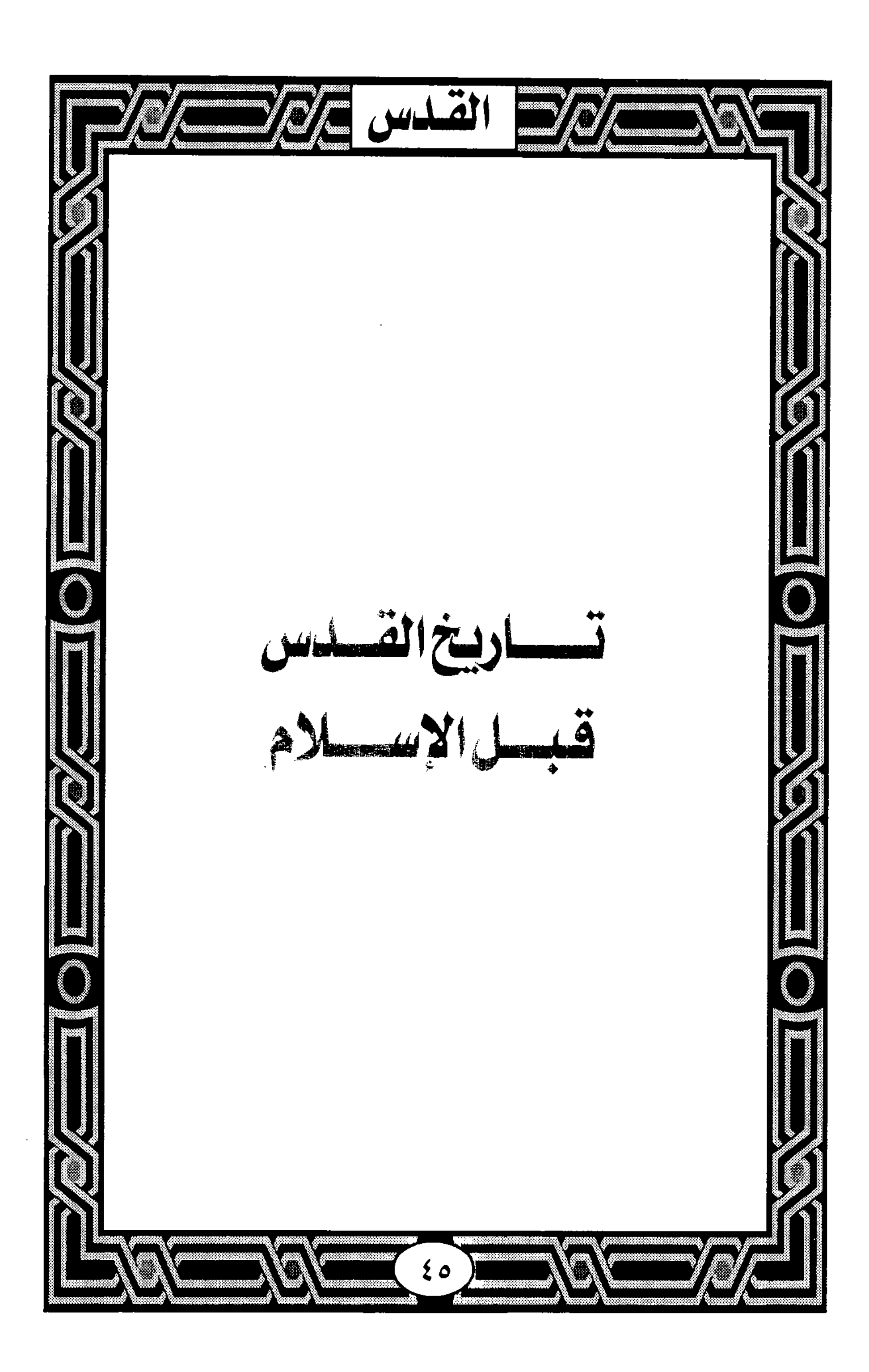
الحرم الشريف في بيت المقدس



الحرم الشريف في بيت المقدس

---

(١) انظر «بيت المقدس» ص(٤٨١ ـ ٥١١).



تاريخ القدس قبل الإسلام



تاريخ القدس قبل الإسلام

* **نشأة «القدس» دينية منذ بداية التاريخ:**

❑ نعم.. فالقدس واقعة على سلسلة جبال، ومحيط القدس قاحل، لا سهل فيه، ولا ينابيع. فهي ليست بمركز زراعي، وليست على بحر ولا على طريق تجاري.

ومع هذا كله فإنك تجد فيها خيرات الأرض كلها، بل تجد فيها المنتجات الزراعية الصيفية في فصل الشتاء.

❑ فالمدينة لم تنشأ في أصل نشأتها للأسباب التي تنشأ لها المدن والقرى: وأسباب نشوء المدن والقرى: البحر، والنهر، والماء، والزراعة، وطرق التجارة.. أما بيت المقدس فليس لها واحدة من هذه الميزات..

فكيف أصبحت مدينة تتزاحم الناس فيها، ويشدون الرحال إليها؟

قبل أن نجيب يكفي نظرة إلى مكة والقدس، وما بين المدينتين من تشابه وتقارب في طبيعة المكان، وحكمة النشأة:

مكة في واد غير ذي زرع... فجعل اللّه قلوب أفئدة من الناس تهوي إليهم.. وجعل اللّه مكة في مكان مجدب لا زرع فيه، ولكنه خلق أخصب بقاع الجزيرة ـ وهي الطائف ـ مجاوراً لها.

❑ وهذا حال مدينة القدس: فالزمن الذي تأسس فيه بيت مكة، هو الزمن الذي تأسس فيه بيت المقدس... وهناك وادٍ غير ذي زرع، وهناك جبل غير ذي زرع...

وهناك أفئدة من الناس تهوي إلى ساكن مكة، وهنا جعل اللَّه أفئدة من الناس تهوي إلى بيت المقدس.

- وهناك خلق اللَّه الطائف على مرمى حجر من مكة، وهنا خلق اللَّه أرضًا تجاور القدس، بارك فيها بركات الدين والدنيا.

- نعم، ليس في المدينتين ما يبهر النظر من متاع الدنيا، ولا يقصدهما القاصد من مكان بعيد لطلب مال أو استجداء عطاء أمير، إنما يقصدها للعطاء من رب الأرض والسماء.

- العرب أول من سكن القدس... والقدس كانت تعرف التوحيد قبل قدوم خليل الرحمن عليه السلام:

لا شكَّ أن القدس كانت مسكونة، أو كانت مقصد البَشَر منذ زمن بعيد مُوغل في القدم، لا يعلمه إلا اللَّه؛ لأن المسجد الأقصى أسس في الزمن الذي أسس فيه البيت العتيق في مكة، وثبت أنَّ البيت العتيق كان مؤسسًا قبل إبراهيم عليه السلام بزمن طويل لا يعلمه إلا اللَّه.

ولكننا لا نملك تأريخًا للأمم التي سكنت القدس إلا في حدود ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد (٣٥٠٠ق. م)... وهو تاريخ أولى الهجرات الكنعانية، التي اتجهت من شبه الجزيرة العربية نحو الشمال الشرقي. ومن بطون العرب الكنعانيين الذين هاجروا إلى فلسطين «اليبوسيّون» وهؤلاء هم الذين سكنوا القدس وعمروها، ولم يعرف التاريخ المدون شعبًا قبلهم سكن القدس[١] . ونسبةً إليهم سميت القدس

(١) انظر: «تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم» محمد عزة دروزة ص(١٥٣).

«يبوس». وجاء اسم يبوس في الكتابات المصرية الهيروغليفية باسم «يابثي» و«يابتي» وهو تحريف للاسم الكنعاني.

فهذا من المتفق عليه بين المؤرخين أنّ أول من سكن بقعة القدس الشريف قومٌ من اليبوسيين من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية؛ لأنهم أحد فروع الكنعانيين، والكنعانيون من العرب بالاتفاق بين المؤرخين، فقد ذكر المؤرخ العربي ابن جرير الطبري الكنعانيين في تاريخه وقال: إنهم من العرب البائدة، وأنهم يرجعون بأنسابهم إلى العمالقة، فقال: عِمْليق أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عُمَان وأهل الحجاز وأهل الشام منهم. . .

ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يُقال لهم «الكنعانيون» (١/ ٢٠٣). وقال ابن خلدون: وأما الكنعانيون الذين ذكر الطبري أنهم من العمالقة كانوا قد انتشروا في بلاد الشام وملكوها، وقال: «أول مُلْكٍ كان للعرب في الشام فيما علمناه للعمالقة».

واتفق المؤرخون من أعداء العرب وأصدقائهم: أن الكنعانيين جاءوا إلى بلاد الشام من شبه الجزيرة العربية، ونسبةً إلى هؤلاء الكنعانيين دُعيت فلسطين بأرض كنعان، فكان أقدم اسم سُمّيت به بلادنا.

وقد احتلَّ اليبوسيون التلال المشرفة على المدينة القديمة، وبنوا قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من يبوس، سُمّيت حِصْن يبوس، الذي يُعَدُّ أقدم بناءٍ في مدينة القدس، أُقيمت حوله الأسوار، وبرج عالٍ في أحد أطرافه للسيطرة على المنطقة المحيطة بيبوس للدفاع عنها وحمايتها من غارات العبرانيين، والمصريين الفراعنة بزعامة ملكهم سالم

اليبوسي[1]، وعُرف حصن يبوس فيما بَعْدُ بحصن صِهْيون، ويعرف الجبل الذي أقيم عليه الحصن بالأكمة، أو هضبة أوفل.

وقد أثبتت نتائج الحفريات أن المدينة اليبوسية، كانت شرقي أسوار الحرم القدسي وعلى السفح المنحدر إلى وادي قِدْرون (جهنم) ولم تكن على جبل (موريا) حيث يقوم الحرم الشريف.

وهذا يوحي بأن بقعة المسجد الأقصى كانت موجودة ومعروفة، ولذلك سكن اليبوسيون بجوارها، ولم يسكنوا فيه؛ لأنها محل للعبادة.

ومن أقدم ملوك اليبوسيين الكنعانيين في القدس «ملكي صادق» الذي عقد صداقةً مع إبراهيم الخليل عليه السلام، مما يدل على أنه كان من الموحدين العابدين للَّه تعالى.

وكانت الهضبة المسطَّحة التي تتوّج جبل «موريا» المكان الذي وجد فيه إبراهيم عليه السلام الرجل الأصيل (مَلْكي صادق)، ملك أورشليم، يعبد اللَّه العليّ، ويقوم بقرى الضيوف فيقدم لإبراهيم الخبز والنبيذ، ثم يباركه «باسم اللَّه العلي» أيضًا.

فمدينة القدس: كانت تعرفُ عقيدة التوحيد، قبل أن يقدم إبراهيم

---

(١) وسالمٌ هذا: أول من حكم القدس، فسميت باسمه، أو أضيفت إليه فقيل (أور+سالم) يعني بلد سالم. وعندما قدم سيدنا إبراهيم إلى فلسطين، كان ملكها اسمه «ملكي صادق» وسالم، وملكي صادق كما يظهر من اسمهما أنهما من العرب. والحقُّ ما شهدت به الأعداء، فقد سجل اليهود في توراتهم أن ملكي صادق كان ملك شليم (القدس) في زمن إبراهيم عليه السلام، وأن ملكي صادق ابتهج لانتصار إبراهيم على خصومه، وتصدَّق بخبز وخمر؛ لأنه كان كاهنًا للَّه، ويفيد هذا أن ملكي كان موحدًا وربما كان نبيًّا. وبهذا تكون فكرة التوحيد ـ توحيد اللَّه ـ قائمة في فلسطين والقدس، قبل قدوم سيدنا إبراهيم، وهذا يدل على وجود المسجد الأقصى المبارك قبل قدوم سيدنا إبراهيم.

الخليل إلى فلسطين؛ لأن اللّه تعالى أمر بوضع المسجد الأقصى فيها لعبادته، وكان الناس يقصدونه للعبادة؛ ولأن ملكي صادق ـ ملك اليبوسيين ـ، اتخذ بقعة المسجد الأقصى مكانًا لعبادته.

ويزعم بعض المؤرخين تبعًا لليهود، أن ملكي صادق هو لقب سام ابن نوح وهذا لا يصح؛ لأن بين سام بن نوح وبين إبراهيم أزمنة طويلة فقد ذكر القرآن بعد نوح: النبي هودًا عليه السلام، والنبي صالحًا عليه السلام.

. . . وعلى هذا تكون القدس أقدم بقعة على الأرض عرفت عقيدة التوحيد بعد مكة المكرمة شرفها اللّه. . . لأن ملكي صادق الذي التقى إبراهيم حوالي سنة ١٨٠٠ق. م كان موحدًا، ولأن سيدنا إبراهيم الذي جاء إلى فلسطين دعا إلى التوحيد، ولقي في أهل فلسطين استجابة.

ومما يجدر أن ننبه إليه، ونوضحه: أن المؤرخين ينسبون إلى إخناتون الفرعوني (أمنحوتب الرابع ١٣٧٧ ـ ١٣٥٨ ق م) أنه دعا الناس إلى عبادة إله واحد (ويجعلون له الأولوية والأقدمية) بدون دعوة نبي. ولكنَّ وحدانية أخناتون، لم تكن دعوة إلى توحيد الإله الخالق الرازق الذي يرىٰ الناس ولا يرونه، وإنما كانت دعوةً إلى توحيد إله مادي منظور ومحسوس، فقد كان المصريون قبله يعبدون عددًا من الآلهة المنظورة المحسوسة، فدعا إلى عبادة إله واحد هو «أتون» أو «قرص الشمس»، ونبذ جميع الآلهة الأخرى، فهذا كمن يُفردُ صنمًا واحدًا لعبادته. . وشتان بين عبادة الإله الذي دعت إليه الأنبياء وبين عبادة الإله الواحد المادة المحسوس. . .

أإخناتون للتوحيد داعٍ ... قديمًا قبل كل المرسلينا
أإخناتون عابد قرص شمسٍ ... بزعم الكفر شيخ المسلمينا

وقد كشفت التنقيبات الأثرية التي قامت بها الباحثة الإنجليزية كاثلين سنة ١٩٦١م في طبقات العصر البرونزي القديم من أكمة «أوفل» بالقدس عن بقايا السور الأول الذي بناه اليبوسيون على جبل صهيون، وأبرزت قسمًا من أسس الأبنية وتمديدات جر المياه إلى الحصن من عين أم الدرج (جيحون). [الموسوعة، مادة القدس].

فملكي صادق ملك أورشليم العربي موحّد بنص التوراة.

فالتوراة نفسها تتحدث عن «أورشليم» لأول مرة في زمن إبراهيم «حوالي سنة ١٩٠٠ ق.م» وكان اسمها (شاليم) فقط. وكان ملكها من سكان فلسطين الأصليين، ويبدو من السياق أنه كان يحكم دينيًّا، تقول توراتهم (سفر التكوين ١٤/ ١٨):

«ومَلْكيصدك ملك شاليم أخرج خبزًا ونبيذًا!!(١) ، وكان كاهنًا للَّه العلي، وباركه، وقال: مُبارك أبْرام من اللَّه العلي مالك السماوات والأرض». فأورشليم (القدس) كانت مدينة مباركة من اللَّه العليّ من قبْل داود، بل من قبْل إبراهيم أيضًا.

* فتح بني إسرائيل للقدس على عهد نبي اللَّه يوشع بن نون عليه السلام:

وعلى عهد يوشع بن نون خليفة موسى (حوالي سنة ١٤٥٠ق.م)

---

(١) هكذا... لعن اللَّه اليهود كم حرّفوا وبدّلوا.

كان بنو إسرائيل قد أصبحوا بعشائرهم التي تهدّد أمن المدن الفلسطينية خطرًا يُحسَب حسابه، ويؤكد ذلك نص تل العَمارنة الذي أشرنا إليه. لذلك نجد تحالفًا يُعقد بين أمراء الفلسطينيين على أثر انتصار يوشع بن نون في أريحا وعاي وجِبْعون (يوشع ١٠/ ٣ ـ ٤). «فأرسل أدونيصدق ملك أورشليم إلى هوم ملك حَبْرون ـ الخليل ـ وفرآم ملك يرموت، ويافع ملك لكيش، ودبير ملك عجلون». ولكن يوشع عليه السلام ترهبه كل فلسطين، فتخضع له بعض البلاد ويحاربه البعض الآخر، ويُصالحه فريق من «الخائفين» على امتيازات معيّنة يتنازلون عنها لبني إسرائيل.

□ وكانت (أورشليم) من المدن الفلسطينية التي قاومت بني إسرائيل قرونًا طويلة.

فمثلاً نجد يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ نفسه يجعلها في نصيب قبيلتي بنيامين ويهوذا من أسباط بني إسرائيل، ولكنهما لم يستطيعا ـ ولمدة طويلة جدًّا ـ طرد سكانها الأصليين (اليبوسيين) إحدى القبائل الفلسطينية القديمة.

□ وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يَقْدِر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم»[1].

والمقصود اليومُ الذي يروى فيه الراوية هذه الوقائع عن يوشع وبعد وفاته بمدة علمها عند الله.

وبعد موت يوشع بن نون أعاد سبط يهوذا الكرَّة على أورشليم

---

(١) يوشع (١٥/ ٦٣).

«وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحدّ السيف، وأشعلوا المدينة بالنار»[١] .

أما سبط بنيامين، فإنهم فشلوا كذلك في طرد اليبوسيين وسكنوا معهم «إلى هذا اليوم»[٢] .

لذلك بقيت أورشليم تسمى (يبوس) أو (مدينة اليبوسيين) كما جاء في سفر القضاة (١٩)، وفي هذا الموضع نجد نصًّا يستحق الانتباه، حين يقول في سياق القصة التي يرويها: «. . . وفيما هم عند يبوس، وقد انحدر النهار جدًّا، قال الغلام لسيده: تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث لا أحد من بني إسرائيل هنا».

وسنرى أن المدينة المقدسة ظلت إلى عهد داود لليبوسيين، سكانها الأصليين من شعب فلسطين.

ومعروف أن داود عاش حوالي سنة ألف قبل الميلاد، وبالتالي ظلت مدينة (السلام) من أول ما لقيناها في التوراة على أيام إبراهيم إلى تلك الفترة ـ نحو ألف سنة ـ تقاوم التسلل الإسرائيلي، والمطامع اليهودية، فلا ينال الإسرائيليون منها إلا بالتخريب والإحراق حينًا أو بالمساكنة والتعايش السلمي أحيانًا.

□ ومع داود فقط تبدأ (عُقدة أورشليم) مدينة اللَّه، ومدينة السلام، ومدينة اليبوسيين الفلسطينيين منذ ما قبل التاريخ، كما أثبتت ذلك

---

(١) «سفر القضاة» (١/ ٨).

(٢) «قضاة» (١/ ٢١).

أحدث الحفائر التي أُجريت في المنطقة[١] .

ملحـــوظة: عندما جــاء الموسويون بعد موسى بقـيادة يوشع إلى فلسطين حــوالي سنة ١٢٢٠ قــبل الميــلاد، واســتــولوا على أجــزاء من فلسطين، عجــزوا عن الاستــيلاء على القدس، وبقي «هــن يابوس» بيد أهله زهاء ثلاثة قرون بعد دخولهم فلسطين.

* ظهور داود عليه السلام وتملكه على بني إِسرائيل:

قلنا: إن القــدس ظلت فلسطينيــة في أيدي اليــبوســيين إلى السنة الثامنة من حكم داود. كان داود من الجنوب، من صحراء النقب، حيث اختارت قبيلته ـ سبط يهوذا ـ تلك الجهة مسرحًا لحياتها البدوية الرَّعوية، ثم إنه انتقل إلى الشمال حيث كــان نبيٌّ بني إسرائيل (صموئيل) قد توَّج شاؤول أول ملك على كل الشعب، وكان داود قد أُلحق ببلاط شاؤول.

وفي هذه الآونة كان سكان البــلاد الأصليين «الفلسطينيين» يريدون التخلص من الوجــود (الإسرائيلي) في بلادهم. وكانت الحــرب سجالاً بينهم وبين الإسرائيليــين، وبرز من الفلسطينيين بطلٌ عِمْلاقٌ مــخيف هو (جالوت) استطاع داود أن يقــتله بحَجَر أطلقه من مــقلاع، وأصبح داود ملكًا بعد طالوت فأراد أن يترك الشمال إلى نقطة حصينة أكثر توسطًا من حيث الموقع، فــوجد مطلبه هذا في (مــدينة اليبوســيين) أورشليم، فهي قريبة من ديار سِــبط يهوذا وهم عشيرة داود، وهي وعِــرة المسالك للقادم من الأردن، أو من البحر أو من الشمال على الســواء، وهي حصينة غير

---

(١) «القدس» لحسن ظاظا ص(٤٧ ـ ٥٠).

مكشوفـة للغُزاة، ثم إنَّها بعـد كل هذا في وسط عشائر فلسطينيـة قديمة يبدو أنهم كانوا أكثر ميلاً إلى المسالمة من أهل الشمال.

* استيلاء داود على القدس من اليبوسيين:

بدأ داود بالاستيلاء على جبل صهيون، وكانت فيه قلعة أماميَّة لليبوسيين يدافعون منها عن القدس، وكانوا يسمُّون جبل صهيون بالمنشئات القائمة عليه (المدينة الفوقانيـة) بالنسبة لهضبة الحَرَم (جبل مُوريا) التي كانوا يسمونها (المدينة التحتانية). استولى داود إذن على (المدينة الفوقانية) وحصّنها وجعلها قاعدة لحكمه، ولمّا كانت أسرته هي سِبط يهوذا، فمنذ هذا الوقت بدأ الإسرائيليون يُسمَّون باليهود أيضًا، ولمّا كان داود على طريقة أمراء بني إسرائيل ورؤسائهم في العصور القديمة، وعلى طريقة الكثير من الحكام القدماء، يستمدُّون سلطتهم من «اللَّه» فقد جعلوا صهيون مقر السلطة الدينية والسياسية والعسكرية جميعًا. ولم يجد غُلاة المتعصبين من اليهود في العصر الحديث تسمية أكثر سحرًا في آذان فقراء اليهود وبسطائهم من (الصهيونية)، وما تقترن به من قوة داود وشدة شكيمته، وأُبَّهة سليمان وبهاء عظمته وفخامته على عرشه الأسطوري العجيب، فاختاروها اسمًا وشعارًا.

تملّك داود على اليهود حوالي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد وتمكنوا فيها من دخول القدس. تُوفّي داود سنة ٩٦١ق.م، ودام ملكه ما بين (٩٦١ ـ ٩٢٢ ق.م). وعندما استولى داود عليه السلام على القدس، لم يغادرها أهلها، بدليل ما جاء في الآثار الإسلامية والعبرية أنه عندما أراد داود عليه السلام أن يعدّ مكانًا للعبادة، أو أراد أن يزيد في البقعة،

اشترى بيدر أحد اليبوسيين «أرونة اليبوسي» ليبني عليه مذبحًا (معبدًا)، ولكن اللَّه تعالى لم يكتب له أن يكون البناء على يديه، والمعروف أن داود أصبح ملكًا على بني إسرائيل، وكان عمره لا يزيد على ثلاثين عامًا، ومعنى هذا أنه تملّك قبل أن يوحى إليه، فلما بلغ من العمر أربعين سنة آتاه اللَّه النبوة والملك، وأرسله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الزبور.

يعني هذا أن داود عليه السلام جعل قاعدة ملكه في أول تمليكه، في جهات الخليل، ثم فتح القدس بعد حوالي سبع سنوات ٩٩٠ق.م، وتكون نبوته بعد فتح القدس.

* الصخرة التي بنى عليها داود مذبحًا للرب؟

ظل داود يضغط على اليبوسيين، ويضايقهم في جبلهم (مُوريا)، ويريهم صنوف الإذلال، وهم يرحلون تاركين له ديارهم حتى لم يَبقَ إلا مسطح القمَّة ـ مكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة ـ ملكًا لليبوسي (آرونا) يتخذه جرنًا ومربضًا لماشيته، فاشتراه منه داود بما فيه من المواشي، وقالوا في عَنعنات شفوية يهودية لا يقوم عليها أي دليل: إن داود جعل من الصخرة التي على الهضبة مَذْبحًا للربِّ. وصاغوا حول ذلك أساطير لا تكاد تنتهي، حتى قالت بعض نصوص التلمود (توسفتا ـ يوما / ٨,٨٤): «إن اللَّه تعالى خلق الأرض ابتداء من هذه الصخرة»، وقال أحد أحبارهم وهو إليعازر البابلي: «إن الصخرة هي أصلُ خلق الأرض، وإن صهيون هو سُرَّة العالم، وهو كامل الجمال والبهاء» (التلمود البابلي ـ يوما/ ٥٤).

وجاء في كتاب (الزوهر) وهو من كتب التصوُّف اليهودي المشهورة: «إن يعقوب نام على الصخرة، وهو منطلق من بيت أبيه (إسحاق)، بينما المعروف أنه نام في (بيت إيل) قرب نابلس. ولكن هذا التحريف يهدف إلى نقل قدسية (بيت إيل) المجاورة لنابلس، والتي ظل اليهود السامريون على وفائهم لها كقبلة ليعقوب، إلى أورشليم.

□ والحقُّ أننا لا ندري أية صخرة يعني اليهود، فالتلمود يذكر أن الصخرة التي يقدِّسونها ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاثة أصابع (التلمود ـ يوما/ ٨٥ ـ ٣، ٤، توسفتا ٨٣/٦، وموسى بن ميمون في كتابه «طُقُوس يوم الغفران»). بينما الصخرة الموجودة حاليًا ترتفع عن مستوى سطح الأرض بنحو متر كامل، ومحيطها يناهز العشرة أمتار، وتحتها فجوة هي بقية مغارة قديمة عمقها أكثر من متر ونصف، تبدو الصخرة فوقها وكأنها معلقة بين السماء والأرض، وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب حتى لا تنهار.

ومن الذين شكُّوا في أن تكون الصخرة الشريفة هي الصخرة المعنية في التلمود، الباحث الألماني «شيك» في أوائل هذا القرن، فهو يقول: «إن الصخرة الحالية ربُما كانت على أكثر تقدير إحدى ركائز المذبح الخاص بالقرابين فقط، ولم تكن في يومٍ ما داخلة ضمن قُدس الأقداس».

أما صخرة اليهود التي يسمونها حسب أساطير التلمود التي أشرنا إليها (إيبن هاشتيا) ـ أي: حجر الأساس ـ فاللّه أعلم ماذا صنع بها بختنصر، وأنطيوخوس أبيفانوس، وتيتوس، وفِسبازيان، وهدريان[1] ،

(١) هذه الأسماء هي لأولئك القادة والملوك الذين أنزلوا باليهود أشد العقوبات في تاريخهم القديم.

والصليبيون، وغيرهم ممن دمروا أورشليم مرارًا وتكرارًا تدميرًا كاملاً.

✳ مدينة داود ... بعد داود:

رحل داود عليه السلام الذي بنى المجد لليهود رحل عن دنيا البشر للقاء ربه، فماذا يقول اليهود عنه في توراتهم المحرفة: قالوا: إن داود عليه السلام زنى بزوجة رجل من قوّاد جيشه، ثم دبّر حيلة لقتل الرجل فقُتِل، وبعدئذ أخذ داود الزوجة وضمها إلى نسائه، فولدت له سليمان[1].

✳ الملك سليمان وعنايته الفائقة بعاصمته وبناؤه القصر والهيكل وسور المدينة:

ورث سليمانُ داودَ، وكان ملكًا يحبُّ الفخامة ويميل إلى حل مشاكل السياسة والاقتصاد حلولاً دبلوماسية، لا يلجأ فيها إلى قوة السلاح، فصاهر جيرانه مبتدئًا بالقصر الفرعوني في مصر إذ تزوّج ابنة فرعون، ثم غيرها وغيرها من بنات الملوك والحكام المحيطين بمملكته الصغيرة.

وحاول أن يجعل عاصمة ملكه ـ أورشليم ـ لا تقل عَظَمَةً وعمرانًا عن العواصم الكبرى في الشرق في زمانه، فبدأ بتشييد سور فاخر حول المدينة، ثم أخذ في بناء المعبد الكبير ـ الهيكل ـ الذي كان أبوه داود قد بدأه قبل موته. لقد سيطر هذا الهيكل على نفوس اليهود وخيالهم بعد تدميره واندثاره، وحتى الآن اقترنت أورشليم به، وتقدَّست لدى اليهود من أجله، وإذا ذكر اسمها فالمراد هو أولاً وقبل كل شيء. وما كتبه

(١) «سفر صموئيل الثاني» إصحاح (١١) عدد (١).

الكتاب والأحبار من شَطَحات خيالهم حول ذلك شيء تضيق عنه مئات المجلدات، بحيث كان كل اليهود في حاراتهم القذرة وأسمالهم البالية، على الثلج، وفي الوحل، يعيشون في هيكل أورشليم مع سطور التلمود ومع كتابات الأحبار، وكانت صيغة المعايدة الدائرة على ألسنتهم ـ وبخاصة في عيد الفصح ـ هي: «السَّنَةُ القادمة في أورشليم»، وهو شعار استغلته الصهيونية، وكَهربت به أعصابهم، وأعطته كل المعاني الحربية والعسكرية الممكنة.

* الهيكل في ذهن اليهود وشطحاتهم:

ولنذكر نموذجًا واحدًا من هذه الشطحات الكهنوتية اخترناه من كتاب التصوف اليهودي (الزوهر) (٢/ ٢٢٢): «عند خلق العالم، ألقى اللَّه حجرًا كريمًا من عرشه العظيم في الفضاء المُظلم، فغَطَس فيه جزء من هذا الحجر وبرزت بقيته فوق السديم، وهذه البقية البارزة كنقطة في هذا الفضاء اللانهائي بدأت تمتد في كل الاتجاهات عن يمين وشمال، وأُرسيت الدنيا عليها، ولذلك يسمى هذا الحجر (حجر الأساس).

وكان تكوين الأرض حوله على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى عبارة عن منطقة مستديرة حول الحجر نورانية شفافة، والثانية من حولها مصنوعة من مادة أقل شفافية ولكنها أكثر رِقة من الأرض، والثالثة أرض مُعتمة يطوقها المحيط الذي يدور حول العالم.

وهذه المناطق الثلاثة ممثلة في الهيكل الذي في أورشليم: فالمنطقة النورانية وهي النقطة العُظمى، عبارة عن الهيكل ومدينة أورشليم، والثانية الأقل شفافِيَة، هي الأرض المقدسة (فلسطين)، والثالثة المُعتمة

هي بقية العالم، حيث تسكن الأمم غير اليهودية من الكفار. أما المحيط الذي يدور بكل شيء فهو مملكة الجنّ التي تحيط بالعالم.

ولم ترَ الدنيا قط شيئًا أجمل من ستائر تابوت العهد، وعندما أُدخل تابوت العهد إلى الهيكل صاح بآية المزامير (١٣٢/ ١٤): «هذا مستقري إلى الأبد، وهنا سوف أُقيم، وكان صوت الروح القُدس يردد هذه الكلمات على مسامع إسرائيل».

*** اليهود قوم بهت:**

ماذا قال الملاعين إخوان القردة والخنازير عن نبي اللَّه سليمان عليه السلام باني هيكلهم الذي يذرفون دموع التماسيح عليه عند حائط المبكى:

قالوا: «إن سليمان ارتد في آخر عمره وعبد الأصنام وبنى لها المعابد»[١].

أقيم الهيكل في داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل.

ويرجح كثير من الأثريين وفي مقدمتهم الأثري الفرنسي (دي سولسي) في كتابه «تاريخ الفن اليهودي» أن الهيكل الذي بناه سليمان كان في داخل سور يحيط بكل جبل الهيكل، بدليل أن الهيكل الذي بناه اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي في المكان نفسه، وبعد سليمان بنحو خمسمئة سنة أخرى كان يحيط به سور أيضًا، وكذلك الهيكل الذي عمَّره هيرودس بعد ذلك بخمسمئة سنة أخرى، ثم الحرم الإسلامي الشريف الذي قام أخيرًا في المنطقة نفسها التي كان «مَلْكيصدق» يدعو

---

(١) «سفر الملوك الأول»، إصحاح (١١) عدد ٥.

فيها باسم اللَّه العليّ في زمن إبراهيم.

ويبدو أن السور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل على أيام سليمان، كان مربعًا طول ضلعه مئة وثمانون مترًا (فتكون مساحة ما يحيط به السور نحو ثمانية أفدنة إلا ربعًا). وبهذه المناسبة يذكر الأثري الفرنسي (دي سولسي) مقاييس الحرم الإسلامي الشريف في المنطقة نفسها، وفي العصر الحديث كما قاسها هو بنفسه، وهي: الضلع الشرقي لسور الحرم وطوله ٣٨٤ مترًا، والضلع الجنوبي طوله ٢٢٥ مترًا، ثم يمتد الضلع الغربي بزاوية منفرجة وفي خط غير مستقيم، بحيث يكون الضلع الشمالي من السُور أطول بكثير من مقابله الجنوبي. وينبني على ما ذكره (دي سولسي) أن تكون مساحة الحرم الشريف أكثر بكثير من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان، أو نحميا، أو هيرودس.

* لا دليل على أن الحرم الإسلامي بُني فوق مكان الهيكل:

هناك أيضًا أمر يستحق الانتباه، وهو أن الحَرَم الإسلامي الشريف مستطيل، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب (في اتجاه القبلة بمكة المكرمة)، أما معبد سليمان فهو مستطيل لكن اتجاهه من الغرب إلى الشرق (نحو الشمس)، وهو الاتجاه العام في المعابد القديمة في بابل، أو مصر أو غيرهما من أقطار الشرق الأدنى والأوسط.

إذن فلا يمكن التسليم بسذاجة برأي من يدَّعون أن الحرم يقوم تمامًا على ما كان سابقًا يُسَمَّى هيكل سليمان، حتى لو سلمنا أن الهيكل كان في هذا الركن بالذات من الجبل، وهذا لا دليل عليه إلا العَنْعَنات التي اتخذت في نفوس البعض منزلة مقدسة لتكرارها عبر الأجيال.

* انقسام اليهود بعد سليمان ودخول الفاتحين للقدس مرارًا :

وما كـاد سليمان يَلقَى ربه حـتى حدَثت حرب أهلية بين الأسـباط وانقسـمت المملكة شطرين، وأصبح الهيكل وأورشليم قِبلةً لنصف بني إسرائيل فقط.

ولم تدم مملكة اليـهـود التي قامت علـى يد داود عليه السـلام إلا حوالي تسعين سنة من حـوالي (١٠٠٠ ـ ٩٢٢ق.م) حيث تمزقت بوفاة سليـمان عـليه السـلام، وتقـسمـت إلى مملكتين: الأولى تسـمى مملكة إسرائيل وعـاصمتـها شكيم، والثانـية دولة يهوذا وعـاصمتـها أورشليم (القدس)، أما دولة يهوذا فقد تتابع عليها عشرون ملكًا يهـوديًّا في نحو ٣٣٧ سنة أكثرهم مات قتلاً بأيدي قومهم، وكثير منهم كان أُلعوبة بأيدي المصريين أو العراقيين[1] .

ثم تعرضت القـدس مباشـرةً لهجـوم الجيش المصري الفـرعوني (حـوالي سنة ٩٧٠ق.م)، وهي تحت حكم (رَحَبْعام بن سلـيمـان)، وتوالت عليها بعد ذلك الهجـمات المتلاحقة: من الأدوميين في الأردن، إلى العرب، إلى الآرامـيين، إلى الإسرائيليين في مملكة الشمـال، عندما هاجم يهـوآش ملك إسـرائيـل أمِصـيـا ملـك أورشليم ويهـوذا، وهَدَم

---

(١) وهؤلاء الملوك لم يكونوا جـميعًا من الموحـدين، ويشهـد على هذا حَبـرٌ من أحبـارهم وعارفٌ بأخـبارهم، هو السـموأل بن يـحيى المغربـي الذي أسلم وكتب رسـالته «إفـحام اليهـود» حيث يقول: «فأشُـدُّه على اليهود من جـميع هذه الممالك مـا نالهم من ملوكهم العصاة مثل أحاب، وأحزيا. . . الذين قتلوا الأنبياء، وبالغوا في تطلبهم ليقتلوهم وعبدوا الأصنام، وأحضروا من البـلاد سدنةً للأصنام وابتنوا لها البيع العظيمـة والهياكل وعكف على عبادتها الملوك. .» ص(١٤٤).

أسـوارها، وأخذ مـا في الهيكل مـن الذهب والفضـة والأواني، ونَهَب القصر وأخذ بعض الرهائن وعاد إلى السامرة (الملوك الثاني ١٤/ ١٤).

وتكرر الزحف المصـري على أورشليم في حكم الفـرعون نخـاو، وكان ملك يهوذا يهو آحاز (حوالي ١٦٠ ق.م).

❑ ثم انتعـشت أورشليم في عهـد الملك عُزَيًّا الذي حكم أكـثر من نصف قرن من الزمـان، وكان مهتـمّا بتحصـينها، فبنى حولهـا أبراجًا، وحفر آبارًا، وأنشأ البساتين والحدائـق (أخبار الأيام الثاني ٢٦). واستمر إنشاء البوابات والتحصينات على عهد ابنه يوثام.

❑ وتبلور الخَطَر الآشـوري على القدس في عـهد سنحـاريب الذي كان معاصرًا لحزقيا ملك يهـوذا، فأخذ هذا الأخير في زيادة التحصينات بالقدس، وقام بردَم آبار الماء التي في خارجهـا حتى لا ينتفع العدو بها، وكـذلك الجـداول الجـارية منهـا، ودعَم السـور في المواضع المتـهـدمـة منه،وحصن قلعـة داود على جبل صهيون، وقـام بمشروع هندسي ناجح أجرى به مياه نهر جيحون الذي يجري جنوبًا خارج القدس تحت الأرض إلى داخل المدينة، وأنشـأ صـهاريج لـلماء، وهكذا اسـتطاع أن يواجـه الحصار الآشوري دون أن يضطر إلى الإذعان.

* بختنصر البابلي يدمّر القدس ويُخَرِّب الهيكل:

كان بُخـتنصر ملك بابل يحاول أن يسـوي حسابًا قـديمًا مع فراعنة مصر، ولكنه في كل مرة يجد عقبةً ما في فلسطين تظهر له فجأة من قِبَل اليهود فيبوء بالفشل، وأخيرًا (سنة ٥٨٨ق.م) هاجم القدس بعد أن كان استولى عـلى أهم أجزاء فلسطين، ومنها غزة في أقـصى الجنوب، وكان

ملك يهوذا في ذلك الوقت (صدقياهو)، ولما سقطت القدس بعد مقاومة رهيبة أحرقها الجيش البابلي وخربها ونهبها، وأخذ معظم أهلها أسرى إلى العراق حيث بقوا هناك سبعين عامًا.

يقول محمد حسن شرّاب في كتابه «بيت المقدس» ص(٥٩ ـ ٦٠):

«وفي عام ٦٠٥ق.م زحف بختنصر البابلي، إلى أن وصل إلى القدس وأخضع ملكها «يهو ياقيم» وخضعت المملكة اليهودية للبابليين. ولما ثار «يهوياقيم» على أسياده دخل بختنصّر وجيشه أورشليم، وعين مكانه أخاه «يهو ياكين»، [٥٩٨ ـ ٥٩٧ ق.م]، وفي أثناء ملكه القصير، حاصر نبوخذ نصّر أورشليم، وأخذ الملك مع عائلته، ورؤساء اليهود، وبعض خزائن بيت الرب والمدينة إلى بابل. قال مؤلف جغرافية الكتاب وتاريخه: «وسقطت القدس نفسها في السنة ٥٩٧ق.م أمام جيش نبوخذ نصّر. ونُقل الملك (يهو ياكين) وما بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف من سراة القوم وصناع الأيدي (والمجموع ما بين ٣٠، و٤٠، ألفًا) إلى بلاد بابل وكان غرض نبوخذ نصّر أن يخلّي البلاد من قوادها وكل الذين بإمكانهم أن يوقدوا ثورة. والذين بقوا من يهوذا، ملَّك عليهم، صدْقيا أحد أبناء يوشيا (٥٩٧ ـ ٥٨٦ق.م) [القدس ـ للدباغ ص٥٢].

وفي أواخر حكمه تمرد على سيده، فأرسل بختنصر جيشه إلى القدس فأُسر الملك وسيق إلى بابل.. وخرّبت أورشليم وجُعلت أكوامًا من الأنقاض، وانتهت دولة يهوذا»[1].

---

(١) إن المتأمل في آيات سورة الإسراء (آيات ٤ ـ ٨) يجد تلخيص مراحل حياة بني إسرائيل.
(أ) ﴿**فإذا جاء وعد أولاهما**﴾ هي: مجيء بختنصر. (ب)﴿**ثم رددنا لكم الكرّة**﴾. =

* «كورش» ملك الفرس يسمح لليهود بالعودة إلى القدس:

☐ وفي سنة ٥٣٩ق.م تمكن كورش ملك الفرس من الاستيلاء على بابل، وتمَّ له الاستيلاء على بلاد الشام، وكان اليهود قد ساعدوه حين فتحه بابل، فالتمسوا منه أن يأذن لهم بالعودة إلى أورشليم فوافقهم على طلبهم. وسمح لهم على الفور بعودتهم إلى فلسطين، وتأسيس وطن قومي تحت رعايته وحمايته داخل ملكه وسلطانه، فعاد كثير منهم برئاسة يوشع بن يوصدق وزرو بابل[1] بن شلتئيل، وبعدهما بثمانية عشر عامًا جاء عَزْرا ونَحمْيا الذي أخذ في إعادة بناء هيكل سليمان (يقول الرواة: بصورة أقلّ فخامة)، ولعل ذلك من فرط إعجابهم الخيالي بهيكل سليمان فقط.

كل هذا تحت الحكم الفارسي الذي استمر حتى (ما بين ٥٣٨ ـ ٣٣٢).



= (عودتهم أيام كورش). (ج) ﴿فإذا جاء وعد الآخرة... عسى ربكم أن يرحمكم..﴾ هي مجيء الإسكندر إلى القدس دون أن يقتلهم. (د) ﴿وإن عدتم عُدنا...﴾ أي: إن عدتم إلى الفساد، عُدنا إلى الإدالة عليكم... وهذا يدلُّ على تكرار إفسادهم، وتكرار عذابهم بإذن اللَّه، وقد كان ذلك أيام طيطس سنة ٧٠ م، وأيام هدريان سنة ١٣٥م، وأيام هرقل سنة ٦٢٧م، وقد انتقل إفسادهم بعد ذلك إلى المدينة النبوية فكان ما قضى اللَّه إلى بني إسرائيل.

(١) أي: المولود في بابل.

الهيكل الثاني

* كيف تم بناؤه ومتى؟ :

كان هَمُّ العائدين من السبي الذي دام سبعين سنة أن يبسطوا سلطانهم مرة أخرى على فلسطين، وأن تقوم لهم دولة، تحت وصاية (قورش) إمبراطور إيران في القرن الخامس قبل الميلاد، وأن تكون هذه الدولة قَنطرة للتوسع العسكري الفارسي في الشرق الأوسط، الذي انتهى باستيلاء قَمبيز على مصر نفسها. وإذا كان السادة الفرس لم يُعطوا اليهود «وطنًا قوميًّا» إلا بشروط معينة، خلاصتُها الولاء التام والتبعيَّة المطلقة لسياستهم بخيرها وشرها، فإن اليهود أرادوا أن يعيدوا بناء أورشليم، وتشييد هيكل سليمان، حتى تكون هذه الواجهة أمام الناس تعميةً على التبعية التي رضخوا لها صاغرين، ولقد حاولوا جاهدين أن يبنوا الهيكل الثاني على المخطط نفسه الذي بُني عليه الهيكل الأول هيكل سليمان، وانتهى البناء في عهد (دارا الأول) الفارسي.

كان الذين عادوا من السبي نحو أربعين ألف يهودي أو يزيدون قليلاً، وكان على رأسهم (يوشع بن يوصدق) و(زروبابل بن شلتئيل)، فبدأا ببناء مذبح للمُحرَقات في الهواء الطلق على جبل الهيكل الذي كان وقتها خرابًا، وفي اليوم الأول من الشهر السابع من عودة اليهود من بابل إلى فلسطين كانت الطقوس تقام أمام هذا المذبح.

ثم لما لَحِق (عزرا) و(نَحِمْيا) بالعائدين إلى فلسطين من اليهود، بدأت أعمال البناء والتحصين وإقامة أسوار أورشليم تتخذ شكل الإنجاز النشيط، رغم بعض العقبات التي كانت تقيمها الحكومة الفارسية من

حين لآخر، ورغم مقاومة غير منظمة قام بها أمراء حَوْران وعمان والجزيرة العربية والفلسطينيين المتمركزين في أشدود (سفر نحميا، الإصحاح الرابع وما بعده).

* فلسطين تحت حكم الإسكندر:

وفي سنة ٣٣٢ق.م احتل الإسكندر فلسطين وأُدخلت تحت الحكم اليوناني، ولكن أحد أحبار اليهود وهو (شمعون بن حونيو) استطاع بدبلوماسيته أن يحوز رضا الإسكندر، وأن يظفر منه بمزيد من العناية بتجميل القدس (التلمود، يوما). وبعد موت الإسكندر (٣٢٢ق.م) حلّت الفوضى واستولى بطليموس الأول (سوتير) على أورشليم حوالي سنة ٣١٠ق.م، وأخذ كثيرًا من أهلها أسرى إلى الإسكندرية.

* تحت حكم أنطيوخوس السلوقي ملك سورية اليوناني سنة ٢٠٤ق.م:

ثم زحف عليها ملك سورية أنطيوخوس السلوقي اليوناني سنة ٢٠٣ق.م، وعاد فاستردَّها منه القائد البطلمي (سكوباس) المصري سنة ١٩٩ق.م. والظاهر أن اليهود في المدينة كانوا أميلَ إلى حُكم السلوقيين، وقد ساعدوا أنطيوخوس على دخول القلعة، كما يقول (يوسفوس)، ومباغتة المصريين فيها. وبسبب ذلك خفف أنطيوخوس الضرائب عن يهود القدس، واهتمَّ بعمارة الهيكل والمدينة وتدعيم حصن داود.

ويصف اليوناني أرسطياس المعاصر لهذه الأحداث فخامة القدس بما

يبيِّن أنها كانت مدينة كبيرة لها أسوار عليها أبراج، والخدمة الدينية في الهيكل كانت على أرفع نظام، وكان عدد السكان مئة وعشرين ألفًا. وتعوَّد اليهود بعادات اليونان، وتركوا الربَّ، وظهرت فرقة (ياسون) وأخيه (منيلاوس)، وقالا بأن منصب الحاخام الأكبر يجب أن يكون بالوراثة لا بالانتخاب، وحدثت فتنة كبيرة، انتهزها الحاكم السوري أنطيوخوس إبيفانس فزحف على أورشليم سنة ١٧٠ق.م، ونهبها وذبح كثيرًا من يهودها.

وبعد ذلك بعامين هجم قائده أبو لونيوس على المدينة مرة أخرى فأكثر فيها من القتل والتخريب، واقتحم الهيكل وأقام فيه تمثال أنطيوخوس، وبنى بجواره مسرحًا للتمثيل وأخذ معه رهائن من يهود القدس. فقام من أمراء المكابيين اليهود الحشمونيين (متتياهو) ثائرًا ضد اليونان هو وأولاده الخمسة، ثم أتمَّ يهوذا المكابي هذه الثورة بطرد اليونان من الهيكل، ومن جزء كبير من المدينة سنة ١٦٥ق.م وواصل هذا الكفاح شمعون المكابي، ففي سنة ١٤٣ق.م. طرد الحامية اليونانية من قلعة داود «صهيون».

وعاد اليونان بقيادة أنطيوخوس السابع (سيديتاس) في عهد يوحنا هيرقانوس المكابي، فاتَّقى هذا الأخير شرَّه بتقديم قوالب من الذهب استخرجها من قبر داود، يقول يوسفوس: «إنَّ وزنها كان ٧٥ طنًّا)، ثم حدث نزاع على العرش بين هيرقانوس وأخيه أرسطوبولوس في داخل القدس.

* احتلال الرومان لأورشليم وفلسطين:

أثناء هذه الفتنة زحف القيصر الروماني (بومبي) على فلسطين واحتلها سنة ٦٦ ق.م. وقتل من اليهود في القدس وحدها (١٢٠٠٠)، بينما كان اليهود يخربون كل شيء بأيديهم ويحرقون المدينة كلها بالنيران حتى لا ينتفع بها العدو.

وبعد مدة وجيزة كثرت الاضطرابات في أورشليم، فزحف عليها حاكم سورية الروماني (لوقيانوس كراسوس)، ودخل الهيكل ونهبه، وكان ما فيه من الذهب والفضة والآنية الثمينة يُقدَّر بنحو خمسين طنًّا.

وزار يوليوس قيصر فلسطين، فأذن لليهود في بناء الأسوار التي كان بعضها قد تهدَّم.

وفي هذه الأثناء كان هؤلاء (الأمراء) من أواخر المكابيين ما يزالون يتنازعون على السلطة، أو ما بقي لهم منها في أورشليم، وهي سلطة أخذ الزكاة من اليهود، وإدارة القضاء بينهم، وتنفيذ الأحكام الشرعية فيهم... إمارة كاريكاتورية تأخذ من اليهود الزكاة بيد وتصلبهم باليد الأخرى.

❑ وانتهز هيرودس الأدومي فرصة هذه المنازعات وزحف على المدينة سنة ٣٧ق.م يساعده القائد الروماني سوسيوس، فحاصراها وصبَّا عليها قذائف المنجنيق واقتحماها وقاما فيها بمذبحة رهيبة.

وافق القيصر الروماني أُغسطس على تعيين هيرودس على القدس «وكل بلاد اليهودية»[1]، أي النصف الجنوبي من فلسطين، فاهتم بإعادة

---

(١) فظل يحكمها باسم الرومان حتى السنة الرابعة الميلادية.. وفي زمانه ولد عيسى عليه السلام.

تخطيط المدينة وتدعيم أسوارها، وتزويدها بأبراج حصينة للحراسة، لا سيما في النقطة الضعيفة استراتيجيًّا من المدينة، وهي الغرب والشمال الغربي حيث أحياء القدس الحديثة الآن، فأقام في هذه الجهة برجًا سماه برج (هيبيوكسو) باسم واحد من أصدقائه قُتل وهو يحارب في صفوفه في إحدى المعارك، وهذا البرج هو الذي يُسمَّى خطأً الآن (برج داود).

وفي أقصى الزاوية الشمالية الغربية من السور بنى حصنًا في موضع حصن (البيرة) الذي أقيم بعد عودة اليهود من السبي، وكان قائمًا في عهد المكابيين ثم تهدَّم، وسمّاه هيرودس حصن (أنطونيا) على اسم صديقه وحاميه أنطونيو ـ صاحب كليوباترا ـ أما تسمية (البيرة) فهي فارسية معناها القلعة، ولم تعرفها اللغة العبرية إلا تحت حكم الفرس.

وكان هذا الحصن مربَّعًا طول ضلعه نحو تسعين مترًا، وفي داخله قصر عليه سور مربع آخر، تقوم عليه أربعة أبراج، ثلاثة منها ارتفاعها خمسون ذراعًا، والرابع ارتفاعه سبعون ذراعًا، وهو البرج الشمالي الشرقي أقرب هذه الأبراج إلى الهيكل، ومن أعلى هذا البرج كان جنود الاحتلال الروماني يراقبون ما يجري داخل معبد اليهود، الذي حظي من هيرودس أيضًا بالعناية فأعاد بناءه وزخرفته. وفي الجهة الجنوبية الشرقية استقر الملك المتهود (موناباز) وأُمُّه المتهودة أيضًا (هيلانة)، وكانا يحكمان قبل تهوُّدهما مقاطعة أديابين في بلاد الأكراد، شمال شرقي سورية، ثم تهودا ولجأا إلى أورشليم، فبنيا إلى الجنوب من جبل صهيون قصورًا ومقابر في غاية الإتقان.

كان اليهود في أورشليم لا يكفُّون عن مناوشة الحامية الرومانية

المعسكرة في قلعة أنطونيا، فأمر (أجريبا الأول) الموظفين الرومان بإحكام الرقابة على اليهود، والتشدُّد في معاملتهم، ووصَلَ الحقد إلى أقصاه بين الطرفين أثناء دعوة السيد المسيح، والفتنة التي أحدثها الكهنوت اليهودي حينئذٍ، وكان القيصر كليوديوس قد أمر - نكاية في اليهود - بوضع تمثال لنفسه في الهيكل، بقي في مكانه إلى أن مات هذا القيصر مسمومًا سنة ٤٥ بعد ميلاد المسيح.

* الخراب الثاني والأخير للهيكل وأورشليم:

دأبَ اليهود على خلق المشاكل للرومان، مشاكل ومضايقات صغيرة كانت متلاحقة ومفاجئة، فقرَّر الإمبراطور الروماني فسبازيان القضاء عليهم، وحلّ المشكلة كلها هذا الحل الجذري الدامي، فأرسل ابنه تيتوس على رأس جيش كبير للقيام بهذه المهمة، وبعد مؤامرات كثيرة قام بها اليهود، واستعملوا فيها كل شيء - حتى النساء - في تليين عريكة تيتوس دون جدوى، تَمَّ تخريب أورشليم في ٨ ديسمبر سنة ٧٠ ميلادية، وإجلاء جميع اليهود عنها، وهو (السبي الثاني) الذي ظلُّوا فيه من هذا التاريخ إلى سنة ١٩٤٨م عندما أعلن حاييم وايزمان قيام (إسرائيل).

ولكن بالرغم من أن تيتوس قد بذل أقصى الجهد في جعل عودة اليهود إلى سُكنى القدس أمرًا مستحيلاً، فإنّ من بقي منهم في فلسطين لم يكُفَّ عن التآمر ضد الرومان.

* كيف انتهى أمره بالدمار والزوال؟:

❑ يقول الدكتور حسن ظاظا: «وهذا الهيكل الثاني أيضًا انتهى أمره

بالدمار التام بعد إقامته بخمسة قرون على يد تيتوس الروماني.

يقول يوسفوس في كتابه «حـرب اليهود» ـ الجزء الخامس، الفصل الرابع، الفقـرة الثالثة ـ: «وكـان تيتـوس كلما وجد الجنود الرومـان قد فرغوا من قـتل جميع الناس في المنطقة التي يسيطرون عليـها، أمرهم أن يخرِّبوا أورشليم ومَعبدَها وأن يَقلبوها ظهراً على عَقِب، فيما عدا الأبراج العالية التي كان يحرص على بقائها كشواهد على ما قام به من التدمير».

وهكذا امَّحت معالم هذا الهيكل أيضًا إلا بقايا نادرة، مع ملاحظة أنه عند وصول تـيتوس كـان هيرودس قبله بنحـو قرن من الزمـان، قد أدخل تعـديلات وتغيـيرات على الهـيكل الثانـي، وعلى تخطيط المدينة نفسها، كانت وحدها ـ وبدون هَدم أو تدمير ـ كفيلة بجعل الوصول إلى التخطيط المعماري المبدئي للهيكل الثـاني أمرًا يكاد مستحيلاً، بالرغم من كل المحاولات التي أراد الباحثون اليهود أن يخرجوا منها بمخطط معماري دقيق مـستمد من عنعنات التلـمود، ومنهم الأثري اليهودي (أيزنشـتاين) مثلاً.

وأما ما جاء من جعل الصخرة الشريفة هي نَواة قُدُس الأقداس فقد بَيَّنَّا الشكوك القوية التي تحوم حول هذا، وأولهـا ما ذكرناه من الاختلاف الشديد بين صـخرة قُـدُس الأقداس وصخـرة المعراج النبـوي المبارك من حيث الحجم والارتفاع عن الأرض.

وانطلاقًـا مـن هذا المخطط التلمـــودي، ومع الوصف الذي أورده المؤرخ يوسـفوس وغـيره، نجـدنا مضطرين إلى أن نسـجل مرحلة ثالـثة مـتطورة جـداًّ من الهندسة الدينية اليهـودية في حالة معبد أورشليم إبّان

ظهور المسيح.

هيكل هيرودس

وقد استفاد بعمق من العمارة اليونانية الرومانية، وكادت تختفي منه الملامح الدَّالة على أصله اليهودي تمامًا، وهذا الهيكل هو الذي دمره تيتوس ومحاه من الوجود سنة ٧٠ ميلادية، وحائط المَبْكى كان على الأرجح جزءًا من جداره الغربي، واليهود يحرصون على تسميته حتى الآن «الجدار الغربي».

في عام ٧٠م قام شغب في القدس، فحاصرها طيطوس الروماني وأعمل في المدينة النَّهب والحرق والقتل وأحرق المعبد الذي بناه هيرودس، ولم يَبقَ منه حَجَرٌ على حجر، وسيقت مئات الأسرى، وبيعت في أسواق الإمبروطورية الرومانية بأبخس الأثمان، وخلد الرومان نصرهم على اليهود بالعبارة اللاتينية المشهورة التي يُنادى بها عند إحراز أي نصر وهي «هِب، هِب هورا»، وهي مختصر عبارة «هيروشليما است برديتا». وهي اليوم قاصرةٌ على الانتصار في مبارة كرة القدم، ومعنى العبارة: «الآن سقطت أورشليم».

وبقيت القدس خَرِبةً مدة طويلة لا يسكنها إلا حاميةٌ رومانية.

«إيليا كابيتولينا».. لا أورشليم:

وفي القرن الثاني الميلادي، سنة ١٣٦، قام «بَرْكوكبا»[1]، أحد

---

(١) بركوكبا: أي ابن الكوكب أو النجم. ثائر يهودي، ثار على الرومان حوالي سنة ١٣٠ - ١٣٦م وأراد طرد الرومان من فلسطين، وادّعى أنه المسيح المُخلص، وأزعج الرومان وأوقع=

نماذج الصهيونية القديمة، بثورة مسلحة ضد الرومان، وسجل عليهم - رغم جيشهم الإمبراطوري الجرار - انتصارات براقة في البداية، ولكن الإمبراطور إيليوس هَدِريان قام آخر الأمر بإتمام ما بدأه تيتوس، فحاصر ما كان بقي من القدس، وهدم كل شيء في المدينة، ولم يترك فيها يهوديًّا واحدًا، وجاء إلى مكان الهيكل فأقام عليه معبدًا لجوبيتر كبير آلهة الرومان، ووضع فيه تمثالاً لهذا الإله كالتمثال القائم في معبد الكابيتول، وقرَّر تغيير كل شيءٍ في هذه المدينة، حتى اسمها الذي أصبح مكونًا من اسمه هو واسم الكابيتول معبد جوبيتر الكبير، فسماها «إيليا كابيتولينا».

ومُنع اليهود من دخولها، وجُعل الموت عقوبة من يُقدم منهم على ذلك، ثم سُمح لهم بالمجيء إليها يومًا واحدًا في السنة، والوقوف على جدار بقي قائمًا من السور في الجزء الغربي من المدينة، وهو الذي يسمى (حائط المبكى) ويسميه اليهود (الجدار الغربي). وظل حَظر السكنى بالقدس قائمًا على اليهود قرونًا طوالاً، فقد ذكر ذلك يوزيبوس، المؤرخ المسيحي الذي زار (إيليا) - القدس - سنة ١٣٢ ميلادية، كما ذكره اليهود أنفسهم في تفاسيرهم القديمة - المدراش - (سفر الجامعة - قوهيلت ربا).

❑ قال ابن البطريق (٣٢٨هـ) حول تدمير هدريان لبيت المقدس:

وهذا آخر خراب بيت المقدس، فمن اليهود مَن هَرَب إلى مصر، وإلى الجبال والغور، وأمر الملك أن لا يسكن المدينة يهوديٌّ، وأن يُقتل

= بهم، فجهز له الإمبراطور هدريان جيشًا قضى عليه واستولى على القدس، ومحا كل شيء فيها وغيَّر اسمها، وقد أطلق اليهود على هذا الثائر بعد موته: اسم «بركوزبا» أي ابن الكذاب.

اليهود ويستأصل جنسهم، وأن يَسكن المدينة اليونانيون، وأن تسمى باسم الملك «إيلياء» فسميت بيت المقدس منذ ذلك الوقت إلى هذه الغاية مدينة «إيلياء» فسكنها اليونانيون، وبنوا على باب المعبد المسمى «السبهاء» بُرجًا وصيروا فوقه لوحًا كبيرًا وكتبوا اسم الملك «إيلياء» والبرج اليوم على باب مدينة بيت المقدس ويسمّى «محراب داود». وهو مكان الهيكل المزعوم.

وهكذا فقد دمّر الرومان أورشليم مرتين: الأولى سنة ٧٠م على يد طيطوس، ومرة ثانية عام ١٣٥م على يد هدريان الذي حرثها ومسحها من عالم الوجود، وشتت أهلها، فكان أن عفت جميع الآثار اليهودية ولم يبق منها شيء، وانقطعت صلتهم بالقدس مدة ثمانية عشر قرنًا متواصلة، فلم يسكنها بعد عام ١٣٥م ولمدة ألف سنة يهودي واحد كما لم يكن فيها في القرون الخمسة التي تلت المدة المذكورة أكثر من خمسين يهوديًّا.

□يقول الدكتور حسن ظاظا في كتابه القيم «القدس»:

* هيكل جوبيتر (كبير آلهة الرومان):

على أثر الثورة التي قام بها في أورشليم ضد الحكم الروماني الزعيم اليهودي (بركوكبا)، جاء الإمبراطور هدريان - في أوائل القرن الثاني الميلادي - وأزال كل شيء يهودي في أورشليم حتى اسم المدينة كما قلنا، وعلى أنقاض الهيكل بَنَى معبدًا رومانيًّا لكبير الآلهة (جُوبيتر)، وأقام تمثالاً لهذا الإله وآخر للإلاهة (فينوس)، وجعل هذا الصرح على جبل أورشليم أشبه بمعبد الكابيتول الواقع على أحد جبال روما السبعة، ولذا أعطاه اسمه هو شخصيًّا (إيليوس) واسم

(الكابيتول)، وحرَّم استعمال اسم أورشليم وأحلَّ محلها الاسم الروماني الذي صنعه هو (إيليا كابيتولينا)؛ حتى أصبح اسم أورشليم لفظًا تاريخيًّا يُطلق فقط على المدينة التي كانت في هذا المكان على عهد الملوك والأنبياء من بني إسرائيل.

وظلَّت المدينة تسمّى (إيليا) ولا يسكنها اليهود حتى الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، حيث كانت المنطقة الوثنية التي أنشأها هَدريان قد خُرِّبت، وجاء ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - فأنشأ مسجدًا بسيطًا لجنده، هو نَواة الحرم الشريف والمسجد الأقصى، بعد أن كان الإسلام قد كرَّس تلك البقعة المباركة، بوحي قرآني، وبمعجزة الإسراء والمعراج.

◻ولما اعتنق الإمبروطور قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧م) المسيحية جعلها ديانة الحكومة الرسمية، وجاءت والدته هيلانة سنة ٣٢٦م للعثور على مواقع الحوادث المهمة التي حدثت للمسيح، ولبناء الكنائس تذكارًا لها. وأمرت بهدم هيكل المشتري والتماثيل التي أقامها هدريان، وقامت ببناء كنيسة القيامة التي يعتقد المسيحيون بأنها ضمت قبر المسيح قبل رفعه إلى السماء، وتم افتتاحها عام ٣٣٥م.

وقد سمح قسطنطين لليهود بدخول المدينة مرة واحدة في السنة بعد أن كان دخولهم إليها محذورًا منذ عهد هدريان، وأعاد إلى المدينة اسم «أورشليم» في عام ٣٢٤م.

◻بقيت القدس متمتعة بسلام طويل منذ طرد اليهود منها عام ١٣٥م إلى سنة ٦١٤م، وهي السنة التي جاءت فيها جيوش

الإمبـروطورية الفارسية فـاحتلت بلاد الشام ودخلت القـدس عام ٦١٤م بعد أن انضم إليهم اليهود، وأشعلت النار في كنيسة القيامة وسُوِّيت على الأرض.. وكان لليهـود دورٌ في عمليات الدمار والنهـب والقتل. وقدِّر عدد القتلـى من المسيحيين بالقـدس أكثر من ستين ألف نسـمة دفن نحو خمسة آلاف منهم في (ماملاّ).

◻ قال ابن الـبطريق في وصف هذا المشهـد: فأمـا خسرو ـ الـقائد الفـارسي، فـسـار إلى الشـام فـأخربـه، ونهب أهله، وصـار إلى بيت المقدس، فاجتمع إليه اليـهود من طبرية وجبل الجليل والناصرة، وجاءوا إلى بيت المقـدس فكانوا يُعـينون الفـرس على خـراب الكنائس، وقـتل النصارى، فلما صار إلى بيت المقدس، خرّبوا الكنائس وأحرقوها، وقتل اليـهود من النصـارى مـا لا تحصى كـثرتهم، وهم الـقتلى الذين ببـيت المقدس في الموضع الذي يقال له: «ماملاّ»[1].

◻ وفي عام ٦٢٧م، استطاع الإمبروطور هرقل أن يطرد الفرس من القـدس. وفي ١٤ أيلول من عـام ٦٢٨م احـتفل هرقـل بأورشليم برفع الصليب الذي كـان الفرس قـد نقلوه إلى بلادهم، بعـد أن استـرده من الفرس، ومـا زال المسيحـيون في مخـتلف أنحاء الشـام يحتفلون بعـيد الصليب في ١٤ أيلول من كل عام، ذكرى للاحتفال المذكور.

أما اليهود الذين انضموا إلى الفرس وانتـقموا من المسيحيين، فإنهم

---

(١) ماملاّ: مقبرة بظاهر القدس من جهة الغرب، وهي أكبر مقابر البلد. وتسميتها ماملاّ قيل إنما أصله «مأمن اللّه»، ويـسميهـا اليهود (بيت مـلّو) والنصارى «بابيلا»، والمشـهور على ألسنة الناس «ماملاّ»، وهي من المقابر الإسلامية.

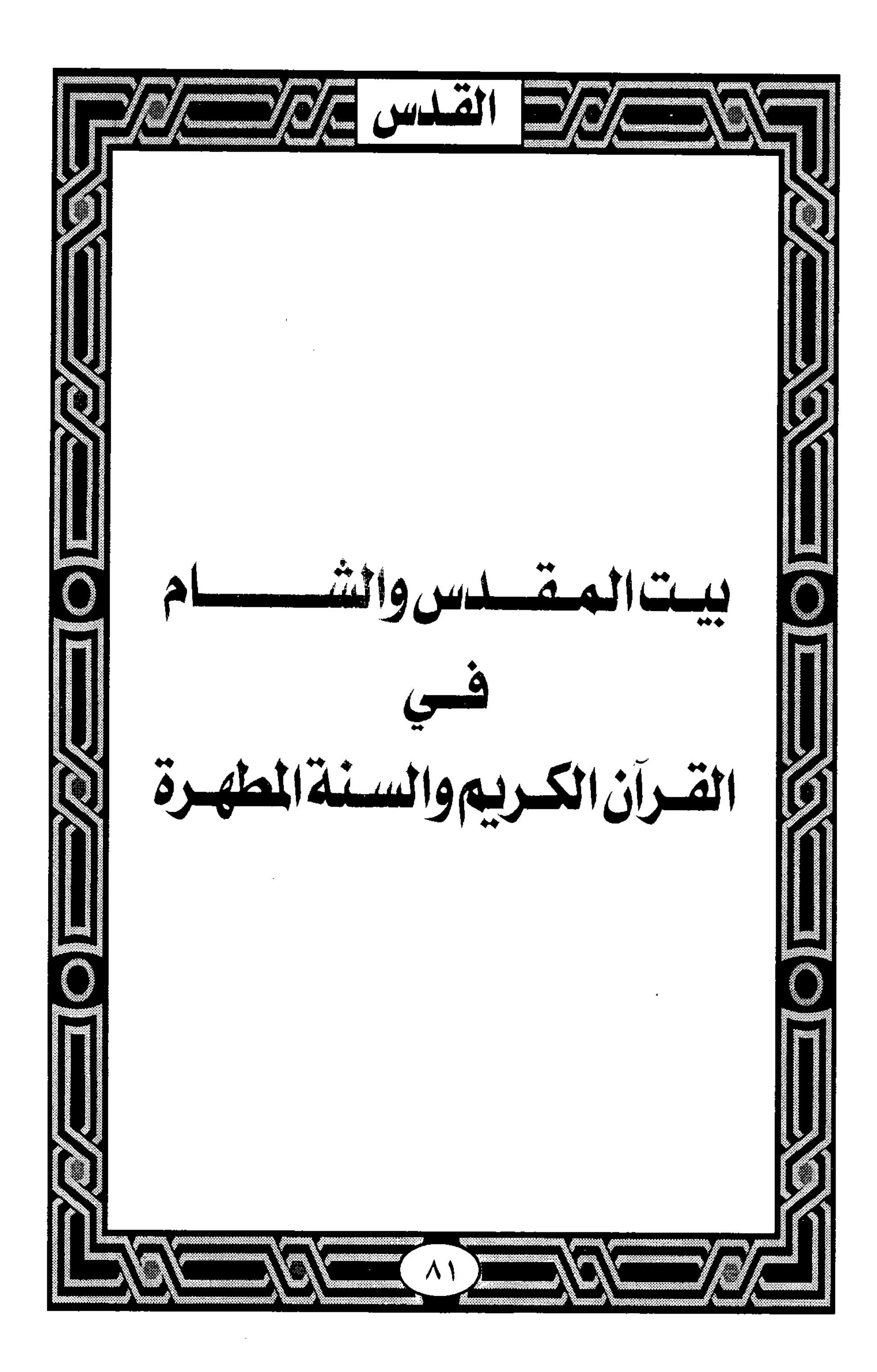
لم يحققـوا أطماعهم في ظل الفرس، فانقلبـوا عليهم، وراسلهم هرقل قبل خـروج الفرس، وقدّم إليـها وعدًا بالتـسامح، ثم وعدهم بالعـفو، ولكن هرقل لم يف بـوعده تحت ضـغط رجـال الدين الذين قـالوا له: «إنهم سوف يتحملون المسئوليـة، وأن الاتفاقات مع الكفّار ليست واجبة التنفيذ، وعند ذلك وقـعت مذبحة لليهود، لـم ينج منها إلاّ الذين فرّوا إلى مصر أو الذين اختفوا».

وهكذا نجـد أنـه من سنة ١٣٥ مـيـلاديـة إلى سنة ٦٢٨م، من هدريان إلى هرقل، لم يعد لليهود وجود في القدس، وسوف نرى امتداد هذه الحال في القـرون التالية بعـد الفتح الإسلامي.. ورأيـنا أن مملكتهم المعتبرة، لم تكن إلا في عهد داود وسليمان عليهما السلام...

حـوالي تسـعين سنة... مع أن اليـهـود الذين جـاءوا بعـد داود وسليمان لم يكونوا على دين سليمان وداود؛ لأنهم خرجوا على التعاليم الإلهـية، وقـتلوا الأنبيـاء، وآخر جـرائمـهم مع الأنبيـاء قبل الإسـلام محاولتهم قتل عيسى عليه السلام.







بيت المقدس والشام
في
القرآن الكريم والسنة المطهرة

بيت المقدس والشام في القرآن الكريم والسنة المطهرة

(١) بيت المقدس والشام أرض مباركة:

الشام كنز اللَّه من أرضه، وفيها كنزه من عباده. والبركة في الشام وبيت المقدس ثبتت بخمس آيات من كتاب اللَّه تعالى:

* قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «معلوم أن إبراهيم إنما نجّاه اللَّه ولوطًا إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والعراق»[١]. قال أُبي بن كعب: الشام. وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس. وقال الحسن: الشام. وقال قتادة: الشام. وقال ابن جريج: أرض الشام. وقال أبو العالية: ليس ماء عذب إلا يهبط إلى الصخرة التي ببيت المقدس، ثم يتفرق إلى الأرض. وقال ابن زيد: الشام.

❑ قال ابن جرير الطبري: «لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام»[٢].

* وقال تعالى عن نجاة موسى ومن معه بعد غرق فرعون:

(١) «مناقب الشام وأهله» لشيخ الإسلام ابن تيمية «المطبوع مع تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» للربعي ص(٧٦) ـ المكتب الإسلامي.

(٢) «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦ ـ ٤٧).

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

* ﴿مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾:

❑ قال الحسن: الشام. وقال قتادة: هي أرض الشام[١].

❑ قال ابن تيمية: «معلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها ـ بعد أن أُغرق فرعون في اليم»[٢].

* وقال تعالى في حديث موسى عليه السلام لقومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

* ﴿الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾:

❑ قال قتادة: هي الشام. وقال ابن زيد: أريحاء، وعن ابن عباس: هي أريحاء.

والمقدسة المطهرة المباركة.. لا تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك»[٣].

* ومملكة سليمان كانت في هذه الأرض المباركة: قال تعالى:

---

(١) «تفسير الطبري» (٦/ ٤٣).

(٢) «مناقب الشام وأهله» لابن تيمية ص(٧٥).

(٣) «تفسير الطبري» (٤/ ١٧٢).

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٨١].

* ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾:

يعني: الشام، وذلك أنها تعود به إلى منزله بالشام.

وقال ابن زيد: الشام» [١].

قال ابن تيمية: «إنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان».

* وقال تعالى في قصة سبأ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾[سبأ: ١٨].

﴿ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾:

«قال مجاهد: الشام. وقال قتادة: يعني: الشام.

وقيل: عنى بالأرض التي بورك فيها بيت المقدس.

عن ابن عباس قال: الأرض التي باركنا فيها هي الأرض المقدسة» [٢].

قال ابن تيمية: وهو ما كان بين اليمن مساكن سبأ، وبين قرى الشام من العمارة القديمة كما ذكره العلماء.

* قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الإسراء: ١].

كم هي عظيمة هذه الأرض التي باركها اللَّه.

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ٥٥).

(٢) «تفسير الطبري» (١٠/ ٨٣).

❑ قال العز بن عبد السلام: «اختلف العلماء في هذه البركة، فقيل: هي بالرسل والأنبياء، وقيل: بما بارك فيها من الثمار والمياه»[(١)] .

وقال الطبري - رحمه الله -: «جعلنا البركة لسكانه في معايشهم، وأقواتهم وحروثهم، وغروسهم».

وهذه البركة غير مقيدة ولا محددة، فهي شاملة لكل أنواع البركة، البركة الإيمانية، والبركة الأخلاقية، والبركة التاريخية، والبركة السياسية، والاجتماعية، والجهادية.

❑ هذه البركة ربانية ثابتة مستقرة، ولن ينجح الأعداء في انتزاعها وتفريغها منها، مهما بذلوا من جهود.

(٢) هذه الأرض مقدسة طاهرة:

وقد مرّت الآيات في ذلك.

(٣) هذه الأرض أرض صدق:

* قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [يونس: ٩٣].

وقيل: عني به: الشام ومصر.

قال الضحاك: مصر والشام.

وقال قتادة: بوأهم الله الشام وبيت المقدس.

وقال ابن زيد: الشام، وقرأ: ﴿**إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾[(٢)] .

---

(١) «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» للعز بن عبد السلام ص(٢٤) - مكتبة المنار بالأردن.

(٢) «تفسير الطبري» (٦/٦٦).

قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام: «قد يكون المبوأ حسنًا لما فيه من البركات الدينية، وذلك موجود وافر بالشام وبيت المقدس»[1].

قال الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «والمبوأ: مكان الإقامة الأمين، وإضافته إلى الصدق تزيده أمنًا وثباتًا واستقرارًا كثبات الصدق الذي لا يضطرب ولا يتزعزع اضطراب الكذب وتزعزع الافتراء»[2].

* ربوة ذات قرار ومعين:

* قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

«قال قتادة: هو بيت المقدس.

وقال أبو هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: الزموا هذه الرملة من فلسطين؛ فإنها الربوة التي قال اللَّه: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾»[3].

(٤) أقسم اللَّه بها، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم:

* قال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١ ـ ٢].

«قال كعب: الزيتون بيت المقدس.

وقال قتادة: الجبل الذي عليه بيت المقدس.

وقال ابن زيد: مسجد إيليا»[4].

---

(١) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٢٦).
(٢) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (٤/ ٤٧٣).
(٣) «تفسير الطبري» (٩/ ٢٦ ـ ٢٧).
(٤) «تفسير الطبري» (١٢/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

فأقسم اللَّه بمنابت التين والزيتون في الشام وبيت المقدس.

(٥) بيت المقدس أرض المحشر والمنشر:

* قال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١].

قال ابن جرير: «واستمع يا محمد صيحة القيامة يوم ينادي بها منادينا من موضع قريب وذكر أنه ينادي بها من صخرة بيت المقدس.

قال قتادة: كنا نحدّث أنه ينادى من بيت المقدس من الصخرة وهي أوسط الأرض.

قال كعب: ملك قائم على صخرة بيت المقدس.

وقال بردة: ملك قائم على صخرة بيت المقدس»[1].

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

قال عبد اللَّه بن عمرو بن العاص: هو السور الشرقي باطنه المسجد وظاهره وادي جهنم.

وقال كعب: في الباب الذي في بيت المقدس.

وقال الطبري: قد قيل إن ذلك السور ببيت المقدس عند وادي جهنم.

❁ ❁ ❁

---

(١) «تفسير الطبري» (١١/ ١١٤).

* فضائل الشام في السنّة المطهرة:

أرض الشام هي تلك الرقعة التي تشغلها الآن سورية ولبنان والأردن وفلسطين.

قال ابن الفقيه الهمداني: «أجناد الشام أربعة: حمص، ودمشق، وفلسطين، والأردن»(١).

ولم يتم تقسيمها إلى هذه الدول إلا بعد اتفاقية «سايكس بيكون».

وكل فضيلة ثابتة لبلاد الشام بوجه عام فهي أيضًا ثابتة لبيت المقدس؛ لأنه جزء منها، بخلاف ما اختص اللَّه به بيت المقدس من فضائل.

ونعرّج أولاً على فضائل الشام لتكون مدخلاً لما بعده من الفضائل لبيت المقدس.

«فإقليم الشام جليل الشأن، ديار النبيين ومركز الصالحين، ومطلب الفضلاء، به القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرى، والأرض المقدسة، والرباطات الفاضلة، والثغور الجليلة، والجبال الشريفة، ومهاجر إبراهيم، وقبر وديار أيوب وبئره، ومحراب داود وبابه، وعجائب سليمان ومدنه، وتربة إسحاق وأمه، ومولد المسيح ومهده، وقرية طالوت ونهره، ومقتل جالوت وحصنه، وجُبّ أرميا وحبسه، ومسجد أوربا وبيته، وقبة محمد وبابه، وصخرة موسى، وربوة عيسى، ومحراب زكريا، ومعرك يحيى، ومشاهد الأنبياء، وقرى أيوب، ومنازل يعقوب والمسجد الأقصى، وقبر موسى، ومضجع إبراهيم ومقبرته، وموضع لقمان ووادي كنعان،

(١) «مختصر كتاب البلدان» لابن الفقيه.

ومدائن لوط، وموضع الجنان،.. والباب الذي ذكره الرجلان.. والمجلس الذي حضره الخصمان،.. وقبر مريم وراحيل ومجمع البحرين.. مع مشاهد لا تُحصى، وفضائل لا تخفى، وفواكه ورخا، وآخرة ودنيا، به يرق القلب، وتنبسط الأعضاء للعبادة»[1] .

أرض البركة والخير، والطهر والعفاف، مستقر الإيمان في الفتن، وحصن الإسلام، وبها عموده وملكه.. وانظر العجب العجاب في فضائلها من حديث رسول اللَّه ﷺ .

(٦) أولاً: بَسْطُ الملائكة أجنحتها على الشام:

● عن زيد بن ثابت الأنصاري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يا طوبى للشام! يا طوبى للشام! يا طوبى للشام!**»[2] . قالوا: يا رسول اللَّه ﷺ وبم ذاك؟ قال: «**تلك ملائكة اللَّه باسطوا أجنحتها على الشام**»[3] .

☐ قال المناوي: «**طوبى**: تأنيث أطيب أي: راحة وطيب عيش حاصل بالشام.

وطوبى مصدر من طاب كزلفى وبشرى، ومعنى ذلك أصبت طيبًا

(١) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي» ص(١٥١).

(٢) في إحدى الروايات «**طوبى لأهل الشام**».

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢/ ٣٣١) وقال: «حديث حسن ـ وزاد في بعض النسخ ـ صحيح»، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٨٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٢٩) وقال: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي وتابعه الألباني. وقال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٦٣): رواه ابن حبان في «صحيحه» والطبراني بإسناد صحيح. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي» ص(١٢).

وخيرًا؛ لأن ملائكة البليغ الرحمة التي وسعت رحمته كل شيء تحفّها وتحوطها بإنزال البركات ودفع المهالك والمؤذيات»[١].

فأي شيء أطيب من دعاء النبي ﷺ لأهل الشام بطيب العيش والراحة، وحراسة الملائكة وحفظها للشام وأهله.

قال العز بن عبد السلام: «أشار ﷺ أن اللَّه سبحانه وتعالى وكّل بها الملائكة يحرسونها، ويحفظونها، وهذا موافق لحديث عبد اللَّه ابن حوالة في أنهم في كفالة اللَّه تعالى ورعايته»[٢].

(٧) ثانيًا: الشام صفوة بلاد اللَّه، يُسكنها خيرته من خلقه:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**عليكم بالشام؛ فإنها صفوة بلاد اللَّه، يسكنها خيرته من خلقه، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليُسقَ من غُدُره**[٣]، **فإن اللَّه ـ عز وجل ـ تكفّل لي بالشام وأهله**»[٤].

قال المناوي: «الشام مصطفاة من بلاده يجمع إليها المختارين من

(١) «فيض القدير» للمناوي (٤/ ٢٧٤).

(٢) «ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام» لعز الدين بن عبد السلام ص(٣٤) ـ مكتبة المنار ـ الأردن.

(٣) الغُدُر: جمع غدير، وهي: القطعة من الماء يغادرها السيل، وسمي بذلك؛ لأنه يغدر بأهله أي: يقطع بهم عند شدة حاجتهم إليه.
قال المناوي: «أهل الشام شأنهم أن يتخذ كل رفقة منهم غديرًا للشرب وسقي الدواب فوصّاهم بالسقي مما يختص بهم وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب لئلا يكون سبيلاً للاختلاف وتهييج الفتنة» انتهى من «فيض القدير» (٤/ ٣٤٢).

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير عن واثلة. قال ابن الجوزي: حديث لا يصح. وقال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد كلها ضعيفة. وضعّفه السيوطي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٠٧٠).

عباده، ضمن لي حفظها، وحفظ أهلها القائمين بأمر اللَّه».

● وعن عبد اللَّه بن حوالة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق»**، قال ابن حوالة: خِرْ لي يا رسول اللَّه إن أدركت ذلك. فقال: **«عليك بالشام؛ فإنها خيرة اللَّهِ من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غُدُرِكم، فإن اللَّه توكل لي بالشام وأهله»**.

«قال ربيعة: فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث يقول: **«ومن تكفّل اللَّه به فلا ضيعة عليه»**.

● وفي لفظ آخر أن ابن حوالة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: يا رسول اللَّه خِرْ لي بلدًا أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختر على قربك شيئًا. قال: **«عليك بالشام»**.

فلما رأى كراهتي للشام قال: **«أتدري ما يقول اللَّه تعالى في الشام؟ إن اللَّه تعالى يقول: يا شام، أنت صفوتي من بلادي، أدخل فيك خيرتي من عبادي، إن اللَّه تكفل لي بالشام وأهله»**[1].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٣٨٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٠٠، ١١٠)، و(٥/ ٣٣ ـ ٣٤، ٨٨)، والحاكم (٤/ ٥١٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٣٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٠٧)، وابن المبارك في «الجهاد» ص(١٥١)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ٢٧٥)، وأخرجه ابن حبان (الإحسان ٧٢٦٢). وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٩): رجاله ثقات، وقال في موطن آخر (١٠/ ٥٨ ـ ٥٩): رواه أبو داود باختصار كثير، ورواه الطبراني من طريقين رجال أحدهما رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة.
وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» ص(١٣).

• وعن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «صفوة اللَّه من أرضه الشام، وفيها صفوته من خلقه وعباده، وليدخلن الجنة من أمتي ثلة لا حساب عليهم ولا عذاب»(١).

(٨) ثالثًا: تكفل اللَّه تعالى بأهل الشام فلا ضيعة عليهم:

◻ قال الإمام سعيد بن عبد العزيز: مَن تكفّل اللَّه به فلا ضيعة عليه.

◻ قال العز بن عبد السلام: «أخبر ﷺ أن الشام في كفالة اللَّه تعالى، وأن ساكنيه في كفالته وحياطته، ومن حاطه اللَّه تعالى وحفظه فلا ضيعة عليه».

وقد درج العلماء على الإشارة بسكناه اقتداء برسول اللَّه ﷺ، إذ قال عطاء الخراساني: «لما هممت بالنقلة، شاورت من بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وخراسان من أهل العلم، فقلت: أين ترون لي أنزل بعيالي؟ فكلهم يقولون: عليك بالشام»(٢).

وخير دليل على هذا تحطم الحملات الصليبية وحمالات التتار على صخرة الإيمان في أرض الشام.

فعين جالوت ما يزال حديثها ... عبر تضيء بأروع الأمثال
تحكي مفاخرنا وتذكر مجدنا ... فتجيبها حطين بالمنوال

◻ يقول عز الدين بن عبد السلام: «هذه شهادة من رسول اللَّه

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» من طريق الطبراني، قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٥٤٠) ح رقم (١٩٠٩): «الحديث صحيح لغيره»، وصححه في «صحيح الجامع» رقم (٣٧٦٥).

(٢) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٢٨، ٢٩).

ﷺ باختيار الشام، وبفضلها وباصطفاء ساكنيها، واختياره لقاطنيها، وقد رأينا بالمشاهدة، فإن من رأى صالحي أهل الشام، ونسبتهم إلى غيرهم، رأى بينهم من التفاوت ما يدل على اصطفائهم واجتبائهم»[(١)].

من تكفل اللَّه به فلن يضيعه «واللَّه خير حافظًا وهو أرحم الراحمين».

(٩) رابعًا: عمود الكتاب والإسلام بالشام، وتمام دين اللَّه وظهوره سيكون بها:

● عن عبد اللَّه بن حوالة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«رأيت ليلة أسري بي عمودًا أبيض كأنه لؤلؤة، تحمله الملائكة، فقلت: ما تحملون؟!»، فقالوا: عمود الإسلام، أُمرنا أن نضعه بالشام، وبينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب اختلس من تحت رأسي، فظننت أن اللَّه تعالى قد تخلّى عن أهل الأرض، فاتبعته بصري، وإذا هو نور ساطع بين يدي حتى وضع بالشام»**. فقال ابن حوالة: يا رسول اللَّه خِر لي. قال: **«عليك بالشام»**[(٢)].

● وعن عبد اللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فنظرت فإذا هو نور**

---

(١) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٣٣).

(٢) صحيح: قال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة»، وعزاه الألباني في «فضائل الشام» للربعي ص(٢٨)، لابن عساكر (١/١٠١ - ١٠٢).

قال الألباني: ابن رستم مجهول.

وصححه الألباني في «تخريج فضائل الشام» ص(٢٩، ٣١).

ساطع عُمِد به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام».

وفي رواية: **«إذا وقعت الفتن فالأمن بالشام»**[١].

● وعن أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«بينا أنا قائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حيث تقع الفتن بالشام»**[٢].

قال العز بن عبد السلام:

«أخبر ﷺ أن عمود الإسلام الذي هو الإيمان يكون عند وقوع الفتن بالشام، بمعنى أن الفتن إذا وقعت في الدين كان أهل الشام برآء من ذلك ثابتين على الإيمان، وإن وقعت في غير الدين كان أهل الشام عاملين بموجب الإيمان، وأي مدح أتم من ذلك.

والمعنى بعمود الإسلام: ما يعتمد أهل الإسلام عليه، ويلتجئون

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٢)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٨): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» بأسانيد وفي أحدها ابن لهيعة وهو حسن الحديث وقد توبع على هذا وبقية رجاله رجال الصحيح. ورواه ابن عساكر (١/ ٩١ - ٩٥) وله عنده طرق أخرى وحسّنه.
وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص(١٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٨ - ١٩٩)، و«فضائل الصحابة» (١٧١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٩٨)، والبزار (٣٣٣٢)، «كشف الأستار»، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٨٩): «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عامر الأنطاكي وهو ثقة. وقال في (١٠/ ٥٧): رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح.
وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» ص(١٥).

إليه، والعيان شاهد لذلك، فإنا رأينا أهل الشام على الاستقامة التامة، والتمسك بالكتاب والسنة عند ظهور الأهواء واختلاف الآراء. وقد قال عبد اللَّه بن شوذب: تذاكرنا بالشام، فقلت لأبي سهل: أما بلغك أنه يكون بها كذا؟ فقال: ولكن ما كان بها فهو أيسر مما يكون بغيرها.

والذي ذكره معلوم بالتجربة، معروف بالمشاهدة، إذ الفتن من القحط والغلاء. وغير ذلك من أنواع البلاء إذا نزلت بأرض كانت بالشام أخف منها في غيرها»[1] .

(١٠) خامسًا: أهل الشام ميزان للصلاح والفساد في أمة الإسلام:

● عن معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرّهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**»[2] .

فأهل الشام هم ميزان قسط لأهل الإسلام، وأمة الإسلام تعرف به مدى قربها أو بعدها عن دينها.. فكلما كان أهل الشام أكثر قربًا من دينهم، وأكثر تمسكًا به، كانت أمة الإسلام بخير.

---

(١) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٣٠ ـ ٣٣).

(٢) صحيح: أخرجه الطيالسي (١٠٧٦)، ومن طريقه أخرجه الترمذي (٢/ ٣٠) وقال: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه أحمد (٣/ ٤٣٦، ٥/ ٣٥)، وفي «فضائل الصحابة» (١٧٢٢)، وروى ابن ماجه (١/ ٦ ـ ٧) الشطر الثاني، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧٢٥٨)، وأبو نعيم (٧/ ٢٣٠ـ٢٣١)، والخطيب (٨/ ٤١٧، ٤١٨)، و(١٠/ ١٨٣) الشطر الأول، وكذا أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٧). وأخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١٩٠).

وقال الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص(١٩): إسناده صحيح.

وإذا فسد أهل الشـام، وابتعدوا عن ربهم، كان ذلك عـلامة سوء في بُعد هذه الأمة عن دينها.

(١١) سادساً: دعا النبي ﷺ لها بالبركة:

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**اللَّهم بارك لنا في شـامنا، اللَّهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: وفي نجدنا. قال: «**اللَّهم بارك لنا في شامنا، واللَّهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: يا رسول اللَّه وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة:

«**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**»[١].

● وعن عـبد اللَّه بن عـمـر ـ رضي اللَّه عنهـما ـ قـال: إن النبي ﷺ قال: «**اللَّهم بارك لنا في شـامنا ويمننا** ـ مرتين ـ»، فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسـول اللَّه. فقال النبي ﷺ: «**من هناك يطلع قـرن الشيطان، وبها تسعة أعشار الشر**»[٢].

قال العز بن عـبد السلام ـ رحمه اللَّه ـ: «لمـا بدأ بالدعاء للشام بالبركة، وثنّى باليمن، دلّ على تفضيل الشام على اليمن، مع ما أثنى به

---

(١) أخرجه البـخاري (٧٠٩٤)، والترمذي (٣٩٥٣)، والربعي في «فـضائل الشام» ص(٨)، وأحمـد في «المسند» (٢/١١٨، ١٢٦)، و«فضـائل الصحابة» (١٧٢٤)، وأبـو نعيم في «الحلية» (٦/١٣٣)، وابن حـبان (٦٦٤٨، ٦٦٤٩، ٧٣٠١). والمراد بنجد: العراق كـما قال الخطابي وابن حجر.

(٢) صحيح الإسناد: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣٨٤ رقم ١٣٤٢٢)، وقـال الهيـثمي فـي «المجمع» (١٠/ ٥٧): رواه الطبـراني في «الأوسط» وأحمد ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن عطاء، وهو ثقة وفيه خلاف لا يضر، وقد صحح إسناده أحمد شاكر برقم (٥٦٢٤).

على أهل اليمن في غير هذا الحديث، فإن البداية إنما تقع بالأهم فالأهم»[(١)] .

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: صلى رسول اللَّه ﷺ الفجر، ثم أقبل على القوم فقال: **«اللَّهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدِّنا وصاعنا، اللَّهم بارك لنا في حرمنا، وبارك لنا في شامنا»**.

فقال رجل: وفي العراق؟ فسكت. ثم أعاد، قال الرجل: وفي عراقنا؟ فسكت. ثم قال: **«اللَّهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مدِّنا وصاعنا، اللَّهم بارك لنا في شامنا، اللَّهم اجعل مع البركة بركة، والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب إلا وعليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا عليها...»**[(٢)] وذكر الحديث.

فللَّه در بلاد الشام.. يضيفها النبي ﷺ إلى نفسه وهذا يدل على أنها في قلب نبينا ﷺ بمكان عظيم.. فأي شرف عظيم يسبغه النبي الكريم على ديار بها ملك دينه وعمود كتابه.

«فهنيئًا لمن تعلّق نسبه بالمصطفى ﷺ، وتعلّقت أسبابه بأسبابه فالأسباب كلها منقطعة إلا سبب واحد، وهو المتعلق بالمصطفى ﷺ»[(٣)] .

---

(١) «ترغيب أهل الشام» ص(٣٤).

(٢) صحيح: أخرجه الربعي في «فضائل الشام» (٨)، وقال الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» ص(٨ ـ ٩): «حديث صحيح، وإن كنتُ لم أقف عليه بهذا التمام فيما عندي من كتب السنة. ورواه الطبراني في «الكبير» من طريق أخرى عن ابن عمر وسنده صحيح أيضًا.

(٣) «الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل» لإبراهيم العلي ص(٤٦ ـ ٤٧) ـ منشورات فلسطين المسلمة.

(١٢) سابعاً: نُصح النبي ﷺ بسُكنى الشام دليل على أفضليتها:

● عن سالم بن عبد اللَّه، عن أبيه - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ستخرج نار في آخر الزمان من «حضرموت تحشر الناس»** قلنا: فماذا تأمرنا يا رسول اللَّه؟ قال: «**عليكم بالشام**»(١).

● عن بهز بن حكيم بن معاوية القشيري، عن أبيه، عن جده قال: قلت: يا رسول اللَّه أين تأمرني؟ قال: «**ها هنا**»، وأومأ بيده نحو الشام.

قال: «**إنكم محشورون رجالاً وركبانًا، ومُجْرَون على وجوهكم**».

وفي رواية: «**ستكون فتن**»، قيل: يا رسول اللَّه! ماذا تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالشام**»(٢).

قال المناوي: «أي الزموا سكنى أرض الشام قيل: مطلقًا لكونها أرض المحشر والمنشر، وقيل المراد: آخر الزمان؛ لأن جيوش المسلمين

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٨ و٥٣ و٦٩ و٩٩ و١١٩)، والترمذي في «الفتن» وصححه، وابن حبان في «صحيحه» وإسناده عند أحمد صحيح على شرط الشيخين، وكذلك رواه ابن عساكر (١/ ٧٥ و٧٦ و٧٧) ا.هـ من «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق» للألباني ص(٣٣).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣، ٥)، و«فضائل الصحابة» (١٧١١)، والترمذي رقم (٢٤٢٤، ٣١٤٢)، والفسوي في «تاريخه» (٢/ ٢٩٦)، والربعي في «فضائل الشام» رقم (١٣)، والحاكم (٤/ ٥٦٨)، وصححه ووافقه الذهبي.
قال المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٣٤٢): «قال الهيثمي: أسانيده كلها ضعيفة، لكن رواه أبو يعلى بسند رجاله رجال الصحيح في حديث طويل».
وقال الحافظ في «الفتح»: وسنده قوي، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال مرة أخرى: حسن (كما في «تحفة الأحوذي» ٧/ ١١٠). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٦٩).

تنزوي إليها عند اختلال أمر الدين وغلبة الفساد. قال في «الكشاف»: وقد جعل اللَّه أرض الشام بالبركات موسومة، وحقت أن تكون كذلك، فهي مبعث الأنبياء، ومهبط الوحي ومكناتهم أحياء وأمواتًا»[١] .

قال العز بن عبد السلام ـ رحمه اللَّه ـ: «أشار ﷺ بالشام عند خروج النار لعلمه بأنها خير للمؤمنين من غيرها، والمستشار مؤتمن»[٢] .

(١٣) ثامنًا: أرض الشام رباط وثغر إلى يوم القيامة وهي عقر دار المؤمنين:

● عن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالسًا عند رسول اللَّه ﷺ، فقال رجل: يا رسول اللَّه أذال[٣] الناس الخيل، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول اللَّه ﷺ بوجهه وقال: **«كذبوا، الآن الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ اللَّه لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد اللَّه، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يُوحى إليّ: أني مقبوض غير ملَبَّث، وأنتم تتبعوني أفناذًا، يضرب بعضكم رقاب بعض، وعُقْرُ دار المؤمنين بالشام»**[٤] .

---

(١) «فيض القدير» (٤/ ٣٤٢).

(٢) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٢٨).

(٣) أذال: أي: أهان. وقيل: أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها كما في «النهاية».

(٤) إسناد صحيح على شرط مسلم: أخرجه النسائي (٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨)، وابن حبان (١٦١٧)، وأحمد (٤/ ١٠٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨)، والحربي في «غريب الحديث»، والطبراني في «الكبير» (٦٣٥٧ و٦٣٥٨ و٦٣٥٩)، ورواه البزار في «مسنده» (١٦٨٩) دون قوله: «يضرب بعضكم...» إلخ. وزاد بعد قوله: «... يوم =

قال المناوي: «**عقر دار الإسلام**» أي: أصله وموضعه بالشام ـ أي: تكون الشام زمن الفتن محل أمن، وأهل الإسلام به أسلم. قال في «الفردوس»: عَقر[١] الدار ـ مفتوح العين ـ: أصلها، والعقر والعقار خيار كل شيء وأصله»[٢].

قال عز الدين بن عبد السلام:

«أخبر ﷺ في هذا الحديث بالرِّدة التي تقع ممن أراد اللَّه تعالى أن يزيغ قلبه عن الإسلام. وأشار بقتل المرتدين، ثم بسكنى الشام إشارة منه إلى أن المقام بها رباط في سبيل اللَّه تعالى، وإخبارًا بأنها ثغر إلى يوم القيامة، وقد شاهدنا ذلك، فإن أطراف الشام ثغور على الدوام»[٣]. فالشام أرض رباط وجهاد إلى يوم القيامة، والجهاد ماض والرباط مستمر. وعلى أرضها تحسم المعركة بين الحق والباطل.

(١٤) تاسعًا: خيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ومهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ:

● عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، وتقذرهم نفس اللَّه، وتحشرهم**

= القيامة» «وأهلها معانون عليها»، وقال: «لا نعلم رواه بهذا اللفظ إلا سلمة بن نفيل، وهذا أحسن حديث يروى في ذلك». انتهى من «السلسلة الصحيحة» للألباني (٤/ ٥٧١ رقم ١٩٣٥).

(١) قال في «النهاية»: عُقر: بضم العين وبفتحها، أي: أصلها وموضعها.

(٢) «فيض القدير» (٤/ ٣١٩).

(٣) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٣٢).

النار مع القردة والخنازير»[١] .

● وعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«لتكوننَّ هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أبيكم إبراهيم ﷺ، حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، وتلفظهم أرضوهم، وتقذرهم روح الرحمن عز وجل، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تقيل حيث يقيلون، وتبيت حيث يبيتون، وما سقط منهم فلها»**[٢] .

وهذه فضيلة أخرى للشام أن من يأتيها ويقيم بها من أهل الصلاح للمرابطة هم خير أهل الأرض.

▣ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ في «مناقب الشام وأهله» ص(٨٣، ٨٤): فقد أخبر أن خيار أهل الأرض من ألزمهم مهاجر إبراهيم، بخلاف من يأتي إليه ثم يذهب عنه، ومهاجر إبراهيم هي الشام... وقد جعل مهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ، فإن الهجرة إلى مهاجره انقطعت بفتح مكة».

---

(١) حسن: قال الشيخ الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» للربعي ص(٨٢ ـ ٨٣): حديث حسن، أخرجه أبو داود في «أول الجهاد» (٢٤٨٢) من طريق شهر بن حوشب، وشهر فيه ضعف من قبل حفظه، لكن له طريق أخرى، أخرجه الحاكم (١/ ٥١٠) من طريق أبي هريرة عنه وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وهو من أوهامهما؛ فإن فيه عبد اللَّه بن صالح كاتب الليث، ولم يخرّج له مسلم، ثم هو ضعيف من قبل حفظه، وإن أخرج له البخاري... لكن الحديث قوي بمجموع الطريقين إن شاء اللَّه تعالى».

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٨)، وفيه يحيى بن أبي حية ضعيف لكثرة تدليسه، وقد عنعنه.

قال الشيخ الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص(٨٣): «بيد أنه أخرجه ابن عساكر (١/ ١٥١ ـ ١٥٢) من طريق أخرى عن ابن عمر مرفوعًا، ورجاله ثقات».

(١٥) عاشراً: بأرض الشام الطائفة المنصورة:

● عن عمير بن هانئ قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - على هذا المنبر يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس**».

فقام مالك بن يخامر السكسكي فقال: يا أمير المؤمنين، سمعت معاذ بن جبل يقول: «وهم أهل الشام»، فقال معاوية - ورفع صوته -: هذا مالك، يزعم أنه سمع معاذاً يقول: «وهم أهل الشام»[(١)].

● وعن أبي عبد الله الشامي قال: سمعت معاوية يخطب، وهو يقول: يا أهل الشام، حدثني الأنصاري، يعني: زيد بن أرقم - أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون حتى يأتي أمر الله، وإني أراكموهم يا أهل الشام**»[(٢)].

وعند أحمد: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**»، «**وإني لأرجو أن تكونوا هم يا أهل الشام**»[(٣)].

● وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١، ٧٤٦٠)، ومسلم (١٠٣٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٩٣، ١٠١)، وابن ماجه (٩)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٨٣ رقم ٨٩٩)، وفي «مسند الشاميين» (٥٥٣)، وليس عندهم قول مالك إلا البخاري وأحمد.

(٢) لفظ الطيالسي.

(٣) صحيح: أخرجه الطيالسي (ص٩٤ رقم ٦٨٩)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٨٧): «رواه أحمد والبزار والطبراني، وأبو عبد الله الشامي ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح». وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٩٥٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٢٥)، وأبو يعلى (٧٨٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال أحمد بن حنبل: أهل المغرب هم أهل الشام. وهو كما قال لوجهين:

أحدهما: أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام.

الثاني: أن لغة النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم وأهل مدينته في «أهل الغرب هم أهل الشام، ومن يغرب عنهم، فإن المغرب والمشرق من الأمور النسبية، فكل بلد له غرب قد يكون شرقًا لغيره. وكان أهل المدينة يسمون الأوزاعي إمام أهل المغرب»[1] .

قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ: «إن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلين، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض»[2] .

فالطائفة المنصورة بأزمان قائليها ففي زمان الإمام أحمد بن حنبل كان المحدثون حملة السنة والمنافحين عنها أمام الفلسفة اليونانية والهندية وأمام الفرق الباطنية، وللجمع بين الأحاديث وأقوال أهل العلم يظهر أن هذه الطائفة متنوعة الكفاءات والطاقات والإمكانات والأفراد، متحدة في الغاية والهدف وهذه الطائفة تنافح عن الإسلام وتنصر الحق وأهله، تقاتل على الحق مجاهدة تصبر على ما يصيبها من أعدائها، قائمة على أمر اللَّه آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر.

❁ ❁ ❁

---

(١) «مناقب الشام وأهله» لابن تيمية ص(٨٠، ٨١).

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/ ١٥٣).

(١٦) الحادي عشر: أهل الشام سوط الله في الأرض ينتقم بهم ممن يشاء:

عن خريم بن فاتك الأسدي - رضي الله عنه - قال: «أهل الشام سوط الله في الأرض، ينتقم بهم ممن يشاء كيف يشاء، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم، ولن يموتوا إلا همًّا أو غيظًا أو حزنًا»[١].

(١٧) الثاني عشر: كثرة شهداء الشام وفضلهم العظيم عند الله:

● عن أبي عسيب مولى النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«أتاني جبريل بالحمى والطاعون، فأرسلت الحُمّى في المدينة، وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمتي، ورحمة لهم، ورجس على الكافرين»**[٢].

فأسكن الله الطاعون في بلاد الشام ليكثر شهداءهم، ويرفع درجاتهم، ويزكي أعمالهم، ولقد توفّي في طاعون عمواس أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وشرحبيل بن حسنة، وآلاف من الأخيار من الصحابة والتابعين. وأفضل الشهداء عند الله هم من أهل الشام كما جاء في الحديث.

● فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من**

---

(١) إسناده صحيح موقوف: رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٩٩)، وصححه الألباني في «تخريج مناقب الشام وأهله» لابن تيمية ص(٨٦).

(٢) إسناده صحيح: رواه أحمد (٥/ ٨١)، وابن حبان في «الثقات» (١/ ٢١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٣٤١ - ٣٤٢)، وابن سعد، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٧٦١)، و«صحيح الجامع» (٦٠).

المديـنة[١] من خيار أهل الأرض يومئذ، فـإذا تصافوا، قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبـوا منا نقاتلهم، فيـقول المسلمون: لا واللَّه لا نخلـي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتـوب اللَّه عليهم أبدًا، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند اللَّه، ويفـتتح الثـلث، لا يفتنون أبدًا، فـيفـتـتحـون القسطنطـينية، فـبينمـا هم يقتسمون الغنائم قد علّقوا سيوفـهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون ـ وذلك باطل ـ فإذا جـاؤوا الشام خرج، فبينما هم يُعـدّون للقتـال، يسوون الصـفوف، إذْ أقـيمت الصـلاة، فينزل عـيسى ابـن مريم، فأمّـهم، فإذا رآه عـدو اللَّه ذاب كمـا يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانـذاب حتى يهلك، ولكن يقتله اللَّه بيده، فيريهم دمه في حربته»[٢] .

والمدينة في الحديث هنا هي دمشق لحديث رسول اللَّه ﷺ : «يوم الملحـمة الكبرى، فـسطاط[٣] المسلمين بأرض يُقال لهـا: الغوطة، فيها مـدينة يُقال لها: دمشق خير منازل المسلمين يومئذ»[٤] .

● وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسـول اللَّه ﷺ قال: «فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يُقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام»[٥] .

---

(١) أي: دمشق.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الفُسطاط: بالضم والكسر: المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط، وكذلك الخيمة الـكبيرة، ومنها: «فسطاط مصـر»، فإن البلد أقيم مكان فسطاط «خيمـة» عمر بن العاص فاتح مصر ـ رضي اللَّه عنه ـ.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٢/ ٢١٠)، والحاكـم (٤/ ٤٨٦)، وأحمد (٥/ ١٩٧)، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وأقرّه المنذري (٤/ ٦٣).

(٥) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» =

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنـه ـ: أنه سمع رسـول اللَّه ﷺ يقول: «**إذا وقعت الملاحم بعث اللَّه من دمشق بعثًا من الموالي أكرم العرب فرسًا وأجودهم سلاحًا يؤيد اللَّه بهم الدين**»[(١)] .

(١٨) الثالث عشر: شجرة طوبى في الجنة تشبه أشجار الشام:

● عن عتبـة بن عبد السلمي ـ رضي اللَّه عنه ـ قـال: جاء أعرابي إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: «ما حوضك هذا الذي تحدث عنه؟» فقال: «**كمـا بين البيضاء إلى بـصرى يمدني اللَّه فيه بكـراع لا يدري إنسان ممن خلق اللَّه طرفاه**»، فكبّر عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال: «**أما الحوض فيرد عليه فـقراء المهاجرين الذين يقـاتلون في سبيل اللَّه، فـأرجو أن يريني اللَّه الكراع فأشرب منه**»، وقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبـعين ألفًا بغير حـساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفـا، ثم يحثي لي ربي بكفيـه ثلاث حثـيات**»، فكبر عمر وقال: «إن السـبعين الأُول يشفعهم اللَّه في آبائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعلني اللَّه في الحـثيات الأواخر، فقال الأعرابي: يا رسول اللَّه فيها فاكهة؟ قال: «**نعم. وفيهـا شجرة تُدعى طوبى هي تطابق الفردوس**»، فقال: أي شجر أرضنا تشبه؟ فقال: «**ليس تشبه شيئًا من شجر أرضك، ولكن أتيت الشام؟**»، قال: لا يا رسول اللَّه. قال: «**فإنها تشبه شجرة بالشام تُدعى الجوزة تنبت على ساق واحد ثم ينتشر أعلاها**»، قال:

= (٤٢٠٥)، و«تخريج فضائل الشام» ص(١٥).

(١) حـديث حـسن: أخرجـه ابن ماجـه (٢/ ٥٢٠)، والحاكم (٤/٥٤٨)، وقـال الحاكم: صحيح، وقال البوصيري في «الزوائد»: «هذا إسناد حسن»، وحسنه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» للربعي ص(٦١).

فما عِظَمُ أصلها؟ قال: «لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك لم يدر بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا...» الحديث[١].

(١٩) الرابع عشر: بقاء الشام بعد خراب غيرها من الأمصار:

● عن معاذ - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجّال»[٢].

وفي الحديث: «ينزل عيسى ابن مريم عليهما السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»[٣].

ويهلك شيخ الضلالة المسيح الدجال بباب لد بفلسطين.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٣ - ١٨٤)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٢٦ - ١٢٧) برقم (٣١٢)، و«الأوسط» (٤٠٤)، والطبري في «التفسير» (١٣/ ١٤٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٣/ ٣٢٠ - ٣٢١)، وابن حبان (كما في الموارد ٢٦٢٦، ٢٦٢٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٤٦).
قال الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي في تحقيق «المعجم الكبير» (١٧/ ١٢٧): «وفيه عامر ابن زيد البكالي، وقد ذكره ابن أبي حاتم، ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقية رجاله ثقات. وقال الحافظ ابن كثير في «نهاية البداية» (٢/ ١٥٧): قال الحافظ الضياء: لا أعلم لهذا الإسناد - إسناد الطبراني - علة.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٢، ٢٤٥)، وأبو داود (٥/ ٣٦ - ٣٧ رقم ٤٢٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٠٩٦).

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في «الكبير» (جـ١/ ١٨٦ (٥٩٠)، (١٩/ ١٩٦)(٤٤٠) عن أوس بن أوس. وقال الهيثمي (٨/ ٢٠٥): ورجاله ثقات، وصححه الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» ص(٥٦)، وأخرجه أيضًا الربعي في «فضائل الشام» عن كيسان - رضي اللَّه عنه -.

(٢٠) الخامس عشر: الشام أرض المحشر والمنشر:

● عن أبي ذر الغفاري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**الشام أرض المحشر والمنشر**»(١).

(٢١) وأخيراً: رؤيا أم النبي ﷺ قصور الشام عند ولادته:

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي:

«ومن بركات الشام الدينية: أن نور النبي ﷺ سطع إليها، فأشرقت قصورها منه، فكان ذلك أول مبدأ دخول نوره ﷺ الشام، ثم دخلها نور دينه وكتابه فأشرقت به، وطهّرها مما كان فيها من الشرك والمعاصي، وكمل بذلك قدسها وبركتها»(٢).

أول أمر النبي ﷺ ومبعثه ونزول الوحي عليه كان هناك في مكة، وإن مهاجره إلى المدينة المنورة، وإن تمام أمره وعمود ملكه سيكون في الشام حيث رأت أمه قصور الشام.

● عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «قلتُ: يا نبي اللَّه ما كان أول بدء أمرك؟

قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي نورًا أضاءت منه**

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الربعي في «فضائل الشام» برقم (٤) صفحة ١٤، وقد جاء موقوفًا عن أبي ذر عند أحمد في «المسند» (٦/٢٥٧)، وفيه أن النبي ﷺ أقره على ذلك ولم ينكره عليه، فهو في حكم المرفوع، وهو ضعيف، وقد صححه الألباني لوروده من الطريقين ولشاهد من حديث ميمونة بنت سعد.

(٢) «فضائل الشام» لابن رجب الحنبلي ص(١٠١) ـ دار الوطن للنشر.

قصور الشام»[١] .

● وعن العرباض بن سارية ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إني عند اللَّه في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات اللَّه عليهم»[٢] .

● وعن عتبة بن عبد السلمي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن رجلاً سأل رسول اللَّه ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول اللَّه؟

قال: «كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢)، والطيالسي (١١٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٢٩)، وابن سعد (١/ ١٠٢)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٨٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢٢): «رواه أحمد وإسناده حسن، وله شواهد تقوّيه.
ومن هذه الشواهد حديث خالد بن معدان عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ أخرجه الحاكم (٢/ ٦٠٠)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٨٤)، والطبري (٢٠٧٠)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «صحيح السيرة النبوية» ص(١٣): «وهو كما قالا» وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٥٦): وهذا إسناد جيد قوي.

(٢) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧، ١٢٨)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٥٢)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٨٠)، (٢/ ١٣٠)، و«الآجرى في الشريعة» ص(٤٢)، والحاكم (٢/ ٦٠٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢٣): رواه أحمد والطبراني بنحوه، والبزار وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وثقه ابن حبان. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، قال الألباني في «صحيح السيرة» ص(٥٤): «المسند» (٤/ ١٢٧، ١٢٨) بإسناد فيه جهالة وفي متنه نكارة؛ فإن في آخره زيادة بلفظ: «وكذلك أمهات النبيين ترين»؛ لأنها مع ضعف إسناد لم ترد ـ فيما علمت ـ في طريق أخرى، ولذلك خرّجت الحديث في «الضعيفة» (٢٠٨٥)، وأوردت سائره هنا؛ لأن له شواهد تقدم بعضها، وبعضها يأتي عقبه».

لنا، ولم نأخـذ معنا زادًا ...» إلى أن قال: «... فرحَّلت بعيرًا لهـا، فجعلتني أو فحملتني على الرحل، وركبت خلفي حـتى بلغنا إلى أمي. فقالت: أوأديت أمانتي وذمتي، وحدّثتها بالذي لقيت، فلم يرعها ذلك، فقالت لها: رأيت خرج مني نورًا، أضاءت منه قصور الشام» (١) .

قال الحافظ ابن كـثير: «وفيه بشـارة لأهل محلتنا أرض بصرى، وأنهـا أول بقعـة من أرض الشام خلص إليـها نور النبـوة، ولله الحـمد والمنّة.

ولهذا كانت أول مدينة فُتحت من أرض الشام، وكان فتحها صُلحًا في خلافة أبي بكر».



(١) صحيح لـغيره: أخرجه أحـمد في «المسند» (٤/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، والدارمي (١/ ٩٠٠٨)، والحـاكم في «المسـتـدرك» (٢/ ٦١٦ ـ ٦١٧)، والطـبـراني في «الكبـيـر» (١٧/ ١٣١)، وصححـه الحاكم ووافقه الذهبي، وقـال الهيثمي في «المجـمع» (٨/ ٢٢٢): إسناد أحمد حسن.

فضائل بيت المقدس خاصة
في السنة المطهرة

(٢٢) ١ - بيت المقدس وفلسطين هي مهاجر إبراهيم ولوط عليهما السلام:

● مرّ بك حديث عبد اللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما -، عن النبي ﷺ قال: «**سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم...**».

● وحديث عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنهما - قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لتكونن هجرة بعد هجرة، إلى مهاجر أبيكم إبراهيم ﷺ ...**».

ومهاجر إبراهيم ﷺ تعدل مهاجر نبينا ﷺ.

ولما نجّى اللَّه إبراهيم ولوطًا وجهها إلى فلسطين من أرض الشام ليقيما عليها ويستقرا بها، وفيها توفي الخليل عليه السلام، ودفن في مدينة الخليل من أرض فلسطين، فللَّه درها من أرض وطئتها أقدام الخليل، وفيها مثواه وقبره.

(٢٣) ٢ - بيت المقدس - المسجد الأقصى - ثاني مسجد بُني على الأرض:

● عن أبي ذر - رضي اللَّه عنه قال:

قلت: يا رسول اللَّه! أيّ مسجد وُضع على الأرض أولاً؟

قال: «المسجد الحرام».

قلت: ثم أي؟

قال: «المسجد الأقصى».

قلت: كم بينهما؟

قال: «أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصلِّ فإنه مسجد»[(١)] .

□ قال ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٠٩): «قد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم، ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس.

وقال أيضًا: «وقد وجدتُ ما يشهد ويؤيد قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلاً من المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب «التيجان»: أن آدم لما بنى الكعبة أمره اللَّه بالسير إلى بيت المقدس، وأن يبنيه، فبناه ونسك فيه»، ثم جاء إبراهيم فجدّد بناءها على القواعد، والأساس كان موجودًا قبل ذلك، وجدّد بناء المسجد الأقصى على هذا القول.

والقول الثاني: أن خليل الرحمن إبراهيم ﷺ هو باني الكعبة، أول مسجد في الأرض، والمسجد الأقصى هو بيت المقدس هو ثاني مسجد بُني على الأرض بنص حديث أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ، ويحدّد النبي ﷺ المدة الزمنية بين بناء الكعبة وبناء المسجد الأقصى بأنها أربعون سنة، وهذا يعني أن إبراهيم هو باني المسجد الأقصى بيت

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٦، ٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٥٠، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٧، ١٦٨)، والطيالسي برقم (٤٦٢)، والحميدي (١٣٤)، وابن ماجه (٧٥٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/ ١١٦)، والنسائي (٢/ ٣٢)، وابن خزيمة (١٢٩٠)، والبيهقي في «السنن» (٢/ ٤٣٣)، وفي «الدلائل» (٢/ ٤٣).

المقدس، وكون إبراهيم هو باني أول مسجدين يوضح كونه أمة وإمام الهدى وخليل الرحمن، فليس غريبًا ولا مستبعدًا أن يبني إبراهيم المسجد الأقصى بعد بنائه الكعبة بأربعين سنة.

وللحافظ ابن كثير رأي آخر في «البداية والنهاية»، وهو: «أن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام.

(٢٤) ٣ ـ موسى عليه السلام يسأل ربه عند الموت أن يُدنيَه من الأرض المقدّسة رمية بحَجَر:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أُرْسِل مَلَكُ الموت إلى موسى فلمّا جاءه صكّه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فردّ اللَّه إليه عينه، وقال: ارجع إليه؟ وقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطّت يده بكل شعرة سنة، قال: أيْ ربِّ! ثم ماذا؟ قال: ثمّ الموت، قال: فالآن، فسأل اللَّه أن يُدنيَه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فلو كنتُ ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»**(١).

فهذا كليم الرحمن ﷺ يسأل ربه عند الموت أن يدنيه من الأرض المقدسة لشرفها وبركتها.

(٢٥) ٤ ـ يوشع بن نون فتى موسى ونبي بني إِسرائيل عليه السلام ونبأه العجيب: حبس اللَّه له الشمس عند فتحه للقدس:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل مَلَك بُضع امرأة، وهو يريد أن**

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد في «مسنده»، والنسائي.

يبني بها، ولمّا يَبنِ بها، ولا أحد بني بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنمًا، أو خلفات، وهو ينظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة، وأنا مأمور؛ اللَّهم احبسها علينا، فحُبِست حتى فتح اللَّه عليه، فجمع الغنائم، فجاءت النار لتأكلها، فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غُلولاً، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يدُ رجل بيده، فقال: فيكم الغلول؛ فلتُبايعني قبيلتك، فلزقت يدُ رجلين، أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغُلول، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها؛ ثم أحل اللَّه لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلّها لنا»[1] .

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا: «ما حُبست الشمس على بشرٍ قط؛ إلاّ على يوشَعَ بن نونٍ لياليَ سار إلى بيت المقدس»[2] .

حبس اللَّه لفتح القدس الشمس فلماذا حبسوا الشمس عنها ؟!

أوقف اللَّه لها الناموس لكرامتها عليه، وحبس الشمس حتى فتحها نبيه يوشع بن نون عليه السلام، فلماذا حبسوا عنها النور والشمس؟!

فلسطينُ.. هَلْ أَبْقيْتِ دمعًا لنائحٍ حَنانَيْكِ من شوقٍ ومن عَبَراتِ
فلسطينُ آياتٌ وفيضٌ مِن الهُدَى مُجَلّلةٌ بالنور والبركاتِ

ماذا تبقّى منك يا درّة الفاتحين.. يا سليلة الطهر.. يا عطر كل

(١) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم.
(٢) إسناده جيد: رواه أحمد (٢/ ٣٢٥)، والخطيب (٩/ ٩٩)، وعنه ابن عساكر (/١٥٧/ ٢).
قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٢٦) (٥/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧): «وهذا إسناد جيد على شرط البخاري. وقد أخرجه هو ومسلم من طريق أخرى عن أبي هريرة مرفوعًا نحوه مطولاً».

الأنبياء المخلصين.. ماذا تبقى منك؟!

أهذهِ القدسُ والأقصى يزيِّنُها مسرى النبيِّ أفيها ساجد عمرُ؟

أم أورشليم يهوذا بات يحكمها وهيكل الظلم في أحضانها نضِرُ؟

(٢٦) ٥ ـ ديار يعقوب عليه السلام:

ديار فلسطين المباركة المطهرة كانت ديار يعقوب ﷺ قبل هجرته إلى مصر.. فقد كان مسكنه في نابلس.

◻ وقد قال ابن كثير في «البداية والنهاية»: «إن المسجد الأقصى أسسه إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام».

(٢٧) ٦ ـ وبالقدس كان مُلْك داود عليه السلام ومحرابه:

بالقدس كان ملك داود ومحرابه ومعبده.

وأقرب ما قيل في «محراب داود» الذي كان يتعبّد فيه، وتسوّر عليه الملائكة وهو فيه، أنه في القلعة الموجودة عند باب الخليل، أحد أبواب مدينة القدس.

◻ شهدت هذه المدينة الطاهرة وتجمّلت بمرور قدم أعبد البشر عليها.

● عن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«كان داود أعبد البشر»**[1].

● وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢/ ٢٦٢)، والحاكم (٢/ ٤٣٣)، والبخاري في «التاريخ» (٣/ ١/ ٢٢٩). وقال الترمذي: «حسن غريب». وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وردّه الذهبي والألباني. وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٥٣).

«أرسل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: «**ألم أخبر أنك تقوم الليل، وتصوم النهار؟...**» فقال النبي ﷺ: «**صُم صوم داود، فإنه كان أعبد الناس، كان يصوم يومًا، ويفطر يومًا، إنك لا تدري لعله أن يطول بك العمر**»[١].

فكيف تطأ أقدام اليهود الذين دنّسوا تاريخ البشرية وقذفوا أعبد البشر داود ﷺ، كيف تطأ أقدامهم هذه الأرض؟

لم ينتهوا عن قتل داود ولا لوط فكيف بقذفهم روبيلا

(٢٨) ٧ ـ مُلْك سليمان ﷺ ونبوته في البيت المقدّس:

وبالقدس كان ملك سليمان ونبوته، وجدّد ﷺ بناء بيت المقدس لا كما يقول اليهود عليهم لعنة اللَّه: أن سليمان ارتد وعبد الأصنام والأوثان وبنى لها المعابد.

وَدَعَوْا سليمان النبي بكافرٍ واستهونوا إفكًا عليه مقولا

(٢٩) دعوة سليمان عليه السلام لمن صلى في بيت المقدس أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس، سأل اللَّه عز وجل خلالاً ثلاثة؛ سأل اللَّه حكمًا يصادف[٢] حكمه، فأوتيه، وسأل اللَّه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأوتيه، وسأل اللَّه حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا يَنهزُهُ[٣] إلا الصلاة فيه أن يُخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه، أما**

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٢ ـ ١٦٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١/ ٢١٧/ ١) والسياق له.
(٢) يصادف: يوافق حكمه.
(٣) ينهزه: يدفعه.

اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أُعطي الثالثة».

وفي رواية: **«إن سليمان سأل اللَّه ثلاثًا فأعطاه اثنتين، وأرجو أن يكون أعطاه اللَّه الثالثة:**

سأله أن يحكم بحكم يواطئ حكمه فأُعطي. وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه، وسأله أيما عبد أتى بيت المقدس لا يُريد إلا الصلاة فيه، أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه»(١).

◻ وعند الخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» ص(١٣٧): قال عبد اللَّه بن عمرو: «إن سليمان حين فرغ من بيت المقدس، قرّب قربانًا فتُقبِّل منه، فدعا اللَّه بدعوات... منهن: «اللَّهم أيما عبد مؤمن زارك في هذا البيت تائبًا إليك إنما جاء يتنصّل عن خطاياه وذنوبه أن تتقبّل منه، وتتركه من خطاياه كيوم ولدته أمه»(٢).

(٣٠) ٨ ـ متعبد مريم بفلسطين.. ومحراب زكريا عليه السلام:

وبالقدس عاش من اصطفاهم اللَّه.. عاش آل عمران الأبرار.. عاشت أم مريم الخاشعة التي تنذر ما في بطنها لربها وتعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم وتأتي ابنتها البتول مريم عليها السلام كاملة في عبادتها وذكرها وتوكلها على اللَّه عز وجل...

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٧٦)، والنسائي (٢/ ٣٤ رقم ٦٩٣)، وابن ماجه (١٤٠٨)، وابن حبان (١٦٣٣)، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (٩٤)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٩٣)، والخطيب في «الرحلة في طلب الحديث» رقم (٤٧)، وصححه أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» برقم (٦٦٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٩٠).

(٢) إسناده صحيح.

* ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وهنا عاش زكريا ﷺ وملأ الدنيا عبادة وتضرعًا ودعاءً ومسارعة في الخيرات

(٣١ ـ ٣٢) ٩ ـ الميلادان الفذّان كانا بفلسطين ميلاد السيد الحصور يحيى .. من سمّاه اللّه وسلّم عليه وميلاد عيسى ابن مريم عليهما السلام:

وبأرض فلسطين الطاهرة المباركة خُرِق الناموس من أجل الطيبيْن يحيى وعيسى عليهما السلام.

دعاء حار من قلب طاهر يعلق رجاءه بمن يسمع الدعاء، ويملك الإجابة، واستجيبت الدعوة، ولم يحل دونها مألوف البشر ـ من كون زكريا عليه السلام بلغه الكبر وامرأته عاقر ـ وجاء يحيى عليه السلام الذي سمّاه اللّه، وجعله سيدًا كريمًا حصورًا، ونبيًّا من الصالحين يُسلم عليه ربه ويبارك حياته على ثرى فلسطين وبيت المقدس.

● عن الحارث الأشعري ـ رضي اللّه عنه ـ أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إن اللّه أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن، وإن عيسى ابن مريم قال له: إن اللّه أمرك بخمس كلمات تعمل بهن، وتأمر بهن بني إسرائيل يعملون بهن، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم؟**

قال: إنك إن تسبقني بهنّ خشيت أن أعذب أو يُخسف بي.

قال: فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ، وقعد الناس على الشرفات.

قال: فوعظهم: قال:

إن اللَّه أمرني بخمس كلمات أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن:

● أولاهن: أن تعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئًا، وإن مثل من أشرك باللَّه كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق، قال: هذه داري، وهذا عملي، فاعمل وأدِّ إليّ، فجعل يعمل ويؤدي إلى غير سيد، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن اللَّه خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئًا.

● وآمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

● وآمركم بالصيام، وإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرّة فيها مسك، ومعه عصابة كلهم يعجبه أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند اللَّه من ريح المسك.

● وآمركم بالصدقة، وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو وقاموا إليه فأوثقوا يده إلى عنقه، فقال: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ قال: فجعل يعطيهم القليل والكثير ليفكّ نفسه منهم.

● وآمركم بذكر اللَّه كثيراً، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره حتى أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه فيه، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر اللَّه».

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «وأنا آمركم بخمس أمرني اللَّه بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل اللَّه، فمن فارق الجماعة قيد شبر خلع الإسلام من رأسه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية، فإنه من جثي جهنم». قيل: وإن صلى وصام؟

قال: «وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى اللَّه الذي سمّاكم المسلمين

المؤمنين عباد اللَّه»[١].

وعلى ثرى فلسطين ذبح اليهود السيد الحصور يحيى عليه السلام.

*** وعلى ثرى فلسطين يكون الميلاد الفذ للمسيح بن مريم عليه السلام:**

وعلى أرض فلسطين الطاهرة يكون الميلاد الفذّ للمسيح من أمه الطاهرة التي بشرها اللَّه على أرض فلسطين بميلاد عيسى عليه السلام التي اصطفاها اللَّه وطهرها وجعلها من القانتين.

طاعة وعبادة، وخشوع وركوع، وحياة موصولة باللَّه، ويأتي السيد الوجيه في الدنيا والآخرة الذي يرفعه اللَّه في الدنيا والآخرة، ويحوطه اللَّه ويرعاه من مكر اليهود ليعود قبل القيامة يحطم الكفر ويكسر الصليب ويضع الجزية ويقتل الخنزير، وعلى أرض فلسطين يقتل مسيح الضلالة في باب لد.

(٣٣) ١٠ ـ الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، وإمامته للأنبياء في الصلاة بالمسجد الأقصى:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٨٦٣ ـ ٢٨٦٤)، والطيالسي برقم (٢١٤٨)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، وابن سعد في «الطبقات»، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٦٠)، وأبو يعلى (١٥٧١)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٢٨، ٣٤٣٠، ٣٤٢٧)، وابن حبان (٦٢٣٣)، وابن خزيمة (٩٣٠، ١١٨٥)، والحاكم (١/ ١١٧، ٢٣٦، ٤٢١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤)، و«صحيح الترغيب» (٥٥٣).

«لقد رأيتُني في الحِجْر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكُرِبتُ كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه اللَّه لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به.وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضَربٌ جَعْدٌ، كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم ـ يعني: نفسه ـ فحانت الصلاة فأمَمْتُهم، فلما فَرَغْتُ من الصلاة قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه. فالتفتُّ إليه، فبدأني بالسلام»[١].

● وعن قتادة: ثنا أنس عن مالك بن صعصعة ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «بينا أنا عند البيت[٢] بين النائم واليقظان؛ إذ أقبل أحد الثلاثة بين الرجلين، فأُتيت بطست من ذهب ملأه حكمة وإيمانًا، فشَقّ من النَّحْر إلى مَرَاق البَطْن، فغسل القلب بماء زمزم، ثم مُلِيء حكمة وإيمانًا»[٣].

ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار [«قال: فقال الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال: نعم». «يقع خطوه عند أقصى طرفه، فحُملت عليه][٤].

[ثم انطلقنا حتى أتينا إلى بيت المقدس، فصليت فيه بالنبيين والمرسلين إمامًا][٥]. ثم انطلقت مع جبريل عليه السلام، فأتينا السماء الدنيا، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومَن معك؟ قال: محمد. قيل: وقدْ أُرسل إليه؟ قال: نعم. قيل:

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨).

(٢) في رواية لأحمد: عند الكعبة.

(٣) بعد ذلك عند أحمد والبخاري: «ثم أُعيد» وزاد ابن جرير: «مكانه».

(٤) الزيادة عند أحمد، والبخاري.

(٥) الزيادة عند ابن جرير.

مرحبًا به، ونعم المجيء جاء...»(١) الحديث.

● وفي رواية ثابت عن أنس بن مالك أن رسـول اللَّه ﷺ قال: «أُتيت بالبـراق ـ وهو دابة أبيض ـ فـوق الحـمار ودون البـغل، يضع حـافـره عند منتهى طرفه ـ قال: فركبته حـتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء.

قال: ثم دخلت المسـجد فصليت فيه ركـعتين، ثم خرجت. فجـاءني جبريل عليه السلام بـإناء من خمر، وإناء من لبن، فاختـرت اللبن، فقال جبـريل: اخترت الفِطرة. ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا...»(٢).

◻ وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «أُسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقـدس، ثم جاء من ليلته، فـحدّثهم بمسـيره، وبعـلامة بيت المقـدس، وبعيرهـم، فقال ناس: نـحنُ لا نُصدِّق مـحمدًا بما يـقول؟! فارتدُّوا كفارًا. فضرب اللَّه أعناقهم مع أبي جهل».

وقال أبو جـهل: يخوّفنا محـمد بشجـرة الزقوم، هاتوا تمرًا وزبدًا فتزقَّموا.

ورأى الدجـال في صورته ـ رؤيا عين لـيس رؤيا منام ـ وعيـسى، وموسى وإبراهيم صلوات اللَّه عليهم.

---

(١) أخـرجـه أحمـد (٤/ ٢٠٧ ـ ٢١٠)، والسـيـاق له في إحـدى رواياته من طريق هشـام الدسـتـوائي، والبخـاري (٣٢٠٧ و٣٣٩٣ و٣٤٣٠ و٣٨٨٧)، ومـسلم (٢٦٤ و٢٦٥)، وابن جرير (١٥/ ٣).

(٢) أخرجـه أحمد (٣/ ١٤٨)، والسـياق له، ومسلم (٢٥٩).. ووقع فـي هذه الطريق ذكر الإناءين هنا قـبل المعراج، ووقع في طريق آخـر بعد المعـراج عند سدرة المنتـهى، ولكل منهما شواهد ذكرها الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٧٣).

فسُئل النبي ﷺ عن الدجّال؟ فقال:

«[فيلمانيّا][١] أقمر هجانا[٢]، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري، كأن شعر رأسه أغصان شجرة.

ورأيت عيسى شابًّا أبيض، جعد الشعر، حديد البصر، مُبَطَّن الخَلْق[٣].

ورأيت موسى أسحم آدم، كثير الشعر[٤] شديد الخلق.

ونظرت إلى إبراهيم؛ فلا أنظر إلى إرب من آرابه؛ إلا نظرت إليه مني، كأنه صاحبكم.

فقال جبريل عليه السلام: سلّم على مالك فسلّمت عليه»[٥].

● وعن زرارة بن أبي أوفى، عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لما كان ليلة أسري بي، وأصبحت بمكة، فَظِعتُ بأمري[٦]، وعرفت أن**

---

(١) أي: ضخمًا عظيمًا.

(٢) أي: أبيض كما في «النهاية» و«اللسان».

(٣) المبطن: الضامر البطن.

(٤) وفي رواية: حسن الشعرة.

(٥) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٣٧٤)، وأبو يعلى رقم (٢٧٢٠)، والطبري في «تهذيب الآثار» مسند عبد اللَّه بن عباس ١٧ (١/ ص٤٠٨)، والنسائي في «الكبرى» (٦٢٣٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٦ ـ ٦٧): رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن هلال بن خباب، قال يحيى القطان: أنه تغيّر قبل موته، وقال يحيى بن معين: لم يتغيّر ولم يختلط ثقة مأمون، ورواه أبو يعلى، وصححه أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» رقم (٣٥٤٦)، وابن كثير في «التفسير» (٣/ ١٥ ـ ١٦) وقال: «رواه النسائي من حديث أبي زيد ثابت بن زيد عن هلال ـ وهو ابن خباب ـ به، وهو إسناد صحيح.

قال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٧٦) ردًّا على ابن كثير: «كذا قال! وإنما هو حسن فقط؛ لأن ابن خبّاب فيه كلام».

(٦) أي: اشتد عليّ وهِبته. «النهاية» لابن الأثير.

الناس مكذِّبيَّ.

قال: فقعد معتزلاً حـزينًا، فمرّ به عدوّ اللَّه أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقـال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟! فـقال رسول اللَّه ﷺ : «**نعم**». قال: ما هو؟ قال:

«**إنه أُسري بي الليلة**».

قال: إلى أين؟

قال: «**إلى بيت المقدس**».

قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «**نعم**».

قال: فلم يُرِ أنه يُكَذِّبه؛ مـخافة أن يجـحده الحديث إذا دعا قـومه إليه، قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدّثتني؟! فقال رسول اللَّه ﷺ : «**نعم**».

فقال: هيّا معشر بني كعب بن لؤي!

حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما.

قال: حدِّث قومك بما حدّثتني.

فقال رسول اللَّه ﷺ : «**إني أُسرِي بي الليلة**».

قالوا: إلى أين؟ قال: «**إلى بيت المقدس**».

قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟! قال: «**نعم**».

قال: فـمِن بين مصـفّق، ومِن بين واضع يده على رأسه مـتعجِّـبًا للكذب؛ زعم!

قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجـد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد.

فقـال رسول اللَّه ﷺ : «**فذهبت أنعت، فمـا زلت أنعت حتى التبس عليّ بعض النعت ـ قال: ـ فجيء بالمسجـد وأنا أنظر؛ حتى وضع دون دار عقال ـ**

أو : عقيل ـ فنعتُّه وأنا أنظر إليه.

قال: **وكان مع هذا نعت لم أحفظه»**.

قال: فقال القوم: أما النعت؛ فواللَّه لقد أصاب»[(١)] .

● وعن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: **«لما كذّبتني قريش [حين أسري بي إلى بيت المقدس]؛ قمت في الحِجْر، فجلى اللَّه لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه»**[(٢)] .

● وعن ثابت البناني وسليمان التيمي، عن أنس أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«أتيت** (وفي رواية: **مررت**) **على موسى ليلة أُسرِي بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره»**[(٣)] .

---

(١) سنده صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٠٩)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٢٧)، والنسائي في «الكبرى». وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٥): رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجال أحمد رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر في «تعليقه» على «المسند» برقم (٢٨٢٠)، وعزاه السيوطي في «الخصائص» (١/ ٤٠٠) لابن أبي شيبة أيضًا، وأبي نعيم بسند صحيح، وحسنه الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٩٩)، وصححه الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٧)، والبخاري (٣٨٨٦ و٤٧١٠)، ومسلم (٢٧٦)، والترمذي (٣١٣٣)، وصححه، والبغوي (٣٧٦٢).

والزيادة لأحمد، وعلّقها البخاري في رواية، وقال الحافظ (٨/ ٣٩٢): «وصله الذهلي في «الزهريات» وأخرجه قاسم بن ثابت في «الدلائل» من الطريق ذاته، ولفظه: «جاء ناس من قريش إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك في صاحبك! يزعم أنه أتى بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة؟!

قال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لقد صدق.

وعزاه في مكان آخر (٧/ ١٩٩) للبيهقي في «الدلائل» أيضًا بلفظ: «قال: نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك؛ أصدّقه بخبر السماء. قال: فسُمِّي بذلك الصديق».

(٣) أخرجه مسلم (١٦٤)، والنسائي في «قيام الليل»، وأحمد (٣/ ١٤٨ و٢٤٨).

□ قال ابن كثير: «قال البيهقي: وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أُسري به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس.

وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية».

● وعن قتادة، عن أنس - رضي اللَّه عنه -: أن النبي ﷺ أُتي بالبراق ليلة أُسرِي به مُلْجَما مُسْرَجًا، فاستصعب عليه، فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا؟! فما ركبك أحد أكرم على اللَّه منه.

قال: فَارْفَضَّ عرقًا»[1].

□ وللَّه ما أعظم ليلة الإسراء عند هذه الأمة. قال النووي: «أجمع العلماء أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء».

□ عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال: «فُرِضت على النبي ﷺ الصلوات ليلة أُسْرِيَ به خمسين، ثم نقصت حتى جعلت خمسًا، ثم نُودِي: يا محمد! إنه لا يُبَدَّلُ القول لديّ، وإن لك بهذه الخمس خمسين»[2].

□ وعن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

قال: «هي رؤيا عين أُرِيهَا رسول اللَّه ﷺ ليلة أُسرِي به إلى بيت المقدس، [وليست رؤيا منام]»[3].

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٦٤)، والترمذي (٣١٣١)، وابن جرير (١٥/ ١٥) وقال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٣٧): وإسناده صحيح، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٦١)، وقال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٤٩): «وإسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٨، ٤٧١٦، ٦٦١٣)، وعنه البغوي في «شرح السنة» (٣٧٥٥)،=

قال الشيخ الألباني: «الصحيح أنه إنما اجتمع بهم[1] في السماوات، ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيًا وهم معه، وصلىّ بهم فيه، ثم إنه ركب البراق، وكرّ راجعًا إلى مكة واللَّه أعلم»[2].

سواء صلى بهم قبل عروجه إلى السماء أو بعد العروج، فالمهم أن الصلاة في بيت المقدس أثبتها جمهور الصحابة خلافًا لحذيفة بن اليمان ـ رضي اللَّه عنه ـ.

قال ابن كثير في «تفسيره»: «والحق أنه عليه السلام أُسري به يقظة لا مناما، من مكة إلى بيت المقدس. راكبًا البراق، فلما انتهى به إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله، فصلّى في قبلته، تحية المسجد ركعتين، ثم أُتي بالمعراج، وهو كالسلم ذو درج يُرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا، ثم إلى بقية السماوات... وفرض اللَّه عليه هنالك الصلوات الخمس...

ثم هبط إلى بيت المقدس، وهبط معه الأنبياء، فصلّى بهم فيه لمّا حانت الصلاة، ويحتمل أنها الصبح من يومئذٍ.

ومن الناس مَن يزعم أنه أمّهم في السماء، والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس، ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه، والظاهر أنه بعد رجوعه إليه؛ لأنه لما مرّ بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل عليه السلام واحدًا واحدًا، وهو يخبره بهم، وهذا هو اللائق؛ لأنه كان مطلوبًا إلى الجنان العلويّ، ليفرض عليه وعلى أمته ما

= والترمذي (٣١٣٤)، والطبراني في «الكبير» (١١٦٤١).

(١) أي: بالأنبياء.

(٢) «الإسراء والمعراج» للشيخ الألباني ص(٩٣) ـ المكتبة الإسلامية بعمّان ـ الأردن.

يشاء اللَّه تعـالى، ثم لما فرغ من الذي أُريد به، اجتـمع هو وإخوانه من النبيين، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم، بتقديمه في الإمامة، ثم خرج من بيت المقدس، فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس».

* **تنبيه هام جدًّا:**

● عن حذيفـة بن اليمان ـ رضي الـلَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قـال: **«أُتيت بالبـراق، وهو دابة أبيض طويل [الظهـر ممدودة؛ هكذا]**[1]**، يـضـع حافـره عند منتـهى طَرْفه، فلم نزايل ظهـره أنا وجبـريل حتى أتيت بيت المـقدس. ففُتحت لنا أبواب السمـاء، ورأيت الجنة والنار [ووعْد الآخرة أجمع]**[2] **[ثم عـادا عودهما على بدئهما]**[3].

قال حذيفة: ولم يصلِّ في بيت المقدس.

قال زر: فقلت له: بلى قد صلّى.

قال حذيفـة: ما اسمك يا أصلع؟ فإني أعـرف وجهك ولا أعرف اسمك! فقلت: أنا زر بن حبيش.

قال: وما يدريك أنه قد صلى.

قال: فقلت: يقول اللَّه عز وجل: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[الإسراء: ١].

---

(١)رواية الترمذي.

(٢)رواية أحمد في «مسنده».

(٣)رواية أحمد في «مسنده».

قال: فهل تجده صلّى؟ لو صلى لصليتم فيه كما تصلون.

(وفي رواية: لو صلّى فيه لكُتبت عليكم الصلاة فيه كما كُتبت الصلاة في المسجد الحرام.

قال زر: وربط الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء عليهم السلام.

قال حذيفة: أوَكان يخاف أن تذهب منه وقد أتاه اللَّه بها؟!

(وفي رواية: ثم ضحك حتى رأيت نواجذه، قال: ويحدّثون أنه ربطه! لمَ؟! أيفرّ منه؟! وإنما سخّره له عالم الغيب والشهادة[1] !.

◻ قال الألباني ـ رحمه اللَّه ـ: «واعلم أن في حديث حذيفة هذا عبرة بالغة، وهي أن الصحابي قد يقول برأيه ما يخالف الواقع المروي عند غيره، من أجل ذلك كان من المتفق عليه بين العلماء: أن المُثبِت مقدم على النافي، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، فنفي حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ لصلاته ﷺ في بيت المقدس؛ وربط البراق بالحلقة مما لا قيمة له مع إثبات غير واحد من الصحابة لذلك، وهو عمدة زر ـ رحمه اللَّه ـ في معارضته حذيفة فيما نفاه، ولهذا قال ابن كثير: «وهذا الذي قاله حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ وما أثبته غيره عن رسول اللَّه ﷺ من ربط الدابة بالحلقة، ومن الصلاة ببيت المقدس مقدم على قوله»[2] .

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٧، ٣٩٢، ٣٩٤)، والترمذي (٣١٤٧)، وابن حبان (٣٣)، والحاكم (٢/ ٣٥٩)، وصحّحوه، ووافقهم الذهبي.

قال الألباني في «الإسراء والمعراج» ص(٦٣): «وإنما هو حسن فقط للخلاف المعروف في عاصم بن بهدلة».

ورواه ابن أبي شيبة، والنسائي، وابن مردويه، والبيهقي، كما في «الخصائص» (١/ ٣٩٣)، وابن جرير أيضًا (١٥/ ١٥ ـ ١٦).

(٢) «الإسراء والمعراج» للشيخ الألباني ص(٦٤).

* الحكمة من الإسراء إلى المسجد الأقصى:

«قال السيوطي في «الآية الكبرى» ص(١١٥): «تكلم الناس في الحكمة في الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، قبل المعراج:

◘ فقيل: ليجمع تلك الليلة بين القبلتين...

◘ وقيل: لأن بيت المقدس كانت هجرة غالب الأنبياء قبله، فحصل له الرحيل إليه في الجملة، ليجمع بين أشتات الفضائل.

◘ وقيل: لأنه محلّ الحشر، وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية، فكان المعراج من القدس أليق.

◘ وقيل: لإرادة إظهار الحق على مَن عاند؛ لأنه لو عُرج به من مكة لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر عليه السلام أنه أُسري به إلى بيت المقدس، سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك.

فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صحّ خبره في ذلك، لزم تصديقه في بقية ما ذكره...

◘ وهذه الحكمة تحقق أن الإسراء كان في اليقظة ـ بجسمه وروحه، لأنه لو كان منامًا أو بالروح كما قيل، ما كذّبه المشركون، وما تحدّوه أن يصف لهم المسجد»[١].

◘ وقال سيد قطب ـ رحمه الله ـ: «والرحلة من المسجد الحرام إلى

---

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى».. دراسة تاريخية موثقة ـ لمحمد محمد حسن شُرّاب ـ دار القلم دمشق.

المسجد الأقصى، رحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم النبيين، وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعًا، وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الأخير، لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات، وارتباط رسالته بها جميعًا»[1].

❑ وقال محي الدين مستو: «في بدء رحلة الإسراء من المسجد الحرام بمكة وانتهائها بالأرض المباركة في المسجد الأقصى، ما يدل على قداسة هذين المسجدين وما يحيط بهما من أرض شهدت مبعث النبوات والرسالات، ولهذا كان أحدهما القبلة الأولى التي لا تُنسى للمسلمين، وكان الآخر القبلة الدائمة التي يتوجهون إليها كل يوم.

وهذه الرحلة اتخذت نفس المسار الذي كان يسلكه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في تردّده بين مكة والأرض المباركة حين أسكن هاجر وابنها إسماعيل في مكة، وأسكن سارة وإسحاق في فلسطين.

❑ قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٢): «بيت المقدس الذي بإيلياء» معدن الأنبياء من إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا جمعوا له هناك كلّهم فأمّهم في محلّتهم ودارهم، فدلّ على أنه ﷺ هو الإمام المعظم والرئيس المقدم».

فكانت صلاته ﷺ بالأنبياء في ليلة الإسراء إقرار مبينًا بأن الإسلام كلمة اللّه الأخيرة إلى البشر، أخذت تمامها على يد محمد ﷺ بعد أن وطّأ لها العباد الصالحون من رسل اللّه الأولين.. واستقر

---

(١) «في ظلال القرآن» لسيد قطب (١٥/ ١٢).

نسب المسجد الأقصى إلى الالتصاق بالأمة التي أمّ رسولها سائر الأنبياء.

وفي حادثة الإسراء إلغاء أبدي، وطيّ سرمدي لصفحة «بني إسرائيل» من التفضيل والاصطفاء.

□ ولله در من قال: إن المسجد الأقصى فوق مركز الدنيا، وأنه المصعد من الأرض إلى السماء.

□ يقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتابه «فقه السيرة» (١٠٣): «لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة؟ إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم، فقد ظلت النبوات دهوراً طويلة وهي وقف على بني إسرائيل. وظلت بيت المقدس مهبط الوحي ومشرق أنواره على الأرض، وقصبة الوطن المحبب إلى شعب الله المختار. فلما أهدر اليهود كرامة الوحي وأسقطوا أحكام السماء حلّت بهم لعنة الله، وتقرّر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد! ومن ثمّ كان مجيء الرسالة إلى محمد ﷺ انتقالاً بالقيادة الروحية في العالم من أمة ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل..

لكن إرادة الله مضت، وحملت الأمة الجديدة رسالتها. وورث النبي العربي تعاليم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها. فكان من وصل الحاضر بالماضي وإدماج الكل في حقيقة واحدة أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين في الإسلام، وأن ينتقل الرسول في إسرائه، فيكون هذا الانتقال احتراماً للإيمان الذي درج قديمًا في رحابه...

□ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «دلّت الدلائل.. على أن مُلك النبوة بالشام، والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله

يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام»[1] .

□ وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ: «كما أن من مكة المبدأ، فمكة أم القرى... والشام إليها يحشر الناس كما في قوله: ﴿لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ نبّه على الحشر الثاني، فمكة مبدأ وإيلياء معاد في الخلق، وكذلك بدأ الأمر. فإنه أسري بالرسول من مكة إلى إيلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام.

فمكة هي الأول، والشام هي الآخر في الخلق والأمر، في الكلمات الكونية والدينية»[2] .

* الرسول ﷺ يتسلَّم مفاتيح بيت المقدس:

□ قال الدكتور صلاح الخالدي: «قد جمع اللَّه الأنبياء والرسل السابقين لمحمد ﷺ في تلك الليلة في المسجد الأقصى، ومنهم أنبياء ورسل بني إسرائيل، فأمّهم في الصلاة أي: صلّى هو بهم إمامًا، وصلّوا هم خلفه مأمومين!!

وجمعهم هذا جمع غيبي، لا نعرفه كيف جرى، وهو غير خاضع للقوانين والأسباب المادية؛ لأن الرسل غادروا هذه الحياة الدنيا، والتحقوا بالرفيق الأعلى، فهم في حساب البشر أموات.

ولكنهم عند اللَّه أحياء، حياة خاصة غيبية، كما أراد اللَّه سبحانه،

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/ ٤٤).

(٢) «مناقب الشام وأهله» لابن تيمية المطبوع مع «فضائل الشام ودمشق» للربعي ص(٧٨) ـ المكتب الإسلامي وانظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٧/ ٥٠٥).

ثم إن صلاتهم في المسجد الأقصى مأمومين خلف رسول اللّه ﷺ ، يقدّم لنا بعض الدلالات:

منها: اعتراف هؤلاء الرسل بفضل ومنزلة رسول اللّه ﷺ ، ومكانته عند اللّه، وتسليم منهم أنه أفضل الخلق وأكرمهم، وأقربهم إلى اللّه سبحانه، فهو إمام الخلق أجمعين، وإمام الأنبياء والمرسلين، في السير في طريق اللّه، وفي القرب من اللّه.

ومنها: اعتراف هؤلاء الأنبياء والمرسلين، بختم النبوة والرسالة بنبوة ورسالة محمد ﷺ ، فلا وحي بعده، ولا نبي يأتي بعده، ولا رسالة بعد رسالته، وهو اعتراف منهم أيضًا بنسخ رسالاتهم برسالته، ونسخ كتبهم بكتابه، فلا عمل بالتوراة أو الزبور أو الإنجيل، بعد إنزال اللّه للقرآن.

ومنها: دعوة هؤلاء الأنبياء والمرسلين ـ بخاصة أنبياء بني إسرائيل ـ لأقوامهم وأتباعهم بالدخول في الإسلام، والإيمان بالقرآن، واتباع محمد ﷺ ، والتخلّي عما كانوا عليه من اليهودية أو النصرانية، إن أرادوا القبول عند اللّه، ودخول جنة اللّه.

فإن لم يستجيبوا له، ولم يدخلوا في دينه، فهم كفار ضالون مخلدون في النار، وإن ادّعوا أنهم على طريق إبراهيم أو موسى.

ومنها: تسليم هؤلاء الأنبياء والمرسلين «مفاتيح الأرض المقدسة إلى محمد ﷺ وأمته. فمعظم هؤلاء عاشوا على الأرض المقدسة، وكان هو المسؤول عنها، الراعي لها، الخليفة عليها، وأنوار رسالته ونبوته انتشرت عليها، وبقيت حلقات النبوة والرسالة والخلافة تتابع على

الأرض المقدسة، إلى أن ختمت هذه الحلقات بنبوة ورسالة محمد ﷺ، الدائمة حتى قيام الساعة.

وفي ليلة الإسراء جاء الأنبياء وسلموا محمد ﷺ المسؤولية والخلافة، والأمانة والعهد، وأوكلوا له ـ ولأمته من بعده ـ مهمة الأرض المقدسة، ورعايتها وحمايتها، والخلافة فيها، واستمرار الإيمان عليها، حتى قيام الساعة.

لقد سلّم الأنبياء السابقون ـ ومنهم أنبياء بني إسرائيل ـ مفاتيح الأرض المقدسة لمحمد ﷺ ليلة الإسراء، أعلنوا بذلك عن انتهاء استخلاف أقوامهم من اليهود والنصارى، وانتهاء مسؤولية هؤلاء الأقوام على الأرض المقدسة، وتحويل هذه الخلافة والمسؤولية لأمة محمد ﷺ، وانتقال الإشراف على الأرض المقدسة إلى هذه الأمة، واستمرار هذه المسؤولية فيها حتى قيام الساعة.

□ وجعل الصلاة ميدانًا ومجالاً لهذا الانتقال، وجوًّا مناسبًا للتسلّم والتسليم، حيث محمد ﷺ هو الإمام، والأنبياء خلفه مأمومون مسلمون له، يعطي دلالة واضحة على أهمية الصلاة والعبادة ووجوب تعمّقه في أمة الإمامة والخلافة، التي تناط بها مسؤولية الإشراف على الأرض المقدسة.

□ إن الأقوام السابقين من اليهود والنصارى ليسوا مصلين للَّه صدقًا، ولا عابدين له حقًّا، ولذلك انتزع اللَّه منهم هذه الخلافة والإمامة، وجعلها في أمة العبادة والصلاة، وتسلم رسولها محمد ﷺ هذه المهمة والمسؤولية من إخوانه الأنبياء في الصلاة!.

ومنها: أن رسول اللَّه ﷺ كان أول فاتح للأرض المقدسة، ليلة

الإسراء، وهذا منه عهد لأمته من بعده، بأن تفتح هذه الأرض المقدسة عمليًّا، بعد أن فتحها هو نظريًّا، وتسلّم مفاتيحها من إخوانه الأنبياء، وهذه بشرى لأمته منه، بأنها ستفتح هذه الأرض المقدسة، وتنشر فيها الإسلام، وتحقق فيها الخلافة الربانية الراشدة، ولقد حقّقت هذه الأمة هذا الأمر بعد محمد ﷺ وفهمت منه هذا الإيحاء وأخذت عنه هذه الإشارة»[١] .

رُبَى الأقصى طُيوفُكِ ذِكرَياتٌ خَشَعْتُ أمَامَها دَمْعًا هَتُونًا
هُنالك تخشعُ الدنيا وتصغي لآيات بساحتها تُلينا
خَشَعْتُ وقلبيَ الوَثَّابُ فيها يُدَمِّي في تَلَفُّتِه الحنينا
مددتُ يدي على حُلُمِي لأَلْقَى مُحَيَّاكِ المُنَوَّرَ والجبينا



خُطَى مُوسَى عَلى ثَبَجِ الصَّحَارى
تَشُقُّ عَنِ الرِّمَالِ هَوًى دَفِينا
هَوى تَتَفَتَّحُ الأَكْمَامُ مِنهُ
وَتَنفحُ من بَشائِرِهِ اليَقِينَا
دُعَاءُ أبيهِ إِبراهيمَ بُشْرَى
يُرجِّعُ من صَداهَا المُرسلُونَا
تَفضٌّ على شُفوفِ الغَيبِ مَسرى
لأحمدَ يَأخذُ العَهدَ الأمِينَا

---

(١) من مقالة الدكتور صلاح الخالدي بعنون: «الرسول يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة» من مجلة «فلسطين المسلمة» عدد ٩/ سنة ١١/ أيلول ١٩٩٣.

يَؤمـــهـمُ بِســـاحِكِ ثمَّ يَمــضِي
يَشقُّ بُراقُـهُ سَــقــفًــا مَــتــينَا
دَنا شَــوقًــا فــمــاجَ مَطافُ نُورٍ
يَرقُّ بِه خُــشــوعُ الخَـاشِـعــينَا
وفُــتِّــحتِ الغُــيــوبُ لِنَاظريه
وآيَاتٌ جَــــرتْ دُنـيَـــا وَدِيـنَا

❁ ❁ ❁

خُطَى مُـوسَى عَلى الصـحــراءِ لَجت
وحَــــركتِ اللـواعِجَ والحَـنـينَـا
هَـوى الإِســلامِ لـلأقــصَى نَـدِيّ
فَطِيــبي وانعَــمي صَــحــرَاءَ سِـينَا
نـدَاكِ يَظَلُّ للإِســلام مَــغْنَى وعِطرُكِ ظَلّ نَفْـحَ المؤمنينا
أَلَستِ عـلى هُـدَى الإِســلامِ نَـايًا
يُـرجِّعُ فِــــيـكِ آيـاتٍ وَدِيـنَـا
عـلى مِـــزمَـارِ داود الـلـيــالي
يَمــوجُ خُــشــوعـهَــا رَهـبًــا ولِينَا
وتَجــري من «سُلـيــمــانَ» الغَــوَالي
بَيــانَ نُبُــوَّةٍ قطعَ الظُّنـونَـا
تَمـــر يَدُ «المســيح» على الرَّوَابي
لِتَمـسحَ مِنكِ جَـرحكِ والجُـفـونَا

جَـمـعت بِسيـدِ الرسُلِ الأمَـانِي
وبالقُـرآنِ ذكـراً مُـسـتـبـينـا
وَشَـعَّت كل رَابيـةٍ وَفَـضت
علـى لألائِهَـا الكَنزَ الثَّـمـينَا
كَـأنّ على مـباسـمـهـا دعـاءً وتُغْـضِـي في تبـتُّلِهـا الجـفـونا
أولـئـكَ لـيس مـن نَـسـبٍ إلـيـهـم
ولا رَحـمٍ يَـشُـدُّ المُدَّعـيـنَـا
سِـوى الإِسـلامِ آصـرَةً وقُـربَـى
يـوثـقُ مـن عُـراهَـا المُـؤمـنُـونَـا

❀ ❀ ❀

يَـظَـلُّ صَـدًى من الإِسـراءِ عـهـداً
يُـحَـرِّك بـين أضـلُـعـيَ الحـنـيـنـا

❀ ❀ ❀

(٣٤) ١١ ـ قبلة المسلمين الأولى بيت المقدس:

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، وبعد ما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً، ثم صُرِف إلى الكعبة»[١].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٩٦٤)، والطيالسي (١٩٢٤)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٦٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٢): «رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، والبزار ورجاله رجال الصحيح، وصححه أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» برقم (٢٩٩٣).

●وعن البراء بن عازب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ـ أو قال أخواله ـ من الأنصار، وأنه صلى قِبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاّها العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون.

فقال: أشهد باللَّه لقد صليت مع رسول اللَّه ﷺ قِبَل مكة فداروا ـ كما هم ـ قِبَل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قِبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك».

●عن البراء ـ رضي اللَّه عنه ـ في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تُحَوّل رجال وقُتلوا، فلم ندري ما نقول فيهم، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [1].

●وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن رسول اللَّه ﷺ كان يُصلي نحو بيت المقدس فنزلت: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

فمرّ رجل، وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة فنادى: ألا إن القبلة قد حُوِّلت، ألا إن القبلة قد حُوِّلت إلى الكعبة، فمالوا كما

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠، ٣٩٩، ٤٤٨٦، ٤٤٩٢، ٧٢٥٢)، ومسلم (٥٢٥)، والترمذي (٣٤٠، ٢٩٦٢)، وابن ماجه (١٠١٠)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٢٧٤، ٢٨٣، ٣٠٤)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٣٤)، والدارقطني في «السنن» (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤)، والبيهقي (٢/ ٢٢)، والنسائي.

هم نحو القبلة»(١).

●وعن عبد اللّه بن عمر ـ رضي اللّه عنهما ـ قال: «بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، جاءهم آت، فقال: إن رسول اللّه ﷺ قد أُنزل عليه الليلة، وأُمِر أن يستقبل القبلة فاستقْبِلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»(٢).

●إن نسخ القبلة الأولى لم يُلْغِ منزلتها الشرعية السامية، ولعلّ من حكمة تحويل القبلة إلى الكعبة، الإشارة إلى تفرّد الإسلام وتميّزه من الديانات الأخرى. ويكفي أن اللّه اختاره ليكون مسرى نبيه إليه، وكان الإسراء من أكبر معجزات النبي ﷺ.

(٣٥) ١٢ ـ بيت المقدس أحدِ المساجد الثلاثة التي تُشَدّ إليها الرِّحال:

●عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللّه عنه ـ قال: «ثلاث قالهنّ رسول اللّه ﷺ، أو سمعتهن منه آنقتني وأعجبتني: (**لا تسافر امرأة مسيرة يومين ولا ليلتين إلا ومعها ذو محرم أو زوجها، ولا صوم يومين، يوم النحر ويوم الفطر، ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس. ولا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا**»(٣).

(١)أخرجه مسلم (٥٢٧)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٨٤).

(٢)أخرجه البخاري (٤٠٣، ٤٤٨٨، ٤٤٩٠، ٤٤٩١، ٤٤٩٣، ٤٤٩٤...)، ومسلم (٥٢٦)، وأحمد (٢/ ١٦، ٢٦، ١٠٥، ١١٣)، والنسائي (١/ ٢٤٤)، ومالك (١/ ١٩٥)، والترمذي (٣٤١)، والبيهقي في «السنن» (٢/ ٢، ١١)، والدارمي (١/ ٢٨١).

(٣)أخرجه البخاري (١١٩٧، ١٨٦٤، ١٩٩٥)، ومسلم (٨٢٧)، والترمذي (٣٢٦)، وابن =

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى**»(١).

● وعن أبي سعيد، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهم ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، وإلى المسجد الأقصى، وإلى مسجدى هذا**»(٢) .

(٣٦) ١٣ ـ الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة :

● عن أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «تذاكرنا ـ ونحن عند رسول اللَّه ﷺ ـ أيهما أفضل أمسجد رسول اللَّه ﷺ أم بيت المقدس؟

فقال رسول اللَّه ﷺ : «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا**»(٣) .

= ماجه برقم (١٤١٠)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٧، ٣٤، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٩٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، وأبو داود (٢٠٣٢)، والنسائي (٢/ ٣٧)، وابن ماجه (١٤٠٩)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٧٨، ٥٠١).

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١٤١٠)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٣٠٩) برقم(١٤٠٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٢٤٢)، والفسوي في التاريخ (٢/ ٢٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١١٥٧).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠٩) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجّاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه إبراهيم بن طهمان في مشيخته (٦٢)، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (١٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٢٤٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨/ ٨٣) برقم(٣٨٤٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٧): رواه =

وكما هو ثابت في «الصحيح» من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»**[(١)] .

فالصلاة في المسجد الأقصى تعدل مائتين وخمسين صلاة فيما سواه من المساجد.

*** وقفة مع حديث ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ:**

عن ميمونة - مولاة النبي ﷺ - قالت: قلت: يا رسول اللَّه، أفتنا في بيت المقدس، قال: **«أرضَ المحشر والمنشر، ائتوه فصلّوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره»** قلتُ: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه؟ قال: **«فتُهدي له زيتًا يُسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»**[(٢)] .

= الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح، وقال المنذري في «الترغيب» (٢/ ٢١٧): رواه البيهقي بإسناد لا بأس به وفي متنه غرابه، وصححه الألباني في «تحذير الساجد» ص(١٩٨).

(١) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤)، ومالك في «الموطأ» (١/ ١٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٦٣)، وأبو داود (٤٥٧)، وابن ماجه (١٤٠٧)، وأبو يعلى (٧٠٨٨)، والطحاوي في «المشكل» (٦١٠، ٦١١، ٦١٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٥٤، ٥٥، ٥٦)، وفي «مسند الشاميين» (٣٤٤، ٤٧١، ٤٧٢، ١٩٤٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٤٤٨)، والبيهقي (٢/ ٤٤١)، والضياء المقدسي في «فضائل بيت المقدس» (١٧) قال ابن رجب في «فضائل الشام» ص(١٧٢): «خرّجه الإمام أحمد، وخرّجه أبو داود، ولم يذكر فيه: «فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره» وإسناده قوي؛ لأن رواته ثقات، لكن قد قيل: إن إسناده منقطع، وفي متنه نكاره».
وضعفه عبد الحق الأشبيلي، وابن القطّان الفاسي في «الوهم والإيهام» (٥/ ٥٣٥)، والذهبي، فقال في «الميزان» في ترجمة زياد بن أبي سودة - بعد أن ذكر هذا الحديث -: «هذا حديث منكر». وابن التركماني في «الجوهر النقي» (٢/ ٤٤١)، وابن حجر في «الإصابة» في «ترجمة ميمونة بنت سعد قال: «رُوي عنها حديث واحد في فضل بيت =

☐ في هذا الحديث أن الصلاة في بيت المقدس بألف صلاة في غيره، وهذا معناه أن مساوٍ لفضل الصلاة في مسجد الرسول ﷺ، ولا شك أن مسجد الرسول ﷺ أفضل بالإجماع.

(٣٧) ١٤ ـ لَنِعْمَ المصلى بيت المقدس:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المُصَلّى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا**»، وقال: «**خير له من الدنيا وما فيها**».

وفي رواية: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى في أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان لقيد سوط ـ أو قال: قوس ـ الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له ـ أو أحب من الدنيا جميعًا**»[1].



= المقدس فيه نظر. وصححه الطحاوي في «مشكل الآثار»، والعراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٦٥)، والبوصيري في «مصباح الزجاجة».

قال الألباني في «تخريج أحاديث فضائل الشام» للربعي ص(١٦): «وإسناده صحيح كما قال الحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري في «زوائده»، وقوّاه الإمام النووي في «المجموع». ثم عاد الألباني وضعفه في «ضعيف سنن ابن ماجه».

(١) سبق تخريجه.



بيت المقدس وفلسطين في التاريخ الإسلامي



بيت المقدس وفلسطين في التاريخ الإسلامي

كان حادث الإسراء والمعراج شرفًا آثر اللَّه به النبي العظيم إلى ذلكم المسجد العظيم ومنه ليرقى إلى ملأ عظيم في ليلة عظيمة. .

ولو لم يحدث في زمن النبوة ما يُشَرِّف هذا المكان إلا ذلكم الحدث لكفاه، فكيف وقد بشر النبي ﷺ بفتح الشام وبيت المقدس؟!

*** تبشير النبي ﷺ بفتح بلاد الشام وبيت المقدس:**

● عن البراء بن عازب ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «لما كان حين أمرنا رسول اللَّه ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا إلى رسول اللَّه ﷺ فجاءنا فأخذ المعول فقال:

«بسم اللَّه»، فضربها ضربة فكسر ثلثها، وقال:

«اللَّه أكبر أعطيت مفاتيح الشام، واللَّه إني لأبصر قصورها الحمر الساعة»، ثم ضرب الثانية، فقطع الثلث الآخر فقال:

«اللَّه أكبر أُعطيت مفاتيح فارس، واللَّه إني لأبصر قصر المدائن أبيض»، ثم ضرب الثالثة، وقال:

«بسم اللَّه»، فقطع بقية الحجر فقال:

«اللَّه أكبر أُعطيت مفاتيح اليمن، واللَّه إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة»[1] .

---

(١) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٠٣)، والنسائي (٦/ ٤٣ ـ ٤٤)، والبيهقي في =

●وعن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «أتيت رسول اللَّه ﷺ وهو في بناء له، فسلّمتُ عليه فقال: «عوف؟»، قلت: نعم يا رسول اللَّه! قال: «ادخل».

قلت: كُلّي أم بَعْضي؟ قال: «بل كلك» قال: فقال لي: «اعدد عوف! ستًّا بين يدي الساعة؛ أولهنّ موتي».

قال: فاستبكيت حتى جعل رسول اللَّه ﷺ يُسكتني.

قال: «قل إحدى، والثانية: فتح بيت المقدس، قل: اثنين. والثالثة: فتنة تكون في أمتي ـ وعظّمها ـ والرابعة: موتان يقع في أمتي يأخذهم كقُعاص الغنم. والخامسة: يفيض المال فيكم فيضًا حتى إن الرجل ليعطى المائة دينار فيظل يسخطها، قل: خمسًا. والسادسة: هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، يسيرون إليكم على ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفًا، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يُقال لها: الغوطة، فيها مدينة يُقال لها: دمشق»[(١)].

●وعن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: عن النبي ﷺ قال: «ست من أشراط الساعة: موتي، وفتح بيت المقدس، وموت يأخذ الناس

= «الدلائل» (٣/ ٤١٧ ـ ٤١٨). ولقد حسّن الحافظ ابن حجر إسناد الحديث في «الفتح» (٧/ ٣٩٧).

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٦)، وأبو داود (٤٢٩٣)، وابن ماجه (٤٠٤٢، ٤٠٩٥)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٢٢، ٢٥، ٢٧)، واللفظ له، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» (٤١)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٤٢)، والربعي في «فضائل الشام» (٣٠)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ١٥٥، ٩/ ٢٢٣)، وفي «الدلائل» (٦/ ٣٢٠ ـ ٣٢١)، وابن حبان في «الإحسان» (٦٦٤٠).
قُعاص الغنم: داء يأخذ الغنم، لا يُلبثها أن تموت. قاله ابن الأثير.

كقُعاص الغنم، وفتنة يدخل حرها بيت كل مسلم، وأن يعطى الرجل ألف دينار فيتسخَّطُها، وأن تغدر الروم فيسيرون في ثمانين بندًا، تحت كل بندٍ اثنا عشر ألفًا»[(١)] .

●وعن سفيان بن أبي زُهير ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تُفتح اليمن، فيأتي قوم يبُسُّون[(٢)] فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتُفتح العراق، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[(٣)] .

●وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن اللَّه استقبل بي الشام، وولّى ظهري اليمن، وقال لي: يا محمد إني جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقًا، وما خلف ظهرك مددًا، ولا يزال اللَّه يزيد ـ أو قال يعزّ ـ الإسلام وأهله، ويُنقص الشرك وأهله، حتى يسير الراكب بين كذا ـ يعني البحرين ـ لا يخشى إلا جَوْرًا، وليبلغن

---

(١) صحيح:أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٢٢)، برقم (٢٤٤، ٣٦٨).

وفيه النهاس بن قهم ضعيف، وأبو عمار شدّاد لم يسمع من معاذ ولكن للحديث شاهد من حديث عوف بن مالك مرفوعًا نحوه.

والحديث صححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٨٣).

(٢)يبسون: يسيرون.

(٣)أخرجه البخاري (١١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٨٨٧ ـ ٨٨٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٠)، والطبراني في «الكبير» (من رقم ٦٤٠٧ ـ ٦٤١٣)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٩/ ٢٦٥ برقم ١٧١٥٩)، والحميدي (٨٦٥).

هذا الأمر مبلغ الليل»[١] .

* ودعاء النبي ﷺ لأهل الشام بالهداية إلى الإيمان:

ولله ما أحلاها دعوة تخرج من أطهر فم رجاءً في هداية أهل هذه الأرض المباركة المقدسة.

● فعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يومًا، ونظر إلى الشام فقال: «**اللَّهم أقبل بقلوبهم**». ونظر إلى العراق، قال: نحو ذلك، ونظر مثل ذلك إلى كل الأفق ففعل ذلك، وقال: «**اللَّهم ارزقنا من ثمرات الأرض، وبارك لنا في مدّنا وصاعنا**»[٢] .

● وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: إن النبي ﷺ نظر قِبل العراق والشام واليمن، فقال: «**اللَّهم أقبل بقلوبهم على طاعتك، وحُطَّ عمن وراءهم**»[٣] .

● وعن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: نظر رسول الله ﷺ قِبل اليمن فقال: «**اللَّهم أقبل بقلوبهم**»، ونظر قِبل العراق، فقال:

---

(١) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٧٠ ـ ١٧١ رقم ٧٦٤٢).
وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٣٥)، و«صحيح الجامع» رقم (١٧١٢).

(٢) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ٥٧٤ رقم ٤٧٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٣٠٤): رواه أحمد والبزار وإسناده حسن.

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٧٣ رقم ١٧٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٣٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٧): رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن بحر بن بري وهو ثقة.

«اللَّهم أقبل بقلوبهم». ونظر قبل الشام، فقال: «اللَّهم أقبل بقلوبهم، وبارك لنا في صاعنا ومدنا»(١).

فبشّر النبي ﷺ بفتح الشام وبيت المقدس، ودعا بالهداية لأهلها لما لها من المكانة العظيمة في قلبه لكون تمام ملكه وأمره سيكون بها.

* اهتمام النبي ﷺ بها عملاً بعد تكريمها وتعظيمها معنى:

«بعد أن توطدت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة المنورة، وبعد أن تمّ فتح مكة المكرمة، وأعزّ اللَّه دينه فيها، وتمكن المسلمون من رفع راية التوحيد فوق ربوع الكعبة المشرّفة.. تلفتت أنظار النبي ﷺ صوب بيت المقدس في الشام ليطهرها من أدران الشرك الروماني النصراني، كما طهّر مكة من أوضار الشرك العربي الوثني، ولتبدأ بذلك الخطوة الأولى نحو الهدف الكبير، هدف تحرير الأرض المقدسة، وتكسير الآصار التي حلّت بها.

وبدأ الرسول ﷺ بفتح الطريق إلى القدس منذ السنة الخامسة للهجرة، واستمرت غزواته وسراياه إلى هذا الطريق إلى يوم وفاته لسبر غور الروم واستعدادهم، وإيصال الدعوة إلى الشام.

◻ ففي السنة الخامسة من الهجرة كانت غزوة دُومة الجندل، وكان صاحبها أُكيدر بن عبد الملك في طاعة هرقل، وهي في أقصى شمال

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٥)، و«فضائل الصحابة» (٢/ ٨٦١ رقم ١٦٠٧)، والترمذي (٣٩٣٠)، والطبراني في «الكبير» (٤٧٨٩، ٤٧٩٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٣٦).

الجزيرة على بُعد ٤٥٠ كيلو شمال تيماء.

❑ وفي السنة السادسة، ندب الرسول ﷺ عبد الرحمن بن عوف في سرية إلى دومة الجندل.

* كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وهو في بيت المقدس:

أرسل النبي ﷺ كتابًا إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام، وحمله إليه دحية بن خليفة الكلبي - رضي اللَّه عنه -، فوصل كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وهو بالقدس، في الوقت الذي جاء هرقل يحتفل بالنصر على الفرس في سنة ٦٢٨م وهو يوافق تمامًا أواخر السنة السادسة، أو أوائل السنة السابعة هـ.

ولعلّ في اختيار هذا الزمان والمكان لوصول الكتاب إلى هرقل حكمة أيّ حكمة لينبّه هرقل إلى ما وقر في قلبه أنّ ما ناله من النصر لم يكن بقوته، وإنما كان بتدبير من اللَّه فعليه أن يؤمن بما أخبر اللَّه به على لسان عيسى عليه السلام، أنه سيكون نبي يدعو إلى التوحيد، وهو مسطور عند علماء أهل الكتاب ويتوقعون مجيئه، ومن حكمة اختيار المكان المقدس إشارة إلى أن القدس سيكون أحد معاقل التوحيد، وأنه لا بد أن يكون بأيدي المسلمين أصحاب الدين السماوي الذي اشتمل على الرسالات السماوية السابقة كلها وجاء مهيمنًا عليها.

❑ وبعث النبي ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلى عظيم بصرى وحاكمها من قِبل الروم «شرحبيل بن عمرو الغسّاني»، ولكنه أوثق المبعوث رباطًا وقتله، ولم يُقتل لرسول اللَّه ﷺ رسولاً غيره.

❑ وفي السنة السابعة: كانت غزوة خيبر؛ لأن يهودها كانوا يهدّدون

الطريق إلى الشام، وفتح مع خيبر، فدك، فوادي القُرى (العلا).

وفي السنة الثامنة كانت سرية كعب بن عُمْير الغفاري إلى ذات أطلاح من ناحية الشام، وفي وادي العربة بفلسطين مكان يُدعى وادي الطلاح فقال الدّباغ: والراجح أنه موقع «ذات أطلاح» الذي استشهد فيه الصحابي كعب بن عُمير.

وفي السنة الثامنة كانت غزوة ذات السلاسل، بقيادة عمرو بن العاص، والسلاسل ماء بأرض جُذام من أقصى الشمال من الجزيرة.

وفي السنة الثامنة كانت سرية زيد بن حارثة إلى جذام بحِسْمى وراء وادي القرى (العلا) مما يلي فلسطين.

* مؤتة في جمادى الأولى ٨ هـ:

بعث النبي ﷺ إلى الشام جيشًا قوامه ثلاثة آلاف رجل فاشتبك مع الروم في مؤتة من أرض البلقاء بالشام. وكان جيش المسلمين يقوده زيد بن حارثة، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد اللَّه ابن رواحة: فلما نزلوا مُعان من أطراف الشام بلغهم أن هرقل قد نزل مآب أمامهم من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وقد انضمت إليه العناصر العربية التي تداهنه من قبائل لخم وجُذام وبلقين وبهراء وبلى من قضاعة في مائة ألف أخرى يقودهم مالك بن رافلة أحد بني إراشة من بِلى. وأقام المسلمون في معان ليلتين يتداولون أمرهم، ثم اختاروا أن يمضوا إلى المعركة ولو كانت غير متكافئة، فإن الرجوع دون معركة كان من شأنه الإبقاء على مسالك الشمال مغلقة أمام المسلمين، أما خوض المعركة ـ مهما كانت نتائجها ـ فمن شأنه أن يغير الموقف. وباب الدعوة

إلي شمال شبة الجزيرة إن كان يصفق بالسيف، فلا بد من فتحه ولو بالسيف.

واستشهد القادة الثلاثة زيد بن حارثة، أحب الناس إلى رسول اللَّه ﷺ، وجعفر الطيار ابن عمه الذي أشبه خلْقه وخُلُقه، وعبد اللَّه ابن رواحة ـ رضي اللَّه عنهم ـ وسالت دماؤهم الطاهرة بالقرب من فلسطين، وآلت القيادة إلى خالد بن الوليد فانسحب بالجيش انسحابًا موفقًا وحمد له النبي ﷺ هذا الصنيع، وقُتل في المعركة مالك بن رافلة قائد العرب الموالين للروم.

فهل هانت دماء الصحابة الأبرار أم هانت فلسطين؟!!.

هي الأرض أمٌّ أو عروس فحسبها	بفيض دم الأبرار أضحت تُعَطَّرُ
عليها دماء الصِّيدِ سالت زكيّةً	وفيها ثوى زيد العوالي وجعفرُ
فجُد بالدم الغالي على كلّ ذرّةٍ	فذوْب دمِ الأحرار مسكٌ وعنبرُ[1]

* تبوك في أول رجب ٩ هـ:

حشدت الروم جيشها للإغارة على دولة الإسلام لتضمن البقاء جاثمة على أرض بيت المقدس ممسكة بزعامة العالم النصراني من هناك، حيث الأرض التي وُلد عليها عيسى عليه السلام ومنها رُفِع، وأعدّ الرومان حشودهم ليعيدوا الكرّة، وليضربوا الإسلام في شمال الجزيرة ضربة تردّه من حيث جاء، وتوصد عليه أبواب الحدود فلا يستطيع التسرب منها إلى الأرض المقدسة.

(١) من قصيدة «شهيد العلى قد مرّ عبر ترابها» ليوسف العظم من ديوان «الفتية الأبابيل».

واستنفر النبي ﷺ المسلم . . . . ث العدو، وسار النبي بجيش العسرة ثلاثين ألفًا فيهم عشر . . . رس واثنى عشر ألف بعير، ولما بلغ الجيش تبوك لم يجد أثرًا للرومان فأقام بضع عشرة ليلة، وجاء ختام الغزوة طمأنينة وعزّة للمسلمين، فأقفل الرسول ﷺ بالجيش عائدًا إلى المدينة . . بعد أن أزال رهبة نزال الروم من قلوب المسلمين، وكسر حاجز الخوف من لقائهم.

*** عقد النبي اللواء لأسامة وهو في مرض الموت، وبعث أسامة بن زيد إلى تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين:**

بعد أن عاد ﷺ من حجّة الوداع إلى المدينة المنورة، أمر المسلمين بالتهيؤ لغزو معاقل الروم في أرض الشام، واختار لإمرة هذا الغزو أسامة بن زيد الحب بن الحب ـ رضي اللّه عنه ـ، ابن الثمانية عشرة سنة، فأمره ﷺ أن يسير إلى موضع مقتل أبيه زيد بن حارثة ـ رضي اللّه عنه ـ وأن يوطئ الخيل تخوم (البلقاء والداروم) من أرض فلسطين، وعقد له اللواء بيده في آخر يوم من صفر ١١هـ، وكان ذلك مع مبدء شكواه ﷺ من مرضه الذي توفي فيه، وتجهّز الجيش، وخرج بقيادة أسامة بن زيد إلى ظاهر المدينة فعسكر بالجرف، وفي هذه الأثناء اشتدت وطأة المرض برسول اللّه ﷺ، وتُوفي وما كُحِّلَتْ عينه ﷺ بفتح بيت المقدس.



عهد الصديق رضي اللَّه عنه

* إنفاذ بعث أسامة بن زيد ـ رضي اللَّه عنهما ـ:

أنفذ الصدّيق بعث أسامة وجموع المرتدين تحيط بالمدينة تريد أن تغير عليها، ونُصح الصديق بأن لا يرسل بعث أسامة، وأن يبقيه للدفاع عن المدينة، وأجاب الصديق: «أنا أحبس جيشًا بعثهم رسول اللَّه ﷺ ؟! لقد اجترأت على أمر عظيم! والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحبّ إليّ من أن أحبس جيشًا بعثهم رسول اللَّه ﷺ . امض يا أسامة في جيشك الذي أُمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول اللَّه ﷺ من ناحية فلسطين وعلى أهل مؤتة، فإن اللَّه سيكفي ما تركت»[١] .

وسار أسامة يسرع السير على طريق ذي المروة ووادي القرى في اتجاه أبنى وآبل الزيت من نواحي مؤتة وأغار على جذام ولخم وهزم من هناك حتى آبل في إغارة شديدة سريعة وسبى وحرّق بالنار منازلهم وحرثهم ونخلهم حتى صارت أعاصير من الدخان وأجال الخيل في نواحيهم، وقدم المدينة سالمًا غانمًا وقد غاب عنها خمسة وثلاثين يومًا. وأجلى مرتدي قضاعة، وهدد حدود الإمبراطورية الرومية.

وحين بلغ هرقل ما صنع أسامة بعملائه من العرب النازلين بأطراف إمبراطوريته، فدعا بطارقته في حمص وقال لهم: «هذا الذي حذّرتكم فأبيتم أن تقبلوه مني، قد صارت العرب تأتي من مسيرة شهر فتغير عليكم، ثم تخرج من ساعتها ولم تكْلَم»[٢] .

---

(١) ابن عساكر (١/ ٤٣٣).
(٢) أي: تُجْرح.

* **الصديق يُوَجِّه الجيوش لفتح الشام وجهاد بني الأصفر:**

وفي رجب سنة ١٢ هـ وجّه الصديق الجيوش لفتح بلاد الشام: فوجّه أبا عبيدة عامر بن الجراح إلى حمص، وولاّه إمرة الجيوش، كما أرسل يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، وشرحبيل بن حسنة لوادي الأردن، وكان عدد هذه الجيوش يقارب الاثنى عشر ألفًا، ثم أسند أبوبكر القيادة العامة لجيش الشام إلى سيف اللَّه المسلول خالد بن الوليد بعد انتهائه من قتال الفرس في العراق.

كتب عمرو بن العاص إلى الصدّيق: «إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد اللَّه الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئًا إن جاءك من ناحية من النواحي».

وكان في جيش عمرو سادات قريش وأشرافها: الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل وفي محرم سنة ١٣هـ جاء الصديق مشيعًا لجيش عمرو، وقال لعمرو: «يا عمرو إنك ذو رأي وتجربة بالأمور وبصر بالحرب، وقد خرجت مع أشراف قومك، ورجال من صلحاء المسلمين، وأنت قادم على إخوانك فلا تألهم نصيحة، ولا تدخر عنهم صالح مشورة، فرب رأي لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور».

فقال عمرو: «ما أخلقني أن أصدّق ظنك، وأن لا أقيل رأيك».

وأمر أبو بكر عمرو بن العاص أن يسلك طريق المعرقة إلى أيلة عامدًا إلى فلسطين، وقال أبو عبيدة لعمرو لما أتاه بجيشه: «يا عمرو لرب يوم لك قد شهدته فبورك فيه للمسلمين برأيك ومحضرك».

هذا عمرو بن العاص سيد من سادات الصحابة منّ اللَّه عليه، وعلى يديه فتحت معظم فلسطين.. فهل نسيه أبناء فلسطين؟

قم من ترابك يا ابن العـــاص في دمنـا
ثأر طويل لهــيب العـــار يكوينا
قم يا بلال وأذّن صـــمـــتنا عـــدمٌ
كل الذي كـان طُهـرًا لم يَعُـدْ فـينا

* فزع النصارى من الجيوش الإسلامية وبعثهم إلى هرقل ببيت المقدس:

لما رأى أهل الشام أن جيوش المسلمـين وأمدادهم تجيش عليهم من كل وجه، وأن جمـوعهم تكثر وتتزايد، بعـثوا رسلهم إلى ملكهم هرقل يعلمونه بما يحـدث ويسألونه المدد، وكان هرقـل في بيت المقدس يحج، فجمـع مجلسه وقال لهم: «أرى من الرأي ألا تقـاتلوا هؤلاء القوم وأن تصـالحوهم، فـوالله لأن تعطوهم نصف ما أخـرجت الشام، وتـأخذوا نصـفًا وتقـرّ لكم جـبـال الروم خيـر لكم من أن يغلبـوكم على الشـام ويشاركوكم في جـبال الروم. فنخر أخوه ونخر خـتنه، وتصدّع عنه من كان حـوله، فلما رآهم يعـصونه ويردون عليـه بعث أخاه وأمّـر الأمراء ووجّه إلى كل جند جندًا، وكـتب لمن أرسل إليه: «إني قد عـجبت لكم حين تستـمدونني وحين تكثرون عليّ عدد من جـاءكم من العرب، وأنا أعلم بهم وبمن جـاء منهم، ولأهل مدينة واحـدة من مدائنكم أكـثر ممن جاءكم أضعافًا مضاعفة، فالقوهم فقاتلوهم، ولا تظنوا أني كتبت إليكم بهذا وأنا أريد ألا أمدكم... لأبعثن إليكم من الجند ما تضيق به الأرض الفضاء!»[1].

---

(١) «الطبري» (٣/ ٤٠٢).

* ما أصدق فراسة الصديق بطرد الروم من بيت المقدس:

أرسل الصديق أبوبكر - رضي اللَّه عنه - إلى أبي عبيدة - رضي اللَّه عنه - في ٢٨ ذي الحجة ١٢ هـ: «بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فقد جاءني كتابك تذكر فيه تيسر عدوكم لمواقعتكم، وما كتب به ملكهم إليهم من عِدِته إياهم أن يمدّهم من الجنود ما تضيق به الأرض الفضاء.

ولعمرو اللَّه لقد أصبحت الأرض ضيقة عليه وعليهم بُرْحها بمكانكم فيهم.

وايم اللَّه ما أنا بآيس أن تزيلوه من مكانه الذي هو به عاجلاً إن شاء اللَّه، فبث خيلك في القرى والسواد، وضيّق عليهم بقطع الميرة والمادة، ولا تحاصرن المدائن حتى يأتيك أمري. فإن ناهضوك فانهد إليهم واستعن باللَّه عليهم؛ فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناك بمثليهم أو ضعفهم، وليس بكم والحمد للَّه قلة ولا ذلة، فلا أعرفن ما جبنتم عنهم، ولا ما خفتم منهم، فإن اللَّه فاتح لكم ومظهركم على عدوكم بالنصر وملتمس منكم الشكر لينظر كيف تعملون.

وعمرو فأوصيك به خيراً، وقد أوصيته ألا يضيع حقًّا يراه ويعرفه، فإنه ذو رأي وتجربة. والسلام عليكم ورحمة اللَّه».

* العربة وداثن بغزّة أول معركة للمسلمين على أرض فلسطين ٢٤ ذو الحجة ١٢ هـ:

تضافرت الروايات[١] على أن أول المواقع على أرض الشام بعد

(١) «الأزدي (٥٢)، والطبري (٣/٤٠٦)، والبلاذري (١٣٠).

سرية أسامة كانت وقعة العربة وداثن [أو داثنة] قبل قدوم خالد بن الوليد إلى الشام.

فبعد أن نزل يزيد بالبلقاء، ونزل شرحبيل نواحي بصرى، ونزل أبو عبيدة الجابية كل في جيشه، دفع الروم قوة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل يقودها سرجيوس البطريق الرومي لمدينة غزة.

● عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «كنتُ ممن سَرَّح أبو بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ مع أبي عبيدة في نفر من قومي.. فكانت أول وقعة يوم العربة والداثنة، وليسا من الأيام العظام، فخرجت إلينا ستة قوّاد من الروم مع كل قائد خمسمائة رجل فكانوا ثلاثة آلاف رجل، فأقبلوا حتى انتهوا إلى العربة، فبعث يزيد بن أبي سفيان إلى أبي عبيدة يعلمه بذلك. فبعثني إليه في خمسمائة رجل. فلما أتيته بعث معي رجلاً[1] في خمسمائة رجل، وأقبل يزيد في آثارنا في الصف. فلما رأينا الروم حملنا عليهم فهزمناهم وقتلنا قائدًا من قوّادهم، ثم مضوا وأتبعناهم، فجمعوا لنا بالداثنة[2] فسرنا إليهم، فقدّمني يزيد وصاحبي في عدتنا فهزمناهم، فعند ذلك فزعوا، واجتمعوا وأمدَّهم ملكهم»[3].

* أولى المعارك الكبرى بالشام وأول معركة على أرض فلسطين «موقعة أجنادين» السبت ٢٧ جمادي الأولى ١٣هـ:

جمع خالد بن الوليد ـ الذي لا ينام ولا ينيم ـ جيشه وقال:

---

(١) الذي نرجحه أنه كان زمعة بن الأسود قائد مقدمة يزيد.

(٢) من قرى غزة.

(٣) «الطريق إلى دمشق» ص(٢١١).

«أما بعد. فإنه بلغني أن طائفة من الروم نزلوا بأجنادين، وأنهم استعانوا بأناس وهم قليل من أهل البلد فسألوهم النصر علينا استقلالاً لمن معهم من الكثرة ذلاً ولؤمًا، واللَّه ـ إن شاء اللَّه ـ جاعل الدبرة عليهم وقاتلهم كل مقتلة، فاقصدوا بنا قصدهم».

وكتب خالد إلى أمراء الجيوش بالشام: «بسم الله الرحمن الرحيم.

أما بعد: فإنه نزل بأجنادين جموع من جموع الروم غير ذي عدد ولا قوة، واللَّه قاصمهم وقاطع دابرهم. وجاعل دائرة السوء عليهم. وقد شخصت إليهم يوم سرّحت رسولي إليكم، فإذا قدم عليكم فانهضوا إلى عدوكم رحمكم اللَّه في أحسن عدّتكم وأصحِّ نيتكم. ضاعف اللَّه لكم أجوركم وحطّ أوزاركم. والسلام عليكم ورحمة اللَّه».

وعلى الطريق ما بين بيت جبرين والرملة شهدت أجنادين أحلى الأيام.. تجمّع جمع مبارك من أفذاذ قادة المسلمين ضم كل الجيوش الإسلامية بالشام:

حضر شرحبيل بن حسنة بجيشه، وكان بأرض بصرى، ومعاذ بن جبل بجيشه، وكان بحوران، ويزيد بن أبي سفيان، وكان بالبلقاء، والنعمان بن المغيرة وكان بأرض أركه وتدمر، وعمرو بن العاص، وكان بفلسطين. تجمّع هؤلاء تحت إمرة خالد سيف اللَّه ـ رضي اللَّه عنه ـ.

❑ قال ابن إسحاق: «وكان على الروم رجل منهم يُقال له: القُبقلار استخلفه هرقل على أمراء الشام، وإليه انصرف تذراق بمن معه من الروم، فأما علماء الشام فيزعمون أنما كان على الروم تذراق واللَّه أعلم»[1].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٤١٧).

وكان عـدة الجيش الرومي بما انضم إلـيه من جمـوع أهل فلسطين والأعراب الموالين للـروم تزيد عن مائة ألف. وعدة الجـيش المسلم ثلاثة وثلاثين ألفًا.

قال ابن إسحاق: «لما تدانى العسكران بعث القُبقُلار رجلاً عربيًّا من قضاعـة، من تزيد بن حيدان يقال له ابن هـزارف، فقال: ادخل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يومًـا وليلة، ثم ائتني بخبرهم فدخل في الناس - رجل عربي لا يُنكر فأقام فيـهم يومًا وليلة، ثم أتاه فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبـان وبالنهار فرسان، ولو سـرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رُجِم لإقامة الحق فيهم.

فقـال له القبقلار: لئن كنت صـدقتني لبطن الأرض خيـر من لقاء هؤلاء على ظهرها. ولوددت أن حظي من اللَّه أن يُخلّى بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم عليّ»[1].

ويوم المعركة خرج خالد بن الوليد فـصفّ قواته فجعل أبا عبيدة ابن الجراح على المشـاة في القلب، وجعل مـعاذ بن جبل عـلى الميمنة، وجعل سعيـد بن عامر بن حذيم القرشي على الميسـرة، وبعث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل على الخيل.

للَّه درّ هؤلاء الميامين الذي قادوا أول مـعركة على ثرى فلسطين.. وشرفت بهم:

خالد الذي يعظم ويربو عند القتـال، خالد الذي لا يملأ صدره من الروم شيء كـجرأته وشـدته ونجدته، وأبـو عبـيدة أمين الأمـة في قلب

---

(١) «الطريق إلى دمشق - فتح بلاد الشام -» لأحمد عادل كمال ص(٢٧٢).

الجيش، وأعلم الأمة بالحلال والحرام معاذ علـى الميمنة، وسعيد بن عامر الزاهد الورع على الميسـرة، والمبشَّر بالجنة سعيـد بن زيد على الخيل، أو هاشم بن عتبة قاتل الأسود على الميسرة.

□ وأقبل خـالد ـ رضي اللَّه عنه ـ يسير خلال صـفوف المسلمين لا يستقـر في مكان واحد، يحرّض جنده ويحمّسـهم. وأقام نساء المسلمين خلف الجيش يبتهلن إلى اللَّه ويدعونه ويستغثنه، وكلما مرّ بهن رجل من المسلمين دفعن إليه أولادهن، وقلن له: «قاتلوا دون أولادكم ونسائكم»، كما أمرهن خالد أن يَحْتَرِمْن أي يحـرّمن على الرجال ما كان مباحًا لهن معهن فهم الآن في معركة وعدوهم قد صفّ لهم صفوفه.

□ وأقبل خالد ـ رضي اللَّه عنه ـ يقف على كل قبـيلة وكل جماعة ويقول: «اتقوا اللَّه عباد اللَّه، قـاتلوا في اللَّه من كفر باللَّه، ولا تنكصوا على أعقابكم، ولا تهنوا من عدوكم، ولكن أقـدموا كإقدام الأُسْد وأنتم أحرار كرام. فـقد أبيتم الدنيـا واستوجبـتم على اللَّه ثواب الآخرة. ولا يهلوكم ما ترون من كـثرتهم، فإن اللَّه منزل عليهم رجـزه وعقابه». ثم قال: «أيهـا الناس إذا أنا حملت فـاحملوا»، وكان خـالد أول من حمل على صفوف الروم.

وقام الصحابي الجليل معـاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قائد الميمنة في أصحابه فقال: «يا معشر المسلمين اشروا أنفسكم اليوم للَّه، فإنكم إن هزمتموهم اليوم كـانت لكم هذه البلاد دار الإسلام أبدًا مع رضوان اللَّه والثواب العظيم من اللَّه».

وكان من رأي خالد ـ رضي اللَّه عنه ـ أن يُؤخر القتال حتى يصلوا الظهر وتهب الرياح، وهي الساعة التي كـان رسول اللَّه ﷺ يستحب

القتال فيها. ولو وقف موقف الدفاع حتى تحين هذه الساعة.

وأعجبت الروم كثرتهم فبدأوا الهجوم على الميمنة حيث كان معاذ ابن جبل - رضي اللَّه عنه - فصمد المسلمون ولم يتزحزح أحد، فعادوا فشنّوا هجومًا آخر على الميسرة حيث كان سعيد بن عامر فصمد لهم المسلمون أيضًا... فرمى الروم المسلمين بالنشاب وخالد - رضي اللَّه عنه - لا يريد أن يهاجمهم حتى ناداه سعيد بن زيد، وكان من أشد الناس، وهو قائد سلاح الفرسان يومئذٍ، فصاح بخالد قائلاً: «عَلَام نستهدف لهؤلاء الأعلاج وقد رشقونا بالنشاب حتى شمست[1] الخيل؟».

فأقبل خالد - رضي اللَّه عنه - إلى خيل المسلمين، وقال لهم: «احملوا - رحمكم اللَّه - على اسم اللَّه»، وحمل خالد على الروم وحمل المسلمون معه بأجمعهم على طول الصف، فقد سئموا الوقوف، وكانت معنوياتهم مرتفعة وصبروا مختارين لهجوم الروم عليهم مرتين... على ميمنتهم مرة، ثم على ميسرتهم، ثم صبروا لرشق نبالهم، والآن صدر الأمر فانطلق الجيش المتحمِّس المكبوت فما صبر الروم لهم فَوَاقًا[2] على حد تعبير الرواة، وانهزموا هزيمة شديدة وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا وأصابوا معسكرهم وما حوى.

وفي رواية الطبري عن ابن إسحاق: «... فلما رأى القبقلار [قائد الروم] ما رأى من قتال المسلمين قال للروم: لفّوا رأسي بثوب. قالوا: لِمَ؟ قال: يوم البئيس لا أحب أن أراه ما رأيت في الدنيا يومًا أشدّ من

---

(١) شمست الخيل: امتنعت ظهورها عن الركوب.

(٢) الفواق ما بين الحلبتين من الوقت. وقيل ما بين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع، والمراد: الزمن القصير.

هذا. فاحتز المسلمون رأسه، وإنه لملفف». وانتهى خبر الهزيمة إلى هرقل فنُخِب في قلبه، وأسقط في يده وملئ رعبًا.

سلوا قبقلار الروم لِم لَفّ وجهه وحزّ له الأحناف رأسًا تندّرُ

وكتب خالد إلى أبي بكر:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على المشركين.

أما بعد:

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإني أخبرك أيها الصدّيق أنا التقينا نحن والمشركون، وقد جمعوا لنا جموعًا جمّة كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صُلُبَهم ونشروا كتبهم وتقاسموا بالله لا يفرّون حتى يفنون، أو يخرجونا من بلادهم. فخرجنا إليهم واثقين بالله متوكلين على الله، فطاعنّاهم بالرماح، ثم صرنا إلى السيوف، فقارعناهم في كل فجّ وشِعْب وغائط. فأحمد الله على إعزاز دينه، وإذلال عدوّه وحسن الصنع لأوليائه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ولما قرأ الكتاب أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فرح به وأعجبه، وقال: «الحمد لله الذي نصر المسلمين وأقرّ عيني بذلك».



* فتح غزة على يد عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أيام الصديق ـ رضي الله عنه ـ:

□ وتمخّضت ملاحم النصر عن فتح عدة مدن بفلسطين منها نابلس وعسقلان والرملة وعكا واللد.

وفتح عمرو بن العاص مدنًا أخرى منها يافا ورفح.

«وجاء في فتوح البلدان أن عمرو بن العاص قد فتح غزة في عهد أبي بكر»[١].

«وبهذا مهّدت الجيوش الإسلامية في خلافة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ الطريق للزحف نحو بيت المقدس»[٢].

[وتم لعمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ فتح كل مدن فلسطين وأشهرها غزة، و«سبسطية» و«نابلس»، و«اللدّ» و«يبنى» و«عمواس» و«بيت جبرين» و«يافا» و«رفح»][٣].

ولم تبق هناك إلا «قيسارية» فتحها معاوية كما سيأتي.



---

(١) «الطريق إلى دمشق» ص(٥١٥).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(٨٤ ـ ٨٥).

(٣) «عمرو بن العاص» لبسام العسلي ص(٣٥ ـ ٣٦) ـ دار النفائس.

في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

* «رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب»...

غلبه عمرو... لله درّ عمرو!

حادثة أرطبون الروم مع عمرو ذكر الرواة أنها كانت في أجنادين... وممن ذهب إلى هذا الأستاذ بسّام العسلي في كتابه «عمرو ابن العاص» ص(٣٢ ـ ٣٣)، وذهب الأستاذ أحمد عادل كمال في كتابه «الطريق إلى دمشق» ص(٥٢٤) إلى أن ذلك في حصار بيت المقدس.

«كان الروم في حصونهم وخنادقهم وعليهم أرطبون، وكان أدهى الروم، وأبعدهم غورًا وأنكاهم فعلاً، وأقام عمرو لا يقدر من أرطبون على سقطة، ولا تشفيه الرسل، فولِي الأمر بنفسه، ودخل على أرطبون كأنه رسول من قبل «عمرو» فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمّل حصونه حتى عرف ما أراد.

وشعر أرطبون بألمعية عمرو، وهو لا يعرفه، فقال في نفسه: إن هذا لعمرو، أو إنه الذي يأخذ عمرو برأيه، وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله، ثم دعا واحدًا من حرسه وأسرّ إليه بقتله، قال: اخرج فقم مكان كذا وكذا، فإذا مرّ بك فاقتله. وفَطِن عمرو لما يُدَبَّرُ له.

قال عمرو: قد سمعت مني وسمعتُ منك، فأمّا ما قلته فقد وقع مني موقعًا، وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكانفه[1] ويشهدنا أموره فأرجع فآتيك بهم الآن، فإن رأوا في الذي

(١) نكانفه، أي: نعاونه.

عـرضت مثل الذي أرى فـقـد رآه أهل العسـكر والأميـر، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم، وكنت على رأس أمرك. فقال أرطبون: نعم. ودعا رجلاً فأسرّ إليه، وقـال: اذهب إلى فلان فردّه إليّ. فرجع إليه الرجل، وقال لعمرو: انطلق فجئ بأصحابك، فخرج عمرو وقال: لا أعود لمثلها أبدًا. وعلم أرطبون أن عـمرو بن العاص قـد خدعه، فقـال: «خدعني الرجل! هذا أدهى الخلـق». وبلغت عـمـر بن الخطاب، فـقـال: غلبـه عمرو، للَّه عمرو![1].

وعند الطبـري: «قال عمـر: رمينا أرطـبون الروم بأرطبـون العرب فانظروا عما تنفرج».

وكان عمرو كثيرًا ما يردد بعد ذلك: «لا والذي نجّاني من أرطبون».

* مِن أرطبون إلى عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ:

«ما إن استقرّ أرطبون في «إيلياء» حتى كتب إلى عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ بأجنادين رسالة جاء فيها:

«إنك صديقي ونظيري؛ أنت في قومك مثلي في قومي، ووالله لا تفتـتح من فلسطين شيـئًا بعد أجنادين؛ فـارجع ولا تَغز فتـلقى ما لقي الذين من قبلك من الهزيمة».

◻ وأجابه عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ:

«جـاءني كتـابك، وأنت نظيري ومـثلي في قـومك، لو أخطأتك خـصلة تجاهلت فـضيلتي، وقـد علمت أني صـاحب فتح هذه البـلاد،

---

(١) «تاريخ الطبري» (٣/ ٦٠٥)، و«الطريق إلى دمشق» ص(٥٢٤).

وأستعدي عليك فلانا وفلانًا وفلانًا ـ لوزرائه ـ فأقرئهم كتابي، ولينظروا فيما بيني وبينك»[١] .

* عمرو ـ رضي الله عنه ـ وفلسطين:

بعد مرج الصفر أمر أبو عبيدة عَمْرًا بأن يسير إلى الأردن وفلسطين، وأن يغير على أطراف الرساتيق «القرى» بالخيل ويصالح مَنْ يُصالح، ونهاهُ عن أن يقدم على المدن والحصون والجموع، ولمّا بلغ عمرو أرض الأردن وفلسطين أقام على أهلهما القيامة وضيّق عليهم أشد التضييق، فرعب الروم وأشفقوا على مدائنهم أن تسقط في أيدي المسلمين، فاجتمع مَن كان بها من الروم، ونزلوا من حصونهم، وانضم إليهم كثير من الأهالي ومن نصارى العرب فكثر جمعهم، وكتبوا إلى هرقل وهو بأنطاكية يطلبون منه المدد، فبعث إلى ذلك الجيش العشرة آلاف الذين ببعلبك أن يسيروا إليه».

وكتب عمرو بن العاص إلى أبي عُبيدة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد:

فإن الروم قد أعظمت فتح دمشق واجتمعوا من نواحي الأردن وفلسطين فتكاتبوا وتواثقوا وتعاهدوا ألا يرجعوا إلى النساء والأولاد حتى يخرجوا العرب من بلادهم، واللَّه مكذب قولهم وأملهم ولن يجعل اللَّه للكافرين على المؤمنين سبيلاً. فاكتب إليّ برأيك في هذا الحدث، أرشد اللَّه أمرك وسدّدك وأدام رشدك، والسلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته».

---

(١) «سلسلة مشاهير قادة الإسلام ـ عمرو بن العاص ـ» لبسام العسلي ص(٣٤).

فأرسل إليه أبو عبيدة مددًا من ٢٨٠٠ رجل فصارت عدة جيش المسلمين ٥٣٠٠ عليهم عمرو بن العاص.

ولما نفر الروم إلى المسلمين برًّا وبحرًا، وجيّش هرقل جيوشه من أنطاكية قُبيل موقعة اليرموك بقليل جرّأ ذلك أهل إيلياء والأردن على عمرو وعلى من قِبله من المسلمين، وتراسلوا وتواثقوا وتعاقدوا ليسيرون إلى عمرو، فقام عمرو في جيشه، وقال: «لا يبقين رجل من أهل عهدنا إلا وتهيأ واستعد حتى يسير معي إلى أهل إيلياء؛ فإني أريد المسير إليهم والنزول بساحتهم، ثم لا أزايلهم[1] حتى أقتل مقاتلتهم وأسبي ذراريهم، أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون».

وأسقط في أيدي أهل إيلياء وكانوا من ذلك في هول شديد.

* إنذار من عمرو إلى أهل إيلياء: . . . للَّه در عمرو:

أرسل عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

من عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء. سلام على من اتبع الهدى وآمن باللَّه العظيم الذي لا إله إلا هو، ومحمد ﷺ، أما بعد فإنا نثني على ربنا خيرًا، ونحمده حمدًا كثيرًا كما رحمنا بنبيه، وشرّفنا برسالته وأكرمنا بدينه، وأعزّنا بطاعته، وأكرمنا بتوحيده والإخلاص بمعرفته، فلسنا ـ والحمد للَّه ـ نجعل له ندًّا ولا نتخذ من دونه إلهًا، لقد قلنا إذن شططًا، سبحانه وبحمده جلّ ثناؤه.

والحمد للَّه الذي جعلكم شيعًا، وجعلكم في دينكم أحزابًا بكفركم

(١) أي: لا أفارقهم.

بربكم فكل حزب بما لديهم فرحون، فمنكم من يزعم أن للَّه ولدًا، ومنكم من يزعم أن اللَّه ثاني اثنين، ومنكم من يزعم أن اللَّه ثالث ثلاثة فبُعدًا لمن أشرك باللَّه وسُحقًا، وتعالى اللَّه عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا. والحمد للَّه الذي قتل بطارقتكم، وسلب عزكم، وطرد من هذه البلاد ملوككم، وأورثنا أرضكم ودياركم وأموالكم وأذلكم بكفركم باللَّه وترككم ما دعوناكم إليه من الإيمان باللَّه ورسوله، فأعقبكم اللَّه الجوع والخوف والذل بما كنتم تصنعون. فإذا أتاكم كتابي هذا فأسلموا تسلموا، وإلا فأقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتابًا أمانًا على دمائكم وأموالكم وأعقد لكم عقدًا تُؤدن إليّ الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإلا فواللَّه الذي لا إله إلا هو لأرمينكم بالخيل بعد الخيل وبالرجال بعد الرجال، ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل المقاتلة وأسبي الذرية، وتكونون كأمّة كانت فأصبحت كأنها لم تكن»[1].

وهذه لهجة شديدة من عمرو لقوم نقضوا عهودهم، أو هم على وشك الانتقاض، وعلى الطريق إليه جيش لم تجمع الروم مثله من قبل.

وأعطى عمرو الكتاب إلى رجل نصراني على دينهم، وقال له: عجّل عليّ فإني إنما أنتظرك. وقدم عليهم الرجل فقالوا له: ويحك، ما وراءك؟

قال: لا أدري إلا أن الرجل قد بعثني إليكم بهذا الكتاب، وقد وجّه عسكره نحوكم. وقال ما يمنعني من المسير إليهم إلا انتظاري رجوعك.

قالوا له: أنظرنا[2] ساعة من النهار، فإنا ننتظر عيونًا لنا تقدم علينا

---

(١) «الأزدي» ص(١٦٥).

(٢) أي: أجِّلنا.

من قِبل أمير العرب الذي بدمشق، ومن قِبل جند الملك الذي قد أقبل إلينا فننظر ما تأتينا به، فإن ظننا أن لنا بالعرب قوة لم نصالحهم، وإن خشينا ألا نقوى عليهم صنعنا ما صنع أهل الأردن وغيرهم، فما نحن إلا كغيرنا من أهل الشام.

فأقام الرجل حتى أمسى، وجاءتهم الأخبار بقدوم باهان في جيش هرقل يقود ثلاثمائة ألف مقاتل لقتال المسلمين، فتباشر أهل إيلياء بذلك، وسرّوا به، ودعوا العلج الذي بعث به عمرو بن العاص فبعثوا معه برسالة إلى عمرو: «أما بعد، فإنك كتبت إلينا كتابًا تزكي فيه نفسك وتعيب ما نحن عليه، والقول بالباطل لا ينفع به أحد نفسه، ولا يضرّ به عدوه، وقد فهمنا ما دعوتنا إليه، وهؤلاء ملوكنا وأهل ديننا قد جاءوكم، فإن أظهرهم اللَّه عليكم فذلك بلاؤه عندنا في القديم، وإن ابتلانا بظهوركم علينا فلعمري لنقرنّ لكم بالصغار، وما نحن إلا كمن ظهرتم عليهم من إخواننا، ثم دانوا لكم فأعطوكم ما سألتم»[(١)] .

◻ «وكتب عمرو إلى عمر يستمده، ويقول له: «إني أعالج حربًا كؤدًا صدومًا، وبلادًا ادُّخرت لك، فرأيك». فلما وصل الكتاب إلى عمر - رضي اللَّه عنه - علم أن عمرًا لم يقل ذلك إلا لأمرٍ علمه، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس»[(٢)] .

* حصار أمين هذه الأمة ومعه أرطبون العرب لبيت المقدس :

لما فرغ أبو عبيدة من دمشق كتب إلى أهل إيلياء يدعوهم إلى اللَّه

(١) «الطريق إلى دمشق» بتصرف ص(٤٢٣).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٦).

وإلى الإسلام، أو يبذلون الجزية، أو يؤذنون بحرب. فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه، وحاصر عمرو بن العاص بيت المقدس، وفرغ أبو عبيدة ابن الجرّاح من تطهير شمال الشام، فولّى عبادة بن الصامت حمص، وسار بجيشه، وحاصر بيت المقدس وضيّق عليهم، وكان أهل بيت المقدس قد طال حصارهم الذي استمر أربعة أشهر، وأدركوا أن لا مفرّ من التسليم، فطلبوا من أبي عبيدة أن يصالحهم على مثل صُلح مدن الشام، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ـ رضي اللَّه عنه ـ.

* عَوْدٌ على بدء...

وتفصيل لما كان من أمر أبي عبيدة وحصاره للقدس:

وحدثتني عنهم فزدتني جوًى... وهل يُمَلّ حديثهم.. واللَّه إنه لبرءُ أسقامنا ودواء أوصابنا...

كتب أبو عبيدة أمين الأمة إلى أهل إيلياء:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم

من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيليا وسكانها.

سلام على من اتبع الهدى وآمن باللَّه تعالى ورسوله.

أما بعد:

فإني أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن اللَّه يبعث من في القبور. فإن شهدتم بذلك حُرِّمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخوانا. وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أنتم أبيتم سرتُ إليكم بقوم هم أشد حبًّا للموت منكم لشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير،

ثم لا أرجع عنكم إن شاء اللَّه أبدًا حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم».

ثم إن أبا عبيدة بن الجراح انتظر أهل إيليا فأبوا أن يأتوه وأن يصالحوه[1]، وعندها حشد القائد أبو عبيدة (٣٥) ألفًا بإمرة سبعة قوّاد إلى بيت المقدس.

- فالراية الأولى لخالد بن الوليد على خمسة آلاف فارس من خيل الزحف في اليوم الأول.

- ثم في اليوم التالي الراية الثانية ليزيد بن أبي سفيان على خمسة آلاف وأمره أن يلحق بخالد.

- ثم في اليوم الثالث الراية الثالثة لشرحبيل بن حسنة، على خمسة آلاف فارس من أهل اليمن. وأمره بألاّ يختلط بعسكر من تقدمه.

- الراية الرابعة للمرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، على خمسة آلاف مع جمع من المسلمين.

- والراية الخامسة للمسيب بن نجيِّة الفزاري على خمسة آلاف فارس، ثم في اليوم السادس كانت الراية لقيس بن هبيرة المرادي على خمسة آلاف فارس. وفي اليوم السابع كانت الراية السابعة لعروة بن مهلهل بن زيد الخيل على خمسة آلاف.

وصحبت النساء هذا الجيش وساروا إلى طبريا فالناصرة فنابلس فالقدس في مسافة بلغت ٣١٠ كيلو متر.

ولما حاصرت الجيوش المدينة امتلأ الجوّ بالتهليل والتكبير، ومضت

---

(١) «إتحاف الأخصّا بفضائل الأقصى» لأبي عبد اللَّه المنهاجي السيوطي (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) مكتبة ابن الجوزي.

ثلاثة أيام على الحصار ولم يخرج أحد من الروم يفاوض العرب، وظهر للعرب أن الروم مهتمون بتحصين الأسوار من الداخل ونصب المنجنيقات عليها.

وفي اليوم الرابع قال فارس لشرحبيل: كأن هؤلاء القوم صم فلا يسمعون، أو بكم فلا ينطقون، أو عمي فلا يبصرون.

وفي فجر اليوم الخامس كان أول من ركب من الأمراء لسؤال أهل «إيليا» يزيد بن أبي سفيان فدنا من السور ومعه ترجمان، وجرى أول اتصال بين العرب والروم قبل أن يطلق أي سهم، وعُرضت مبادئ الإسلام في المفاوضات: الإسلام، أو الصلح، أو القتال. فرفض الروم الشروط فرجع يزيد إلى الأمراء بالجواب. فقالوا: إذن القتال، فمنعهم منه؛ لأن أبا عبيدة لم يأذن لهم فيه إلا بعد أن يُراجع، فكتبوا إليه فأجابهم بمباشرة القتال، وأنه قادم عليهم.

فأول من برز للقتال شرحبيل بن حسنة ورجال اليمن، ثم اقتحم كل جيش الأسوار من الناحية التي هو عليها وفق تعليمات أبي عبيدة.

ونقل الواقدي[1] أخبار من شهدوا الفتح فقالوا إن النشاب كان كالجراد واستمر هذا حتى الغروب ولكن على غير طائل، وفي الليل أوقدت النيران العظيمة. واستؤنف القتال في اليوم التالي ولا نتيجة، وهكذا حتى اليوم الحادي عشر. فأشرقت على العرب راية أبي عبيدة يحملها غلامه سالم، ومعه عبد الرحمن بن أبي بكر والنساء.

---

(١) الواقدي: إمام المغازي كما قال الشافعي، وإن كان ضعيفًا عند المحدثين. وأصله من القدس.

وكان لوصول أبي عبيدة ضجّة بلغت داخل الأسوار فعلم الروم أن أمير الجيش قد حضر. ووقع الرعب في قلوب الروم، وذهبوا إلى البطريرك فأخبروه بمقدم أمير القوم.

- قال الواقدي:

- قال البطريرك: «وحق الإنجيل إن كان قدم أميرهم فقد دنا هلاككم والسلام.

قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنا نجد في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين أن الذي يفتح الأرض في الطول والعرض هو الرجل الأسمر الأحور المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد، فإن كان قدم فلا سبيل لقتاله، ولا طاقة لكم بنزاله، ولا بد لي أن أشرف عليه، وأنظر إليه، وإلى صورته، فإن كان إياه عمدت إلى مصالحته، وأجبته إلى ما يريد، وإن كان غيره فلا نسلّم إليه قط، لأن مدينتنا لا تُفتح إلا على يد من ذكرته لكم والسلام»[1] .

فوثب البطريرك ومن معه من القساوسة والرهبان، ليتحققوا من شخصية الأمير، فعرفوا أنه ليس عمر، وقال لبني قومه: «ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم»[2] وأقبلوا فقاتلوا قتالاً شديدًا، واستمر النزال والحصار لهذه المدينة المقدسة أربعة أشهر، وقد أظهر المسلمون بطولة وشجاعة نادرتين، فقاتلوا قتالاً شديدًا، وصبروا على البرد القارس والثلج والمطر.

- ويروي الواقدي مثالاً من استبسال المسلمين وهو أن ضرار بن

---

(١) فتوح الشام للواقدي (١/ ٢١٦).

(٢) المرجع السابق.

الأزور أراد أن يرمي بطريقًا واقفا على السور وقد ظفر بذلك.

وكان عـوف بن مـهلهل ينظر إلى ضرار وهو يحـاول مراده. قـال عوف: فنظرت إلى ضرار وقد قصد نحـو البطريق يختفي ويستتر إلى أن قرب مـن البرج الذي عليـه البطريق، ثم أطلق عليـه نبلة، فنظرت إلى النبلة مع علو هذا الجـدار، فقلـت: [illegible] مع هذا العلوّ ومـا الذي تصنع وعلى البطريق هذه اللاّمة[1]

فأقسم باللَّه لقـد وقعـت في [illegible] [illegible] إلى أسفل البـرج فسمعت للقوم ضجّة وجولة هائلة فعلمت [illegible]

ولما رأى الروم حالهم تض[illegible] [illegible]لا مدد يأتيهم من الخارج طلبوا من البطريرك مفاوضة العرب ابتغاء الفرج، فأجاب البطريرك إلى ذلك، فاشتمل بلباسه وصعد السور وحوله الرهبان والقسوس وكلهم بمظهر مهيب.

وقـال البطريرك: «ماذا تريدون منـا في هذه البلدة المقدسـة، ومن قصدها يوشك أن يغضب اللَّه عليه ويهلكه».

فقال أبو عبيدة: «نعم إنها شريفة، وفيها أسري بنبينا ﷺ إلى السماء ودنا كقـاب قوسين أو أدنى، وإنها معدن الأنبياء وقبـورهم فيها، ونحن أحق منكم بها، ولا نزال عليهـا، أو يملّكنا اللَّه إياها، كما ملكنا غيرها».

قال البطريرك: فما الذي تريدون منا؟

وتقدّم أبو عـبيدة فـعرض الشروط الثـلاثة: فكانت النتيجـة كأول مرة، وكان آخر جواب البطريرك: «إنكم لو أقـمتم علينا عشرين سنة ما

---

(١) درع الحرب.

فتحتم هذه البلدة»، واتسعت المفاوضات، ولما رأوا إصرار المسلمين على القتال وعزمهم الأكيد على فتح المدينة أذعنوا للصلح وتسليم المدينة، ولكنهم اشترطوا ألاّ يُسلّموها إلا لصاحب محمد عمر، فوافقهم أبو عبيدة[١].

وكتب أبو عبيدة ـ رضي اللَّه عنه ـ إلى عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد اللَّه عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ من أبي عبيدة بن الجراح.

سلام عليك.

فإني أحمد اللَّه تعالى إليك الذي لا إله إلا هو.

أما بعد:

فإنا أقمنا على أهل إيليا وظنوا أن لهم في مطاولتهم فرجًا فلم يزدهم اللَّه إلا ضيقًا ونقصًا وهزلاً وذلاً، فلما رأوا ذلك سألوا أن يقدم أمير المؤمنين فيكون هو الموثق لهم والمكاتب فخشينا أن يقدم أمير المؤمنين فيغدر القوم، ويرجعوا فيكون سيرك أصلحك اللَّه عناء وفضلاً، فأخذنا عليهم المواثيق المغلّظة بأيمانهم ليقبلنّ وليؤدن الجزية وليدخلنّ فيما دخل فيه أهل الذمة ففعلوا، فإن رأيت أمرك. والسلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته».

فلما قدم الكتاب على عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ دعا رؤساء المسلمين

---

(١) انظر كتاب «القدس تناديكم» للمقدم الركن أحمد عبد ربه بصبوص ص(١٣٦ ـ ١٣٩) ـ دار البشير، وكتاب «بيت المقدس وما حوله» للدكتور محمد عثمان بشير ص(٦٤ ـ ٦٥) مكتبة الفلاح.

إليه وقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة - رضي اللَّه عنه - واستشارهم في الذي كتب إليه، فقال له عثمان - رضي اللَّه عنه -: «إن اللَّه تعالى قد أذلّهم وحصرهم، وضيّق عليهم، وهم في كل يوم يزدادون نقصًا وهزلاً وضيقًا ورعبًا، فإن أنت أقمت، ولم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخفًّا، ولشأنهم حاقرًا غير معظم فلا يلبثون إلا قليلاً حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية. فقال عمر - رضي اللَّه عنه -: ماذا ترون، عند أحدكم رأى غير هذا الرأى؟

فقال علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه -: نعم عندي غير هذا الرأي، قال: ما هو؟ قال: إنهم قد سألوا المنزلة التي فيها الذل لهم والصغار، وهو على المسلمين فتح ولهم فيه عز يعطونكها الآن في العاجل في عافية، وليس بينك وبين ذلك إلا أن تقدم عليهم ذلك في القدوم عليهم الأجر في كل ظماء ومخمصة، وفي كل واد وفي كل نفقة حتى تقدم عليهم، فإذا أنت قدمت عليهم كان الأمن والعافية والصلاح والفتح، ولست آمن إن يئسوا من قبولك الصلح منهم أن يتمسكوا بحصنهم فيأتيهم عدو لنا أو يأتيهم منهم مدد فيدخل على المسلمين بلاء، ويطول بهم حصار فيصيب المسلمين من الجهد والجزع ما يصيبهم، ولعلّ المسلمين يدنون من حصنهم فيرشقونهم بالنشاب ويقذفونهم بالمناجيق، فإن أصيب بعض المسلمين تمنّيتم أنكم افتديتم قتل رجل واحد من المسلمين بمسيرك إلى منقطع التراب وكان لذلك المسلم من إخوانه أهلاً.

□ فقال عمر - رضي اللَّه عنه -: قد أحسن عثمان النظر في مكيدة العدو، وأحسن عليّ النظر لأهل الإسلام فجزاهما اللَّه خيرًا ولست آخذ إلا بمشورة علي، سيروا على اسم اللَّه فإني ساير واستخلف على المدينة

علي بن أبي طالب[١] .

وخرج عمر على بعير أحمر وعليه غرارتان في أحدهما سويق، وفي الآخر تمر، وبين يديه قربة ماء وخلفه جفنة للزاد[٢] ، ومعه خادمه أسلم والعباس بن عبد المطلب، ولما أطلّ عمر على جبل المكبِّر كبّر، وخرج أبو عبيدة والأمراء لاستقبال الخليفة، وضُربت له خيمة من شعر وهذا ما أكّدته رواية الواقدي، وجلس على التراب ثم قام يصلي، وعلت للمسلمين ضجّة عظيمة بالتهليل والتكبير، فسمع أهل بيت المقدس الضجّة والجلبة.

□ثم بعد ذلك قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ لأبي عبيدة: يا عامر، تقدّم إلى القوم وأعلمهم أني قد أتيت». فتقدم أبو عبيدة من السور وصاح بهم:

«إن صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد؛ فماذا تصنعون فيما قلتم؟».

بعد ذلك خرج البطريك وعليه المسوح وبين يديه الصليب والأساقفة والرهبان، والصليب لا يُخرجونه إلا في عيدهم.

فتقدم أبو عبيدة فقال له البطريك: «ما تشاء أيها الشيح الباهي؟».

فقال أبو عبيدة: «هذا أمير المؤمنين عمر ليس عليه أمير قد أتى، فاخرجوا إليه واعقدوا معه الأمان والذمة وأداء الجزية»، فقال البطريك: إن كان صاحبك الذي ليس عليه أمير قد أتى فدعْه يدنو منا ـ وأفردوه من بينكم ليقف بإزائنا حتى نراه.

---

(١) «إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى» (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠).
(٢) الواقدي: «كتاب فتوح الشام».

فَهمّ عمـر بالقيام، فقـال له أصحابه: «تخرج إليـهم منفردًا وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة؟ وإنا نخشى عليك منهم غدرًا ومكرًا»، فقال عمر: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

ثم أمر ببعيره، فاستـوى عليه، وعلى رأسه عباءة قطوانية[١] وقـد عبّ بها رأسه، وليس معـه غير أبي عبيدة يسـير بين يديه حتى قرب من السور ووقف بإزاء البطريرك والبطارقة.

ثم قام البطريرك يمسح عينيه، ونادى بأعلى صوته: انزلوا اعقدوا معه الأمان، هو صاحب محمد، ففتحت الأبواب ودخل عمر والأمراء إيلياء».

دخل عمر القدس يوم ٢٥ ربيع أول عام ١٥هـ، ودخلت من ورائه الجيوش الإسلامية وراياتهم فوق الرؤوس»[٢].

نعم.. نعم.. يسير الفاروق لفتح القدس.. ولو إلى آخر البسيطة.

نعـم أمـشي إليك على جـفـوني ... ولو بعــدت لمســراك الطريــق

يسير في هذا الموكب الخالد: بعيـره، وجفنته، وتمره، وقربة مائه، وخادمه أسلم يتعاقب معه ركـوب الدابة، ولكنه يجرّ خلفه أمجاد النصر على فارس، واليرموك وفتح دمشق وحـمص وأنطاكية واللاذقية وبعلبك وطبرية وبيسان وسبسطية ونابلس وأجنادين وغزة ورفح.

يعلّم الدنيا دروسًـا وعظـات لا تأتي إلا من مثـل عـمر الزاهـد، وأبي عبيدة الأمين .

(١) نسبة إلى مكان قرب الكوفة مشهورة بصنع الأكسية.
(٢) «القدس تناديكم» للمقدم الركن أحمد عبد ربه بصبوص ص(١٤١ ـ ١٤٢).

صفحات مجد في الخلود سطورها أضاء الزمان بها بغير جدال

* القدس تُسلّم للأمين الزاهد، ويُضيّعها الخونة المترفون:

وهكذا سلّمت القدس للأمين.. أمين هذه الأمة.. ولا تُسلِّم أبدًا أمرها إلا لأمين يسير على درب أبي عبيدة. يفتحها الأمناء، ويضيّعها ويفرّط فيها الخونة.

□ سلّمت القدس للزاهد أبي عبيدة ـ رضي اللَّه عنه ـ الذي لا يكترث بمتاع الدنيا.

أرسل إليه عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار، وقال لرسوله: «انظر ما يصنع» فقسّمها أبو عبيدة، فلما أخبر عمر رسولهُ بما صنع أبو عبيدة بالمال، قال: «الحمد للَّه الذي جعل في الإسلام مَن يصنع هذا!!»[1].

ولما قدم عمر الشام، تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: «أين أخي؟». فقالوا: مَنْ؟ قال: «أبو عبيدة»، قالوا: يأتيك الآن، فجاء على ناقة مخطومة بحبل، فسلّم عليه، فقال عمر للناس: «انصرفوا عنا»!، وسار مع أبي عبيدة حتى منزله فنزل عليه، فلمْ يرَ في بيته إلا سيفه وترسه، فقال عمر: «لو اتخذت متاعًا» ـ أو قال شيئًا ـ فقال أبو عبيدة: «يا أمير المؤمنين، إن هذا سيُبلغنا المقيل»[2].

وفي رواية أن عمر قال: «اذهب بنا إلى منزلك يا أبا عُبيدة»، فقال له: «وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٤١٣).

(٢) «الإصابة» (٤/ ١٢)، و«أسد الغابة» (٣/ ٨٦).

عليّ!». ودخل عمر فلم ير في البيت شيئًا، فقال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبدًا، وصحفة، وشنًّا وأنت أمير!، أعندك طعام؟ فقام أبو عُبيدة إلى جونة[1] فأخذ منها كُسَيْرات، فبكى عمر، فقال له أبو عبيدة: قلت لك: إنك ستعصر عينيك عليّ يا أمير المؤمنين! يكفيك من الزاد ما بلَّغك المحل!! فقال عمر: «غيّرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عُبيْدة»!

وضيّعها المترفون الذين أثروا على حساب القدس.. أصحاب السيجار، وكازينو القمار، والقصور في الريف الإنجليزي وشواطئ الريفيرا.. وسل أول وزارة فلسطينية كم سرقت واختلست.

ضيّعها الخونة الذين بدّلوا الراية.. من إسلامية إلى علمانية.. فهانت القدس في أعين الغوغاء والدهماء.

مَن باعنا خبّروني كلهم صمتوا
والأرض أضحتْ مزادًا للمرابينا

* فتح بيت المقدس على يد الفاروق عمر - رضي الله عنه -:

في سنة خمس عشرة ذكر أبو جعفر بن جرير أن أبا عبيدة حاصر بيت المقدس وضيّق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك، فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب ليكون أحقر لهم، وأرغم لأنوفهم. وأشار علي بن أبي طالب بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم، فهوى ما قال عليّ، ولم يهوَ ما

(١) القربة الخَلِق.

قال عثمان.

وسار بالجيوش نحوهم، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب وسار بالعباس بن عبد المطلب على مقدمته، فلما وصل إلى الشام تلقّاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، فترجّل أبو عبيدة وترجّل عمر، فأشار أبو عبيدة ليقبّل يد عمر فَهَمّ عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة، فكفّ أبو عبيدة فكفّ عمر. ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول اللَّه ﷺ ليلة الإسراء.

ويُقال: إنه لبّى حين دخل بيت المقدس فصلّى فيه تحية المسجد بمحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل عِلى مكانها من كعب الأحبار، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه فقال: ضاهيت اليهودية. ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس، وهو العمري اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وسخّر أهل الأردن في نقل بقيتها، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة؛ لأنها قبلة اليهود، حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها في داخل الحوز لتلقى في الصخرة، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب، فجعلوا يلقون على قبره القمامة فلأجل ذلك سمى ذلك الموضع القمامة، وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك.

وقد كان هرقل حين جاءه الكتاب النبوي، وهو بإيلياء وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في إلقاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود قال لهم: إنكم لخليق أن تُقتلوا على هذه الكناسة مما امتهنتم هذا المسجد كما قُتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا، ثم أُمِروا بإزالتها فشرعوا في ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب»[١].

□ وذكر ابن جرير: «أن عمر - رضي اللَّه عنه - ركب من المدينة على فرس ليُسرع السير بعد ما استخلف عليها علي بن أبي طالب، فسار حتى قدم الجابية فنزل بها، وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة منها: «أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تُكْفَوْا أمر دنياكم، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أبٌ حي، ولا بينه وبين اللَّه هوادة[٢]، فمن أرادَ لَحْبَ[٣] وجه الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، ولا يخلون أحدكم بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن».

ثم صالح عمر أهل الجابية، ورحل إلى بيت المقدس، وقد كتب إلى أمراء الأجناد أن يُوافوه في اليوم الفلاني إلى الجابية، فتوافوا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبي سفيان، ثم أبو عبيدة، ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج، فسار إليهم عمر ليحصبهم[٤] فاعتذروا إليه بأن عليهم

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٦ - ٥٧).

(٢) هوادة: اللِّين وما يرجى به الصلاح.

(٣) لَحْب: طريق.

(٤) يحصبهم، أي: يبعدهم ويقصيهم.

السلاح، وأنهم يحتاجون إليه في حروبهم، فسكت عنهم واجتمع الأمراء كلهم بعدما استخلفوا على أعمالهم، سوى عمرو بن العاص وشرحبيل، فإنهما مواقفان الأرطبون بأجنادين، فبينما عمر في الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم السيوف مسللة، فسار إليهم المسلمون بالسلاح.

فقال عمر: إن هؤلاء قوم يستأمنون، فساروا نحوهم؛ فإذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المومنين حين سمعوا بقدومه، فأجابهم عمر - رضي اللَّه عنه - إلى ما سألوا، وكتب لهم كتاب أمان ومصالحة، وضرب عليهم الجزية، واشترط عليهم شروطًا ذكرها ابن جرير، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وهو كاتب الكتاب، وذلك في سنة خمسة عشر. ثم كتب لأهل لدٍّ وَمَن هنالك من الناس كتابًا آخر، وضرب عليهم الجزية، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيلياء، وفرّ الأرطبون إلى بلاد مصر، فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص...

ولما صالح أهل الرملة وتلك البلاد، أقبل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة حتى قدما الجابية فوجدا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راكبًا، فلما اقتربا منه أكبّا على ركبتيه فقبّلاها واعتنقهما عمر معًا - رضي اللَّه عنهم -.

قال سيف: ثم سار عمر إلى بيت المقدس من الجابية وقد توحّى[1]

(١) توحّى: أسرع.

فرسه فأتوه ببرذون[١] فركبه فجعل يهملج[٢] به، فنزل عنه وضرب وجهه وقال: لا علّم اللَّه من علّمك، هذا من الخيلاء، ثم لم يركب برذونًا قبله ولا بعده، ففُتحت إيلياء وأرضها على يديه ما خلا أجنادين فعلى يد عمرو، وقيسارية فعلى يدي معاوية. هذا سياق سيف ابن عمر، وقد خالفه غيره من أئمة السير، فذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة»[٣].

▫ لما فتح عمر بيت المقدس وتحقّق موضع الصخرة، أمر بإزالة ما عليها من الكناسة؛ حتى قيل: إنه كنسها بردائه.

▫ وعند أحمد: «تقدم إلى القبلة فصلّى، ثم جاء فبسط رداءه، وكنس الكناسة في ردائه، وكنس الناس»[٤].

▫ قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٦١): «عن أبي الغالية الشامي قال: «قدم عمر بن الخطاب الجابية على طريق إيلياء على جمل أورق، تلوح صلعته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، تصطفق رجلاه بين شعبتي الرحل بلا زكاب، وطاؤه كساء أنبجاني ذو صوف، هو وطاؤه إذا ركب، وفراشه إذا نزل، حقيبته نمرة أو شملة محشوة ليفًا، هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل، وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرّق جنبه. فقال: ادعوا لي رأس القوم، فدعوا له الجلومس، فقال: اغسلوا قميصي وخيّطوه وأعيروني ثوبًا أو قميصًا. فأُتي بقميص

---

(١) برذون: دابة.

(٢) يهملج به: يتبختر به.

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٨).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/ ٥٩). قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد.

كتـان فقال: مـا هذا؟ قالوا: كتـان. قال: وما الـكتّان؟ فأخـبروه فنزع قميـصه فغسل ورُقِّع وأُتي بـه، فنزع قميصهـم ولبس قميصـه. فقال له الجلومس: أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بهـا الإبل، فلو لبست شيئًـا غير هذا وركبت برذونًا لكان أعظم في أعـين الروم. فقال: «نحن قوم أعزّنا اللَّه بالإسلام فلا نطلب بغـير اللَّه بديلاً». فأُتي ببرذون فطرح عليه قطيـفة بلا سرج ولا رحل فركـبه به، فقال: احـبسوا احبـسوا، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فأُتي بجمله فركبه.

وعن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمـر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع مـوقيه فأمسكهـما بيد، وخاض الماء ومعـه بعيره، فقال لـه أبو عبيدة: قـد صنعت اليوم صنيعًا عظيـمًا عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، قـال: فصكّ في صدره وقال: «أَوَلَوْ غيـرك يقولها يا أبا عبـيدة، إنكم كنتم أذلّ الناس، وأحـقر الناس وأقلّ الناس، فـأعزّكم اللَّه بالإسلام فمهما تطلبوا العزّ بغيره يذلكم اللَّه».

□ «دخل عمر - رضي اللَّه عنه - القدس عن طريق جبل «المُكبر»[1] الذي سُمِّي بهـذا الاسم؛ لأن عمر - رضي اللَّه عنه - لـمّـا أشرف على المدينة من فوقه كـبَّر وكبَّر معه المسلمون، وكـان عمر - رضي اللَّه عنه - ممتطيًا بعيرًا أحمر عليـه غرارتان في أحدهما سويق وفي الآخر تمر، وبين يديه قربـة مملوءة بالماء، وخلفه جـفنة للزاد، وذكر ابن الجـوزي أنه كان يتبادل مع غلام له الركوب على الراحلة، فـعندما بلغ الخليفة سور المدينة كان دور الركوب لغـلامه، فنزل عمر وركب الغـلام وعمر يمسك بخطام

(١) وهو جبل «طورزيتا».

البعير، فلما رآه المحصورون آخذًا بمقود الراحلة وغلامه فوقها أكبروه، وبكى بطريرك النصارى (صفرونيوس)، وقال: «إن دولتكم باقية على الدهر، فدولة الظلم ساعة، ودولة العدل إلى قيام الساعة»[١] .

وكتب عمر وثيقة الأمان، وبعد أن انتهى من كتابتها طلب من البطريرك أن يَدُلّه على مكان مسجد داود، فسارا وسار معهما أربعة آلاف من المسلمين متقلدين سيوفهم، ورواغهم البطريرك ليعمّي عليهم مكان المسجد، وفي النهاية مضى بهم إلى مكان مسجد بيت المقدس حتى وصلوا الباب المسمى «باب محمد»، وكان الباب يكاد أن يغلق لانحدار ما في داخل السور من الزبالة على درجه، فتجشّم الجميع الدخول إلى الصحن، ونظر عمر يمينًا وشمالاً، ثم قال: «اللَّه أكبر، هذا والذي نفسي بيده مسجد داود عليه السلام الذي أخبرنا رسول اللَّه ﷺ أنه أسري به إليه». وكان على الصخرة زبل كثير مما طرحته الروم غيظًا لبني إسرائيل، فبسط عمر رداءه وجعل يزيل هذا الزبل، والمسلمون يحذون حذوه، ومضى عمر نحو محراب داود فصلى فيه وقرأ سورة ص وسجد[٢] .

وفي «تاريخ الطبري» (٣/ ٦١٠):

«كان الذي صالح عن فلسطين رجل يدعى العوّام من أهل إيلياء والرملة». وقد صالح عمر أهل القدس وهو بالجابية، وكتب لهم فيها الصلح.

---

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» لعبد العزيز مصطفى ص(٨٦)، وانظر «فتوح الشام» للواقدي (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) و«الإنس الجليل بتاريخ القدس والجليل».
(٢) «الأنس الجليل» (١/ ٢٢٥، ٢٢٦).

وذكر الطبري صيغة الصلح:

* **صلح القدس** «الوثيقة العمرية»:

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد اللَّه عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من خبرها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكْرَهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود»[1].

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت[2]، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله؛ حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.

ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصُلُبهم؛ حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء

---

(١) كان اليهود قد اغتنموا فرصة الغزو الفارسي لبلاد الشام فهاجموا النصارى، وأثخنوا فيهم، وكانوا يشترون من الفرس الأسرى النصارى ليذبحونهم، فزاد العداء بينهم وبين النصارى، فاشترط هؤلاء على عمر عدم سكنى اليهود معهم. انظر كتاب «تاريخ موجات الجنس العربي في بلاد الشام» ص(٢٤٤، ٣٢٥).

(٢) اللصوت: اللصوص مفردها اللّصت: اللص في لغة طي.

منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد اللَّه وذمّة رسوله وذمة الخلفاء وذمّة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة»[1] ا.هـ

وبعد أن بعث عمر بأمان أهل القدس وسكنها الجند سار إليها من الجابية، فرأى فرسه يتوجع من حافره فنزل عنه[2]، وأتوه ببرذون فهزّه وتخلّج به فنزل عنه وضرب وجهه بردائه، وقال: قبّح اللَّه مَن علّمك هذا، هذا من الخيلاء! ثم دعا بفرسه بعد أن أجمّه أيامًا حتى صلب حافره فركبه، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس، ثم مضى حتى دخل المسجد، واتجه نحو محراب داود[3] والمسلمون معه، فدخله وقرأ سجدة داود فسجد وسجد المسلمون معه.

«وعن رجاء بن حيوة عمن شهد قال: لمّا شخص عمر من الجابية إلى إيلياء، فدنا من باب المسجد، فقال: اركبوا لي كعبًا[4]، فلما انفرق به الباب قال: «لبيك اللَّهم لبيك بما هو أحب إليك»، ثم قصد المحراب، محراب داود عليه السلام، وذلك ليلاً فصلى فيه، ولم يلبث أن طلع الفجر، فأمر المؤذن بالإقامة، فتقدّم فصلّى بالناس وقرأ بهم «ص» وسجد

(١) «الطبري» (٣/ ٦٠٩).
(٢) «الطبري» (٣/ ٦١٠).
(٣) «الطبري» (٣/ ٦١٠).
(٤) أي: كعب الأحبار.

فيها، ثم قام وقرأ بهم في الثانية صدر «بني إسرائيل»[(١)] ، ثم ركع ثم انصرف»[(٢)]

* رواية للفتح عند ابن عساكر:

□ روى الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٢٨٩) في ترجمة العباس ـ رضي اللَّه عنه ـ:

«عن أسلم قال: لما دنا عمر من الشام، وأخذ طريق أيلة[(٣)] تنحّى وتنحىّ معه غلامه، فلما أراد الركوب عمد إلى مركب غلامه وإنّ عليه لفرواً مقلوبًا، فركب وحوّل غلامه إلى رحل نفسه، وهو على جمل أحمر، وعمر يومئذ متّزر بإزار ومرتدٍ بعمامة على حقيبة من فرو تحته فرو، وإن العباس لبَيْن يديه على عتيق تتقذا به، وكان رجلاً جميلاً، فجعلت البطارقة يسلّمون عليه فيشير إليهم إني لست به، وأنه ذاك، فيسلمون عليه، ويرجعون معه حتى انتهى إلى أيلة والجابية، وتوافى إليه بها المسلمون وأهل الذمة، ثم ركب عمر من الجابية يريد الأردن[(٤)] بعدما أمضى ما أراد، وقد توافى إليه الناس، ووقف له المسلمون وأهل الذمة، فخرج إليهم على حمار ومعه العبد وأمامه العبّاس على فرس، فلما رآه أهل الكتاب سجدوا له، فقال: لا تسجدوا للبشر، واسجدوا للَّه، ومضى في سبيله، فقال القسيسون والرهبان: ما رأينا أحدًا قط أشبه بما

(١) أي: سورة الإسراء.
(٢) «الطبري» (٣/ ٦١١).
(٣) أيلة هي: العقبة.
(٤) الأردن هنا يريد بها طبرية.

يُوصف به الحواريين من هذا الرجل، ثم دخل الأردن على بعيره».

* فتح القدس في المصادر المسيحية:

نقل هنا وجهة نظر المسيحيين، ولا نقول إنها الصورة التاريخية الحقيقية.

وهذه ترجمة لمخطوط تاريخي هام قديم باليونانية وجده عبد اللَّه التل قائد معركة القدس سنة ١٩٤٨ ثم حاكمها العسكري في دير المصلبة في القدس يقول:

«لما اشتد حصار جيوش المسلمين ببيت المقدس سنة ٦٣٦م، أطل البطريرك صفرونيس على المحاصرين من فوق أسوار المدينة، وقال لهم: إنا نريد أن نُسلّم، ولكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم: فقدّموا له أمير الجيش، فقال: لا، إنما نريد الأمير الأكبر، نريد أمير المؤمنين. فكتب أمير الجيش إلى عمر بن الخطاب يقول: إن القوم يريدون تسليم المدينة لكنهم يشترطون أن يكون ذلك ليدك شخصيًّا. فخرج عمر من المدينة قاصدًا بيت المقدس، ومعه راحلة واحدة وغلام، فلما صار في ظاهر المدينة قال لغلامه: نحن اثنان والراحلة واحدة، فإن ركبت أنا ومشيت أنت ظلمتك، وإنْ ركبت أنت ومشيت أنا ظلمتني، وإن ركبنا قصمنا ظهرها، فلنقتسم الطريق مثالثة، وأخذ عمر يركب مرحلة ويقود مرحلة، وتمشي الراحلة أمامهما متخففة مِن حَمْلِ أحَدٍ مرحلة. وهكذا استمّر عمر يقسم الطريق مثالثة بين نفسه وبين غلامه وبين راحلته من المدينة حتى بلغ جبلاً مشرفًا على القدس صادف أن كانت ببلوغه قد انتهت مرحلة ركوبه، فكبّر من فوق الراحلة، ولما فرغ من تكبيره قال لغلامه: دَوْرَك.. اركب، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين! لا تنزلن ولا

أركبنّ، فإنا مقبلون على مدينة فيها مدينة وحضارة، وفيها الخيول المطهمة المُسْرجة والعربات المذهبـة، فإن دخلنا على هذه الصورة ـ أنا راكب على الراحلة وأمير المؤمنين آخذ بمقودها ـ هزئوا بنا، وسخروا من أمرنا، وقد يؤثر ذلك على نصـرنا، فقال عـمر: دورك.. ولو كـان الدور دوري ما نزلتُ وما ركـبتَ، أما والدَّوْر دورك فواللّه لأنزلن ولتركبنّ، ونـزل عمر وركب الغلام الراحلة، وأخـذ عمر بمقودها، فلما بلـغ سور المدينة وجد نصاراها في اسـتقبـاله خارج بابها المـسمى بباب دمـشق، وعلى رأسهم البطريرك صـفرونيـوس، فلمـا رأوه آخذًا بمقـود الراحلة وغـلامه فـوق رحلها، أكـبروه وخـرّوا له ساجديـن. فأشاح الغـلام بعصـاه من فوق رحلها، وصاح فيهم: ويحكم!! ارفعوا رؤوسكم، فإنه لا ينبغي السجود إلا للّه، فلما رفعوا رؤوسهم انتحى الـبطزيرك صفرونيوس ناحية وبكى. فتـأثر عمر، وأقـبل عليه يطيّب خـاطره ويواسيه قـائلاً: لا تحزن، هوّن عليك، فـالدنيـا دواليك، يوم لك ويوم عليك. فـقـال صفـرونيـوس: أظننتني لضـيـاع الملك بكيت..؟ واللّه مـا لهذا بـكيت، وإنما بكيت لمّا أيقنت أن دولتكم على الدهر باقية ترقّ ولا تنقطـع.. فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة، وكنت حسـبتها دولة فاتحين تمرّ ثم تنقرض مع السنين..

ثم سأل عـمر البطريرك صفرونـيوس عن موضع المسجـد الأقصى فدلّه، فوجده مغمورًا بالقـمامة، ففرش عمر الظالـم![1] عبـاءته، وأخذ ينزح فيها القمامة من مكان المسجد الأقصى ويُلقيها في الأودية، واقتدى

---

(١) هكذا بالنص!! ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ﴾

به قادة المسلمين ورؤساء الجند حتى طهروه تطهيراً.. ثم بنى عليه مسجداً»[١].

◻ ويضيف عبد اللَّه التل: «جدير بالذكر أنني رأيت مع النص الذي ذكرته رسمًا يمثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين دخوله القدس، وقد رسموه في ثياب أهل الجزيرة العربية، ملتحيًا داخلاً من باب دمشق - باب العمود - ذا مهابة وجلال ووقار، ماشيًا على قدميه، في تواضع المخلصين الأبرار، آخذًا مقود الراحلة بيسراه، وإلى أعلى رافعًا يُمناه محذّرًا الساجدين له من السجود لغير اللَّه - كذلك يمثل الرسم الغلام أجرد[٢] أسود مستقرًّا فوق رحله رافعًا في وجوه القوم عصاه، مستنكرًا سجودهم لمولاه صائحًا فيهم: «إنه لا ينبغي السجود لغير اللَّه»[٣].

* ملاحظات على الوثيقة العمرية:

هناك ملاحظات تطعن في صحة هذه الوثيقة العمرية منها:

◻ قوله: «سنة خمس عشرة» لو صحّ هذا العهد، ففيم إذن

---

(١) كتاب «خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية» ص(١٢٧ - ١٢٩).

(٢) قوله: «أجرد أسود» يدل على أن القصة مؤلفة من الخيال، حيث جعلوا غلام عمر أجرد، يعني: أنه من الخصيان، وهذا يمثل العبيد في القرون المتأخرة، حيث كانوا يُخْصونهم قبل استخدامهم في القصور... والمشهور أن الذي كان يرافق عمر هو مولاه أسلم، وقد أنجب ذرية صالحة، وما قال أحد أنه أجرد.

ومما يدل على أن الرواية مصنوعة ما جاء في هذه المخطوطة: «وجاء المسلمون من بعده وبنوا على مصلاه مسجداً وهو قائم على رمية حجر من كنيسة القيامة إلى يومنا هذا» فكلمة إلى يومنا هذا تدل على أن هذه الرواية مصنوعة في وقت متأخر؛ لأن مسجد عمر الذي بُني في هذا الموضع كان بناؤه في العصر الأيوبي.

الاختلاف بين المؤرخين في زمن الفتح: بين سنة ١٥، ١٦، ١٧هـ.

◻ قوله: «شهد خالد، وعمرو، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية»، أين أبو عبيدة بن الجرّاح، وهو قائد الجيوش، وأمين الأمة، وهو الذي اتفق مع أهل القدس على أن يُرسل إلى عمر، وهو الذي كلمه أهل القدس في طلب الأمان على أن يكون عمر هو الكاتب، وهو الذي أرسل إلى عمر بن الخطاب يعرض عليه المجيء إلى الشام؟!

* **فوائد من الوثيقة - إن صحّت:**

◻ قوله: «ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود»، تحتمل على معنيين:

الأول: أن الخليفة ضَمِن لهم هذا الحق. وتحتمل أنه شرط عليهم ألا يسكن معهم أحد من اليهود. وإن كان التفسير الأول أقوى؛ لأن اليهود مُنِعوا من سكنى القدس منذ سنة ١٣٥م، وجاء الفتح وهم محرومون من دخول القدس؛ لأنهم اغتنموا فرصة الغزو الفارسي الأخير لبلاد الشام، فهاجموا النصارى وأثخنوا فيهم، وكانوا يشترون من الفرس، الأسرى النصارى ليذبحوهم فازداد العداء بينهم وبين النصارى، وعندما استعاد هرقل القدس سنة ٦٢٧م طردهم منها، وحرّم عليهم دخولها بمشورة رجال الدين النصارى.

وعلى هذا فيكون أهل القدس قد طلبوا أن يُسجّل لهم هذا الحق في العهد فاستجاب عمر لمطلبهم.. ويحتمل أن يكون عمر شرط ذلك؛ لأنه أراد أن يطهر القدس من خبثهم كما طُهِّرت مكة والمدينة والله أعلم.

وليحفظ القارئ هذا التاريخ: أن اليهود منذ سنة ١٣٥م حتى سنة

٦٣٧م يوم فتح القدس، مضى حوالي خمسمائة سنة وهم ممنوعون من سكنى القدس. ومن المفروض أن يكون قد استمر هذا المنع في العهد الإسلامي. حتى سنة ١٩١٧م زمن وعد بلفور، والاحتلال البريطاني، فمن الذي نقض العهد وفتح لهم أبواب القدس؟

سوف نرى جواب هذا السؤال في مكان آخر، إن شاء اللَّه. ولكن الذي نقدّم قوله، ونؤكد عليه أن نسأل أين كان اليهود مدة خمسمائة سنة قبل الفتح الإسلامي؟ وإذا كان لهم حق مزعوم، فلماذا لم يدافعوا عنه؟ أيسكت صاحب حق خمسمائة سنة عن حقه لو لم يكن حقًا مزعومًا؟[١].

وروى المؤرخون أنَّ الذي تولى عقد الصلح مع عمر، رجل اسمه «العوام» وهذا اسم عربي.

◻ قوله: «وعليهم أن يُخرجوا منها الروم»، هذا يدل على أن سكان القدس لم يكونوا من الروم، وإنما كانوا من أهل فلسطين الذي أحبوا السكن بجوار المسجد الأقصى، وآثار المسيح عليه السلام.

وإذا صحّ النص ففيه إشكال؛ فقوله: «ومن أقام منهم»، وقوله: «وعليهم أن يُخرجوا» متعارضان، هذا شرط وأمر، وهذا فيه الإباحة، ويزول هذا الإشكال إذا قلنا أن النص إن صحّ فلعله يفرّق بين نوعين من الروم:

النوع الأول: جنود الروم، أو الحامية الرومانية.

والنوع الثاني: الروم الذين جاءوا للعبادة في القدس زُوّارًا، أو مجاورين».

---

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» لمحمد محمد حسن شُرّاب ص(٨٦).

* رواية جيدة لكتاب عمر - رضي اللَّه عنه - لنصارى الشام:

روى الإمام البيهقي، وغيره من طرق جيدة إلى عبد الرحمن بن غنم قال:

كتب عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - حين صالح نصارى أهل الشام:

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد اللَّه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا أنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وأموالنا وذرارينا وأهل ملتنا، وشرطنا لكم علينا وعلى أنفسنا أن لا نُحدث في مدائننا، ولا فيما حولها ديرًا، ولا كنيسة، ولا قلاية، ولا صومعة راهب، ولا نحيي ما كان في خطط المسلمين، ولا نمنع كنائسنا أن ينزل بها أحد من المسلمين في ليل أو نهار، وأن نوسّع أبوابها للمارّ وابن السبيل، وأن ينزل من يريد من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم، ولا نأوي في منازلنا ولا كنائسنا جاسوسًا، ولا نكتم غشًّا للمسلمين، ولا نعلّم أولادنا القرآن، ولا نظهر شركًا، ولا ندعو إليه أحدًا، ولا نمنع أحدًا من ذوي قربانا الدخول في الإسلام إن أراده، وأن نوقِّر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم، في قلنسوة ولا عمامة، ولا نَعْلَين ولا فراق شعره، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نتكنى بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلّد السيوف، ولا نتخذ شيئًا من السلاح ولا نحمله معنا، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية، ولا نبيع الخمور، وأن نجزّ مقادم رؤسنا، وأن نلتزم زيّنا حيث ما كنا، وأن نشدّ زنانيرنا[1] على أوساطنا، ولا نظهر الصليب على كنائسنا، ولا نظهر

(١) الزنانير: جمع الزنار، وهو الحزام، يلبسها أهل الذمة من اليهود والنصارى.

صلبانًا، ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين، ولا أسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين، ولا نطّلع عليهم في منازلهم»، قال: فلما أتيت عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ بالكتاب زاد فيه: «ولا نضرب أحدًا من المسلمين، شرطنا لكم ذلك في أنفسنا، وأهل ملتنا، وقد بيّنا عليه الأمان، فإن نحن خالفنا شيئًا مما شرطناه على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حلّ لكم ما حلّ من أهل المعاندة والشقاق»[1].

* وقفة بل وقفات أمام فتح الفاروق للقدس وعظاته النيّرات:

«نحن قوم أعزّنا اللَّه بالإسلام، فإن ابتغينا العزّة في غيره أذّلنا اللَّه»

❑ في رحاب الإسلام الزاحف على أعداء اللَّه، وأعداء الإنسان في الشرق والغرب كنا خير أمة أخرجت للناس، نيرة القلوب، مشرقة الوجوه، سامية الأخلاق، صلبة العزائم، صارمة الصولات، خاشعة لقيوم الأرض والسماوات، كانت راية اللَّه خفّاقة على كل الوهاد والسهول، وفي القلوب والرؤوس.

❑ بالإسلام، وبالإسلام وحده، فتحنا القدس وتسلمها الفاروق، وحين غاب الإسلام، وبلا إسلام، فقدنا فلسطين، وتآمرنا عليها، بلا إسلام قامت دولة إسرائيل، وبقيت، وتاجرنا بفلسطين، بلا إسلام ماتت الضمائر، واختفت فلسطين في عالم النسيان الحقيقي، وهي بارزة دائمًا في الإعلام والمتاجرة والغناء.

❑ «نحن قوم أعزّنا اللَّه بالإسلام» تدوّي في أصداء التاريخ، إنها

---

(١) «إتحاف الأخصّا بفضائل الأقصى» (١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

الموازين الإسلامية تسري في نبض عمر وعروقه وجسمه وقلبه، لا شيء غير الإسلام نزن به كل شيء.. به فتحنا الدنيا وعمّرناها وسدناها وبهجره خسرناها وخسرنا معها الآخرة.

* ركب الخليفة لاستلام القدس العريقة:

ناقة واحدة وخادم واحد، وأسمال مرقعة، وزاد الطريق خبز وماء وتمر!! بدلاً من الخيل المطهمة كوكبة منها بل كواكب وحشداً من الخدم. المباهاة والترف يأباه عمر فقد ربّاه الإسلام.. ناقة وخادم وغنائم الإمبراطوريتين تجري أنهاراً في المدينة المنورة.

وكسرى فارس وهو هارب بعد معركة نهاوند «كان معه ألف طاه، وألف مدرّب للبزاة، وألف للنمور، وألف مغن، وحاشية أخرى!!»[1].

□يركب الخادم ويمشي الفاروق، ويركب الفاروق ويمشي الخادم، ويمشيان ويريحان الدابة في مسافة ٢٤٠٠ كيلو متر، يمشي ثلث هذه المسافة في جوف الصحراء وقيظها، ولفح الشمس، ووحشة القفار، بل ومخاضة ووحل وهو على مشارف القدس.. يمشي وهو في أواخر الخمسينات من العمر!! هنيئاً لك عند ربك، وهنيئاً لك في التاريخ.. وحق للقائل أن يقول: يا خالق عمر سبحانك!.

يركب الخادم ويخوض عمر في الوحل، ويقود الناقة، ونعله على عاتقه وهو مشمر ثيابه المرقعة!!.. إنه عمر القائل: «ليس الأمر ها هنا ـ وأشار إلى الأرض ـ إنما الأمر ها هنا ـ وأشار إلى السماء».

متى صحّ منك الودّ فالكل هيّن ... وكل الذي فوق التراب ترابُ

(١) «عقيدة اليهود في تملّك فلسطين» لعابد توفيق الهاشمي ص(١٢) ـ مكتبة أم القرى.

▫ لما سلم البطريرك صفرونيوس مفاتيح القدس، واتجه إلى زاوية يبكي، فأتاه عمر يواسيه، وأقبل عليه يطيّب خاطره ويواسيه قائلاً لا تحزن، هوّن عليك، فالدنيا دواليك، يوم لك ويوم عليك» بدلاً من إهانته وتحقيره والاستعلاء عليه شأن الفاتحين قديمًا وحديثًا . . إنه أدب الإسلام.

عُمَرُ بنُ الخطاب أَقبلْ فهذي الـ ... ـقدسُ حنَّتْ إليك منها الكُبُودُ
وفلَسطينُ كلُّ شبرٍ عليه ... مِنْ دَم المؤمنين دَفْقٌ جديدُ
فَدعتْكَ القلوبُ دعوةَ حقٍّ ... علَّمتها لهم صحائفُ سودُ
عَلمتهُمْ أن الذي يفتحُ القدسَ ... أميرٌ للمؤمنين رشيدُ
يا لفتحٍ له من الحق نورٌ ... صدقت فيه آية ووعودُ
عمر بن الخطاب لؤلؤةُ الفتحِ ... وعِقدٌ من الوفاء نضيدُ
يا لفتحٍ أبو عبيدة فيه ... جوهرُ الصدق والأمينُ الفريدُ
ورجال من الصحابة أبرار ... ودرٌّ في عقده منضود
يا حنينَ الأقصى إلى عمَر الفاروق! يا لهفةَ اللقا! هل يَعودُ؟
رَفَّتِ الصخرةُ الشريفةُ لَمّا ... أقبلتْ طلعةٌ وأشرقَ عيدُ
فَجَلاها! ولمْ يَزَلْ منْ هَواهَا ... عَبَقٌ يملأُ الزمانَ وَعُودُ
يَا لفتحٍ تَخيَّرَ الدَّهْرُ مِنْهُ ... مَا تَمَنَّتْ من الجَواهِر غِيدُ
ففتوحُ الرسولِ تاجٌ على الدَّهْرِ ... وهذي لآليءٌ وعُقُودُ[1]

❀ ❀ ❀

(١) «ملحمة الأقصى» د. عدنان النحوي ص(١٣٠ ـ ١٣١) ـ دار النحوي.

وقفــات أخرى مع الفتح العُمَري

المسجد الأقصى يوم الفتح

«سنة ١٥ أو ١٦ هـ»

● عن عُبيد بن آدم وأبي مريم، وأبي شُعيب، أن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس، قال: فقال أبو سلمة، فحدثني أبو سنان عن عُبيد بن آدم قال:

سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول لكعب: أين ترى أن أُصلي؟ فقال: إنْ أخذت عنّي، صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول اللَّه ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء، فبسط رداءه، فكنس الكناسة في ردائه، وكنس الناس»[١].

على أصح الأقوال: فإن أصح مكان صلى فيه عمر بن الخطّاب هو المكان المسقوف في هذه الأيام.

❑ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد.. وقد صار بعض الناس يسمي «الأقصى» المصلى الذي بناه عمر ابن الخطاب في مقدّمه»[٢].



(١) إسناد جيد: رواه أحمد في «مسنده» (١/٣٨)، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/٥٨): هذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرج.

(٢) «مجموعة الرسائل الكبرى» لابن تيمية (٢/٥٧).

* مُصلّى عمر أو جامع عمر :

هناك ثلاثة أماكن يمكن أن يُطلق عليها جامع عمر، أو مصلى عمر، أو محراب عمر.

الأول: أن جامع عمر الذي وضعه عند الفتح، داخل في الجامع الكبير، جامع الجمعة.

الثاني: جامع عمر: الموجود في صدر الجامع الكبير من جهة المشرق، القريب من السور الشرقي، وهو بناء متأخر.

الثالث: المسجد العمري: الواقع في الجنوب من ساحة كنيسة القيامة والذي يظهر أنه بُني في زمن الملك الأفضل عليّ بن صلاح الدين، بعد وفاة أبيه، وبه منارة استجدت قبل سنة ٨٧٠هـ. . . والمسجد بُني سنة ٥٨٩هـ[١].

* قصة لا تثبت :

ما تنقله المصادر المسيحية[٢] من أن البطريرك صفرونيوس دعا عمر ابن الخطاب لتفقّد كنيسة القيامة (كنيسة القبر المقدس) فلبّى الدعوة، وأدركته الصلاة وهو فيها، فالتفت إلى البطريرك، وقال له: أين أُصلي؟ فقال: مكانك صلّ، فقال: ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة، فيأتي المسلمون من بَعْدي ويقولون: هنا صلّى عمر، ويبنون عليه مسجدًا وابتعد عنها رمية بحجر، وفرش عباءته وصلّى، وجاء المسلمون من بعده

---

(١) انظر «الأنس الجليل» (٢/٤٦).

(٢) مخطوط باليونانية وجده عبد اللّه التل في دير المصلبة في القدس، يُسجِّل تفصيل حادث مجيء الخليفة عمر إلى القدس.

وبنوا على مصلاه مسجدًا، وهو قائم على رمية حجر من كنيسة القيامة إلى يومنا هذا».

«وفي هذه القصة نظر:

أولاً: كون عمر بن الخطاب ذهب وحده إلى كنيسة القيامة، ولم يكن معه أحد من المسلمين.

ثانيًا: كون عمر يذهب إلى الكنيسة، كنيسة القيامة، وفيها قبر عيسى عليه السلام، وهو يخالف اعتقاد المسلمين في عيسى عليه السلام.

ثالثا: كون عمر يذهب إلى معبد فيه قبر، يخالف المنهيّ عنه، فقد جاء في الأحاديث لعن اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

رابعا: جعل السبب المانع عمر أن يصلي في كنيسة القيامة، أن لا يتخذه المسلمون مسجدًا والحقيقة ـ إذا صحّ الخبر أن عمر امتنع من الصلاة فيها لوجود القبر فيها، ولوجود الصور والصلبان، ولا تصحّ الصلاة في هذا المكان»[١].

* حدود المسجد الأقصى:

في العهد النبوي:

لا نملك وصفًا لما كان عليه المسجد قبل فتحه في عهد عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ، وكل ما نملكه من الأوصاف ما جاء في الأحاديث الصحيحة.

● قال الرسول ﷺ: **«حتى أتيت بيت المقدس، فربطت البراق بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد...»**.

---

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» لمحمد محمد حسن شُرَّاب ص(٣٤٦، ٣٤٧).

فقوله: «فربطت بالحلقة»: يوحي أن هناك حدودًا للمسجد، سور مثلاً، وأن من يأتي إلى المسجد بدابته يربطها عند مدخل المسجد، وأن هناك مواقف ومرابط للدواب...

ولكن لا يعني بالضرورة أن يكون للمسجد حينئذ باب مبوّب، وجدران محيطة.. فالمسجد يُعرف بحدوده الأرضية، وإن لم يكن له سور وباب..

ومن الغريب أن عرب الجاهلية لم ينقلوا شيئًا عن وصف المسجد الأقصى، مع أنه جاء في الحديث أنهم تحدّوا رسول اللَّه أن يصفه لهم، فامتحنوا صدقه؛ لأنهم كانوا يعرفونه.. فهذا يدل على أنه كانت له معالم يعرفها من أتاه.

فمعنى هذا أن المسجد الأقصى قد عدت عليه العوادي، وتأثّر بالمتغيرات، وهُدِم بناؤه فيما بعد، ولم يكن ليلة الإسراء مسجدًا قائمًا متكاملاً، وإنما كانت أساساته موجودة، وبعض أعمدته وأطلاله باقية، ومنها تلك الحلقة التي ربط بها رسول اللَّه ﷺ البراق ليلة الإسراء، وقد سمى اللَّه هذه الأطلال والأعمدة والأساسات مسجدًا، وإن لم يكن بناءً قائمًا حيث قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

فقد كان مسجدًا قائمًا من قبل، واستمر مسجدًا قائمًا مئات أو آلاف السنين، وكان يأتيه الأنبياء السابقون على دوابهم للصلاة فيه»[١].

---

(١) «الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل» لإبراهيم العلي ص(٨٦).

* بعد الفتح العمري:

قال مجير الدين الحنبلي في «الأنس الجليل» (٢/ ٢٤):

«إن المتعارف عليه عند الناس أن الأقصى من جهة القبلة، الجامع المبني في صدر المسجد الذي به المنبر والمحراب الكبير.

وحقيقة الحال: أن الأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور.. فإن هذا البناء الموجود في صدر المسجد وغيره، من قبة الصخرة والأروقة وغيرها مُحْدثة والمراد بالأقصى بما دار عليه السور».

وقال في ذرع المسجد طولاً وعرضًا:

«وأما ذرع المسجد، فقد اجتهدت في تحريره، وتولّيت ذلك بنفسي وقيس بحضوري بالحبال، فكان طوله، قبلة بشمال (من الجنوب إلى الشمال) من السور القبلي عند المحراب، إلى صدر الرواق الشمالي عند باب الأسباط ستمائة وستين ذراعًا بذراع العمل الذي تذرع به الأبنية في عصرنا غير عرض السورين، وإن كان فيه زيادة أو نقص نحو ذراعين، أو ثلاثة فهي لاضطراب القياس، لبُعد المسافة، فإني قد احتطت في تحريره وقيس بحضوري مرتين، حتى تحققت صحة القياس.

وعرضه شرقًا بغرب من السور الشرقي المطلّ على مقابل باب الرحمة إلى صدر الرواق الغربي الذي هو أسفل مجمع المدرسة التنكزية أربع مئة ذراع وستة أذرع بذراع العمل غير عرض السورين. وكان هذا سنة ٩٢٠هـ فتكون المساحة ٦٦٠ X ٤٠٦ = ٢٦,٧٩٦

وقال محمد كرد علي سنة ١٩٢٥م: ووقع الحرم على مساحة مربعة، طول الجهة الغربية ٤٩٠م، والشرقية ٤٧٤م، والشمالية ٣٢١م، والجنوبية

٢٨٣م يحيط بها سور، يختلف ارتفاعه بين ٣٠ مترًا و٤٠ مترًا[١].

تبلغ مساحة الأقصى وأسواره ومنشآته (١٤٠٩٠٠م مربع).

☐تسلّم الخليفة المفتاح من صفرونيوس وقام بدوره بتسليمه إلى عبدالله بن نسيبة وهو من الأنصار، وظل هذا المفتاح تتوارثه هذه الأسرة[٢].

☐«وأوّل من أمّ المسلمين بعد عمر بن الخطاب في المسجد الأقصى: سلامة بن قيصر، اختلفوا في صحبته، حيث عيّنه عمر على الصلاة في بيت المقدس.

ونقل ابن حجر في «الإصابة» أنه مات بالقدس، وقبره بها، وكان علقمة بن مجزز مشرفًا على شؤونها العسكرية، وهو صحابي، وكان يزيد بن أبي سفيان عاملاً على إدارة بيت المقدس»[٣].

*** فتح قيسارية على يد معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ سنة ١٩هـ:**

بدأت العمليات تجاه قيسارية حين نزل بها عمرو بن العاص في جمادى الأولى ١٣هـ يولية سنة ٦٣٤م فكان يقيم عليها ما أقام، فإذا كان للمسلمين اجتماع في أمر عدوهم سار إليهم.

فشهد أجنادين وفحل بيان ومرج الصفر واليرموك، ثم رجع إلى فلسطين فحاصر قيسارية بعد فتح القدس. وخرج عمرو بن العاص إلى مصر من قيسارية دون أن يفتحها. وتولّى أمرها يزيد بن أبي سفيان بعد

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص(٣٥١).
(٢) «القدس تناديكم» ص(١٤٥).
(٣) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص(٣٥٢).

وفاة أبي عُبيدة، فوكّل أخاه معاوية بمحاصرتها وتوجه هو إلى دمشق حيث توفي بها. وبقي معاوية في سبعة عشر ألفًا يعالج فتحها فحاصرها حتى كان فتحها في شوال ١٩هـ سبتمبر/ أكتوبر ٦٣٧م بعد أن كان يئس من فتحها.

وكان الروم يريدون الاحتفاظ بقيسارية موطئ قدم لهم على ساحل الشام الجنوبي في فلسطين، كانت قيسارية مدينة كبيرة، قالوا إن معاوية وجد بها ٧٠٠٠٠٠ من المرتزقة، ومن السامرة ٣٠٠٠٠ ومن اليهود ٢٠٠٠٠٠ ووجد بها ٣٠٠ سوق قائمة كلها، وكان يحرسها في كل ليلة على سورها مائة ألف. وقد تكون في الأرقام مبالغة، ولكنها تدل على أيه حال على كبر حجم قيسارية.

وكان على الروم رجل اسمه أبنى فكان يزاحف معاوية، ولا يزاحفه مرة إلا غلبه معاوية وأعاده إلى حصنه[1]. ثم كانت آخر مزاحفة فخرجوا من حصونهم، واقتتلوا في حفيظة[3] واستماتة، حتى بلغت قتلاهم في المعركة ٨٠٠٠٠ وأكملها في هزيمتهم ١٠٠٠٠٠.

وفي الليل أتى يهودي يدعى[4] يوسف إلى المسلمين فدلّهم على طريق في سرب فيه الماء إلى حِقو الرجل على أن أمّنوه على نفسه وأهله. ودخلها المسلمون ليلاً وكبّروا فيها، وأراد الروم أن يهربوا من ذلك السِّرب فوجدوا المسلمين عليه، وفتح الفريق الذي تسلل إلى داخل

---

(١) «البلاذري» (١٦٧).

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ٦٠٤).

(٣) حفيظة، أي: غضب.

(٤) «البلاذري» (١٦٨).

المدينة بابها فـدخل معاوية ومن معه، وكـان فيها عـدد من العرب. وقد بلغ سـبي قيـسـارية ٤٠٠٠ رأس بعث بهم معـاوية إلى عـمر فـأنزلهم الجرف.

وبعث مـعاوية بالفـتح إلى عمـر مع رجلين من بني الضبـيب من جذام، ثم خاف ضـعفهما عن المسيـر فبعث بعدهما رجـلاً من خثعم، فكان الخثعمي يجهد نفسه في السير ليلاً ونهارًا.

وفي رواية: أنه بعث بعـد الجذاميين عبـد اللَّه بن علقمـة الفراسي وزهير بن الحلاب الخثعمي، فلحقاهما وطوياهما وهما نائمان.

دخل البشير على عمر فكبّر وكبّر المسلمون، ونادى عمر أن قيسارية فُتحت قسـرًا فأبات المسلمون بالمدينة على الفرح ليلاً وحـمد اللَّه، وقال للناس: لتحمدوا اللَّه على فتح قيسارية[1] .

بيت المقدس في عهد الخلافة الأموية

* في عهد معاوية ـ رضي اللّه عنه ـ:

لم يجرؤ اليهود طوال أيام الخلفـاء الراشدين، وأوائل خلفاء الدولة الأموية على الاستيطان بالقدس[2] .

ولقد نودي بالبـيعـة لمعاوية ـ رضي اللَّه عنه ـ في مـدينة القدس، ولكنه اختار مدينة دمشق عاصمة لخـلافته بعد البيعة التي كانت سنة ٤٠ في مدينة القدس[3] .

---

(١) «الطريق إلى دمشق» لأحمد عادل كمال ص(٥٣٤ ـ ٥٣٥).

(٢) «القدس مدينة اللَّه.. أم مدينة داود» للدكتور حسن ظاظا ص(٩٧) ـ دار القلم دمشق.

(٣) «تاريخ الطبري» (٦/ ٩٣).

* في عهد عبد الملك بن مروان:

ذهب كثير من المؤرخين: الطبري، وابن خلدون، وابن الأثير، وابن كثير أن الوليد بن عبد الملك هو الذي أنشأ قبة الصخرة، وجامع الجماعة في المسجد الأقصى.

وانفرد اليعقوبي وسبط ابن الجوزي بنقل خبر بناء عبد الملك قبة الصخرة والمسجد[١].

رواية اليعقوبي كذب صراح:

مما قاله اليعقوبي:

«منع عبد الملك أهل الشام من الحج، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجّوا بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك، منعهم من الخروج إلى مكة، فضجّ الناس، وقالوا: تمنعنا من حجّ بيت اللَّه الحرام، وهو فرض من اللَّه علينا؟

فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدّثكم أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس»**.

وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام!!

وهذه الصخرة التي يروى أن رسول اللَّه ﷺ وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة!!

فبنى على الصخرة قبّة، وعلّق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة.

---

(١) انظر: «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص(٣٥٧).

وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما تطوف حول الكعبة!! وأقام بذلك أيام بني أمية.

ألا قاتل اللّه الكذب وأهله، فاليعقوبي كذّاب خبيث يتديّن بكره بني أمية، عقيدة وسياسة ويبيح الكذب عليهم، ومن له أدنى مُسكة من عقل يعلم كذب اليعقوبي على عالم فقيه من علماء المسلمين وهو عبدالملك بن مروان قبل كونه خليفة للمسلمين.

* ضعف رواية سبط ابن الجوزي:

وممن اعتمد كذبة اليعقوبي سبط ابن الجوزي في كتابة «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان».

□ قال عنه ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ٣٢٨): ألف كتاب «مرآة الزمان» فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات، وما أظنه ثقة فيما ينقله، بل يحنق ويجازف ثم إنه ترفّض.

□ قال صاحب «مرآة الزمان»:

في سنة ٦٦هـ ابتدأ عبد الملك بناء القبّة والجامع.. وكملت عمارته سنة ٧٣هـ وفي هذه الرواية نظر لأن عبد الملك تولّى الخلافة في رمضان سنة ٦٥هـ ويوم تولى الخلافة لم تكن فلسطين تابعة له، وبقيت مدة من سنة ٦٦هـ وهي خارجة عن سلطانه.

□ قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب»: قال خليفة: مات يزيد بن معاوية وعلى الأردن حسّان بن مالك، وعلى فلسطين روح بن زنباع، فأخرج ناتل بن قيس روح بن زنباع، ودعا إلى ابن الزبير.

□ وقال السكّري: خرج ناتل على عبد الملك، فبعث إليه عمرو بن سعيد فقتله وحكى عن الليث أنه قُتل سنة ٦٦هـ.



فكيف يبدأ البناء والقدس خارج عن سلطانه؟!

قد يُقال: لعله استرجع فلسطين في منتصف سنة ٦٦هـ فبدأ في البناء بعدها.

الجواب: لا يكون هذا، لأن البناء يحتاج إلى مدة استقرار، والشهور أو السنوات التي تلي الفتنة تكون متأثرة بالفتنة[1].

* القول الأول بأن باني قبة الصخرة وجامعها هو عبد الملك بن مروان:

قال المنهاجي السيوطي في «إتحاف الأخِصّا بفضائل المسجد الأقصى» (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢):

روي عن جابر بن رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام مولى عبد الملك ابن مروان أن عبد الملك حين همّ ببناء صخرة المقدس والمسجد الأقصى قدم من دمشق إلى بيت المقدس وبث الكتب في جميع عمله وإلى سائر الأمصار أن عبد الملك قد أراد أن يبني قبة بيت المقدس تكنّ المسلمين من الحرّ والبرد، وكره أن يفعل ذلك دون رأي رعيته، فكتبت الرعية إليه برأيهم، وما هم له عليه، فوردت الكتب عليه من عمال الأعمال برأي أمير المؤمنين رأيه موفقًا رشيدًا، ونسأل اللَّه تعالى أن يتم له ما نوى من بنايته وصخرته ومسجده، ويجري ذلك على يديه، ويجعله مكرمة له، ولمن مضى من سلفه. قال: فجمع الصناع من عمله كله، وأمرهم أن يصنعوا له صفة القبة، وسمتها من قبل أن يبنيها فكُرِّست له في صحن المسجد، وأمر أن يبني بيت المال في شرقي الصخرة، وهو الذي على

---

(١) «بيت المقدس والمسجد الأقصى» ص(٣٦٠ ـ ٣٦٢).

حرف الصخرة، فبنى وأشحن بالأموال، ووكّل على ذلك رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام، وأمرهما بالنفقة عليها، والقيام بأمرها، وأن يفرغوا المال عليها إفراغًا دون أن ينفقوه إنفاقًا، وأخذوا في البناء والعمارة حتى أُحكم العمل، وفرغ البناء، ولم يبق لمتكلم فيه كلام، وكتبا إليه بدمشق: قد أتم اللَّه تعالى ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة الصخرة ببيت المقدس، والمسجد الأقصى، ولم يبق لمتكلم فيه كلام. وقد بقي مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء، وأُحْكِم مائة ألف دينار فيصرفها أمير المؤمنين في أحب الأشياء إليه»، فكتب إليهما: قد أمر أمير المؤمنين بها لكما جائزة لما قمتما من عمارة ذلك البيت الشريف المبارك» فكتبا إليه: «نحن أولى أن نزيد من حليّ نسائنا فضلاً عن أموالنا، فاصرفها في أحب الأشياء إليك»، فكتب إليهما بأن «تُسبك وتفرغ على القبة فسُبكت وأُفرغت فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب».

☐ وقال الدكتور حسن ظاظا: «سُمِح لليهود بالاستيطان بالقدس في أيام الخليفة عبد الملك بن مروان الذي بنى المسجد الجامع، وبنى مسجد قبة الصخرة سنة ٦٨هـ، وكان في فناء الحرم على أيامه عشرة من اليهود يقومون بأعمال الكنس والنظافة نظير إعفائهم من الجزية»(١).

* القول الثاني: باني قبة الصخرة وجامعها هو الخليفة الوليد بن عبد الملك:

وهو أرجح الأقوال. ولقد أوقف الوليد خراج مصر لسبع سنين لتشييدهما. ويمكن الجمع بينهما بأن عبد الملك أمر بالبناء، أو بدأ البناء

(١) «القدس» ص(٩٧).

في عصره، وتم في عصر الوليد.

وقبة الصخرة من أروع ما وصل إليه المجهود الإنساني في فنّ العمارة.

* في عهد سليمان بن عبد الملك:

لما وَلِي سليمان بن عبد الملك الخلافة بعد أخيه الوليد في سنة ٩٦هـ أتى بيت المقدس، وأتته الوفود بالبيعة فلم ير وفادة كانت أهنأ من الوفادة إليه. ولقد ترك في دمشق أخاه الأصغر، وحضر إلى القدس، وهو ينوي أن يجعلها عاصمة للخلافة الإسلامية، ثم عدل عن ذلك.

وذكر مجير الدين في «تاريخه» أن المكلّفين على عهده بإنارة المسجد الأقصى كانوا من الخدم اليهود، إلى أن تولىّ الخليفة عمر بن عبد العزيز ففصل اليهود من هذه الأعمال، وجعل خدم الحرم جميعًا من المسلمين[1].

* من مرّ بالقدس أو سكنها أو مات بها من أعيان الأمة وصالحيها:

القدس معدن الأنبياء ومهبط الوحي والملائكة، ما من شبر فيها إلا وشرف بمرور ملك، أو نبي أو رسول، درج في ربوعها الصديقون والصالحون، وتعطّرت أنفاسها بعبق الوحي الإلهي.

قام فيها أبو الأنبياء إبراهيم الخليل، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام، ودخلها يوشع بن نون، ثم قام فيها داود وسليمان، وإلياس، واليسع، وأشعيا، وأرميا، وحزقيال، ودانيال، وزكريا، ويحيى، وعيسى بن مريم صلوات ربي وسلامه عليهم، وشعّت فيها أنوار خاتم المرسلين ﷺ.

---

(١) «القدس مدينة اللّه أم مدينة داود» ص(٩٨).

قال ابن الجوزي: «وفي الأرض المقدسة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام».

*** ذكر من دخلها أو مرّ بها أو سكنها أو تُوفِّي بها من الصحابة والتابعين وصالحي الأمة وهذا من فضلها:**

نذكر هذا حتى لا يفرّط فيها من يرعى لهؤلاء ودًّا ويحفظ لهم عهدًا.

قد يهون العمر إلا لحظة ... وتهون الأرض إلا موضعا

*** من دخلها من أعيان الصحابة:**

عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ:

أهذه القدس والأقصى يزينها ... مسرى النبي أفيها ساجد عمر

أم أورشليم يهوذا بات يحكمها ... وهيكل الظلم في أحضانها نضر

وأبو عبيدة بن الجراح ـ رضي اللَّه عنه ـ انطلق يريد الصلاة ببيت المقدس، فأدركه أجله بفحل فتوفي بها.

وسعد بن أبي وقاص، وأبو الدرداء، وسعيد بن زيد، وعبد اللَّه ابن عمر، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وأبو ذر، وسلمان الفارسي في رحلته بحثًا عن الحق قبل الإسلام، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان، وعياض بن تميم، وعبد اللَّه بن سلام، ويزيد بن أبي سفيان، وأبو هريرة، وأبو أمامة، وسكن بها وبدمشق، وأبو مسعود الأنصاري عتبة بن عمرو البدري، وعقبة ابن عامر الجهني، وأبو جمعة الأنصاري حبيب بن سباع، وعبادة

---

(١) «فضائل القدس» لابن الجوزي ص(٩٧) ـ دار الآفاق بيروت.

ابن الصامت: سكن بيت المقدس، ودفن ببيت المقدس.

- وشدّاد بن أوس ابن أخي حسان بن ثابت ممن أُوتي العلم والحلم، ومات ببيت المقدس.
- وأبو ريحانة مولى رسول اللَّه ﷺ سكن بيت المقدس، وكان يقضي في المسجد الأقصى.
- وتميم بن أوس الداري، وكان أميرًا على بيت المقدس، وهو الصحابي الذي تفرّد برؤية المسيح الدجال.
- والشريد بن سريد، وابن أبي جدعا التميمي.
- وفيروز الديلمي قاتل كذّاب اليمن الأسود العنسي.. سكن بيت المقدس.
- وذو الأصابع التميمي سكن بيت المقدس، وأبو محمد النجاري.
- وأبو أبي بن أم خزام آخر الصحابة موتًا ببيت المقدس.

والذي أعقب من الصحابة ببيت المقدس عبادة بن الصامت، وشدّاد ابن أوس، وسلامة بن قيصر[1]، وفيروز الديلمي، والذي لم يعقب أبوريحانة، وذو الأصابع، وأبو محمد النجاري.

- ومنهم واثلة بن الأسقع تحوّل إلى بيت المقدس ومات به.
- ومحمود بن الربيع.
- وأم المؤمنين صفية بنت حيي ـ رضي اللَّه عنها ـ.
- وعصيف بن الحارث ـ رضي اللَّه عنهم جميعًا ـ.

---

(١) أنكر أبو زرعة وابن عبد البر أن تكون له صحبة.

* **وأما من التابعين ومن بعدهم:**

فأويس القرني، وكعب الأحبار، وعبيد عامل عمر بن الخطاب، وعمير بن سعيد، ويعلى بن شداد، وجبير بن نفير الحضرمي، وأبو نعيم المؤذن أول من أذّن ببيت المقدس، وأبو سلام الحبشي، وخالد بن معدان الكلاعي العبد الصالح، وعبد الرحمن بن تميم الأشعري، وأم الدرداء كانت تجالس المساكين ببيت المقدس.

وأبو العوام مؤذن بيت المقدس، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد اللَّه بن محيريز، وهاني بن كلثوم العُبّاد الربّانيون، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك.

قال إبراهيم بن أبي عبلة: رحم اللَّه الوليد، وأين مثل الوليد كان يعطيني قصاع الفضة فأقسمها على قُرّاء بيت المقدس، وسليمان بن عبدالملك، وعمر بن عبد العزيز، ومحارب بن دثار، وإبراهيم بن أبي عبلة، وعبد اللَّه بن فيروز المقدسي، ورجاء بن حيوة، وعبد اللَّه بن فيروز المقدسي، ومحمد بن واسع، ومالك بن دينار، وعبد الواحد بن زيد، وسليمان التيمي، ورابعة العدوية قبرها بظاهر القدس الشريف على رأس طور زيتا.

وأبو الحسن النهراني الأندلسي كان مقيمًا ببيت المقدس، وإبراهيم ابن محمد بن يوسف، وأبو عقبة الخوّاص عباد بن عباد الأرسوفي، وثور بن يزيد، وإبراهيم بن أدهم، والليث بن سعد، وأبو جعفر المنصور، والمهدي الخليفة العباسي ووكيع بن الجراح، ومحمد بن إدريس الشافعي، والمؤمل بن إسماعيل البصري، وصالح بن يوسف أبو شعيب المقنع العبد الصالح، وبشر بن الحارث الحافي.

□ قال ـ رحمه اللَّه ـ: ما بقي عندي من لذات الدنيا إلا أن أستلقي على جنبي تحت السماء بجامع بيت المقدس. وقيل له: لم يفرح الصالحون ببيت المقدس؟ قال: لأنها تذهب الهم، ولا تستعلي النفس بها»[1] .

وعبد اللَّه بن عامر العامري، وأبو الحسن علي بن محمد الجلا البغدادي، والإمام الطرطوشي، والإمام الغزالي، وأبو الغنايم محمد بن علي بن ميمون الكوفي، والإمام أبو بكر محمد بن عبد اللَّه المقري الأشبيلي الحافظ، وأبو عبد اللَّه الديباجي، وأبو الحسن الطوسي، وأبو محمد عبد اللَّه بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري الفقيه المالكي، وأبو بكر محمد بن أبي بكر الجرجاني، وأبو الحسن علي بن محمد المغافري، وأبو سعد بن عبدالكريم السمعاني، والملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، والشيخ الزاهد أبو عمر المقدسي، والضياء المقدسي، والعماد المقدسي، وابن قدامة المقدسي شيخ الحنابلة وصاحب «المغني»، والحافظ الأثري عبدالغني المقدسي...

ولو أردنا أن نترجم لكل من نسب إلى بيت المقدس لاحتجنا إلى مجلدات، ولو اكتفينا بتقديم إحصاء لمن نُسب إلى بيت المقدس ممن عمل، أو أثّر، أو تأثّر بالعيش في بيت المقدس، معتمدين على ما أحصاه مجير الدين الحنبلي في كتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، وغيره من المراجع لوجدنا:

١ ـ الصحابة الذين سكنوا القدس، أو زاروه، أو شدّوا الرحال إليه

---

(١) «إتحاف الأخصّا» (٢/ ٥١).

يزيد عددهم على عشرين صحابيًّا.

٢ ـ من التابعين ومن تبعهم حتى الاحتلال الصليبي حوالي ثمانين عالمًا.

٣ ـ بعد الفتح الصلاحي إلى سنة ٩٠٠هـ حوالي ستمائة عالم.

٤ ـ في العصر التركي بعد سنة ٩٠٠هـ إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري حوالي مائة عالم.

٥ ـ وفي القرن الرابع عشر:

يوسف بن ضياء الخالدي، وروحي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين، ومحمد بن كامل بن طاهر الحسيني مفتي القدس، وخليل جواد الخالدي، وعبد القادر الحسيني بطل معركة القسطل سنة ١٩٤٨م، وعارف العارف المؤرخ المشهور والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، وعز الدين القسام.

هذه الأرض المباركة الولود ليست بعقيم.

يا قدسُ رجالك ما ماتوا　　　ما عقمت أم الفتيان

* بيت المقدس في العصر العباسي:

في سنة ١٣٠هـ أواخر العهد الأموي، حدث زلزال، سقط بسببه شرقي المسجد وغربيّه.

ولما زار الخليفة أبو جعفر المنصور مدينة القدس سنة ١٤١هـ قيل له: «يا أمير المؤمنين قد وقع شرقي المسجد وغربيه زمن الرجفة في سنة ثلاثين ومائة فلو أمرتنا ببناء هذا المسجد وعمارته؟ فقال: ما عندي شيء من المال، ثم أمر بقلع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت على الأبواب

فقلعت وضُرِبت دنانير ودراهم وأُنفقت عليه حتى فرغ منه»[١] .

□ قال ابن كثير: وكان المسجد طويلاً، فأمر أن يُؤخذ من طوله ويُزاد في عرضه، وكان طول المسجد من القبلة إلى الشمال سبعمائة وستون ذراعًا وعرضه أربعمائة وستون ذراعًا[٢] .

□ وفي سنة ١٥٨هـ - ٧٧٤م وقع البناء الذي أقامه المنصور، بسبب زلزال آخر. فأمر الخليفة المهدي بإعادة بنائه، فبُني المسجد هذه المرة بعناية كبيرة، وأُنفقت عليه أموال طائلة.

روى صاحب «الأنس الجليل» في كتابه (١/ ١٨١): «لما قدم المهدي يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق، ومعه أبو عبيد الله الأشعري كاتبه، فقال: يا أبا عُبيد الله! سبقتنا بنو أمية بثلاث. فقال: وما هي يا أمير المؤمنين، فقال: بهذا البيت - يعني مسجد دمشق - ولا أعلم على ظهر الأرض مثيله، ونُبل الموالي، فإن لهم موالي ليس لنا مثلهم. وبعمر ابن عبد العزيز لا يكون والله فينا مثله أبدًا، ثم أتى بيت المقدس، فدخل قبة الصخرة، ثم قال: يا أبا عبيد الله، وهذه رابعة».

□ وفي أواخر سنة ٢١٦هـ. زار الخليفة المأمون العباسي، بيت المقدس في طريقه إلى مصر، وأمر بترميم ما يحتاج إلى إصلاح في منشآت المسجد الأقصى، وكانت قد حصلت زلزلة ثالثة بعد إصلاح المهدي، فأصاب المسجد خراب، فأمر المأمون بتوزيع بنائه على أمراء الأطراف وسائر القوّاد، وقام بالبناء قائده عبد الله بن طاهر بعد سنة ٢١٠هـ، وظل

---

(١) «إتحاف الأخصا» ص(٢٤٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ٢٨١).

المسجد الأقصى ومسجد الصخرة محميّان تحت كنف دولة العباسيين حتى انتهى عصرها.

* بيت المقدس في العصر الطولوني ثم الإخشيدي ثم الفاطمي العبيدي:

دخلت فلسطين في حكم الطولونيين من سنة ٢٦٤هـ حتى سنة ٢٩٢هـ: ٨٧٨م - ٩٠٥م - وعادت إلى عهد الولاة العباسيين من سنة ٢٩٢ هـ حتى سنة ٣٢٣ هـ ثم دخلت تحت حكم الإخشيديين من سنة ٣٢٣ هـ حتى سنة ٣٥٨هـ. وفي مدة حكم هاتين الأسرتين، لم يذكر التاريخ لهم مآثر في بيت المقدس أو في المسجد الأقصى؛ لأن الفتن والأحداث والقتال لم يتركهم يتفرّغون لبناء المآثر. وكان للقدس منزلة خاصة عند الإخشيديين، بدليل أن ملوكهم جميعًا دُفنوا فيها بناء على وصاياهم.

◻ وفي سنة ٣٥٩هـ وقعت القدس تحت طائلة الحكم العبيدي الفاطمي في عهد المعز لدين اللَّه، وعمل هؤلاء العبيديون الشيعة على تقريب اليهود والنصارى في فلسطين، وتزاوجوا منهم، واتخذوا منهم الوزراء والمستشارين والأطباء، وازدادت هذه الظاهرة في عهد العزيز باللَّه الذي تزوّج من امرأتين نصرانيتين، كانت إحداهما أم ولده الذي تولى الحكم سنة ٣٨٦هـ ولُقِّب بالحاكم بأمر اللَّه الفاطمي، ولقد عمل هذا الخبيث على تقريب النصارى أكثر وأكثر، ولا عجب من أمثاله في ذلك، فقد كانت أمه وجاريته نصرانيتين، وتلقى تربيته وعلمه على أيدي النصارى، وعيّن شقيق جاريته النصراني أسقفًا بالقدس، وكان وزيره (عيسى بن نسطور) نصرانيًّا، وطبيبه (أبو الفتح منصور بن معشر)

نصرانيًّا، وكان نائبه في سوريا يهوديًّا. ولكن على رغم كل ذلك عاد الخليفة العبيدي (الحاكم بأمر الشيطان) فانقلب على النصارى وعلى اليهود، ثم رجع مرة أخرى إلى تقريبهم واسترضائهم.

❑ وفي عهد الخليفة العبيدي الظاهر والخليفة المستنصر باللَّه أُبرمت المعاهدات بين الدولة الفاطمية والدولة الرومية البيزنطية النصرانية، وأدّى هذا إلى رواج وانتعاش الوجود النصراني في المدينة المقدسة، وفتح ذلك أعين النصارى على الاستيلاء على هذه الأرض فيما بعد.

❑ وفي عام ٤٦٥هـ بعث ألب أرسلان السلجوقي بجيش إلى فلسطين استطاع به أن ينتزعها من يد الدولة الفاطمية وأقام الدعوة العباسية بالقدس.

❑ ثم استعاد الفاطميون القدس من السلجوقيين مرة أخرى عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م في زمن الخليفة الفاطمي المستعلي باللَّه.

وكانت القدس وقتها بيد أميرين من السلاجقة ـ والصليبيون يومها في أطراف الشام ـ فجاء أمير الجيوش الفاطمي في هذه الأيام يحارب الأميرين ليرجع القدس إلى الحماية الفاطمية، وكان له ما أراد بعد أن قُتِل في هذا السبيل آلاف من المسلمين.

كان البيت المقدّس، لتاج الدولة تتش «السلجوقي» وأقطعه للأمير سقمان بن أرتق التركماني، فلما ظفر الفرنج بالأتراك السلاجقة على أنطاكية وقتلوا فيهم. وضعفوا، وتفرّقوا.. فلما رأى المصريون «الفاطميون» ضعْف الأتراك ساروا إليه، مُقَدَّمُهم الأفضل بن بدر الجمالي (أمير الجيوش) وحصروه وبه الأميران سقمان، وأليغازي، ابنا أرتق وابن عمّهما سونج، وابن أخيهما ياقوتي، ونصب عليه نيّفًا وأربعين منجنيقًا،

فهدموا مواضع من سوره، وقاتلهم أهل البلد، فدام القتال والحصار نيّفًا وأربعين يومًا، وملكوه بالأمان في شعبان سنة ٤٨٩هـ... واستناب المصريون في القدس رجلاً يعرف بافتخار الدولة»[١].

* الاحتلال الصليبي للقدس ٤٩٢ ـ ٥٨٣ هـ (١٠٩٩ ـ ١١٨٧م):

❑ سقطت القدس في أيدي الصليبيين في وقت كان المسلمون فيه أضعف ما كانوا.

في بغداد كانت الخلافة العباسية في أضعف أحوالها لا حول لها ولا قوة.

وتفككت الدولة السلجوقية وانقسمت إلى خمس دول سلجوقية متنافسة متصارعة.

وعلا أمر العبيديين المبتدعة وفشا الفكر الباطني في الشام وساد أهل البدع.

وتفرقت البلاد إلى دول صغيرة قد لا تزيد رقعة الواحدة على قلعة وناحية من الأرض تحيط بها، وكان هؤلاء الحكام دائمي التنازع والعدوان على بعضهم البعض.

ولم يكن لأحدهم همٌّ إلا في بطنه وفرْجه كما يقول أبو شامة في كتاب الروضتين (١/ ١٤)، مما سهّل على الصليبيين دخول البلاد.

سيذكر التاريخ أن بطرس الناسك اجتمع بشمعون بطريرك القدس وشكى[٢] له الأول أحوال المسيحيين وأجابه بطرس قائلاً: «اعلم أيها

(١) «الكامل» لابن الأثير (٨/ ١٨٩).

(٢) على حد زعمهم الباطل كما يصوره وليم رئيس أساقفة صور وكبير مستشاري ملك القدس في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» ص(١٦٣).

الأب المقدس أنه لو كان لدى الكنيسة في روما، والملوك في الغرب أي مخبر حذر وموثوق يخبرهم بالمصائب التي تكابدونها[(١)] لكانوا سيحاولون حتمًا تقديم العلاج بالسرعة الممكنة وبالقول والفعل لمصاعبكم هذه. ولذلك اكتب أنت بكل اجتهاد إلى البابا العظيم وإلى الكنيسة في روما، واكتب أيضًا إلى ملوك وأمراء الغرب، وصادق على الرسالة بخاتم سلطانك الكهنوتي، وبالحقيقة - إنني لمداواة روحي - لن أتوانى عن الاضطلاع بهذه المهمة...»[(٢)].

وهكذا كتب بطريرك القدس الخائن الرسالة وسلّمها لبطرس الناسك.

وجاب بطرس الناسك إيطاليا بأجمعها، وعبر جبال الألب، وزار جميع ملوك أوربا مؤكدًا وموبخًا ومنتقدًا، واستقبل البابا أوربان بطرس الناسك، «ووعده مقسمًا بالرب الذي هو عبد له بأن يؤازره في المهمة التي جاء من أجلها كلما سنحت له الفرصة»[(٣)].

دعا البابا أوربان الثاني الجماهير المسيحية في مؤتمر كليرمونت سنة ١٠٩٥م إلى الحروب الصليبية قائلاً:

«يا شعب الفرنجة! شعب اللَّه المحبوب المختار! لقد جاءت من تخوم فلسطين ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنسًا لعينًا أبعد ما يكون عن اللَّه قد طغى وبغى في تلك البلاد بلاد المسيحيين، وخرّبها بما نشره فيها من أعمال السلب وبالحرائق، ولقد ساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذّبوهم أشنع

---

(١) وهذا من كذب الأسقف وليم.
(٢) «تاريخ الحروب الصليبية» ص(١٦٤).
(٣) «تاريخ الحروب الصليبية» ص(١٦٧).

تعذيب، وهم يهدمون المذابح والكنائس بعد أن يدنّسوها برجسهم، ولقد قطّعوا أوصال مملكة اليونان فانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين.

على من تقع تبعة الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع، إذا لم تقع عليكم أنتم - أنتم يا من حباكم اللَّه أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال وبالبسالة العظيمة، وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم؟

ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يُقوّي قلوبكم - أمجاد شارلمان وعظمته، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم - فليثر همّتكم ضريح المسيح المقدس ربنا[1] ومنقذنا، الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة التي لُوِّثت ودُنِّست، لا تدعوا شيئًا يقعد بكم من أملاككم أو من شؤون أسركم، ذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقلل الجبال، ضيّقة لا تتّسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيكم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضًا، ويلتهم بعضكم بعضًا، وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية.

طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث[2] وتملكوها أنتم، إن أورشليم أرض لا نظير لها في

---

(١) ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا﴾. ما المسيح بن مريم إلا عبد اللَّه ورسوله، رفعه اللَّه إليه وسيعود آخر الزمان ليحطم الصليب ويقتل الدّجال ويضع الجزية.

(٢) ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾.

ثمارها، هي فردوس المباهج، إن المدينة العظيمة القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلّصوا من ذنوبكم، وثقوا أنكم ستنالون من أجل ذلك مجد لا يفنى في ملكوت السماوات»[١] .

□ يقول وليم رئيس أساقفة صور في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» بعض ما جاء في موعظة البابا ـ حسب روايته ـ:

«إن مهد عقيدتنا[٢] وموطن ربنا وأم الخلاص يستولي عليها الآن بكل قوة شعب بدون رب، إنه ابن لجارية مصرية[٣] ، وهو يفرض شروطًا مفرطة في شدتها على الأبناء الأسرى للمرأة الحرة[٤] ، وذلك على الرغم من أنه هو المستحق لهذه الأحوال. . .

لقد اضطهد عرق السراسنة[٥] الشرير التابع للمعتقدات الخرافية[٦] النجسة لسنوات عديدة وبكل عنف واستبداد ـ الأماكن المقدسة حيث ارتكزت أقدام ربنا، وأخضع المؤمنين[٧] لرغباته، وحكم بالعبودية عليهم، ولقد دخلت الكلاب الأماكن المقدسة، وجرى تدنيس المقدسات، وإذلال الناس عبدة الرب. . .

---

(١) انظر: «قصة الحضارة» لول ديورانت (١٥/ ١٥ ـ ١٦) الترجمة العربية بقلم محمد بدران، وكتاب «وثائق الحروب الصليبية» للدكتور محمد ماهر حمادة مؤسسة الرسالة.

(٢) أي: القدس.

(٣) أي: المسلمون باعتبار أن أمهم هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

(٤) أي: سارة أم إسحاق عليه السلام.

(٥) أي: العرب المسلمون.

(٦) يقصدون بذلك الإسلام.

(٧) أي: النصارى.

إن معبد الرب الذي طرد منه - بغيرته - الذين باعوا واشتروا، حتى لا يصبح بيت أبيه مغارة للصوص، قد جعل بيتًا للشياطين. . .

إن مدينة ملك الملوك التي نقلت إلى الآخرين مبادئ عقيدة عصماء[١] تُدفَعُ على الرغم من إرادتها لتكون خاضعة لدعاوى الشعوب المنحطّة. كما أن كنيسة القيامة المقدسة مكان الاستراحة الأخير للرب النائم تتحمل حكمهم، وقد دنّستها قذارة الذين ليس لهم نصيب في القيامة، بل مقدّر عليهم أن يُحرقوا للأبد كالقش بألسنة النيران السرمدية. .

لنذهب إلى نجدة إخواننا لنقطع قيودهم ولنطرح عنهم ربطهم، اذهبوا وليكن الرب معكم، وجّهوا أسلحتكم التي لطّختموها بشكل محرم في ذبح بعضكم بعضًا إلى أعداء العقيدة وأعداء اسم المسيح. . .

عليكم أن تكبحوا بكراهية قويمة غطرسة الكفرة[٢] الذين يحاولون استعباد الممالك والإمارات والقوى، وأن تهاجموا بكل قوتكم أولئك العاقدي العزم على تدمير الاسم المسيحي، وإلا فسيحدث أن كنيسة الرب التي تكابد الآن من نير العبودية المجحفة ستعاني خلال فترة قصيرة من خسارة العقيدة وستنتصر خرافات الوثنيين. ولقد رأى بعضكم بأم عينيه هذه الأشياء التي نتحدث عنها الآن، ويعرف نوع المحنة التي يعيش إخواننا فيها، وإن كتابهم الذي أحضره باليد بطرس الرجل المبجّل الموجود معنا هنا ينطق بمحتوى هذه الرسالة ذاتها.

---

(١) كذبوا. . . بل هو الكفر الصراح الموجب للخلود في النار ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدًا. أن دعوا للرحمن ولدا﴾ .

(٢) أي: المسلمين.

وبناء عليه نقوم واثقين برحمة الرب، وبسلطان الرسل المباركين بطرس وبولص بمنح المسيحيين المؤمنين الذي يحملون السلاح ضد الملحدين ويتولون القيام بأعباء هذا الحج مغفرة للعقوبات المفروضة عليهم بسبب خطاياهم، وليثق الذين سيرحلون إلى هناك بتوبة صادقة أنهم سيلاقون التكفير عن آثامهم وسيجنون ثمار الجزاء السرمدي. ونضع في الوقت نفسه تحت حماية الكنيسة وحماية بطرس وبولص المباركينِ جميع الذين سيباشرون هذه المهمة بحماسة الإيمان ويتولون قتال الملحدين. .»[1] إلى آخر ما جاء في موعظته.

يقول أسقف صور: «ويمكن القول بالفعل بأن قول الرب كان يتحقق حيث يقول: «ما جئت لأُلقي سلامًا بل سيفًا»[2] .

حيث انفصل الأزواج عن زوجاتهم، والزوجات عن أزواجهن، والآباء عن أبنائهم، والأبناء عن آبائهم، فروابط الحب كلها لم تصمد أمام هذه الحماسة، وخرج العديد من الرهبان من أديرتهم، كما تركوا صوامعهم، حيث كانوا قد عزلوا أنفسهم لخدمة الرب»[3] .

واندفعت الحشود الكافرة الموتورة يدفعها الحقد الصليبي، واستطاعوا أن يؤسسوا في بلاد الشام ثلاث إمارات صليبية:

- إمارة الرها أُسست في ١٠/ ٣/ ١٠٩٨م وكان سقوط الرها على يد بلدوين.

---

(١) «تاريخ الحروب الصليبية» ص(١٦٩ ـ ١٧٣).

(٢) متى: (١٠/ ٣٤).

(٣) «تاريخ الحروب الصليبية» ص(١٧٤).

☐ وإمارة أنطاكية أُسست في حزيران من السنة نفسها، وكان سقوط أنطاكية على يد بوهيموند.

وأرسل خليفة الفاطميين الخائن أفرادًا من أسرته يعرض على الصليبيين دعمه العسكري ومواردة ويرجوهم أن يطيلوا الحصار على أنطاكية، وأن لا يتركوها حتى تقع في أيديهم..

☐ هؤلاء الصليبيون لا نحاكمهم إلا من خلال كلامهم.. ما فعلوا بين معرة النعمان وأنطاكية أكلوا لحوم المسلمين.

قال وليم أسقف مدينة صور في كتابه: «تاريخ الحروب الصليبية» ص(٣٨٣): في حديثه عن جيش الصليبيين: «ومن المؤكد أيضًا ـ وعلى الرغم من أن هذا غير معقول تمامًا ـ أن الكثيرين قد هووْا بسبب نقص الطعام المناسب، إلى مهاوٍ سحيقة إلى درجة أنهم أكلوا اللحم البشري».

☐ وأخذوا القدس وأسسوا فيها إمارة سنة ١٠٩٩م.

ومما يزيد الأمر سوءًا، أن أمراء القلاع والمدن من المسلمين، كانوا يتعاونون مع هؤلاء الغزاة، ويقدّمون لهم الأموال وهم في طريقهم إلى القدس.

☐ وفي الطريق إلى القدس استولى الصليبيون على قيسارية حاضرة فلسطين الثانية، وأخذوا أرسوف ويافا ثم وصلوا إلى اللد، واحتلوا الرّملة ثم حاصروا القدس.

* حصار القدس وسقوطها والمذابح التي تمت بها:

استناب الفاطميون في القدس رجلاً يُعرف بافتخار الدولة.. فقصده الفرنج بعد أن حصروا عكا فلم يقدروا عليها، فلما وصلوا إلى

القدس حصروه نيّفا وأربعين يومًا ونصبوا عليه بُرْجين، أحدهما من ناحية صهيون[1]، وأحرقه المسلمون وقتلوا كل من به، فلما فرغوا من إحراقه، أتاهم المستغيث بأن المدينة قد مُلِكت من الجانب الآخر، وملكوها من جهة الشمال، ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ٤٩٢هـ. وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعًا يقتلون المسلمين، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود[2]، فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام، فبذل لهم الفرنج الأمان، فسلّموه إليهم.. وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعُبّادهم وزهّادهم ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف»[3].

* خيانة الفاطميين الزنادقة لبيت المقدس نسجّلها للتاريخ:

بدأ حصارُ مدينة القدس ٧/ ٦/ ١٠٩٩م، ودخل الصليبيون البلدة المقدسة ١٥/ ٧/ ١٠٩٩م. وعلى هذا فقد دام الحصار أكثر من شهر، وقد وصلت هذه الحملة إلى شمال سورية عام ٤٩١هـ ـ ١٠٩٨م، فبيْن دخول الحملة شمال سورية، إلى يوم دخولها القدس لا يقل عن عشرة أشهر. وفي شهر آذار ١٠٩٩م كانوا في طرابلس الشام. فحصار القدس لم يكن مفاجئًا لسلاطين الفاطميين أصحاب الألقاب الفخمة الفارغة.

ففي مصر: الخليفة المستعلي، وقائد جيوشها «أمير الجيوش الأفضل

---

(١) الحائط الجنوبي في السور.

(٢) محراب داود: بالقرب من باب الخليل في سور مدينة القدس في القلعة، وهو بعيد عن المسجد الأقصى.

(٣) «الكامل» لابن الأثير (٨/ ١٨٩).

ابن بدر الجمالي، ووزيرها الأفضل شاهنشاه، وفي القدس أميرها افتخار الدولة... أي واللّه!!!، ورحم اللّه الشاعر الأندلسي حين يقول:

مما يزهّدني في أرض أندلسٍ ألقاب مُعْتضدٍ فيها ومعتمدِ
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهرِّ يحكي انتفاخًا صولة الأسدِ

ماذا كان من افتخار الدولة يوم خرج من القدس؟:

أدرك افتخار الدولة عند العصر - من اليوم نفسه الذي دخل فيه الصليبيون - أن كل شيء قد ضاع، وأنه لا أمل في المقاومة فانسحب، بل التجأ إلى برج داود، الذي عرض أن يُسَلِّمه إلى ريموند مع مبلغ من المال، مقابل الإبقاء على حياته، وحياة حرسه الخاص، فقبل ريموند الشروط، واحتل البرج، فخرج من المدينة تحت الحراسة افتخار الدولة مع حرسه، وانحازوا إلى الحامية الإسلامية بعسقلان.

.. إيه يا عار الدولة بل عار الدنيا ماذا فعلت؟

تُسلم الحصن، وتدفع المال، لتخرج سالمًا مع حرسك، وتترك المسلمين يُقتلون، هكذا تكشف المصائب عن فسادكم وزندقتكم وأنكم أبدًا الخنجر في ظهر الأمة، هلاّ جرّدت الحامية العسقلانية التي هي على مرمى حجر من القدس.

أين الحميّةُ والنفسُ الأبيّةُ إذْ سَامُوكَ خُطّة خَسْفٍ عارها يصمُ
هلاّ أَنِفْتَ حياءً أوْ مُحافظةً من فِعْلِ ما أنكرتْه العُرْبُ والعَجمُ
أسلمْتنا وسيوفُ الهنْد مُغْمَدةٌ ولم يُروِّ سِنان السمهريّ دمُ
وكنتُ أحْسَبُ مَنْ والاك في حرم لا يعتريه به شَيْبٌ ولا هَرَمُ
وأن جارك جارٌ للسموأل لا يخشى الأعادي ولا تغتالُه النّقَمُ

هَبْنا جَنَيْنا ذُنُوبًا لا يُكَفِّرها عُذْرٌ فماذا جنى الأطفال والحُرَمُ؟(١)

▫بعد أن غنم افتخار الدولة حياته بالهرب وتبيّن للمسلمين انهيار أسباب دفاعهم، ولّوا الأدبار نحو الحرم الشريف، حيث قبّة الصخرة والمسجد الأقصى، ووطدوا العزم على أن يتخذوا من المسجد معقلهم الأخير، ولم يكن لديهم الوقت الكافي لأن يجعلوه صالحًا للدفاع، فانقضّ «تانكرد» أثناء احتشادهم بداخل المسجد وفي أعلاه، فبادروا بالتسليم، وأخذوا علمه، ورفعوه فوق المسجد، ولكن «تانكرد» أخذ يعيث فسادًا في قبة الصخرة يدمّر وينهب ما يشاء... ولم يكن علم تانكرد عاصمًا للاجئين إلى المسجد الأقصى من القتل، ففي الصباح الباكر من اليوم التالي (الجمعة ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢هـ ـ تموز ١٠٩٩م) اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين، فأجهزت على جميع اللاجئين.

وحينما توجّه «ريموند آجيل» في الضحى لزيارة ساحة المسجد، أخذ يتلمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبته. وساحة المسجد الأقصى تتسع لأكثر من مائة ألف مصلّ، فإذا أصبح ملجأً، فإنه يتسع لمئتي ألف إنسان.

وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا، منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعُبّادهم وزُهّادهم، ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف. وأخذوا من عند الصخرة نيّفًا وأربعين قنديلاً من الفضة، وزن كلّ قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنّورًا من الفضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا من

---

(١) الأبيات لأسامة بن منقذ يخاطب بها أحد أصحاب الألقاب في زمانه.

القناديل مائة وخمسين قنديلاً، ومن الذهب نيّفًا وعشرين قنديلاً، وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء[١] .

◘ وعندما احتل الصليبيون القدس غيّروا معالم المسجد، فاتخذوا جانبًا منه كنيسة، وجانبًا منه لفرسان الاسبتارية. وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناءً جعلوه مستودعًا لذخائرهم، وحوّلوا قبة الصخرة إلى كنيسة.

◘ قال «إسترانج» في كتابه «فلسطين في العهد الإسلامي»: استولى الصليبيون في ١٤تموز ١٠٩٩م على المدينة المقدسة، واستولى فرسان الهيكل على منطقة الحرم، وقد اشتق هؤلاء الفرسان اسمهم من قبة الصخرة التي ظنّها المسيحيون هيكلاً منذ أيام المسيح، فدعوا أنفسهم فرسان الهيكل، وقد أحدث الهيكليون تغييرات كثيرة في المسجد الأقصى وفيما جاوره من أجزاء منطقة الحرم، لكنّهم لم يمسّوا قبة الصخرة بسوء، فبنوا مستودع أسلحتهم مكان الأروقة المعمّدة التي وصفها ناصر خسرو، وبنوا إصطبلات خيولهم في أجزاء الزاوية الجنوبية الشرقية لمنطقة الحرم غربي مهد عيسى. وربما استعملوا البوابة الثلاثية أو المنفردة كمخرج لهم من تلك الأقبية»[٢] .

◘ يقول عارف العارف:

«إن الإفرنج لم يغيّروا شيئًا من بناء مسجد الصخرة سوى أنهم قلبوه إلى كنيسة، ووضعوا به الصور والتماثيل، وأنشئوا على الصخرة مذبحًا[٣] كما أنشئوا حول الصخرة سياجًا من الحديد المشبّك، وكسوا

---

(١) انظر: «الكامل» لابن الأثير أحداث سنة ٤٩٢هـ.

(٢) «فلسطين في العهد الإسلامي» لإسترانج ـ الترجمة العربية ص(١١٥).

(٣) «مذابح الكنائس»: هي المواضع التي يقيم عليها الكهنة القدّاس.

الصخرة بالرخام، ونصبوا فوق القبّة صليبًا كبيرًا.

وأما المسجد الأقصى، فقد غيروا الكثير من معالمه، واستعملوه لأغراضهم الدينية والأهلية والحربية، فاتخذوا جانبًا منه كنيسة، والجانب الآخر مسكنًا لفرسان الهيكل، وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناءً جديدًا، استعملوه مستودعًا لأسلحتهم. وأما السراديب القديمة التي كانت تحت الأقصى، ويسميها المقدسيون: الأقصى القديمة فقد اتخذها الصليبيون، إسطبلاً لخيولهم.

وكم من مسجدٍ جعلوه دْيرًا على محرابه رُسِم الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوف وتحريق المصاحف فيه طيب

* ماذا فعل المسلمون الغافلون يومئذ بعد أن ضاعت قبلتهم الأولى؟

◻ قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧):

«لمّا كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة، أخذت الفرنج ـ لعنهم اللَّه ـ بيت المقدس ـ شرّفه اللَّه ـ، وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل، وقتلوا في وسطه أزْيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وتبّرُوا ما علوا تتبيرًا...

وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان، منهم القاضي أبو سعد الهروي، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا، وقد نظم أبو سعد الهروي كلامًا قُرِئ في الديوان، وعلى المنابر، فارتفع بكاء الناس، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس

فلم يفد شيئًا، فإنا للّه وإنا إليه راجعون».

وقال ابن الأثير في «الكامل» (٨/ ١٨٩):

«ورد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد صُحْبة القاضي أبي سعد الهروي فأوردوا في الديوان كلامًا أبكى العيون، وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا وبكوا، وأبْكَوا، وذكروا ما دَهَم المسلمين بذلك الشريف المعظّم من قَتْل الرجال، وسبْي الحريم والأولاد، ونهب الأموال.. فلشدة ما أصابهم أفطروا!!!!

قال: فأمر الخليفة أن يسير القاضي أبو محمد الدامغاني... وفلان، وفلان فساروا إلى حلوان «بالعراق» فبلغهم قتْل مجد الملك البلاساني فعَادوا من غير بلوغ أرب، ولا قضاء حاجة، واختلف السلاطين فتمكّن الفرنج من البلاد».

أفطروا في رمضان فلا أرقأ اللّه لهم دمْعًا، ولا أقرّ لهم عينًا إن كانوا هؤلاء حماة الإسلام يومئذ كان لزامًا أن تسقط القدس على أيامهم والتاريخ يُعيد نفسه.

نستخذي في وهن وجبن وذل.

مَا لي ألوم عَدوِّي كلما نَزَلَتْ ... بيَ المصائب أوْ أرْميه بالتُّهَمِ
وادَّعي أبدًا أني البريء وما ... حَمَلْتُ في النفس إلا سَقْطة اللَّمَمِ
أنا الملوم! فعهد اللّه أحمله ... وليس يحمله غيري من الأمم[1]

❀ ❀ ❀

(١) من ملحمة الغرباء للدكتور عدنان النحوي ـ دار النحوي للنشر والتوزيع.

قال أبو المظفر الأبيوردي في سقوط بيت المقدس:

مَزَجنا دماءً بالدموع السواجم ... فلم يبقَ منا عُرْضَةً للمَراجم[(١)]

وشر سلاح المرء دمع يفيضه ... إذا الحرب شبّت نارها بالصوارم

فإيهًا[(٢)] بني الإسلام إن وراءكم ... وقائع يلحقن الذرى بالمناسم

أتهويمةً في ظلِّ أمن وغبطة ... وعيش كنُوّار الخميلة ناعم

وكيف تنام العينُ ملءَ جفونها ... على هفواتٍ أيقظت كلَّ نائمِ

وإخوانكم بالشام يُضحى مقيلُهم ... ظهور المذاكي أوبطون القشاعمِ[(٣)]

تسومهم الروم الهوانَ وأنتمُ ... تجرّون ذيْل الخفض فِعْل المُسالمِ

وكم من دماء قد أُبيحت ومن دُمًى[(٤)] ... تُواري حياءً حسنها بالمعاصم

بحيث السيوف البيض مُحْمرةُ الظِّبا ... وسمرُ العوالي دمياتُ اللهاذِمِ

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفةٌ ... تظل لها الولدان شيبَ القوادم

وتلك حروبٌ من يَغِبْ عن غمارها ... ليسلمَ يقرَعْ بعدها سِنّ نادم

---

(١) عرضة: الهمة، ويقال: جعلتُه عرضة لكذا: أي: نصبته له. وهو عرضة للناس، أي: لا يزالون يقعون فيه. والمراجم: الكَلِم القبيحة، يُقال: تراموا بالمراجم، أي: بالقبيح من الكلام، وكأن الشاعر يقول: لقد ذُمّت جميع صفاتنا، فلم يبق منها صفة للعيب.

(٢) إيهًا: اسم فعل أمر، بمعنى: اسكت وكُفّ، أي: كُفّوا عن الضعف. والذُّرى: جمع الذِّروة: المكان المرتفع والعلو، واستعاره هنا لِعلية القوم. والمناسِم: جمع مَنْسِم، وهو للإبل كالظفر للإنسان. ويبدو أنّه استعاره لعامة الناس، يريد أن الحرب لا تُبقي على أحد.

(٣) المذاكي: الخيل. والقشاعم: الصقور.

(٤) الدُّمَى: جمع دُمْية: تستعار للفتاة الحسناء.

سَلَلْنَ بأيدي المشركين قواضبًا ... ستُغمد منهم في الطُّلى والجماجم[1]

يكاد لهن المستَجِنُّ[2] بطيبة ... ينادي بأعلى الصوت: يا آل هاشم

أرى أمتي لا يشرعون إلى العدى ... رماحَهم والدين واهي الدعائم

ويجتنبون النار خَوفًا من الرَّدى ... ولا يحسبون العار ضَربة لازِم

أترضى صناديدُ الأعاريب بالأذى ... ويُغضى على ذل كُماة الأعاجِمِ

فليتهم إذْ لم يذودوا حَمِيّةً ... عن الدين ضنوا غَيرةً بالمحارم

وإن زَهِدوا في الأجر إذ حمِسَ الوغى ... فهلاّ أتوهُ رغبةً في الغنائم

لئن أذعنت تلك الخياشيم للبرى[3] ... فلا عطسوا إلا بأجدعَ راغمِ

دعوناكمُ والحربُ ترنو مُلحّة ... إلينا بألحاظِ النسور القشاعم

تراقبُ فينا غارة عربيَّة ... تُطيل عليها الروم عضَّ الأباهم

فإن أنتمُ لم تغضبوا بعد هذه ... رَمينا إلى أعدائنا بالجرائم

❀ ❀ ❀

◻ سيذكر التاريخ بالعار كل العار أسماء قادة من الصليبيين اشتركوا في سقوط بيت المقدس ومذابحها: غود فري دوق اللورين وأخوه يوستاس، وكونت فلاندرز، وكونت نورماندي، وتانكرد، وريموند.

* دخول القدس ومذبحتها بقلم عُبّاد الصليب:

◻ يقول «وليم» أسقف صور في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية»:

---

(١) الطُّلى: مفردها: الطلية والطلاة، أي: العنق.

(٢) المستجِنُّ بطيبة أي: المقبور في طيبة وهو رسول اللَّه ﷺ

(٣) البرى: التراب: يريد رغم أنفهم في التراب.

❑ قام غـود فري الدوق النبـيل والشهيـر، برفقـة أخيه يوسـتاس، بالخطوة الأولى إلى داخل المدينة وشجّعـا البقية ليتبعـاهما، وذلك عندما تم تعـديل الجسـر، وتبـعـهمـا على الفـور الأخوان النـبيـلان لودولف وغسلبرت وهمـا من أهالي مدينة تورناي، وممن يستحـقان الذكر للأبد، ثم لحقهما حشد من الفرسان والمشاة بعدد كبير جـدًّا لدرجة أنه لم يعد بإمكان الآلة الحـربيـة أو الجـسر تحـمّل المزيد، وعندمـا أدرك العـدو أن المسيـحيين قد استـولوا على السور، وأن الدوق كان قد رفع رايتـه عليه هجروا الشرفات والأبراج ولجئوا إلى الشوارع الضيقة.

وما إن أدرك شعبنا أن الدوق وعدد كبير من القادة كانوا قد استولوا على الأبراج حتى شـرعوا بتسلق الآلة الحـربية، بل تنافسوا مع بعـضهم بعضًا في رفع سـلالم التسلق إلى الأسوار التي كانوا مـزودين بها بشكل جيد.

❑ وتبع الدوق غود فـري على الفور كل من كـونت فلاندرز ودوق نورمانـدي وتانكرد الشجـاع الذي هو محارب جـدير بالثناء من جـميع الجوانب، كما صعد مع هؤلاء كل من هيـبو الكبير، كونت القديس بول وبلدوين دي بورغ، وغـاسـتـون دي بارن، وغـاسـتـون دي بيـزريس، وجيراردي روزليون، وتوماس دي لا فير، أسقف برتون وكونت رينبولد من مدينـة أورانج ولودوفك مونكونز أسقـف مونتاغـيو وابنه لامـبرت، بالإضافة إلى آخرين كثر لا أتذكر أعدادهم ولا أسماءهم.

وحـالما رأى الدوق أن جمـيع هؤلاء الفرسـان قد دخلوا بسـلام، أرسل قسمًا منهم مع مـرافقة مناسبة لفتح الباب الشـمالي، حتى يتمكن الناس الذين كانوا ينتظرون في الخارج من الدخول إلى المدينة، وفتح هذا

الباب بالحال، واندفع الجيش كله بصورة فوضوية ودون نظام أو ترتيب.

حدث ذلك من الساعة التاسعة من يوم الجمعة.

ضم الدوق آنذاك والذين كانوا معه صفوف قواتهم، واندفعوا هنا وهناك خلال شوارع وساحات المدينة مستلين سيوفهم وبحماية دروعهم وخوذهم، وقتلوا جميع من صادفوا من الأعداء بصرف النظر عن العمر أو الحالة ودونما تمييز، قد انتشرت المذابح المخيفة في كل مكان، وتكدّست الرؤوس المقطوعة في كل ناحية بحيث تعذّر الانتقال على الفور من مكان لآخر إلا على جثث المقتولين، وكان القادة قد شقّوا في وقت سابق طريقًا لهم بواسطة مسالك متنوعة إلى مركز المدينة تقريبًا، وأحدثوا عندما تقدموا قتلاً لا يُوصف. وتبع موكبهم حشد من الناس متعطش لدماء الأعداء ومصمم تصميمًا كاملاً على إبادتهم.

وفي هذه الأثناء كان كونت طولوز والقادة الذين كانوا يحاربون معه في المنطقة المجاورة لقمة جبل صهيون، جاهلين تمامًا أنه تم الاستيلاء على المدينة وأن الانتصار كان حليفنا، لكن صرخات المسيحيين العالية التي أصدروها عندما دخلوا القدس، وصيحات الرعب التي ارتفعت عندما استمرت مذبحة الكفرة[1] جلبت الذعر للمدافعين في ذلك القطاع من المدينة واضطربوا لدى تفسير الجلبة الغريبة والصخب المشؤوم، وما لبث أن اكتشف الجميع أنه تم اقتحام المدينة بالقوة وأن فيالق المسيحيين قد دخلت إليها، فهجروا الأبراج والتحصينات بدون تأخير

(١) يعني المسلمين... رمتني بدائها وانسلّت.

وهربوا في اتجاهات مختلفة مصممين على النجاة فقط، ولجأت الأكثرية إلى القلعة لأنها كانت قريبة، أنزل الجيش الجسر بدون مقاومة، ورفع سلالمه إلى الأسوار، ودخل المدينة دون أدنى إعاقة من جانب العدو، وما إن أفسح المجال أمامه حتى تولى العساكر فتح الباب الجنوبي الذي كان الباب الأقرب إليهم، وسمحوا لبقية الناس بالدخول، وكان أن دخل إلى هنا كونت طولوز الشهير والشجاع بصحبة إيسورد، كونت ديا وريموند بيلي، ووليم دي سابران أسقف البارة وعدد كبير من النبلاء الآخرين لم يحفظ أي تاريخ أسماءهم وعددهم.

❑ وطافت هذه القوات الموحدة والمدججة بالسلاح من رأسها إلى أخمص قدميها في كل مكان خلال وسط المدينة، وأحدثوا دمارًا مريعًا بتصميم مشترك، وواجه الذين نجوا من أعمال التخريب التي قام بها الدوق ورجاله، وهربوا إلى الأجزاء الأخرى من المدينة واعتقدوا أنهم قد نجوا بطريقة ما من الموت، واجهوا هذه المجموعة من المحاربين المسيحيين، وهكذا كان مثلهم مثل المستغيث من الرمضاء بالنار، ولقد كانت المجزرة التي اقترفت في كل مكان من المدينة مخيفة جدًّا، وكان سفك الدماء رهيبًا لدرجة عانى فيها حتى المنصورون من أحاسيس الرعب والاشمئزاز.

❑ كان القسم الأكبر من الناس قد التجأ إلى ساحة الهيكل لأنها واقعة في قسم منعزل من المدينة وكانت محمية حماية قوية بسور وأبراج وبوابات، إلا أن هروبهم إلى هناك لم ينقذهم، حيث تبعهم تانكرد على الفور بالجزء الأكبر من سائر الجيش، وشق طريقه إلى داخل الهيكل، ونقل معه حسب إحدى الروايات بعد مذبحة مخيفة كمية ضخمة من

الذهب والفضة والمجوهرات، هذا ومن المعتقد أنه أعاد هذه الكنوز سالمة بعد أن كان الصخب قد هدأ.

وعلم القادة الآخرون، بعد أن كانوا قد قَتلوا من واجهوه في الأجزاء المختلفة من المدينة، أن الكثيرين قد هربوا للالتجاء إلى الأروقة المقدسة للهيكل، ولذلك اندفعوا بالإجماع إلى هناك، ودخلت مجموعة كبيرة من الفرسان والرجالة قتلت جميع الذين كانوا قد التجأوا إلى هناك، ولم تُظهر أية شفقة لأي واحد منهم، وغُمِر المكان كله بدم الضحايا.

❑ لقد كان بالفعل حكم اللَّه القويم الذي قضى على الذين دنّسوا حرم المسيح بطقوسهم الخرافية، وجعلوه مكانًا غريبًا بالنسبة لأهله المؤمنين أن يكفّروا عن خطاياهم بالموت وأن يطهروا الأروقة المقدسة بسفك دمائهم.

وبات من المحال النظر إلى الأعداد الكبيرة للمقتولين دون هلع، فقد انتشرت أشلاء الجثث البشرية في كل مكان، وكانت الأرض ذاتها مغطاة بدم القتلى، ولم يكن مشهد الجثث التي فُصلت الرؤوس عنها والأضلاع المبتورة المتناثرة في جميع الاتجاهات هو وحده الذي أثار الرعب في كل من نظر إليها، فقد كان الأرهب من ذلك هو النظر إلى المنتصرين أنفسهم وهم ملطخون بالدم من رؤوسهم إلى أقدامهم، إنه منظر مشؤوم جلب الرعب لجميع من واجهوهم، ويروى أنه هلك داخل حرم الهيكل فقط قرابة عشرة آلاف من الكفرة، بالإضافة إلى القتلى المطروحين في كل مكان من المدينة في الشوارع والساحات حيث قُدِّر عددهم أنه كان مساويًا لعدد القتلى داخل حرم الهيكل.

❑وطاف بقية الجنود خلال المدينة بحثًا عن التعساء الباقين على قيد الحياة، والذين يمكن أن يكونوا مختبئين في مداخل ضيقة وطرق فرعية للنجاة من الموت، وسُحب هؤلاء على مرأى الجميع وذُبحوا كالأغنام، وتشكّل البعض في زمر، واقتحموا المنازل حيث قبضوا على أرباب الأسر وزوجاتهم وأطفالهم وجميع أسرهم، وقُتلت هذه الضحايا أو قُذِفت من مكان مرتفع حيث هلكت بشكل مأساوي... فتّش الحجاج المدينة بدقة قصوى، وقتلوا سكّانها بجرأة، وتغلغلوا إلى أكثر الأماكن عزلة وبعدًا، واقتحموا غرف الأعداء الخاصة جدًّا.

كان هنالك مسيحيون يعيشون في القدس، قد رأوا في تلك المدينة بطرس الناسك المبجل منذ أربع سنوات أو خمس مضت... وعندما تعرّف عليه هؤلاء الناس من جديد، أجلّوه كثيرًا واحترموه، لأنهم تذكّروا بامتنان قدومه الأول والصداقة التي رضي أن يكوّنها معهم، وشكروه بعمق على أنه أنجز المهمة بإخلاص وبشكل لا يعرف التعب وبدافع من التقوى التي كانوا حمّلوه إياها.

❑ وهكذا تنافس الناس، بشكل فردي وكامل، مع بعضهم البعض في إبداء مظاهر الحفاوة والتكريم من جميع الأنواع لبطرس الناسك، ونسبوا إليه فقط بعد الرب خلاصهم من العبودية القاسية التي كانوا قد تحمّلوها لسنوات طويلة، واسترجاع المدينة المقدسة إلى حريتها الأصيلة.

ورأى الزعماء من الضروري وقبل كل شيء أن يُنظفوا المدينة، وخاصة أقنية الهيكل خشية أن ينشأ وباء من الهواء المشبع بالنتانة من جثث القتلى، وفُوضت هذه المهمة على المقادسة المأسورين الذين على

الرغم من أنهم أُودِعوا السجون قد نجوْا بالمصادفة من الموت، لكن بما أن عددهم لم يكن كافيًا لإنجاز عمل كبير جدًّا من هذا القبيل بدون مساعدة لهم، فقد قُدّمت أجرة يومية للمقاتلين الفقراء من الجيش للمساعدة في تطهير المدينة دون تأخير.

ولكي تبقى ذكرى هذا الحدث العظيم محفوظة بشكل أفضل، صدر قرار عام لاقى موافقة وإقرارًا شاملين، قضى بأن يعتبر هذا اليوم يومًا مقدسًا، وأن يفرد عن باقي الأيام.

□ وفي هذه الأثناء أدرك الكفرة الذين كانوا قد هربوا إلى قلعة داود للنجاة من انتقام السيف، أن المسيحيين حققوا الآن ملكية تامة للمدينة، وأدركوا أنه لم يعد بإمكانهم تحمّل الحصار، ولهذا بحثوا عن كونت طولوز، الذي كان أقام في المنطقة المجاورة للبرج، وحصلوا على وعد منه بأن يحصلوا مع زوجاتهم وأبنائهم على خروج حر من المدينة وطريق آمن إلى عسقلان.

واظهر الذين كانوا قد تولوا العناية بتطهير المدينة، اجتهادًا كبيرًا وحماسة في العمل، وأُحرِقت بعض الجثث ودُفِن بعضها الآخر، وذلك حسب ما سمحت مقتضيات الزمن، وأُنجِز كل شيء بسرعة خلال بضعة أيام، وأعيدت المدينة إلى وضعها الأصلي من النظافة»[١].

أعينيَّ لا ترقيْ من العبرات صِلِي البُكَا في الآصال بالبكرات



(١) تاريخ الحروب الصليبية من ص(٤٣٣ ـ ٤٤٢).

ولله درّ الدكتور عدنان النحوي وهو يقول في «ملحمة فلسطين»:

وَثَبَ الكافرون وثبًا علينا   وغَزانا من كل أُفْقٍ صعيد
والصليب المزعوم يُخفي هوَى المجـ   ـرم يُعليه جاهلٌ وحقودُ
يا نداء الأقصى وقدْ حَلّ فيه   من أذى الكفر عُصبةٌ وجُنُودُ
أعملوا السيفَ في الرقاب فسالتْ   أنهرٌ من دمٍ وسالتْ نجودُ
يا لَهَوْلِ الإجرامِ جُنَّتْ ليالٍ   فزعًا منه واقشعرت جُلُودُ
أقبلي يا عصورُ هاتي صلاح الـ   ـدين فالدار شوقها مشهود
لم تزل جذوةُ البطولة في الأ   مة يرعى غطاءها التوحيدُ

❁ ❁ ❁

* ما سقطت القدس وضاعت إلاّ بسقوط الأمة وضياعها:

الأسباب التي أدّت إلى سقوط القدس في أيدي الصليبيين وهل يعيد التاريخ نفسه؟

قال ابن خلدون: «الماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء»[1] ويقول: «فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتُشَدّ إليها الركائب والرحال، وهو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأوَل، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق.

يعيد التاريخ نفسه بصور أخرى وألوان أخرى.. ويتوقف فهم الحاضر على الرجوع للماضي. وأسباب ضياع الأمم تتكرر في تاريخ الإنسانية.. وفي هذا أعظم العبر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

إن سقوط بيت المقدس لم يأت فجأة دون تمهيدات وإرهاصات، ومن الطبيعي أنه استغرق وقتًا كافيًا لينخر السوس في جسد الأمة.

وها نحن أولاء نجمل طرفًا من الأسباب التي أدت إلى سقوط القدس بأيدي الصليبيين:

---

(١) مقدمة ابن خلدون (١/ ٢٩٢).

١ ـ ضعف الخلافة العباسية في بغداد وتمزقها:

يقول ابن كثير واصفًا أحوال الخلافة العباسية عام ٣٢٤هـ:

«وَهَى أمر الخلافة جدًّا، استقلّ نواب الأطراف ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد، وأما بقية الأطراف فالبصرة مع ابن رائق، وخوزستان إلى أبي عبد اللَّه البريدي، وأمر فارس إلى عماد الدولة ابن بويه، وكرمان مع أبي علي محمد بن إلياس بن اليسع، وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر وربيعة مع بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج، وبلاد إفريقية[1] والمغرب في يد القائم بن المهدي الفاطمي، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر الساماني، والبحرين وهجر واليمامة في يد أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي»[2].

هذا ما ذكره ابن كثير، ولقد وصلت الخلافة إلى أضعف مما وصفه، ولم تتعد سلطة الخليفة أحيانًا أبواب قصره الذي يسكن فيه، وأصبح الخلفاء ألعوبة بأيدي الخدم والمماليك الذين سرعان ما يترقّون إلى أمراء للجند. . وأصبح الخلفاء في ذل وهوان.

❑ فالخليفة محمد بن أحمد الملقب بالقاهر باللَّه بعد أن عُزل لم يبق معه شيء من ملابسه سوى قطعة عباءة يلتف بها، وفي رجله قبقاب خشبي، ويدور على المساجد يسأل الناس!![3].

---

(١) أيْ: تونس.

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ١٩٧).

(٣) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٢٤).

والخليفة ابن المعتز يهرب ويختفي عند أحد وجهاء بغداد «ابن الجصاص» ثم يعثر عليه فيقتل بعصر خصيتيه ويلف بكساء ويُسلم إلى أهله[١] .

❏والخليفة المستكفي يعطى راتب ٥٠٠٠ درهم من قبل المتسلط أحمد بن بويه الشيعي، ثم يُعزل بعد أن يُجرّ من عمامته وتسمل عيناه، ويسجن حتى الموت.

❏وفي عهد المطيع للَّه أصبح الأمر كله لمعز الدولة البويهي، حيث تحوّلت الوظائف الكبرى في الدولة كالقضاء والشرطة والحسبة إلى أن تُشترى وتباع «أسلوب الضمان».

❏والمتقي للَّه إبراهيم بن المقتدر تولى الخلافة والأمور مدبرة، وفتنة ابن رائق والبريدي أدّت إلى نهب دار الخلافة، وهرب المتقي وابنه إلى الموصل، وحكم البريدي بغداد، ثم جاء سيف الدولة الحمداني «الشيعي» إلى واسط فانهزم البريدي، ثم دخل توزون بغداد وعيّنه الخليفة «أمير الأمراء»، واضطر الخليفة للخروج من بغداد طالبًا المساعدة من إخشيد مصر، فنصحه الأخير بترك بغداد والمجيء إلى الشام أو مصر، ولكن الخليفة رفض ورجع إلى بغداد، وبمجرد وصوله قام القائد التركي «توزون» بانقلاب عليه وسمل عينيه.

❏قال ابن كثير: «وفي هذه السنة ٣٣١هـ كثر الرفض ببغداد فنودي بها من ذكر أحدًا من الصحابة بسوء فقد برئت منه الذمة»[٢] .

---

(١) «الكامل» لابن الأثير (٨/١٨).

(٢) «البداية والنهاية» (١١/٢١٨).

ولم يكن سوء الحال هذا مقصوراً على بغداد بل كان عامًّا. وتفشَّتْ أنانية مفرطة، ولو أدّى ذلك إلى ضعف المسلمين:

ففي عام ٤٨٧ هـ قتل السلطان بركيارق عمّه «تكش» وغرّقه وقتل ولده معه[١].

وهذا رضوان بن تتش السلجوقي صاحب حلب قتل أخويه، واستعان بالباطنية؛ كل ذلك حرصًا على الملك[٢].

ومدينة الرها يتقاسمها أميران: ابن عطير، ونصر الدولة بن مروان، فما كان من ابن عطير إلا أن راسل ملك الروم «أرمانوس» وباعه حصّته بعشرين ألف دينار فدخل الروم البلد وملكوه وقتلوا المسلمين وخرّبوا المساجد[٣].

وفي عام ٤٢٦هـ جمع ابن وثاب النميري جمعًا كثيرًا من البدو واستنجد من بالرّها من الروم، وقصد بلد نصر بن مروان ونهب وأخرب[٤].

يسوسون الأمور بغير عقل ... فينفذ أمرهم ويُقال ساسة

ووصل هذا الوباء إلى الأندلس «فقد تملّك رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخًا أربعة كلهم يتسمى بأمير المؤمنين، فصار الأمر في غاية الأخلوقة والفضيحة»[٥]، وفي زحمة الفتن والهرج في قرطبة، قام أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر وتسوّر القصر ودعا إلى نفسه، فقال له بعض أهل قرطبة: « نخش عليك أن تُقتل في

---

(١) «الكامل» (٩/ ٢٣٩).
(٢) «الكامل» (١٠/ ٤٩٩).
(٣) «الكامل» (٩/ ٤١٣).
(٤) «الكامل» (٩/ ٤٤٣).
(٥) «الكامل» (٩/ ٢٨٢).

هذه الفتنة، فإن السعادة قد ولّتَ عنكم، فقال: بايعوني اليوم واقتلوني غدًا»[١] .

وبسبب هذا التمزق الداخلي طمع الكفار النصارى في بلاد المسلمين قبل مجيء الصليبيين بمائة وأربعين عامًا:

□ ففي عام ٣٥١هـ هاجم الروم بلدة «عين زربْه» واستولوا عليها، وجمع قائدهم «الدمستق» المسلمين في المسجد الجامع، ومَن تخلّف عن المسجد قتلوه، ثم أمر مَن في المسجد بالرحيل حيث شاؤوا، فهاموا على وجوههم لا يدرون أين يتوجهون[٢] .

وفي عام ٣٥٣هـ حاصر الروم «المصيصة» وقاتلوا أهلها وأحرقوا أراضيها ورجعوا[٣] .

وفي سنة ٣٥٨هـ دخل ملك الروم الشام ولم يمنعه أحد ولا قاتله، وسار إلى طرابلس وأحرق البلد، ثم إلى حمص، ورجع إلى بلدان الساحل فأتى عليها نهبًا وتخريبًا، وكان بحلب «قرعويه» غلام سيف الدولة «الشيعي»، وقد صانع الروم[٤] .

وفي سنة ٣٥٩هـ تملّك الروم مدينة أنطاكية بمساعدة النصارى من جيرانهم، وأخرجوا أهلها من الأطفال والعجائز والمشايخ، وأسروا الشباب والنساء[٥] .

---

(١) «الكامل» (٩/ ٢٨٣).

(٢) «الكامل» (٨/ ٥٣٨).

(٣) المصدر السابق (٨/ ٥٥٢).

(٤) المصدر السابق (٨/ ٦٠٣).

(٥) «البداية والنهاية» (١١/ ٣٠١).

مثلما يحدث الآن كتب الحكام لأنفسهم تاريخًا مظلمًا لا يشرفهم ولا يُشرّف أمة تسكت عنهم ولا تنهاهم عن المنكر.

٢ - جشع كبار القوم وترفهم وشظف العيش وفقر عامة الناس من جانب آخر:

تجمّعت الأموال في يد حفنة قليلة لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا، وتركوا البلاد قاعًا صفصفًا يعانون شظف العيش بدون تأنيب ضمير أو حس.

فها هو سبكتكين الحاجب التركي مولى معز الدولة البويهي «قد ترك من الأموال شيئًا كثيرًا جدًّا، من ذلك ألف ألف دينار «مليون» وصندوقًا من الجوهر»[1].

والأفضل بن أمير الجيوش الأرمني وزير الفاطميين الذي ضاعت القدس في أيامه: «ترك من الذهب والثياب والرقيق والخيل والمسك ما لا يعلم قدره إلا اللّه»[2].

وعضد الدولة البويهي الشيعي يُنشئ بستانًا بلغت النفقة عليه وعلى سوْق الماء إليه خمسة آلاف ألف درهم.

والوزير بن كلّس عنده من العبيد والمماليك أربعة آلاف غلام.

☐ ويصف ابن كثير جهاز وزواج ابنة السلطان ملكشاة عام ٤٨٠هـ فيقول: «في المحرم منها نقل جهاز ابنة السلطان إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي، غالبها أواني الذهب والفضة

---

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ٣٠١).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٠٢).

وعلى أربع وسبعين بغلة مجللة بالديباج الملكي»[١] .

في حين كان أكثر الأمة لا يجدون القوت الضروري.

فقد نقل ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٢١٩): في حوادث ٣٣١هـ: «وفيها غلت الأسعار حتى أكل الناس الكلاب ووقع البلاء في الناس».

وظهر العيّارون[٢] وأظهروا الفساد وأخذوا أموال الناس، وأُحرقت الدور.

وفي عام ٤٤٨هـ انقطعت الطرق لخوف النهب فغلت الأسعار وأكل الناس الميتة، واستغل التجار هذه الأوضاع، فاحتكروا المواد الغذائية، وباعوها في الأزمات، فقد باع رجل دارًا بعشرين رطل دقيق، وكان قد اشتراها من قبل بتسعمائة دينار، وبيعت البيضة بدينار[٣] .

أما الوزراء فانظر إلى الوزير المهلبي «يبتاع له في ثلاثة أيام ورد بألف دينار، فرش به مجالسه وطرحه في بركة عظيمة»[٤] .

هذه حال الوزراء بينما نجد أن الفقيه المالكي عبد الوهاب التغلبي يغادر بغداد، متأسفًا عليها ويقول لمودّعيه: «لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت ببلدكم بلوغ أمنية»، وفي ذلك يقول:

بغداد دار لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق

---

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٢١٩).

(٢) اللصوص.

(٣) «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٢/ ١٧).

(٤) «ضحى الإسلام» (١/ ١٠٤). مثلما حدث في أيامنا هذه أن يشتري مليونير فلسطيني يعيش في الكويت بقايا حطام سيارة ديانا بملايين الجنيهات، وأبناء دينه وبلده لا يجدون القوت الضروري في الخيام.

ظللت حيران أمشي في أزقتها كأنني مصحف في بيت زنديق[(١)]

وقد قال ابن بسام في «الذخيرة» عن هذا الفقيه المالكي: كان بقية الناس، ولسان أصحاب القياس.

❑ ولقد بلغ الفساد الاقتصادي أرذله عندما أقرّت الدولة مبدأ الضمان حتى وصل الأمر للضمان في القضاء والحسبة والشرطة.

«والضمان هو إعطاء الحق لبعض الأفراد بجمع الخراج من مدينة أو منطقة بكاملها لقاء مبلغ يؤدونه سلفًا للدولة، ولهم الفرق بين ما يجمعونه وبين ما يؤدونه، ويتولى الضامن جباية الخراج بمساعدة السلطة أو بدون ذلك أحيانًا»[(٢)] ، وهذا كان من أكبر أسباب خراب الدولة.

❑ يقول ابن خلدون: «اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك، فإذا قعد الناس عن المعاش كسدت أسواق العمران، وخفّ ساكن القطر وخربت أمصاره»[(٣)] .

❑ ويقول: «ولا تحسبنّ الظلم إنما هو أخذ المال من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم أعمّ من ذلك، فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغُصّاب الأموال على العموم ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران»[(٤)] .

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٢٢١).
(٢) «أيعيد التاريخ نفسه» لمحمد العبدة ص(٢٠).
(٣) مقدمة ابن خلدون (٢/ ٧٤١).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٧٤٣).

٣ ـ ابتعاد العلماء عن قيادة الأمة التي تنتظر الخلاص على أيديهم إذا جاءها الضر عن طريق الأمراء:

* فالعلماء هم المقصودون بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

◻ قال المفسرون: ﴿وَأُولِي الأَمْرِ﴾: العلماء والأمراء، فلماذا لا يُعَلّمون الناس أن يرجعوا إليهم إذا حزبهم أمر أو ادلهمت مصيبة.

وإذا كان لبعض العلماء دور إيجابي في النصح أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهؤلاء قله إذا ما قيسوا بالأعداد الكبيرة من العلماء.

◻ يقول الشيخ رشيد رضا: «ثم رسخت السلطة الشخصية في زمن العباسيين، وجاراهم علماء الدين بعدما كان لعلماء السلف من الإنكار الشديد على الملوك والأمراء في زمن بني أمية وأوائل زمن العباسيين»(١).

◻ وقد يكون لسان حال بعض العلماء أو طلبة العلم: «إننا نبتعد عن الهرج والمرج، وعن التمرّغ في أوحال السياسة والانقلابات والصراعات حول الحكم، ونربي الأجيال على حب الإسلام، وننشر العلم حتى لا يندرس. وهذا هدف كبير لا شك في ذلك، وعمل جليل يستحق التفرّغ له، ولكن هذه الأجيال التي رُبّيت يجب أن يكون لها دور إيجابي بعدئذ في تصحيح الانحرافات، وقيادة الأمة».

قد يكون ضيق الحال الذي ابتُلي به كثير من طلبة العلم، أو خطّط له من قبل الحكّام سببًا لانزواء كثير منهم عن الحياة العامة، ولكن يبقى

---

(١) مجلة المنار (٤/ ٢٠٤).

السؤال: كيف يتسنّى لعالم أو طالب علم أن يعيش خالي البال، وأمته تتقاذفها الأهواء والفتن، وأهل البدع لهم صولة وجولة، والفساد السياسي والاقتصادي وصل إلى حد لا يُطاق؟ ثم لا يكون للعلماء حول ولا طول في ردّ هذا الطوفان.

لابد من الاعتراف أن من عوامل الانحلال والضعف الذي أصاب الأمة هو ابتعاد العلماء عن القيادة، وعن الحكم، وأصبح المثل الأعلى هو العالم الذي يبتعد عن السلطان، فهذه فكرة خاطئة إذا عُمّمت، فهناك علماء ربانيُّون يتولون التربية فهؤلاء من الأفضل ابتعادهم عن الحكم، أمّا أن يصبح الابتعاد هو المثل الأعلى فهذا من المصائب التي جرّت على المسلمين الضعف، وهل يتصور مسلم أن يجد أحد يكون أعلم وأتقى من رسول اللّه ﷺ، وقد كان هو بنفسه قائد جيوش المسلمين في بدر والأحزاب وغيرها.

❑ ويقول ابن تيمية واصفًا هذه الحالة: وبسبب ضعف الفقهاء من العلم الكافي للسياسة العادلة، وقع انفصام في المجتمع الإسلامي فصار يُقال: الشرع والسياسة، هذا يدعو خصمه إلى الشرع، وهذا يدعوه إلى السياسة، والسبب تقصير هؤلاء في معرفة السنة(١).

كما صوّر أحد الشعراء هذا الفصام، وانشغال العلماء والأدباء عن السياسة، وكيف تركوا الخلفاء تحت رحمة الأتراك الظلمة القُساة، فقال يخاطب جماعة في مكة يبحثون في النحو والصرف:

أما تستحون اللّه يا معدن النحوِ ... شغلهم بذا والناس في أعظم الشُّغلِ

(١) الفتاوى (٢٠/٣٩٣).

إمامكمُ أضحى قتيلاً مجندلاً وقد أصبح الإسلام مفترق الشَّمْل
وأنتم على الأشعار والنحو عُكّفًا تصيحون بالأصوات في أحسن السبل (١)

☐ وكانت ثالثة الأثافي أن القضاء الذي كان مؤسسة مستقلة بعيدة نوعًا ما عن تأثير الحكام، تحوّل في هذا العصر إلى نظام الضمان.

٤ ـ الباطنيون والإرهاب الداخلي:

من المصائب الكبيرة التي نزلت بالمسلمين في هذا العصر وزادت الطين بلة ابتلاء الناس بالباطنية الذين أشاعوا الرعب في قلوب الناس، وغدرهم وفتكهم بالعلماء وولاة أهل السنة، فقتلوا الوزراء والملوك والعلماء في الأوقات الحرجة، وتحالفوا مع أعداء الإسلام من الصليبيين والتتار، وهذه الصورة ليست بعيدة عما يقع الآن من تحالف الباطنيين مع الاستعمار الغربي واليهود كرهًا في أهل السنة، وفي لبنان ذاق أهل السنة الويلات منهم، وذاق الفلسطينيون الأمرّين، والقديانية والإسماعيلية في باكستان يتحالفون مع الغرب، والبهائيون يتحالفون مع اليهود.

والباطنية اسم يجمع كل الفرق التي ظاهرها الرفض، وباطنها الكفر المحض، كالحشاشين أو القرامطة أو الخرمية أو الإسماعيلية، أو الدرزية أو النصيرية، ومن يقرأ الماضي تنجلى أمامه صورة الحاضر، حسن الصبّاح شيخ الإسماعيلية، وشيخ الجبل في بلاد الشام، والقرامطة وما فعلوه بالمسلمين حول الكعبة إلى آخر سلسلة الإجرام.

☐ يقول الأستاذ محمد كرد علي: «والغريب أن شيعة جبل عاملة

---

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٦).

كانوا من حزب الصليبيين على المسلمين إلا قليلاً، كما أن هوى الموارنة مع الصليبيين ويعملون عندهم أدلاء وتراجمة[١].

فبسبب هذه الصراعات الداخلية وفساد الباطنية لم يتمكن المسلمون في بغداد وغيرها من مساعدة إخوانهم في بلاد الشام حين دهمها الفرنجة والصليبيون، فحين وصل الصليبيون إلى القدس كان العالم الإسلامي يعيش بعيدًا عن هذه الأحداث كأن في أذنيه وقرًا كما يحدث الآن.

فبعد وصول الصليبيين إلى بلاد الشام، خرج القاضي أبو علي بن عمار صاحب طرابلس مسرعًا إلى بغداد مستنفرًا المسلمين لإنقاذ بلاد الشام، وخطب في مساجد بغداد داعيًا للجهاد، وتحمّس الناس وتأهبوا، ووعده السلطان بإرسال الجيوش، ولكن لم يتم شيء، ورجع القاضي إلى طرابلس، ويفاجأ بأن العبيديين «الفاطميين» أصحاب مصر قد استولوا على مدينته عوضًا عن مساعدته ضد الفرنجة[٢].

٥ ـ انتشار الفكر الشيعي والباطني في بلاد الإسلام..وخيانة الفاطميين للقدس:

هل كان يتصور أن يصمد المسلمون أمام الصليبيين وقد تفشى الفكر الشيعي وانتشرت البدع، وقامت للمبتدعة الزنادقة دول:

فالعبيديون الفاطميون بمصر (٢٩٧ ـ ٥٦٧هـ). والبويهيون وقد تملكوا مقاليد الأمور في بغداد وأهانوا الخلفاء أسوأ إهانة، والقرامطة وما فعلوه بالحجيج سنة ٣١٧هـ بل وبأهل دمشق سنة ٣٦٠هـ فقد أوقعوا

---

(١) «خطط الشام» (٢/ ١٤).

(٢) «الكامل» (١٠/ ٤٥٢).

بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ومحاولتهم إضعاف الدولة العباسية، وبنو حمدان (٣١٧ ـ ٣٩٤هـ) بحلب، والأسديون في الحلة (٤٠٣ ـ ٥٤٥هـ): لم يكتفوا بإماراتهم بل شاركوا في أحداث الدولة العباسية، من إثارة الفتن على الخليفة.

□ فهذا دبيس أميرهم يرغم على الجلاء عن الحلة فيذهب إلى الشام ويساعد الروم في حصار حلب على شرط أن يتملكها بعد الانتصار على المسلمين، ولكن الحملة تفشل ويعود دبيس إلى الحلة فيُقتل من قبل السلطان مسعود السلجوقي.

ولقد تعاون الأسديون مع أرسلان البساسيري الداعي إلى طاعة العبيدين في مصر، وقد كان مملوكًا تركيًّا من مماليك بهاء الدولة البويهي، ثم صار من القواد المشهورين، ثم إنه كاتب حكّام مصر ليكون عونًا لهم على أخذ بغداد وساعده في ذلك دبيس بن مزيد، وتنمّر البساسيري، ودخل بغداد وخطب في جامع المنصور للمستنصر العبيدي، وتلقاه أهل الكرخ الرافضة وسألوه أن يجتاز من عندهم، وأمر فأذّن بـ «حيّ على خير العمل» وذلك سنة ٤٥٠هـ ونهب دار الخلافة، ولم يطل الأمر بالبساسيري حتى جاء السلطان السلجوقي طغرل بك، ودخل بغداد وأرسل جيشًا قوامه ألف فارس لاحق البساسيري في الكوفة وما حولها واستطاع الظفر به وقتله.

□ فالأسديون لتشيعهم ساعدوا هذا المارق، كما ساعدوا الروم ضد المسلمين[١]

---

(١) «الكامل» (٩/٦٤٨).

□ والصليحيون في اليمن (٤٢٩ ـ ٤٩٢) وخروج أميرهم علي بن محمد الصليحي بعد استيلائهم على اليمن وملكها سنة ٤٥٥هـ، خرج سنة ٤٥٩هـ لإخضاع الحجاز للدولة العبيدية فأراح اللَّه المسلمين من شره بقتله، وضعف أمرهم واستقلت زوجته بحكم اليمن سنة ٤٧١هـ، ويخاطبها المستنصر العبيدي بـ «الحرة السديدة».

*** الفاطميون زنادقة خونة:**

الفاطميون لا صلة لهم ببيت النبوة، والدولة الفاطمية هي دولة باطنية، وهذا رأي أكثر علماء الأمة الذين حققوا نسبهم وعلموا بواطنهم وأسرارهم.

□ وقد سأل الشريف ابن طباطبا ملكهم المعز العبيدي الذي فتح مصر عن نسبه، فسلّ سيفه، وقال: هذا نسبي، ونثر الذهب، وقال: هذا حسبي[1].

□ وصدق الشاعر عندما قال فيهم:

إنا سمعنا نسبًا منكرًا ... يُتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدّعي صادقًا ... فاذكر أبًا بعد الأب الرابع

فهم أولاد ميمون القداح بن ديصان اليهودي.

□ قال أبو شامة عن عبيد اللَّه المهدي مؤسس الدولة الفاطمية: «كان زنديقًا خبيثًا عدوًّا للإسلام، متظاهرًا بالتشيع، حريصًا على إزالة الملة الإسلامية، قتل من الفقهاء والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة»[2]

---

(١) «وفيات الأعيان» (٢/ ٨٠).

(٢) «الروضتين في أخبار الدولتين» ص(٢٠١).

□ والمعز الفاطمي هو الذي أمر بقتل شيخ علماء السنة بمصر أبي بكر بن النابلسي، وضُرب بالسياط، ثم سُلخ جلده، سلخه يهودي حتى قتله، فلعنة اللَّه على الظالمين.

ومن العلماء الذين قتلوا على أيديهم محمد بن الحبُلي قاضي مدينة برقة(١).

□ ومنهم الإمام ابن البردون تلميذ أبي عثمان بن الحدّاد، قتله أبوعبيد اللَّه الشيعي، وقد قال له لما جُرّد للقتل: أترجعُ عن مذهبك؟ فقال: أعن الإسلام أرجع؟! ثم صُلِب(٢) ـ رحمه اللَّه ـ.

□ ومنهم ابن خيرون الإمام أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري، أمر عبيد اللَّه المهدي بأن يُداس حتى الموت، فقفز عليه الجنود السودان حتى مات، وذلك بسبب جهاده وبغضه لعبيد اللَّه وجنده(٣).

□ قال الذهبي: وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد، لما شهدوه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه، وقد رأيت في ذلك تواريخ عدة يصدق بعضها بعضًا، وخرج كثير من العلماء والعباد مع أبي يزيد الخارجي لقتال القائم بن عُبيد اللَّه، وقالوا: نكون مع أهل القبلة ضد من ليس من أهل القبلة(٤).

وخرّب الفاطميون القيروان سنة ٤٤٩هـ، وجلا علماؤها إلى الأقطار، ومات منهم كثير(٥). وصلتهم بالقرامطة الملاحدة صلة أكيدة

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٣٧٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢١٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢١٧).

(٤) «السير» (١٥/ ١٥٤).

(٥) الفكر السامي في تاريخ الفقة الإسلامي (٢/ ١٦٥) لمحمد بن الحسن الحجوي.

ودعوتهم دعوة واحدة.

□ يقول ابن خلكان: «كان العاضد شديد التشيع متغاليًا في سبّ الصحابة، وإذا رأى سنّيًا استحلّ دمه»[1].

□ قال الإمام الشاطبي: أما الدجّالون فمنهم معد من العبيدية الذين ملكوا إفريقية، فقد حكى عنه أنه جعل المؤذن يقول: أشهد أن معدًا رسول اللَّه، فهمّ المسلمون بقتله «أي: المؤذن» ثم رفعوه إلى معد ليروا هل هذا عن أمره، فلما انتهى كلامه إليه قال: «اردد عليهم أذانهم لعنهم اللَّه»[2].

□ وفي حوادث ٤١٤هـ قام رجل من المصريين «العبيديين» بضرب الحجر الأسود بآلة ثقيلة، والسيف في يده الأخرى وهو يقول: «إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمد وعلي، فتمكن منه أحد الحجاج من اليمن فضربه بخنجر فقتله.

هذه حقيقتهم لا يؤمنون بالرسالات ولا بالأنبياء.

وكل الإرهاب الذي زرعه الحشاشون في العالم الإسلامي، إنما هو ثمرة من ثمار الدعوة الإسماعيلية العبيدية في مصر. وحسن الصبّاح زعيم قلعة «ألموت» الذي أرسل رجاله يقتلون العلماء والأمراء المجاهدين إنما تلقى الدعوة على أيدي أصحابها في مصر، والدروز في بلاد الشام من آثار دعوة الدولة العبيدية، وهم يؤلّهون الحاكم العبيدي، وعلاقتهم بإسرائيل علاقة جيدة.

---

(١) «وفيات الأعيان» (٣/ ١١٠).

(٢) «الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٩٧).

ولما اجتاحت إسرائيل لبنان عام ١٩٨٢ ووصلوا إلى بيرت قاوم المسلمون السنيون هذا الاجتياح بما لديهم من أسلحة، ولم يقاوم الدروز أبدًا ومعهم السلاح الجيد، ودخلت كتيبة من جيش إسرائيل إلى منطقة الشوف دون مقاومة، وفي مقابلة لشيخ الدروز محمد أبو شقرا مع صحفي أمريكي قال: «إن جيش الدفاع الإسرائيلي أخذ يعيد للدروز حقوقهم المغتصبة».

* وزراؤهم:

استعان العبيديون في شئون الحكم باليهود والنصارى وغلاة الشيعة ومنهم:

❑ يعقوب بن كلس اليهودي الأصل والوزير الأول في أيام العزيز، وجاء في صحبة المعز إلى مصر، وتحول من اليهودية إلى الإسماعيلية.

❑ وعيسى بن نسطورس النصراني الذي ضجّ المسلمون في مصر منه لمحاباته للنصارى، ومساعدته لليهود وإرساله منشا اليهودي نائبًا عنه إلى الشام.

❑ وفي عهد الحاكم عيّن الحسين بن جوهر قائدًا للقوّاد، وفوّض إليه تدبير المملكة، فعيّن نائبًا له فهد بن إبراهيم النصراني.

وتولى الوزارة أيضًا في عهد الحاكم: زرعة بن عيسى بن نسطورس، وصاعد بن عيسى بن نسطورس.

❑ وفي عهد المستنصر (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ): تولى الوزارة صدقة بن يوسف الفلاحي وهو يهودي تحوّل إلى المذهب الإسماعيلي. ومن الوزراء المشهورين في عصره بدر الجمالي الأرمني الشيعي.

☐ وفي عهد المستعلى والآمر: تولى الوزارة الأفضل بن بدر الجمالي، وفي عهده تولى يهودي شؤون قصر أم الخليفة فاشتد نفوذه وأسند مناصب الدولة لليهود[١].

والأفضل هذا كان في أيامه نكبة القدس. وهو الذي عرض على الفرنجة الصليبيين عند وصولهم إلى أنطاكية «مقترحًا تقسيم الشام، فيكون شمال سورية من نصيب الفرنج، وتستولي مصر على فلسطين»[٢] ورفض الصليبيون.

☐ يصف الذهبي عموم جيوشهم بأنهم أهل شر وزعارة لا سيما من تزندق منهم.

وقد ذاق المسلمون منهم من القتل والنهب والسبي حتى أن أهل صور استنجدوا بنصارى الروم من ظلمهم وجورهم وأخذهم النساء من الحمامات والطرق[٣].

☐ وقد وصف ابن كثير ملوك الدولة العبيدية: بأنهم من أنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، وقد ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقلّ عندهم الصالحون من العلماء، وكثر بأرض الشام النصرانية، والدرزية والحشيشية، وتغلّب الفرنج على الساحل.

فهؤلاء الخونة الزنادقة ما دافعوا عن القدس لما حاصرها الصليبيون، وهرب قائد حاميتها أمير الجيوش الأفضل الجمالي وزير المستعلي وتركها

---

(١) «أخبار ملوك بني عُبيد» للصنهاجي ص(٧١).
(٢) «الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي» للمنياوي ص(٢٢٦).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٤٦٨).

للفرنجة دون مقاومة تذكر.

❑ قال ابن خلكان معلقًا: «ولو كانت في يد الأرتقية «أمراء الشام من الأتراك» لكان أصلح للمسلمين»[(١)].

❑ وفي أيام نور الدين محمود زنكي كان وزيرهم «شاور» يستنجد بالصليبيين خوفًا على منصبه من ابن زنكي.

وعندما تملك صلاح الدين مصر، وانقطعت الدولة العبيدية، اتفق بقايا العبيدية على إرجاع الدولة، فراسلوا الفرنجة في صقلية يطلبون المساعدة، ولكن المؤامرة كُشفت وقُتل من تولى كبرها[(٢)].

❑ ومن آثار دعوتهم أن أمير حلب محمود بن صالح بن مرداس عندما أراد تحويل الخطبة لبني العباس والسلاجقة ـ في عهد السلطان ألب أرسلان ـ ويترك العبيديين رفض العامة في حلب هذا التحوّل، وحملوا أثاث المسجد، وقالوا: هذه حصر علي بن أبي طالب، فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها الناس؟!

ولما استقرّ لهم الأمر في دمشق أُذِّن في نواحيها بـ «حي على خير العمل»، وكتب سب الشيخين على أبواب الجوامع، ولم تزل كذلك حتى أزيلت زمن دولة الأتراك والأكراد[(٣)].

لو لم يكن لهؤلاء الباطنية: إلا قتلهم للصالحين لكفى. وقبل احتلال الصليبيين للقدس، قتل الباطنية في مستهل رمضان ٤٨٥هـ في

---

(١) «وفيات الأعيان» (١/ ١٧٩).

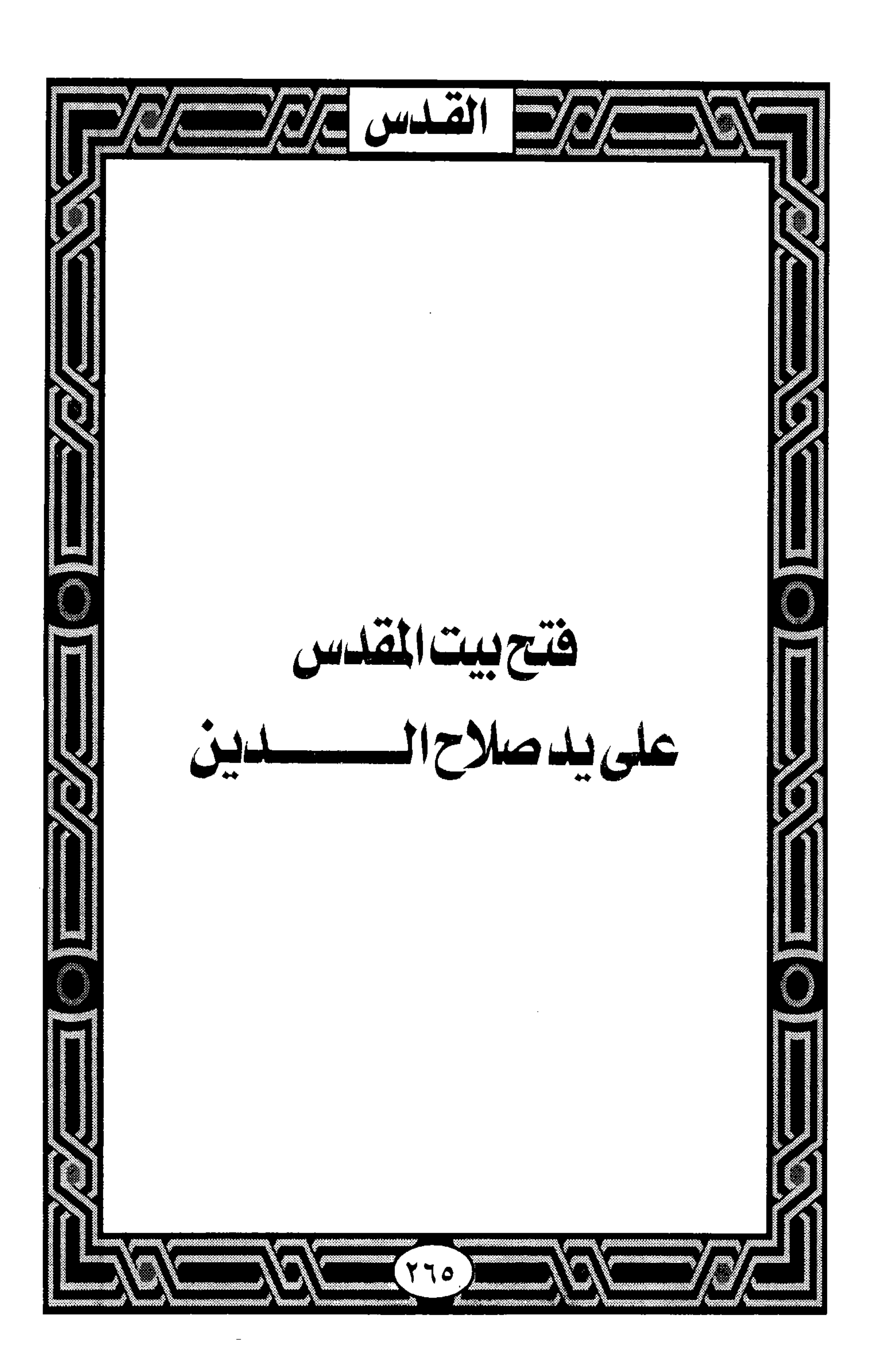
(٢) «الكامل» (١١/ ٣٩٨).

(٣) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٨٤).

اليوم العاشر الوزير نظام الملك.

وفي التاريخ عظة وعبرة.. أنه ما ضعف المسلمون إلا في عهود دول البدع والزنادقة، وكل هوان وذل حلّ بالقدس إنما هو من آثار البعد عن دين اللَّه عز وجل، وتفشي البدع..والواقع خير شاهد.





فتح بيت المقدس
على يد صلاح الــــــــدين

استعادة بيت المَقدس

أفاق المسلمون من سباتهم ومن غفلتهم وبدءوا محاولاتهم لاستعادة الشام من أيدي الصليبيين. تكلمنا وأسهبنا في الحديث عن ضياع القدس، وسنسهب في الحديث عن عودتها هي وبلاد الشام، بل وعصور ما قبل الفتح التي مهدت وهيأت لعودة القدس.

❑ ففي عام (٥٠٥هـ) تحمّس السلطان غياث الدين السلجوقي لمساعدة المسلمين في بلاد الشام، فجهز جيشًا كثيفًا برئاسة الأمير مودود ومعه من الأمراء: صاحب تبريز «سكمان القطبي»، وصاحب مراغة «أحمد بل»، والأمير إيلغازي صاحب «ماردين».

جمع مودود الجموع من أقاليم الجزيرة، وتوجه إلى الشام وانتزع من الصليبيين حصونًا كثيرة، ورجع أكثر الأمراء إلى مدنهم خوفًا من حصول أي انقلاب عليهم، ولما دخل الأمير مودود دمشق ذهب للصلاة في جامعها، فجاءه باطني بزيّ سائل فطلب منه شيئًا فأعطاه، فلما اقترب منه ضربه بسكين فمات من ساعته ـ رحمه اللَّه ـ [١].

وأرسل ملك القدس الصليبي رسالة إلى ملك دمشق يقول فيها: «إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها، في بيت معبودها لحقيق على اللَّه أن يبيدها»[٢].

❑ وقام العلماء بالدعوة إلى الإصلاح، وكانت جهودهم كقطرات

---

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ١٨٥).

(٢) وثائق الحروب الصليبية.

الماء التي تتسرّب في شقوق الأرض، ثم تتجمع وتخرج ينبوعًا صافيًا. والأمة الإسلامية ـ حتى في حالات ضعفها ـ إذا سمعت بالجهاد، ورأت من يقوم به، فإنه يهزها هزًّا، ويبعث كوامن شعورها ويستثيرها للطموح والمعالي، فعندما قدم القاضي فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس الشام على بغداد مستنفرًا للجهاد «سيّر الخليفة خواصه وجماعة أرباب المناصب لاستقباله، فلقوه وأنزلوه المنزل اللائق به وكذلك فعل السلطان السلجوقي، وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك أمثاله، وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا ولأجر الآخرة أكبر»[1] .

عماد الدين زنكي واسترجاع الرها:

في عهد السلطان محمد السلجوقي تولى عماد الدين زنكي شحنة بغداد «الحامية العسكرية» ولما توفي صاحب الموصل مسعود بن البرسقي قام القاضي بهاء الدين الشهرزوري، وصلاح الدين محمد صاحب البرسقي وعرضا على السلطان أن يولي الموصل عماد الدين فوافق لما يعلمه من كفايته وشهامته. فأبان زنكي عن كفاية وحزم وبدأ مرحلة الجهاد التي آتت أكلها وأثمرت نتائجها، على يد ابنه نور الدين محمود، ثم صلاح الدين فكانا من خيرة السلاطين دينًا وشجاعة وحرصًا على الإسلام.

❑ استطاع زنكي بفترة قصيرة توحيد أكثر أقاليم الجزيرة، ثم بدأ ببلاد الشام وأخذ بعض الحصون فلما رأى الروم والفرنجة ما فعله عماد الدين قرروا حصر حلب، ولم ير زنكي منازلتهم بكثرتهم، بل نزل قريبًا منهم لمناوشتهم، وأرسل القاضي كمال الدين الشهرزوري إلى السلطان

---

(١) «الكامل» (١٠/ ٤٥٣).

مسعود في بغداد يخبره بالواقع ويطلب النجدة، فقال القاضي محذراً عماد الدين من الاستعانة بعساكر السلطان: «إذا جاءت عساكر السلطان اتخذوا هذا حجة وملكوا البلاد». فقال زنكي: إن هذا العدو قد طمع فيّ وإن أخذ حلب لم يبق بالشام إسلام، وعلى كلٍّ فالمسلمون أولى بها من الكفار»[١] .

وكلام زنكي يختلف عما كان عليه كثير من أمراء المدن الذين كانوا يحرصون أشد الحرص على ولايتهم ولو استعانوا بالكفار، بينما نجد أن زنكي لا يمانع من أخذ السلطان لحلب وتكون للمسلمين.

▫ وفي سنة (٥٢٢هـ) استطاع زنكي تسلم مدينة حلب، وهكذا صار الفرنجة بإزاء رجل قوي يستطيع حشد الجيوش والأموال، فلما استقر له الحال ورأى أنه قد مهد الأمور، عند ذلك قرر مجابهة الفرنجة، وبدأ بحصن «الأثارب» الذي يقع بين حلب وأنطاكية، وذلك لشدة ضرره على المسلمين، وحاصر الحصن، وخرج له الصليبيون بخيلهم ورجلهم، وكان النصر للمسلمين وهي أول وقعة معهم، وخاف أهل قلعة حارم فصالحوه، ومن هنا استدار الزمان، وقوي المسلمون بتلك الأعمال، وضعفت قوى الكافرين، وعلموا أن البلاد جاءها ما لم يكن بالحسبان وصار قصاراهم حفظ ما في أيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا في ملك الجميع[٢] .

▫ وفي سنة (٥٣٢) جاء الروم بجيش عظيم ومعهم الفرنجة، واستولوا على البلاد المحيطة بحلب، ثم حصروا مدينة شيزر، فأرسل صاحبها سلطان بن منقذ الكناني يستنجد زنكي، فجاء ونزل على حماه،

(١) «الروضتين في أخبار الدولتين» (١/ ٣٥).
(٢) «الكامل» (١٠/ ٦٦٣).

وكل يوم يرسل السرايا يتخطف من الروم ويخـرج لهم ويقول: اخرجوا إلى الصحـراء نكتفي وهو يفعل ذلك ترهيـبًا لهم، ولكن ملك الروم آثر السلامة وانسحب إلى بلاده.

❑وفي سنة (٥٣٤) أغار زنكي على ممالك الإفرنج فاجتمعوا إليه، فلقيهم بالقـرب من حصن «بارين» وصبر المسلمون صـبرًا لم يسمع بمثله إلا مـا يحكى عن ليلة الهرير «الـقادسـية» ونصـر اللَّه المسلمين، وهرب ملوك الإفرنج، ثم تسلم حـصن «بارين» بالأمان، واستراح المسلـمون ما بين حلب وحماه من شرهم[1]. وكان في نية زنكي توحيد بلاد الجزيرة تحت قيادته حـتى يتمكن من مجابهة الأعـداء، فسار إلى بلاد الهكارية، وكانت بـيد الأكراد فـأخذها ثم بلاد آق، وكـل هذا كان تمهـيدًا للقـيام بأعظم أعماله وهو فتح «الرها».

❑ ففي سنة (٥٣٩) قرر زنكي محـاصرة هذه المدينة، وكانت تحت حكم الصليبيين ويتملكها «جوسلين»، وحـاصرها ثمانية وعشرين يومًا، ثم دخلها عنوة فـاستباحـها ونكس صلبانها، وأباد قـسوسها ورهبـانها، وعادت إلى حكم الإسلام، وهي من أشرف المدن عند النصارى، وسقطت بعدها الحصون القريبة، وأخلى الديار الجزيرية من حكم الفرنج وشرهم[2].

لم يسـتطع زنكي إتمام هذه المرحلة فـقد قـتل وهو يحـاصر قلعـة «جعبر» التي تقع على نهر الفرات في إقليم الجزيرة.

❑ قال ابن كثير يصفه: «من خيار الملوك وأحسنهم سيرة، كان شجاعًا

(١) «الروضتين» (١/ ٣٤).
(٢) «الروضتين» (١/ ٣٦).

مقدامًا حازمًا»، وهو الذي بدأ بجهاد الصليبيين، وعادت الثقة إلى نفوس المسلمين ولكن التجديد الجهادي كان على يد ابنه نور الدين محمود.

نور الدين محمود زنكي

إذا ذُكرت القدس ... وكيف عادت إلى المسلمين بعد أخذ الصليبيين لها فلابد من ذكر البطلين نور الدين محمود زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، وسنطيل في ذكر عهدهما لنعرف بم تنتصر الأمم، وكيف أن استعادة القدس كان ثمرة طيبة، لشجرة طيبة، ومن ثمارهم تعرفونهم.

إذا أردنا معرفة فضل هذا السلطان وأثره وجهاده، وأنه يمثل هو وصلاح الدين التجديد الجهادي في عصرهم، لا بد أن نذكر ما قاله المؤرخ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي الملقب بأبي شامة عندما ذكر سبب اهتمامه بتاريخ هاتين الدولتين «النورية والصلاحية»، يقول عن نور الدين: «أطربني ما رأيت من آثاره، وسمعت من أخباره مع تأخر زمانه ثم وقفت بعد ذلك على سيرة سيد الملوك بعده الناصر صلاح الدين فوجدتهما في المتأخرين كالعمرين - رضي اللَّه عنهما - في المتقدمين، فللَّه درُّهُما من ملكين تعاقبا على حسن السيرة وجميل السريرة، والفضل للمتقدم «نور الدين» فإنه أصل ذلك الخير كله، مهّد الأمور بعدله وجهاده وهيبته في جميع بلاده، ولكن صلاح الدين أكثر جهادًا وأعم بلادًا، صبر وصابر وذخر اللَّه له من الفتوح أنفسه، وهو الذي فتح الأرض المقدسة»[٢].

---

(١) «الروضتين» (١/ ٣٦).

(٢) «الروضتين» (١/ ٤).

ولد نور الدين سنة (٥١١) ونشأ مع والده في العراق، ثم الموصل وبلاد الشام، وبعد وفاة والده قام مقامه، وأظهر السُّنَّة في حلب وغير البدعة وقمع الرافضة، وبنى المدارس، ووقف الأوقاف، وأظهر العدل، وكان كثير المطالعة للكتب الدينية متبعًا الآثار النبوية مواظبًا على الصلوات في الجماعات عاكفًا على تلاوة القرآن، عفيف البطن والفرج، مقتصدًا في الإنفاق، متحريًّا في المطاعم والملابس، لم تسمع منه كلمة فحش[١]. قال عنه ابن الأثير: «طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وبعده إلى يومنا هذا فلم أر بعد الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة منه»[٢].

ومن زهده وتقواه أنه كان لا يأكل ولا يلبس إلا من مِلْك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة، ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين، وقد شكت إليه زوجته الضائقة، وزيادة النفقة فاحمر وجهه وقال: من أين أعطيها ما يكفيها، واللَّه لا أخوض نار جهنم في هواها، ثم قال: لي بمدينة حمص ثلاثة دكاكين ملكًا، وقد وهبتها إياها فلتأخذها[٣].

روى أحد الملازمين له من أمرائه فقال: «كنت معه يومًا في الميدان بالرّها والشمس في ظهورنا فكلما سرنا تقدمنا الظل، فلما عدنا صار ظلنا وراء ظهورنا فأجري فرسه وهو يلتفت وراءه، وقال لي: أتدري لأي شيء أجرى فرسي وألتفت ورائي؟ قلت: لا، قال: قد شبهت ما

(١) «الروضتين في أخبار الدولتين» (١/ ٥).
(٢) «الكامل» (١١/ ٤٠٣).
(٣) المصدر السابق (١١/ ٤٠٣).

نحن فيه بالدنيا تهرب ممن يطلبها، وتطلب من يهرب منها». قال أبوشامة: رضي اللَّه عن ملك يفكر في مثل هذا»[١]

وقال ابن الأثير: وكان يصلي كثيراً من الليل، ويدعو ويستغفر، ولا يزال كذلك إلى أن يركب:

جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب[٢]

وكان عارفًا بالفقه على مذهب أبي حنيفة، وليس عنده تعصب، بل الإنصاف سجيته في كل شيء، وعلى الحقيقة فهو الذي جدد للملوك اتباع سنة العدل والإنصاف، وترك المحرمات من المأكل والمشرب والملبس، فإنهم كانوا قبل ذلك كالجاهلية همة أحدهم بطنه وفرجه، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، أما عدله فإنه كان أحسن الملوك سيرة، فلم يترك في بلد من بلاده ضريبة ولا مكسًا ولا عشرًا، بل أطلقها ـ رحمه اللَّه ـ جميعها في بلاد الشام والجزيرة ومصر[٣].

ومن عدله أنه بنى دارًا للعدل، وكان سبب بنائها أن أمراءه وقواد جيوشه تعدوا على من يجاورهم، فكثرت الشكاوى إلى القاضي كمال الدين، فأنصف بعضهم ولم يتجرأ على القائد أسد الدين شيركوه، فلما سمع نور الدين بذلك بنى هذه الدار وأحسّ أسد الدين بهذا فقال لنوابه: واللَّه لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحدكم لأصلبنه، فامضوا إلى

---

(١) «الروضتين» (١/ ٦).
(٢) «الكامل» (١١/ ٤٠٣).
(٣) «الروضتين» (١/ ٣٤).

كل من بينكم وبينه منازعة فأرضوه وافصلوا الحال معه[١]، فقالوا: إذا فعلنا هذا فإن الناس يشتطون في الطلب، فقال: خروج أملاكي عن يدي أسهل علي من أن يراني نور الدين بعين أبيٍّ ظالم، وكان نور الدين يجلس في هذه الدار يومين في الأسبوع، فلما علم ما حصل مع أسد الدين شيركوه سجد للّه شكرًا[٢].

وأما فعله في بلاد الإسلام من المصالح فكثير، فقد بنى أسوار مدن الشام جميعها وأحكم بناءها، وبنى المدارس بحلب وحماه ودمشق، وكان أهل الدين عنده في أعلى محل، وكان أمراؤه يحسدونهم على ذلك، فقد ذكر أحد الأمراء الشيخ قطب الدين النيسابوري أمام نور الدين، فقال له السلطان: «يا هذا، الذي تتكلم عليه فله حسنة تغفر كل زلة، وهي: العلم والدين، وأما أنت وأصحابك ففيكم أضعاف ما ذكرت، وليست لكم حسنة تغفرها، وأنا أحمل سيئاتكم مع عدم حسناتكم، أفلا أحمل سيئة هذا - إن صحت - مع وجود حسنته، على أنني واللّه لا أصدقك فيما تقول، وإن عُدت وذكرته بسوء لأؤدبنك»[٣].

ومن عفته وتقواه أن ما كان يهدى إليه من هدايا الملوك لا يتصرف في شيء منه لا قليل ولا كثير، بل يخرجه إلى مجلس القاضي ويحصل ثمنه ويصرفه في عمارة المساجد المهجورة، وأمر الخطباء بإسقاط ألقابه في الدعاء له على المنابر، وكان كما وصفه العماد الأصفهاني: «هو الذي

---

(١) أي: أنهوا المشكلة بأي طريقة، ولو أن ترهنوا له كل ما يطلب.

(٢) «الروضتين» (١/ ٨).

(٣) «الروضتين» (١/ ٩).

أعـاد رونق الإسـلام إلى بلاد الشـام وقـد غلب الكفـر، وبلغ الضـر، فاستفتح معاقلها واستخلص عقائلها»[١] . وعندما تملَّك الموصل أمر قائد شرطتها أن لا يعمل شيئًـا إلا بالشرع الذي يأمر القاضي به، وكانوا قبله يعملون بالسـياسة[٢] ، وطلب منه أن يزيد في العقـوبات فرفض وقال: هذا زيادة في الشريعة.

العلماء في عهد نور الدين:

إن للعلماء الدور الأكبر في الإصلاح الذي يبـتغيه نور الدين، فقد أفسح لهم المجـال وقدَّرهم أكـبر التقـدير ولذلك وفد عليـه العلماء، أو طلبهم ليساعدوه في مهمته الصعبة.

ومن العلماء الذين تربـوا في المدرسة الشافعـية: القاضي كـمال الدين الشهرزوري محمد بن أبي محمد، وكان رسول عماد الدين زنكي إلى بغداد، ثم انتقل إلى دولة نور الدين بالشـام، وتولى تعيين القضاة، وترقى إلى درجة الوزارة وحكم في بلاد الشام، وكان فقيهًا أديبًا، شاعرًا شهمًا جسورًا، عظيم الرياسة خبيرًا في تدبير الملك[٣] .

ومنهم علي بن إبراهيم بن نجـا الواعظ الحنبلي، قدم بغداد وتفـقه بها، وسمع الحديث، ثم رجع إلى بـلده دمشق، وكان رسول نور الدين إلى بغداد عام (٥٦٤) ثم كانت له حظوة عند صلاح الدين[٤] .

---

(١) «الروضتين»(١/ ١١).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٣).

(٣) «وفيات الأعيان» (٤/ ٣٤١).

(٤) «البداية» (١٣/ ٣٩).

ومنهم القاضي عبد اللَّه بن محمد بن أبي عصرون أحد أئمة الشافعية، باشر في أيام نور الدين التدريس في الغزالية، ثم انتقل إلى حلب فبنى له نور الدين مدرسة وبحمص أخرى توفى عام (٥٨٥)[١].

والقاضي محي الدين محمد بن كمال الدين الشهرزوري قاضي حلب تفقه بالمدرسة النظامية في بغداد[٢]

جهاد نور الدين محمود:

لم يكن الجهاد عند نور الدين حلاً مؤقتًا، أو مصلحة تقتضيها الظروف، بل الأصل هو الاستعداد للجهاد وغزو الكفار، فقد عاتب نور الدين السلطان قلج أرسلان السلجوقي الذي كان يحكم ملطية وسيواس، وأقصرا من بلاد الأناضول المجاورة للروم، عاتبه؛ لأنه يحاول التسلط على بلاد الإسلام، ولا يقاتل الروم، وقال له: «أنت مجاور للروم ولا تغزوهم، وبلادك قطعة كبيرة من بلاد الإسلام، ولا بد من الغزاة معي»[٣].

وفي إحدى عزماته لقتال الصليبيين، أرسل إلى أخيه قطب الدين صاحب الموصل وإلى صاحب حصن «كيفا» وصاحب ماردين، فاستجابوا له، أما صاحب حصن كيفا فقد قال له أصحابه: على أي شيء عزمت؟ قال: على القعود فإن نور الدين يلقي نفسه والناس في المهالك[٤] فوافقوه على رأيه فلما كان الغد أمر بالتجهز للغزاة، فقال له

(١) «البداية» (١٢/ ٣٥٥).

(٢) «الروضتين» (١/ ١٨٥).

(٣) «الكامل» (١١/ ٣٩٢).

(٤) هذا منطق المنهزمين الذين لا يرغبون في الجهاد ويبررون لأنفسهم القعود، وهذا كله بسبب حب الدنيا والتهالك عليها. والدول العربية تبرر عدم نصرة فلسطين بأنهم لا يستطيعون محاربة أمريكا، ولا يريدون أن تجرهم إسرائيل إلى معركة لم يعدّوا لها.

أولئك: ما عدا مما بدا؟ فارقناك أمس على حالة، فنرى اليوم ضدها. قال: إن نور الدين قد سلك معي طريقًا إن لم أنجده خرج أهل بلادي عن طاعتي، فإنه قد كاتب زهادها وعبادها يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج ويستمد منهم الدعاء ويطلب إليهم أن يحثوا المسلمين على الغزاة، فقعد هؤلاء يبكون ويلعنونني ويدعون عليّ، فلا بد من المسير إليه»[١].

وفي وقعة بانياس، وفتح قلعتها كان معه أخوه نصر الدين فأصابه سهم أذهب إحدى عينيه، فلما رآه نور الدين قال: لو كشف لك الأجر الذي أعد لك لتمنيت ذهاب الأخرى، وكان معه في هذا الفتح ولد «معين الدين أنر» الذي سلّم قلعة بانياس للفرنجة، فقال له نور الدين: للمسلمين فرحة واحدة بهذا الفتح ولك فرحتان، فقال: كيف ذاك؟ قال: لأن اليوم برّد اللَّه جلد والدك من النار[٢].

فتوحات نور الدين:

من أوائل وقعاته مع الفرنجة أنه أثناء زيارة والي دمشق «معين الدين أنر» في بعلبك جاءهم كتاب من صاحب طرابلس الصليبي يحثهم فيها على أخذ حصن العريمة، فاستغل نور الدين هذا الطلب، وحاصر هو ومعين الدين الحصن وأخذاه.

□ وفي سنة (٥٤٣) سار نور الدين إلى بصرى الشام، وقد اجتمع فيها الفرنجة عازمين على قصد الجزء الداخلي من بلاد الشام، فالتقى بهم هناك واقتتلوا أشد القتال، ثم أنزل اللَّه نصره على المسلمين وانهزم الفرنجة[٣].

---

(١) «الكامل» (١١/ ٣٠٢).
(٢) «الكامل» (١١/ ٣٠٤).
(٣) «الروضتين» (١/ ٥٥).

□وفي سنة (٥٤٤) هاجم حصن حارم وخرّب ما حوله، ونهب ثم رحل عنه إلى حصن آنب ودارت معركة مع الفرنجة، انتصر فيها المسلمون وقتل فيها أمير أنطاكية، ثم سار نور الدين إلى حصن «فاميا» وحاصره وضيق عليه ثم تملكه صلحًا[١].

□وفي سنة (٥٤٦) استطاع نور الدين بعد أسر «جوسلين» أحد شياطين الفرنجة، استطاع أخذ قلاع تل باشر، وعين تاب، وعزاز، ومرعش وغيرها من أعمال حلب.

□ وفي سنة (٥٤٩) دخلت دمشق ضمن دولته، وكان نور الدين يخطط من زمن لأخذها لأنها في طريقه إلى الصليبيين، وهي ضعيفة وحدها وإذا حاول أخذها بالقوة فإن ملكها يستجير بالصليبيين، عدا عن كره نور الدين لسفك الدماء، ولذلك تحايل على مجير الدين حتى فاجأه بهجوم سريع بعد أن كاتب أهل دمشق ليسلموها له فدخلها دون قتال يذكر، وأعطى مجير الدين مدينة حمص.

□ وفي سنة (٥٥٩) كان فتح حارم وهي من أعظم معارك نور الدين مع الصليبيين إذ جاء الفرنج بحدهم وحديدهم وملوكهم وفرسانهم، وكان المقدم عليهم البرنس «بيموند» صاحب أنطاكية و«قمص» صاحب طرابلس وابن جوسلين، واستطاع نور الدين جرهم إلى معركة خارج حصن حارم وانتصر عليهم انتصارًا ساحقًا ووقع كل الأمراء والملوك أسرى بين يديه.

□ وفي سنة (٥٦٠) فتح حصن المنيطرة وغنم فيه مغانم كثيرة.

---

(١) «الروضتين»(١/ ٥٨).

☐ وفي سنة (٥٦٢) تملك نور الدين صافيتا والعريمة.

توحيد مصر والشام:

لم يغب عن بال السلطان محمود أن توحيد بلاد الشام ومصر من أقوى الأسباب للوقوف في وجه الصليبيين، وجاءت الفرصة المناسبة عندما استجار به وزير العبيدين في مصر شاور السعدي، وذلك لمساعدته في إرجاع منصب الوزارة الذي فقده، بادر نور الدين للإجابة، وأرسل جيشًا بقيادة أسد الدين شيركوه على أن يكون لنور الدين ثلث دخل مصر، دخل جيش نور الدين القاهرة، وأعاد شاور للوزارة، ولكن شاور غدر ما عاهد عليه، وطلب من أسد الدين مغادرة مصر واستنجد بالصليبيين الذين وجدوها فرصة فاضطر أسد الدين للانسحاب دون خسائر، وفي نيته العودة لمصر لتأديب شاور.

☐ وفي عام (٥٦٢) كان أسد الدين قد أكمل الاستعدادات وجدّ في السير فوصل مصر وعسكر غربي القاهرة، فالتقى مع المصريين يساعدهم الفرنجة، وهزمهم شر هزيمة، وليس معه إلا ألفان من الفرسان، ثم إن المصريين بذلوا له الأموال للصلح فوافق ورجع للشام، وكان الفرنجة في هذه المرة قد تمكنوا من شاور وحكومته وشرطوا شروطًا منها: أن يكون لهم حامية في القاهرة، فتحكموا في المسلمين واستدعوا الصليبيين من فلسطين لأخذ مصر، فاشتد خوف نور الدين أن يأخذ الكفار مصر، فتجهز أسد الدين للمرة الثالثة، وأخذ معه ابن أخيه صلاح الدين وهو كاره لذلك، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، وكان شاور قد أرضى الصليبيين بالمال ليعودوا عن مصر، فاستجابوا له، ولكن أسد

الدين كان قد عـزم هذه المرة أن يستقر بمصـر وبدأ شاور يماطل، ويعمل الحيل لإبعـاد جيش نور الدين، وقرر القبض على أسـد الدين وأمرائه، فأشار عليه ابنه «الكامل» بألا يفعل، فقال له شاور: لئن لم أفعل لنقتلن جميعًا، قال الابن: لأن نقتل ونحن مسلمون والبلاد إسلامية خير من أن نقتل وقـد ملكها الفرنج، ولكن شـاور أصر على غدره، وشعـر به قواد أسد فاتفقوا على قتله واستراحوا منه واستراحت مصر منه أيضًا، وأصبح أسد الدين وزيرًا للدولة المصرية العبيدية، وكان آخر ملوكها العاضد ليس له من الأمر شيء. فكانـت وزارة شيركوه أول خـطوة على طريق إعادة مصـر إلى السنة، وبعد شـهرين من وزارته توفي ـ رحمـه اللَّه ـ وتولى بعده ابن اخيـه صلاح الدين، وهو الذي أزال الدولة العبيـدية بعد إلحاح من نور الدين بأن يقطع الخطبـة للعاضـد، ويخطب للخليـفة العـباسي وصلاح الدين يعـتذر خوفًـا من أهل مصر، ولـكن عندما استـجاب لم يخالـفه أحد ولم ينـتطح فيهـا عنزان، وهكذا كـان إرجاع مصـر للسنة وتوحيدها مع بلاد الشام من خطوات الجهاد المباركة التي بدأها نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ وأكمل هذه الخطوات السلطان المجاهد صلاح الدين.

إن فكرة الوحدة بين الأقطار ـ الإسلامية ـ ولو كانت مبدئيًّا بين الأقطار المتجـاورة ـ من أعظم الخطوات في مواجـهة الأخطار الخارجـية والداخلية، خاصة إذا قامت هذه الوحدة على أسس سليمة، والبديل عن الوحدة هو التـمزق وإثارة الإقليميـات الضيقة، وإذا كـانت الوحدة بين المسلمين مطلبًـا شـرعيًّا، فإنهم بحاجة إليهـا هذه الأيام أكثر مما سبق، فالعـالم كله يتكتل كي ينافس ويقـوى على التحديـات، فكيف إذا كان

العالم الإسلامي غارقًا في المشاكل الإقتصادية والاجتماعية. وفي واقعنا الآن لا تتأتي هذه الوحدة إلا إذا سبقتها وحدة الدعاة المخلصين، لأنهم هم الأجدر بإقامة الوحدة بعدئذ، وأما غيرهم ففي دعوته للوحدة شوائب وأكدار...

* وقفات مع نور الدين محمود بن زنكي:

□ يرحم اللَّه ذلك الجبل الشامخ القائل:

«إذا كان معي ألف فارس لا أبالي بأعدائي قلّوا أم كثروا. واللَّه لا أستظل بجدار حتى آخذ بثأر الإسلام وثأري»[1].

«ذكر أبو شامة في كتابه «الروضتين»: «أنه جاء إلى السلطان نور الدين ذات يوم جماعة من العلماء... وقال قائلهم: أيها السلطان نطبب إليك أن تبتسم، فسألهم السلطان: وعلام الابتسام؟ فقال الرجل: جئنا إليك أيها السلطان نروي عليك بسندنا المتصل إلى الرسول ﷺ حديثًا مسلسلاً قاله الرسول، وهو يبتسم، ومن شروط الحديث المسلسل أن يفعل راويه مثلما كان يفعل الرسول ﷺ وهو يحدث به، فالتفت إليهم السلطان، والأسى يكاد يفطر فؤاده، وقال: كيف أبتسم أيها القوم، والمسجد الأقصى المبارك في بيت المقدس، راسف في قيود الذل والهوان تحت سنابك خيل الأعداء؟».

(١) «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية» لابن الأثير ص(١١٧ ـ ١١٨)، و«الكامل» (١١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥)، و«مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» لسبط ابن الجوزي (٨/ ٢٢٤).

وقـد دأب نور الدين على إرسـال الفـدائيين للإغـارة على أطراف مملكة القدس الفـرنجية، ومما هو جدير بالإشارة إلـيه في هذا الصدد، أن أحد الباحـثين ـ الأجانب ـ عن الآثار عثر على صهـريج قديم في منطقة وادي الجوز بالقدس، بداخله كتابات لم يـستطع أن يقرأها، فحُوِّلت إلى العالم «ماكس فان برشم» فقرأ فيـها أسماء أشخاص تلت كل اسم منهم عبارة: «خرج وهو يسأل اللَّه الشهادة».

وقد أكّـد «عادل جبـر» ـ أحد علماء فلسـطين ـ بعد أن زار المكان وقرأ الكتابات أن الأسماء هي أسماء الأبطال من رجال نور الدين زنكي، كان يبعث بهم ليجمعوا له المعلومات عن أحوال العدو، وكان نور الدين على ثقـة تامة من اسـترجـاع القدس، حـتى أمر بصنع منبـر في حلب للمسجد الأقصى سنة ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م.

* منبر نور الدين محمود بن زنكي:

ولا ريب أن التفكير في إعداد المنبر من قِـبل نور الدين واستحضار أمهـر المهندسين والخبراء لإعـداده وقضاء عـدة سنين في ذلك يدل على تصميـم نور الدين في إعداد العدة لإنقاذ القـدس، وهو موقف نابع من شـعوره الإسـلامي في عدم جـواز السكوت على القـدس خارجـة عن السيادة الإسلامية»[1] .

---

(١) مجلة القدس العـدد ٦ ـ صفر ١٤٢٠ هـ مقال: «منبر نور الدين بالقـدس» نبوءة بالعزيمة غدت حقيقة ـ بقلم فيصل الخيري.

إن عـددًا من أشـهر الصناع المـهندسين في مـدينة حلب بدءوا في إعداد المنبـر بأمر نور الدين واستمـروا في صنعه عدة سنين، حـتى جاء تحفة فريـدة من نوعها من حيث الدقة والجمـال والزخرفة. لم يكن هذا المنبر مفخرة الأقصى فـحسب، بل مفخرة الحرم كله، لا بل إن فلسطين أو حتى سورية كلها كانت تفتخـر به. وإن حضارة القرن العشرين تعجز عن صنع مثـيل له، فهو مصنوع من الخـشب الثمين - الأَرْز والأبنوس - ومطعَّم بالعاج والصدف، فـيه لوحات صغيـرة زخرفتها أنيـقة، ولفائف وأوراق صغيرة ونخيل صغير، توفق بينها أنماط خفيفة ذات فن هندسي، ويقـال بأن هؤلاء الصناع حرصـوا على إتمام المنبـر من أوله إلى آخـره، دون أن يدخلوا فـيه أي مسـمار أو أي مـادة غيـر الخشب الثـمين، وقد أعـجب به رواة الأخـبار من أهل الـعصـور الوسطى - المتـقـدمين منهم والمتأخـرين - أكثر من إعـجابهم بأي شيء مصـنوع من الخشب في هذا الجزء من العـالم، غير أن المنيـة عاجلت نور الدين قـبل تحقيق أمنيـته، فـمـات والمنبـر في طور الإعداد، فـلما تولـى السلطان الملك الصـالح إسماعيل، تابع ما كان أبوه قد بدأه حتى أتمه نهائيًّا في أيامـه، أي في حوالي سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م.

◻ ولما دخل صلاح الدين القدس فاتحًا أمر بأن يُعمل له منبر، فقيل له: «إن نور الدين مـحمـودًا كان قـد عمل بـحلب منبرًا، أمـر الصُنّاع بالمبالغة في تحسينه وإتقانه، قـال: هذا قد عملناه لينصب ببيت المقدس،

فأمر صلاح الدين بإحضاره، فحمل من حلب ونُصِب بالقدس، وكان بين عمل المنبر وحمله عشرين سنة، وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده ـ رحمه اللَّه ـ».

◻ قال أبو شامة: «قال العماد: لما فتحنا القدس أمر بتعمير المحراب وترخيمه، وتكميل حُسنه وتتميمه، ووَضْع منبر رسمي في أول يوم قضى فيه الفرض، واحتيج بعد ذلك إلى منبر حسن رائق، بحسنه لائق، وبجماله شائق، وبكماله فائق، فذكر السلطان المنبر الذي أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ـ رحمه اللَّه ـ لبيت المقدس قبل فتحه بنيِّف وعشرين سنة، وأودعه له من ذخائره عند اللَّه حَسَنَة، فأمر أن يكتب إلى حلب ويُطلب، فحُمِل وعُمِل على ما أمر به وامتثل، فجاء كالروض النضير، والوشي الحبير، عديم النظير.

وكان من حديث إحداثه، ما ألهم اللَّه نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ لارتياح خاطره إليه وانبعاثه، وقد أوقع في رُوعه، من النور الفائض من ينبوع ضلوعه، أن البيت المقدس بعده سيُفتح، وأن صدور المسلمين الحَرِجة لأجله ستُشرح، وهو من أولياء اللَّه المُلْهَمين، وعباده المُحَدَّثين المُكْرَمين، وكان بحلب نجّار يعرف بالأختريني من ضيعةٍ تُعرف بأخترين، لم يُلْفَ له في براعته وصناعته قرين، فأمره نور الدين بعمل منبر لبيت اللَّه المقدّس، وقال له: اجتهد أن تأتي به على النَّعْت المُهَنْدم والنَّحت المهندس. فجمع الصنّاع، وأحسن الإبداع، وأتمّه في سنين، واستحقّ بحسن إحسانه التحسين، والناس يقولون: هذا أمر مستحيل، وحُكم ما

له دليل، وذِكْر جميل، وأجر جزيل لو كان إليه سبيل، وهيهات أن يعود القدس إلى الإسلام، ويقضي الإصباح فيه على الإظلام، فإن الفرنج مستولون مستعلون، ويكثرون على الأيام ولا يقلُّون، أما ناصفونا على أكثر أعمال حوران، وقابلوا الكفر بالإيمان! وقد أعجزوا ملوك الإسلام إلى اليوم، فما أصعب وأتعب وَقْم[1] القوم. ويقول من له قوة اليقين، وعرف أن اللَّه كافل بنصره الدين: اصبروا، فَلسرٍّ هذه الأمة نبأ، وهو كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ﴾ [هود: ٣٨].

ولم يزل لنور الدين في قلبه من الدين نور، وأثر تقواه للمتقين مأثور، أزهد العباد، وأعبد الزهاد، ومن الأولياء الأبرار، والأتقياء الأخيار، وقد نظر بنور الفراسة أن الفتح قريب، وأن اللَّه لدعائه ولو بعد وفاته مجيب، ويزيد قوة عزمه جدًّا، وتمدّه بحياء الحياة الربانية مدّا، قد طهّره اللَّه من العيب، ونزّهه من الرَّيب لنقاء الجيب، وشملت الإسلام بعده بركته، وخُتِمت بافتتاح مُلْكِ صلاح الدين مملكته، وهو الذي ربّاه ولبّاه، وأحبّه وحباه، وهو الذي سنّ الفتح، وسنّى النُّجْح.

ولما فتح السلطان القدس تقدّم بحمله، وصَحّ به في محراب الأقصى اجتماع شمله، وظهر سرّ الكرامة في فوز الإسلام بالسلامة، وتناصرت الألسن بالدعاء لنور الدين بالرحمة، ولصلاح الدين بالنُّصْرة والنِّعمة.

---

(١) الوقم: القهر.

□ وقال العماد في موضع آخر من كتاب «البرق»: وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ـ رحمه اللَّه ـ في عهده عَرَف بنور فراسته فتح البيت المقدس من بعده، فأمر في حلب باتخاذ منبر للقدس، تَعِب النجّارون والصُّنّاع والمهندسون فيه سنين، وأبدعوا في تركيبه الإحكام والتزيين، وأنفق في إبداع محاسنه وإبداء مزاينه أُلوفًا، وكان لترديد النظر فيه على الأيام ألوفًا، وبقي ذلك المنبر بجامع حلب منصوبًا، سيفًا في صِوَان الحِفظ مقروبًا، حتى أمر السلطان في هذا الوقت بالوفاء بالنَّذْر النوري، ونقْل المنبر إلى موضعه القدْسي، فعُرِفت بذلك كرامات نور الدين، التي أشرق نورها بعده بسنين، وكان من المحسنين الذين قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

□ قال أبو شامة: وهذا الذي نسبه إلى نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ من أنّه كرامة من كراماته لائق بمحله ومنزلته من الدِّين، وليس بالبعيد من مثل ذلك.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ قد بَدَتْ له مخايل ذلك بما تسنّى له من فتح البلاد الشامية والمصرية، وقهر العدو بين يديه مرارًا، وكان فتح القدْس في همته من أول مُلْكه، فإن لم يكن حَصَل له مباشرة فقد حصل له تسبُّبًا، فإن الفاتحين له ـ رحمهم اللَّه ـ بَنَوْا على ما أسَّسه لهم من المُلك والتدبير، وهم أمراؤه وأتباعه وأجناده وأشياعه»[1].

وقد صنع هذا المنبر: ابن ظافر الحلبي، وسليمان بن معالي،

(١) كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين» (٣/ ٣٩٢ ـ ٣٩٤).

وحميد بن ظافر، وفضايل وأبو الحسن ولدا يحيى الحلبي - رحمهم اللَّه -.

ولقد ظلّ هذا المنبر الرائع بالمسجد الأقصى حتى التهمه حريق الأقصى بتدبير اليهود يوم الخميس ٨ من جمادى الآخر سنة ١٣٨٩هـ/ ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩م.

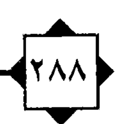
صلاح الدين يوسف بن أيوب

في أجواء الجهاد الذي أقامه نور الدين محمود وفي أجواء الجد والإصلاح وإعادة دور العلماء في التوجيه والمشاركة. في هذه الأجواء وجد صلاح الدين نفسه في موقع المسؤولية بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه وزيرًا لآخر ملوك الدولة العبيدية في القاهرة «العاضد» الذي رغب في أن يكون صلاح الدين وزيرًا له لأنه ظن فيه الضعف، ويستطيع الاستفادة من الجيش الذي معه لحماية مصر، ولكن الأمور جاءت على غير ما يحتسب، فقد شمر صلاح الدين عن ساعد الجد «وترك اللهو، وتقمّص بلباس الدين، وحفظ ناموس الشرع» (١) وكشف هذه المسؤولية التي ألزمها عن شخصية فريدة، ومعدن أصيل فحمل هموم المسلمين والإسلام، ولم يهدأ له بال، ولم يذق طعم الراحة حتى لقي ربه.

ونحن هنا لا نؤرخ للدولة الأيوبية، وإنما نذكر أثر هذا الجو الجهادي في شخصية صلاح الدين، وكيف هيأ له رجالاً من العلماء، والقادة العسكريين مما أعانه على مهمته الكبيرة.

---

(١) «الروضتين» (١/ ١٧٣).



بعض أعمال صلاح الدين:

١ ـ إرجاع مصر إلى السنة:

عزل صلاح الدين قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة، وولى رئيسًا للقضاة: عبد الملك بن درباس الشافعي، كما قطع الأذان بـ«حي على خير العمل» وأقام الخطبة للخليفة العباسي بعد أن انقطعت الخطبة للعباسيين بمصر (٢٠٨) سنة، وقد بشر نور الدين محمود الخليفة العباسي بذلك، وفرح الناس ونظم العماد الأصفهاني في هذه المناسبة:

توفي العاضد الدعيّ فما	يفتح ذو بدعة بمصر فما
وعصر فرعونها انقضى وغدا	يوسفها في الأمور محتكما
وصار شمل الصلاح ملتئمًا	بها وعقد السداد منتظمًا

٢ ـ توحيد بلاد الشام ومصر:

بعد وفاة نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ واضطراب بلاد الشام جاء صلاح الدين فاستلم دمشق ثم حمص وحماه، وحاصر مدينة حلب، ولكن المتنفذين فيها الأوصياء على ابن نور الدين «إسماعيل» لصغر سنه طلبوا المساعدة من الشعب، ويبدو أن قسمًا كبيرًا من هذا الشعب كان يحن إلى التشيع الذي أبطله نور الدين، فاشترطوا للمساعدة العمل بأقوالهم وأفعالهم، فاستجاب زعماء المدينة لهذا الشرط ولم يكتفوا بهذا، فعندما رأوا قوة صلاح الدين واستمراره في الحصار طلبوا المساعدة من الحشاشين الإسماعيلية الذين اتخذوا من مدينة «بانياس» مقرًّا لهم. فحاول هؤلاء ـ على طريقتهم ـ اغتيال صلاح الدين، ولكن اللَّه نجاه منهم، وترك

(١) «الروضتين» (١/ ١٧٣).

حصار حلب فترة ثم رجع لها مرة أخرى، وحاول الحشاشون اغتياله للمرة الثانية ففشلوا، وقتل من جاء منهم لهذه العملية والذين يسمونهم «الفداوية» ولم يكتف أهل حلب بذلك بل استعانوا بصاحب طرابلس الصليبي، فلم يهتم به صلاح الدين، وأرسل كتيبة تناوشه عند حمص[١] .

ومع ذلك فقد تراجع صلاح الدين عن حلب مؤثرًا عدم الدخول في حرب طاحنة مع أهلها، خاصة وأنهم طلبوا الصلح، وشفعوا في ذلك بابن نور الدين محمود، ولكن نية السلطان لا تزال في توحيد بلاد الشام ومصر حتى تقوى على الوقوف في وجه العدو، وأثناء هذا أراد قطع دابر الفساد وضرب «الحشاشين» فهاجمهم في عقر دارهم، وقتل منهم وسبى، ولكن خاله شهاب الدين الحارمي صاحب حماه شفع بهم فقبل السلطان شفاعته[٢] . ولم يتمكن صلاح الدين من ضم حلب إلا بعد وفاة ابن نور الدين واختلاف أقاربه بعده، فسلموها للسلطان وبذلك يكون قد اطمأن إلى القاعدة الأساسية الراسخة للصدام مع الصليبيين.

كما قال القاضي ابن شداد: «لما تحقق صلاح الدين وفاة نور الدين وكون ولده طفلاً لا ينهض بأعباء الملك ولا يستقل بدفع عدو اللَّه عن البلاد، تجهز للخروج إلى الشام إذ هو أصل بلاد الإسلام»[٣] ، ومع

---

(١) هذه من المصائب التي ابُتلي بها المسلمون، وهي استعانة بعض الأمراء بأعداء اللَّه كي تبقى لهم السلطة والسيطرة على مدينة واحدة. وهذا هو حال المجتمع عندما تسيطر عليه الأنانية والأهواء وخسّة الطباع، وهو راجع إلى تدهور الحالة الأخلاقية وضعف الوازع الديني، وليس في الأذهان أي مشروع حضاري.

(٢) تتكرر هذه الشفاعات في عدم استئصال الباطنيين في بلاد الشام في عهد الدولة العثمانية ومن بعدها، وهذه غفلة من أهل السنة ناتجة عن طيب قلوبهم.

(٣) «الروضتين» (١/ ٢٣٦).

ذلك فلم يترك صلاح الدين الجهاد في هذه الفترة بل اصطدم مع الصليبيين في عدة معارك مثل «مرج عيون» وغيرها، ولكنه لم يكن مطمئنًا إلى الصدام الكامل مع الفرنجة.

جهاده:

استقر الأمر لصلاح الدين في مصر والشام وكثير من مدن إقليم الجزيرة، وقد مرض في إحدى حملاته على إقليم الجزيرة، فنذر لئن شفاه اللَّه ليصرفن كل همه لقتال الفرنجة وفتح بيت المقدس، وليقتلن «صاحب الكرك» الصليبي بيده، وكان هذا النذر بإشارة من وزيره القاضي الفاضل[١].

بعد هذا بدأ بحملات مركزة على المدن القريبة قبل أن يظفره اللَّه بالفتح الأعظم، وهو استرجاع بيت المقدس فقد انتصر على الفرنجة في موقعة «مرج عيون» سنة ٥٧٥هـ وموقعة «بانياس» وأسر رؤساءهم ودمر حصن الأحزان في صفد، وما زال يناوش الفرنجة حصنًا بعد حصن حتى تجمع عنده جيش كبير في سهل حطين حيث كانت الموقعة الكبرى.

حطين مقبرة للصليبيين مهدت لفتح القدس:

هو للمسلمين يوم النصرة، وللفرنج يوم الكسرة، مُلِك عليهم صليب الصلبوت، وتم أسر ملوكهم: الملك جفري، والبرنس أرناط، وأخي الملك جفري، و«أوك» صاحب جُبيل، و«هنفرى بن هنفرى»، وابن صاحب إسكندرونة صاحب مَرَقية، وأسر الشيطان وجنوده، وملك

---

(١) «عيون الروضتين» (١/ ٣٦).

الملك وكنوده «فمن شاهد القتلى، قال: ما هناك أسير، ومن عاين الأسرى، قال: ما هناك قتيل. ومُذ استولى الفرنج على ساحل الشام، ما شُفي للمسلمين كيوم حطين غليل، فما أفلت من تلك الآلاف إلا آحاد، وما نجا من أولئك الأعداء إلا أعداد».

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٤٢): «كان النصر من اللَّه عز وجلّ، فمنحهم اللَّه أكتافهم، فقُتل منهم ثلاثون ألفًا في ذلك اليوم، وأُسر ثلاثون ألفًا من شجعانهم وفرسانهم، وكان في جملة من أُسر جميع ملوكهم، سوى «قومس» طرابلس؛ فإنهم انهزموا في أول المعركة، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم، وهو الذي يزعمون أنه صُلِب عليه المصلوب، وقد غلّفوه بالذهب واللآلئ والجواهر النفيسة، ولم يُسمع بمثل هذا اليوم في عزّ الإسلام وأهله، ودَمْغِ الباطل وأهله، حتى ذُكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيّفًا وثلاثين أسيرًا من الفرنج، وقد ربطهم بطُنب خيمة، وباع بعضهم أسيرًا بنعل ليلبسها في رجله، وجرت أمور لم يُسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين، فللَّه الحمد دائمًا كثيرًا، طيّبًا مباركًا».

وقال العماد: «ولقد رأيت في الحبل الواحد ثلاثين أو أربعين يقودهم فارس، وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم حارس».

وبلغ ثمن الأسير بدمشق ثلاثة دنانير، ويباع الرجل وزوجته وأولاده في النداء بيعة واحدة».

وكان من الأسرى صاحب الكرك «أرناط» الذي كان يُؤذي الحجاج وفي نيته احتلال المدينة النبوية، فقتله صلاح الدين بيده ووفى بنذره،

وقتل كل «الداوية»، و«الأسبارتية» لأنهم من شياطين الصليبيين وأشدهم عداوة.

السلطان الناصر يوسف يُخرج بلاد الحق فلسطين من سجنها ويحررها:

لقد فتح صلاح الدين بعد كسره حطين، وقبل فتح بيت المقدس، أكثر من خمسين بلدة ومدينة، فتح طبرية ثاني يوم الكسرة.

◻ قال القاضي بهاء الدين بن شداد: «ثم رحل السلطان طالبًا عكّا فقاتلها بكرة الخميس مستهل جمادى الأول، فأخذها واستنفذ من كان بها من الأسارى، وكانوا زهاء أربعة آلاف نفس، واستولى على ما فيها من الذخائر والأموال، والتجائر والبضائع؛ فإنها كانت مظنّة التجار، وتفرّقت العساكر في بلاد الساحل، يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة، فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية، وصفورية، والناصرة، وكان ذلك لخلوّ الرجال بالقتل والأسر.

◻ وقال العماد: خرج أهل البلد - يعني عكّا - يطلبون الأمان، فأمّنهم على أنفسهم فقط، وفتحوا البلد يوم الجمعة، فجئنا إلى كنيستها العظمى، فرتّب بها المنبر والقبلة، وهي أول جمعة أُقيمت بالساحل بعد يوم الفتح[1] ، وفتح العادل حصن «مسجد يابا» ومدينة «يافا» عنوة. وفُتحت «الفولة»، وهي قلعة للداوية حصينة، وفيها ذخائرهم وأموالهم، وفُتحت «دبوريّة»، و«جنين»، و«زرعين»، و«الطور»، و«اللّجون»، و«بيْسان»، و«القيمون»، و«مالعكا»، و«طبرية» من الولايات، و«الزيب»

(١) بعد غياب اثنتين وسبعين سنة.

و«معليا»، و«البعنة»، و«إسكندرونة»، و«منواث»، و«أرسوف»، واستولى على تلك الشموس والأقمار الكسوف والخسوف، وفتح المسلمون «سبيطية»، وفيها مشهد زكريا ـ عليه السلام ـ، وقد اتخذه «الأقسا» كنيسة، وقد حجبوه وحلّوه، ففتح للمسلمين أبوابه، وأظهر للمصلّين محرابه. وأرسل السلطان إلى «تبنين» ابن أخيه تقي الدين فضايقها، فراسلوا السلطان وسألوه الأمان، واستمهلوا خمسة أيام، فأُمْهِلوا، وأطَلقوا أسارى المسلمين، وهذا دأبه في كل بلد يفتحه؛ أنه يبدأ بالأسارى فيفك قيودها، ويُعيد بعد عدمها وجودها، فخلص ـ تلك السنة ـ من الأسر أكثر من عشرين ألف أسير، ووقع في أسره من الكفار مائة ألف، ثم تسلم السلطان بعد «تبنين» «صيدا»، و«صرفند»، و«بيروت»، و«جبيل»، وكان صاحب جُبيل في الأسر فسلّمها وسَلم، وكان معظم أهل صيدا وبيروت وجُبيل ونابلس مسلمين، فذاقوا العزة بعد الذلة، ورفع المسلمون رءوسهم، وعرفوا نفوسهم، وكان كلّ من استأمن من الكفار يمضي إلى صور مَحْمِي الذّمار.

ونزل السلطان على عسقلان فحاصرها، وتردّدت مراسلات بين أهلها والملك، ثم سلموها يوم السبت سلْخ جمادى الآخرة، وخرجوا بنسائهم وأموالهم، وكان السلطان أخذ في طريقه إليها «الرملة»، و«تبنين»، و«بيت لحم»، و«الخليل»، وأقام بها حتى تسلَّم حصون «الداوية، وغزة، والنطرون، وبيت جبريل، و لدّ، والداروم، ولم يبق في الساحل من جُبيل إلى أوائل حدود مصر سوى القدس وصور.

وكان السلطان ـ رحمه اللَّه ـ قد إستدعى الأساطيل من مصر،

فجاءت مع مقدّمها الحاجب لؤلؤ فطفق يكسر ويكسب، ويسلّ ويسلب، ويقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه، ويقف له في جزائر البحر على مذاهبه[١].

ثم كان فتح بيت القدس، وسنفرد له فصلاً مطوّلاً. ولم يستقر في القدس إلا قليلاً، ثم بدأ جولة من الفتوحات، فأتم فتح صيدا وبيروت، وجبلة، واللاذقية، وحصن صهيون، وحصن بغراس، ورجع بعدها إلى صفد والكرك ففتحها، ثم قلعة الشقيف.

وفي ردة فعل صليبية شديدة حاولوا استرجاع عكا، فحاصروها من جهة البحر، فأسرع السلطان إليها ووقف بإزائهم، فكانت الإمدادات تأتي الصليبيين من جهة البحر بشكل دائم فاضطر السلطان والمسلمون لمصابرتهم ستة وثلاثين شهرًا «رجب ٥٨٥ ـ شعبان ٥٨٨» وفي هذا الحصار ظهرت شخصية صلاح الدين العظيمة، ثلاث سنوات وهو في حالة قتال وتأهب واستعداد.

❑ قال ابن شداد: «وكان ـ رحمه اللَّه ـ من عظماء الشجعان، قوي النفس شديد البأس، لا يهوله أمر ولقد وصل في ليلة واحدة من الإفرنج نيف وسبعون مركبًا على عكا، وأنا أعدها من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، وهو لا يزداد إلا قوة نفس»[٢]

وخلال هذا الحصار الطويل جرت وقعات كبيرة بينه وبين الفرنجة، وانتصر فيها، ولكن الإمدادات كانت تتوالى من أوربا عن طريق البحر،

---

(١) «عيون الروضتين» (٢/ ١٤٨ ـ ١٥٢).

(٢) «الروضتين» (٢/ ٢٢٠).

وصابر الفريقان مصابرة عجيبة، وكان القتال يتم يوميًّا أحيانًا وفي البر والبحر، وفي هذا الحصار استنجد صلاح الدين بملك المغرب أمير دولة الموحدين، فرفض المساعدة لأنه لم يذكر في رسالته «أمير المؤمنين»!!

وفي نهاية هذه المعاناة مرض السلطان، واضطر للصلح مع الإفرنج، وأخذوا عكا مرة ثانية، وحاولوا أخذ يافا ولكنهم لم يفلحوا، وعاد السلطان إلى القدس يرتب أمورها ويصلح من سورها، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الأمكنة البعيدة، فيقتدي به العسكر[1] .

عاد بعد هذا الغياب الطويل عن العاصمة دمشق وفي نيته التهيؤ للحج، ولم يتيسر له، وفي نيته استمرار الجهاد وملاحقة الصليبيين في ديارهم، ولكن عاجلته المنيَّة عن تحقيق هذه الرغبة، وتوفي ـ رحمه اللَّه ـ في دمشق في السابع والعشرين من صفر سنة (٥٨٩هـ).

شغفه بالجهاد:

قال القاضي ابن شداد: «وكان ـ رحمه اللَّه ـ شديد المواظبة على الجهاد، عظيم الاهتمام به، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد دينارًا ولا درهمًا إلا في الجهاد وفي الأرفاد لصدق وبرّ في يمينه، ولقد كان الجهاد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيمًا، بحيث ما كان له حديث إلا فيه، ولا نظر إلا في آلته، ولا اهتمام إلا برجاله ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه، ولقد هجر في محبته

---

(١) ابن الأثير: «الكامل» (١٢/ ٧٤).

الجهاد أهله وولده ووطنه وسكنه، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة ويسرة، وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد، وقد ألف له كتب عدة في الجهاد وأنا ممن جمع له كتابًا جمعت فيه آدابه وكل آية وردت فيه، وكل حديث، ولقد سرنا مع السلطان على الساحل طالبي عكا، وكان الزمان شتاء عظيمًا، والبحر هائجًا وموجه كالجبال، وكنت حديث عهد برؤية البحر فعظم عندي، واستخففت رأي من يركب البحر، فبينا أنا في ذلك إذ التفت إليّ وقال في نفسه: إنه متى يسر اللَّه تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد، وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم، أتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر باللَّه أو أموت، فعظم وقع هذا الكلام عندي وحكيت له ما خطر لي، فانظر إلى هذه الطوية ما أطهرها، وإلى هذه النفس ما أشجعها وأجسرها. اللَّهم إنك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك رجاء رحمتك فارحمه، وأما صبره فلقد رأيته بمرج عكا وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دماميل كانت ظهرت عليه من وسطه إلى ركبته بحيث لا يستطيع الجلوس، وكان مع ذلك يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر، وهو صابر على شدة الألم ويقول: «إذا ركبت يزول عني ألمها حتى أنزل»[1].

ويكتب للخليفة العباسي: وهذه المقاصد الثلاثة: الجهاد في سبيل اللَّه، والكف عن مظالم عباد اللَّه، والطاعة للخليفة هي مراد الخادم من البلاد إذا فتحها، واللَّه العالم أنه لا يقاتل لعيش ألين من عيش، ولا

---

(١) «الروضتين» (٢/ ٢٢١ ـ ٢٢٢).

لغضب يملأ العيان»[١] .

وقد ذكرنا كيف أنه كان ينقل الحجارة بنفسه لعمارة سور القدس، ولو رأيته وهو يحمل حجرًا في حجره لعلمت أن له قلبًا قد حمل جبلاً في فكره[٢] . وعندما رجع إلى دمشق وجد وكيل الخزانة قد بنى له دارًا فغضب عليه، وقال: «إنا لم نخلق للمقام في دمشق ولا بغيرها، وإنما خلقنا للجهاد».

* ويحلو الحديث عن الناصر صلاح الدين محرر الأقصى من الصليبيين:

ولد السلطان يوسف بن أيوب سنة ٥٣٢هـ بقلعة تكريت في العراق، وكان والده أيوب بن شادي واليًا عليها، ثم انتقل الوالد إلى الموصل ومعه أخوه أسد الدين شيركوه، ثم إلى الشام متوليًا لقلعة بعلبك، وانتقل الابن معه، وبدأ نور الدين يقدم الابن، ويوكل إليه بعض الوظائف المهمة إلى أن انتدب لمرافقة عمه أسد الدين في الحملة التي وجهت إلى مصر، وبعد وفاة عمه تسلم منصبه وهو الوزارة في نهاية الدولة العبيدية، ثم صار إلى ما صار إليه من توحيد بلاد الشام ومصر والجزيرة تحت قيادته ومجاهدته للصليبيين وفتح بيت المقدس، توفي سنة ٥٨٩هـ، يقول قاضيه ابن شداد تعليقًا على وفاته: «وتاللَّه لقد كنت أسمع من بعض الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم

---

(١) «الروضتين» (٢/ ٤٨).

(٢) «الروضتين» (٢/ ١٩٦).

فكنت أحمل ذلك على ضرب من التجوز والترخص إلى ذلك اليوم فإني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قُبل الفداء لفداه بالنفس»[١].

◻ قال ابن شداد: ولم يخلف السلطان أموالاً ولا أملاكًا لجوده وكرمه وإحسانه إلى أمرائه وغيرهم حتى إلى أعدائه، ولم يخلف في خزائنه من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهمًا ودينارًا واحدًا، وكان متقللاً في ملبسه ومأكله ومركبه، ولا يلبس إلا ما يحل له وتطيب به نفسه، مواظبًا على الصلاة في أوقاتها مع الجماعة، ومواظبًا على سماع الحديث، وقد سمع الحديث وهو بين الصفين، وكانت مجالسه منزهة عن الهزء واللغو يغلظ على الفاجرين ويلين للمؤمنين[٢]. وقد أمر ولده الظاهر وهو بحلب أن يقتل الشهاب السهروردي لما علم عنه من الشعبذة والانحراف عن الدين.

وكان متواضعًا جدًّا، يخرج للقاء من يقدم عليه، ويكارم الناس مكارمة عظيمة، وربما طلب الماء من خدمه فلا يستجاب له، ولا يقول لهم شيئًا.

◻ قال القاضي الفاضل: «وكانت طرحته تداس عند التزاحم عليه لعرض القصص (ما يطلبه الناس) وهو لا يتأثر بذلك، ولقد دخلت بين يديه في يوم ريح مطير، كثير الوحل فنضحت البغلة عليه في الطين، حتى أهلكت جميع ما كان عليه وهو يبتسم»[٣].

---

(١) «الروضتين» (٢/ ٢١٣).

(٢) «الروضتين» (٢/ ٢١٧).

(٣) «الروضتين» (٢/ ٢٢٣).

* منزلة العلم والعلماء عنده:

إن الأجواء العلمية التي رسخت في عهد نور الدين ـ رحمه اللَّه ـ استمرت في عهد صلاح الدين، فالسلطان يذهب إلى العلماء ويحضر دروسهم.

- ففي سنة ٥٧٢ ذهب إلى الإسكندرية وتردد على الشيخ أبي طاهر السلفي[(١)] ، ويداوم الحضور عنده لسماع الحديث، وكان القاضي كمال الدين الشهرزوري من كبار العلماء والوزراء في عهد نور الدين، ولما تولى صلاح الدين أقره على ما كان عليه من تعيين القضاة رغم أن كمال الدين ظن أن السلطان سيعزله لما كان بينهما من مخاصمة في عهد نور الدين.

- وفي سنة ٥٧٧ عين السلطان ميقاتًا لسماع الأحاديث النبوية، وجمع به أهل العلم والعلماء.

ومن العلماء المقربين من صلاح الدين علي بن إبراهيم بن نجا الدمشقي الحنبلي، وهو الذي كشف مؤامرة العبيديين للانقلاب على صلاح الدين[(٢)] .

ومنهم نجم الدين الخبوشاني، الفقيه الشافعي، وهو الذي شجع صلاح الدين على إنهاء الدولة العبيدية وقطع الخطبة لهم، بنى له

---

(١) أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني، ورد بغداد واشتغل على الكيا الهراسي في الفقه، دخل الإسكندرية وأقام بها وكان محدثًا مشهورًا توفي ٥٧٦هـ، انظر ابن خلكان. «وفيات الأعيان» (١/ ١٠٥).

(٢) «البداية» (١٣/ ٣٩).

صلاح الدين مدرسة وفوض تدريسها إليه ومن الفقهاء الأمراء الفقيه عيسى الهكاري «وكان جنديًا شجاعًا كريمًا، تفقه على الشيخ أبي القاسم البرزي، واتصل بالأمير أسد الدين شيركوه، وكان يخاطب صلاح الدين بما لا يقدر عليه غيره، وتوفي وصلاح الدين محاصر لعكا»[1] وكان إذا زاره عالم اهتم به جدًا، ولا يتركه حتى يزوده بالمال والأمتعة له ولجيرانه وأقربائه.

إن هذه الانتصارات العظيمة لا تكون إلا بوجود مثل هذا التلاحم والتعاطف بين الأمراء والعلماء.

□قال القاضي ابن شداد: وكان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة، وكان يفعل ذلك سفرًا وحضرًا[2] وكان آل المقدسي الذين سكنوا حيّ الصالحية في دمشق أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة، وأخوه وابن خالهم الحافظ عبدالغني، والشيخ العماد، كانوا لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها صلاح الدين، وقد حضروا معه فتح القدس والسواحل وغيرها[3].

* وزراؤه وأمراؤه:

إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم هي علاقة جدلية كما يقال، فعندما يكون الحاكم صالحًا يحب أهل الدين والخير، يوفقه اللَّه سبحانه وتعالى

(١) «الكامل» (١٢/ ٤٢)، «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٩٧).

(٢) «الروضتين» (٢/ ٢١٩).

(٣) «البداية والنهاية» (١٣/ ٦٥).

إلى بطانة صالحة من وزراء وأمراء، وهذا ما ينطبق تمامًا على صلاح الدين، فقد وفق إلى وزير صدق وهو القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، وكان ذا رأي سديد وعقل رشيد، معظمًا عند صلاح الدين، يأخذ برأيه ويستشيره في المهمات الكبيرة خاصة، بل يقول العماد الأصفهاني الكاتب عنه: «سلطان مطاع والسلطان له مطيع، وما افتتح السلطان الأقاليم إلا بأقاليد آرابه وآرائه، وكانت كتابته كتائب النصر، وهو صاحب القريحة الوقادة والبصيرة النفاذة»[١] .

وهو الذي كتب لصلاح الدين وهو محاصر لعكا يخوفه من الذنوب، ويحذره من أن يظلم الجنود أحدًا فيكون سببًا للهزيمة يقول: «إن اللَّه تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته أو لا تفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه، والمعاصي في كل مكان بادية والمظالم في كل موضع فاشية، وقد أجرى اللَّه على يد مولانا من فتح المقدس ما يكون له بمشيئة اللَّه حجة في رضاه، ونعوذ باللَّه أن يكون حجة عليه في غضبه»[٢] .

كما وفق صلاح الدين إلى قادة جيوش مخلصين في الجهاد، وربما كان للبيئة الجهادية أثر عليهم، فمن أمرائه عز الدين جورديك وهو من مماليك نور الدين، جمع الديانة والشجاعة[٣] ، وسيف الدين جاولي، وكان شهمًا شجاعًا يرجع إلى دين وعبادة[٤] ، وأبو الهيجاء بن السمين وابن المشطوب، وبهاء الدين قراقوش الذي كان من كتابه وأمرائه، شهمًا

(١) «الروضتين» (٢/ ٢٤١).
(٢) «البداية» (١٢/ ٣٣٩).
(٣) «الكامل» (١١/ ٥٥٧).
(٤) «الكامل» (١١/ ٥٥٨).

شجاعًا، عـمّر سور القاهرة، وبنى قلعة الجبـل، وكان صلاح الدين قد سلمـه عكا فوقع الحصـار وهو فيـها، وصنع الناس عليـه قصـصًا غـير صحيحة[١] .

* هل تنازل صلاح الدين عن فلسطين؟

رغم تكالب الصليـبـيين بعـد فتح بيت المقـدس وأخـذهم لعكا، واضطرار صـلاح الدين للصلح لمدة ثلاث سنوات، لـكنه لم يتنازل عن الأرض لأنهـا ليست ملكه بل هي للمـسلمين، ولقـد حاول معـه ملك الإنكليـز ولكنه أبى أشـد الإباء أن يتنازل عن شيء من فلسطين لأعـداء اللَّه، والرجـال العظام أمثـال صلاح الدين ليس من شـيمـهم التسـاهل بحقوق المسلمين.

☐ كتب له ملك الإنكليز: «إن المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت البلاد، وتلفت الأمـوال والأرواح، والقدس متعبـدنا ما ننزل عنه لو لم يبق منا واحد، وأما البـلاد فيعاد إلينا ما هو قـاطع الأردن. . .»، وطبعًا هذه مناورة من ملك الإنكليـز، يطلب الكثير ليـحصل على مـا يستطيع عليه أو على القليل[٢] .

---

(١) «البداية» (١٣/ ٣٤).

(٢) وقد كـان مـضطرًا للصلح، ويريد الرجوع إلى بلاده ويقـول في رسالة للسلطان: «باللَّه عليك أجب سـؤالي في الصلح، فـهذا أمـر لا بد له من آخر، وقـد هلكت بلادي وراء البحر. .».

يقول ابن شداد: «فانظر إلى هذه الصناعة في اسـتخلاص الغرض باللين تارة، وبالخشونة أخرى، وكان لعنه اللَّه مـضطرًا إلى الرواح، وهذا عمله مع اضطراره، واللَّه المسؤول أن يكفي المسلمين مكره. . .» قلت: وهذا دأب الإنكليز إلى الآن.

وقد أجابه صلاح الدين: «القدس لنا وهو مسرى نبينا فلا يتصور أن ننزل عنه، ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين، وأما البلاد فهي أيضًا لنا في الأصل، واستيلاؤكم كان طارئًا عليها لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك الوقت...»[١].

فأرسل ملك الإنكليز: «الذي أطلبه منك أن يكون لنا في قلعة القدس عشرون نفرًا، وأن من سكن من النصارى في البلد لا يُتعرض لهم». فأجابه السلطان: «إن القدس ليس لكم منه حديث سوى الزيارة»[٢]. ألا ما أشبه الليلة بالبارحة، لقد تكالب اليهود في هذا العصر على فلسطين، يؤزهم الغرب الصليبي، ولا يزالون يراوحون ويراوغون ليستفيدوا من الوقت، ويحصلوا على مكاسب جديدة وأصحاب السلام الهزيل ينتظرون الوعود الشيطانية لأن إرادة القتال والجهاد غير واردة عندهم، فهم حريصون على السلام بأي ثمن، ولكن اليهود يريدون الأرض خاصة وقد جاءهم المدد من يهود روسيا[٣].

رحم اللَّه صلاح الدين وأجزل له المثوبة، فقد كان كثير العفو والصفح، يطلق الأسرى من الصليبيين، فيعودوا لقتاله مرة ثانية، مثلما فعل مع باليان بن بارزان، وغير هذا كان أولى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. [الأنفال: ٦٧].

---

(١) «الروضتين» (٢/ ٢٠٠).

(٢) «الروضتين» (٢/ ٢٠٠).

(٣) قام الشعب الفلسطيني في السنوات الأخيرة بواجبه تجاه اليهود، وصمد صمودًا عجيبًا، لكن كل الدول لا تريد حديث الجهاد، ولذلك سيكون الصراع طويلاً مع اليهود، وستكون العاقبة للمسلمين بإذن اللَّه.

* نور الدين محمود وصلاح الدين من المجددين[(١)] :

بعد أن استعرضنا بعض أعمال هذين الملكين المسلمين لا بد أن نقرر هنا أن ما قاما به يعتبر تجديدًا في الإسلام في كثير من النواحي. وإذا كان بعض العلماء قبلهم أو بعدهم يوصف بالتجديد فإنه لم يجدد كل الأمور فالغالب أن الحكم يبقى على ما هو عليه ولكن العالم يعيد للعقيدة صفاءها ويضع الناس على الطريق الصحيح.

☐ ونحن هنا بإزاء تجديد في نواح يمكن إيجازها فيما يلي:

أولاً: الحديث عن الجهاد وممارسته عمليًّا:

من قبل السلطان والوزراء والقواد وكافة الشعب وهذا شيء قد ترك من مدة طويلة، فماتت الأمة واستنامت للأعداء فتسلط عليها الباطنيون من الداخل وبدأ الروم يناوشونها من الخارج، ثم جاء الصليبيون فاحتلوا أراضيها. وقد مر معنا شغف نور الدين وصلاح الدين بالجهاد والاستعداد له من تدريب وآلات عسكرية، وتحصين الحدود والقلاع، وحث الناس عليه وشهود العلماء والوعاظ المعارك معهم، ومعلوم أن الجهاد يوقظ الأمة ويفجر الطاقات، ويعزها بعد ذل، ويكفي للتدليل على ذلك أن صلاح الدين بعد فتح القدس وكل مدن فلسطين دافع عن عكا ستة وثلاثين شهرًا كان يعيش خلالها في خيمة وليس في مقر، ويركب فرسه كل يوم لمناوشة الأعداء.

---

(١) ويؤخذ عليهما فقط أنهما كانا من الأشاعرة غفر اللّه لهما... «إن الماء إذا بلغ القلتين لا يحمل الخبث».

ثانياً : إشاعة روح العدل :

وقد كان الأمراء والوزراء من قبل يتسلطون على الناس في أموالهم وأراضيهم، والملوك يسمحون لهم بذلك إرضاء لهم وحتى تبقى لهم طاعتهم. بينما نرى أنه في عهد نور الدين محمود يتمنى القائد أسد الدين شيركوه أن ينزل عن كل أمواله، ولا يجلس في المحكمة أمام نور الدين.

ثالثاً : عدم التصرف بأموال الدولة :

وهذا شيء يختلف عن كل الدول السابقة، فقد كان نور الدين إذا جاءته هدايا يضعها في خزينة الدولة ولما طلبت زوجته نفقة لم يعطها من خزينة الدولة بل أعطاها من دكاكين له في حمص، وصلاح الدين لم يترك إلا ديناراً وأربعين درهماً، وهذا شيء لم يسمع به من بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز.

رابعاً : العمل بالسياسة :

كان الأمراء قبلهم وملوك المدن يتحاكمون في بعض أمورهم إلى أعراف سياسية وليس إلى الشرع وبعض الناس لا يذهب إلى القاضي الشرعي بل يذهب إلى الشرطة فتحكم له بمقتضى قوانين عندهم.

□ يقول المؤرخ أبو شامة: «وكان نور الدين لما صارت له الموصل أمر قائد شرطتها أن لا يعمل شيئاً إلا بالشرع إذا أمره القاضي به، ثم يعقب هذا المؤرخ نقلاً عن القاضي يوسف بن رافع: أن نور الدين كان لا يعمل بالسياسة[1] .

(١) «الروضتين» (١/ ١٣).

ويقول عنه أيضًا: «لم يترك في بلد من بلاده ضريبة ولا مكسًا ولا عشرًا، بل أطلقها ـ رحمه اللَّه ـ»[1]. أي: أنه رفع الظلم عن الناس وفرض أشياء ليست في شرع اللَّه.

خامساً: تقريب العلماء:

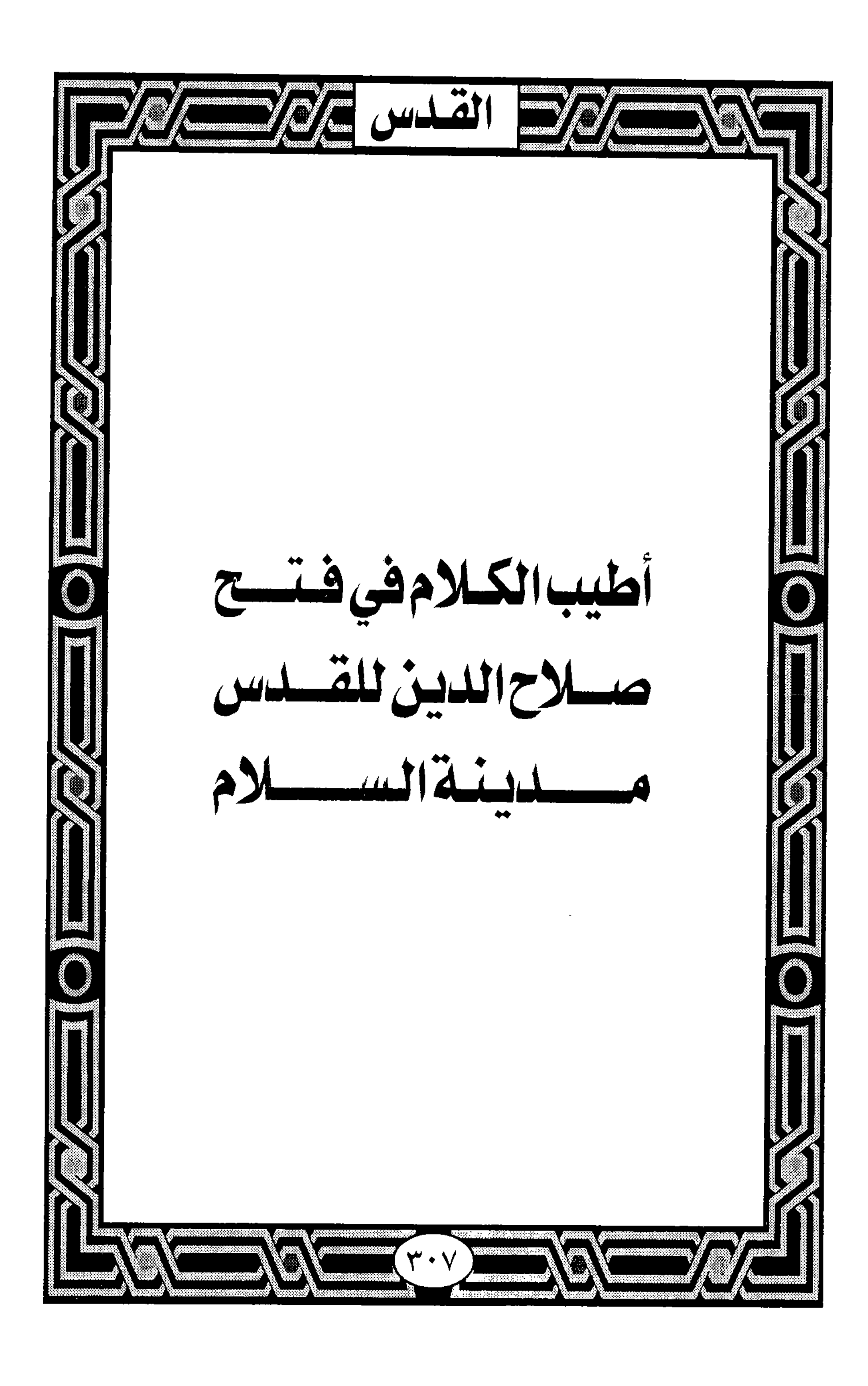
وحبهم واستشارتهم وإعطاءهم المكانة اللائقة بهم، وإحياء المدارس والعلم، وحضور السلطان مجالس العلم، بل إن السلطان صلاح الدين يذهب إلى الإسكندرية مصطحبًا معه ولديه علي وعثمان لحضور مجلس الحافظ السلفي.

وترقى العالم كمال الدين الشهرزوري إلى مرتبة الوزارة، ومن مستشاري صلاح الدين العالم الواعظ ابن نجا الحنبلي، ووزيره القاضي الفاضل كان من أكابر الكتاب محبًّا للعلم وأهله»[2].



(١) «الروضتين» (١/٦).

(٢) انظر «أيعيد التاريخ نفسه» لمحمد العبدة ص(٧٩ ـ ٩٩).



أطيب الكلام في فتح صلاح الدين للقدس مدينة السلام



❁ أطيب الكلام في فتح صلاح الدين للقدس ❁

وهذا فصل يكتب بماء العيون، نورده بأقلام الفصحاء البلغاء من أساطين أعلام المسلمين... يلوح في كل سطر منه.. فرح المسلمين بهذا النصر العظيم الذي أعاد للناس فتوح الصحابة وأيامهم:

❊ **وصف الفتح بقلم القاضي ابن شدّاد:**

◻ **قال القاضي ابن شدَّاد:** لما تسلَّم السلطانُ عَسْقلان والأماكن التي هي محيطة بالقُدْس، شمَّر عن ساق الجِدِّ والاجتهاد في قصده، واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرِّقة في السَّاحل بعد قضاء لُبانتها من النَّهْب والغارة، فسار نحوه معتمدًا على اللَّه، مفوِّضًا أمره إلى اللَّه، منتهزًا فُرصة فتح باب الخير الذي حُثَّ على انتهازه إذا فُتح بقوله عليه السلام: «**من فُتِحَ له بابُ خَيْرٍ فلينتهزه، فإنه لا يُعلم متى يُغلقُ دونه**»[1]، وكان نزوله عليه ـ قَدَّس اللَّه روحه ـ يوم الأحد الخامس عشر من رجب، فنزل بالجانب الغَربي، وكان مشحونًا بالمقاتلة من الخيَّالة والرَّجَّالة، ولقد تحازر أهل الخِبْرة عِدَّةَ من كان فيه من المقاتلة بما يزيد على ستين ألفًا ما عدا النساء والصبيان. ثم انتقل ـ رحمه اللَّه ـ لمصلحةٍ رآها إلى الجانب الشمالي، وكان انتقاله يوم الجمعة العشرين من رجب، ونصب عليه

---

(١) مرسل: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٧)، وأحمد في «الزهد» (٤٧٢) من حديث حكيم بن عمير مرسلاً، وأورده المزي في «تهذيب الكمال» (٨/ ١٧٢) من قول خالد بن معدان.

المنجنيقات، وضايقه بالزَّحف والقتال وكثرة الرُّماة، حتى أخذ النَّقْب في السُّور مما يلي وادي جهنَّم في قُرنة شمالية. ولما رأى أعداء اللَّه ما نزل بهم من الأمر الذي لا يندفع، وظهرت لهم أمارات نُصرة الحق على الباطل، وكان اللَّه قد ألقى في قلوبهم الرعب بما جرى على أبطالهم ورجالهم من السَّبْي والقَتْل والأسر، وما جرى على حُصونهم من الاستيلاء والأخذ، علموا أنهم إلى ما صاروا إليه صائرون، وبالسيف الذي قُتلَ به إخوانهم يُقْتلون، فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان، واستقرَّت القاعدة بالمراسلة بين الطَّائفتين. وكان تسلُّمه له يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب، وليلته كانت ليلة المعراج، المنصوص عليها في القرآن المجيد، فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب، كيف يسَّر اللَّه عوده إلى أيدي المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيِّهم صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم، وهذه علامةُ قَبُول هذه الطَّاعة من اللَّه تعالى[1].

✍ قلتُ: هذا أحد الأقوال في ليلة المعراج، وفي ذلك اختلافٌ كثير، ذكرناه في مواضع غير هذا، واللَّه أعلم.

◘ ثم قال القاضي: وكان فتوحًا عظيمًا شهده من أهل العِلْم خَلْقٌ عظيم، ومن أرباب الخِرَق[2] والحُرَق[3]؛ وذلك أن النَّاس لما بلغهم ما مَنَّ اللَّه به على يده من فُتوح الساحل، شاع قصدُه للقدس، فقصده العلماء من مصر والشام، بحيث لم يتخلف معروفٌ عن الحضور، وارتفعت

---

(١) **هذا لا يصح** . . فقد قال الحافظ ابن حجر في «تبيين العجب فيما ورد في فضل رجب»: أما ما يقوله القصاص والمذكرون من أن الإسراء والمعراج كان في رجب فذلك كذب».

(٢) يعني الصوفية.

(٣) الحرق: السيوف الماضية، ولعلّ المراد من أرباب الحرق هم المتطوّعة.

الأصواتُ بالضجيج والدُّعاء، والتهليل والتكبير، وخُطبَ فيه، وصُلِّيت فيه الجمعة يوم فَتْحه، وحُطَّ الصليب الذي كان على قُبَّة الصَّخْرة، وكان شكلاً عظيمًا، ونصر اللَّه الإسلام نصر عزيزٍ مقتدر. وكان قاعدة الصُّلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجلٍ عشرة دنانير، وعن كل امرأةٍ خمسة دنانير، وعن كل صغيرٍ ذكر أو أنثى دينارًا واحدًا.

قلتُ: كذا قال، وسيأتي في كتاب العماد أن على كل صغير دينارين، وكذا قال: إن الجمعة صُلِّيت ببيت المقدس يوم فتحه، وسيأتي في كتاب العماد التصريح بأنَّ يوم الفتح ضاق عن ذلك، فَصُلِّيت في يوم الجمعة الآتي.

ثم قال القاضي: فمن أحضر القطيعة سَلِمَ بنفسه وإلا أُخذ أسيرًا، وفرَّج اللَّه عمن كان فيه من أسرى المسلمين، وكانوا خَلقًا عظيمًا زُهاء ثلاثة آلاف أسير، وأقام عليه ـ رحمه اللَّه ـ يجمع الأموال ويفرِّقها على الأمراء والعلماء، ويوصل من دفع قطيعته منهم إلى مأمنه، وهو صور.

قال: ولقد بلغني أنه ـ رحمه اللَّه ـ رحل عنه ولم يبق معه من ذلك المال شيء، وكان مئتي ألف دينار وعشرين ألفًا، وكان رحيلُه عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاثٍ وثمانين وخمس مئة»[١].

* فتح بيت المقدس بقلم الحافظ ابن كثير:

قال الحافظ ابن كثير تحت عنوان «فتح بيت المقدس واستنقاذه من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وسبعين سنة»: ـ

---

(١) «عيون الروضتين» لأبي شامة (٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٢).

«لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدّم، أمر العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس، فنزل غربي بيت المقدس في الخامس عشر من رجب من هذه السنة ـ أعني: سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ـ فوجد البلد قد حُصّنت غاية التحصين، وكانوا ستين ألف مقاتل، دون بيت المقدس أو يزيدون، وكان صاحب القدس يومئذ رجلاً يُقال له بالبان بن بازران، ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقى الجمعان، من الداوية والاستثارية أتباع الشيطان، وعبدة الصلبان، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور وأبراجه، ثم تحوّل السلطان إلى ناحية الشام؛ لأنه رآها أوسع للمجال، والجلاد والنزال، وقاتل الفرنج دون البلد قتالاً هائلاً، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في نصرة دينهم وقمامتهم، واستشهد في الحصار بعض أمراء المسلمين، فحنق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين، واجتهدوا في القتال ونصب المناجنيق والعرادات[1] على البلد، وغنّت السيوف والرماح الخطيات، والعيون تنظر إلى الصلبان منصوبة فوق الجدران، وفوق قبّة الصخرة صليب كبير، فزاد ذلك أهل الإيمان حنقًا وشدة للتشمير، وكان ذلك يومًا عسيرًا على الكافرين غير يسير، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فنقبها وحشاها وأحرقها، فسقط ذلك الجانب، وخرّ البرج برمّته فإذا هو واجب[2] ، فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع، والخطب المؤلم الوجيع، قصد

(١) العرادات: آلات تستعمل في الحصار.
(٢) واجب: أي: ساقط.

أكابرهم السلطان، وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان فامتنع من ذلك وقال: لا أفتحها إلا عنوة، كما افتتحتموها أنتم عنوة، ولا أترك بها أحدًا من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين، فطلب صاحبها باليان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمّنه، فلما حضر ترفّق للسلطان وذلّ ذلاً عظيمًا، وتشَفّع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم، فقالوا: إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا ـ وكانوا قريبًا من أربعة آلاف ـ وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا، وخربنا الدور والأماكن الحسنة، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال، وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما نقدر عليه، ولا نبقي ممكنًا في إتلاف ما نقدر عليه، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت، ولا خير في حياتنا بعد ذلك، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعدادًا منكم، فماذا ترتجي بعد هذا من الخير؟

فلما سمع السلطان أجاب إلى الصلح وأناب، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل صغير وصغيرة دينارين، ومن عجز عن ذلك كان أسيرًا للمسلمين، وأن تكون الغلاّت والأسلحة والدور للمسلمين، وأنهم يتحوّلون منها إلى مأمنهم وهي مدينة صور، فكتب الصلح بذلك، وأنّ من لم يبذل ما شُرط عليه إلى أربعين يومًا فهو أسير، فكان جملة مَنْ أُسِر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافًا لمن زعم أنها

أُقيمت يومئذ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت، وإنما أُقيمت في الجمعة المقبلة، وكان الخطيب محيي الدين بن محمد بن علي القرشي ابن الزكي.

ولكن نظّفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير، وخُرِّبت دور الداوية وكانوا قد بنوها غربي المحراب الكبير، واتخذوا المحراب مشتًا لعنهم اللَّه، فنُظِّف من ذلك كله، وأُعيد إلى ما كان عليه في الأيام الإسلامية، وغُسلت الصخرة بالماء الطاهر، وأعيد غسلها بماء الورود والمسك الفاخر وأبرزت للناظرين وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين، ووُضع الصليب عن قبّتها وعادت إلى حرمتها، وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعًا فباعوها من أهل البحور الجوّانية بزنتها ذهبًا، فتعذّر استعادة ما قُطع منها.

ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال، وأطلق السلطان خلقًا منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال، ووقعت المسامحة في كثير منهم، وشفع في أناس كثير فعفا عنهم، وفرّق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في العسكر، ولم يأخذ منه شيئًا مما يقتنى ويدّخر، وكان ـ رحمه اللَّه ـ حليمًا كريمًا مقدامًا شجاعًا رحيمًا»[1].

* فتح القدس بقلم العماد:

◻ قال العماد ـ رحمه اللَّه ـ:

«رحل السلطان من عسقلان للقدس طالبًا، وبالعزم غالبًا، وللنصر

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٦).

مُصاحبًا، ولذيل العِزِّ ساحبًا. والإسلام يخطُبُ من القُدْس عروسًا، ويَبْذُل لها في المَهرِ نفوسًا، ويحمل إليها نُعمى ليحمل عنها بُوسى، ويهدي بِشْرًا ليُذهبَ عُبوسًا، ويسمع صرخة الصَّخرة المستدعية المُستعدية لإعدائها على أعدائها، وإجابة دعائها وتلبية ندائها، وإطلاع زُهر المصابيح في سمائها، وإعادة الإيمان الغريب منها إلى وطنه، وردّه إلى سكونه وسكنه، وإقصاء الذين أقصاهم اللَّه تعالى بلعنته من الأقصى، وجَذْب قِياد فَتحه الذي استعصى، وإسكات الناقوس منه بإنطاق الأذان، وكَف كفِّ الكُفر عنه بأيمان الإيمان، وتطهيره من أنجاس تلك الأجناس، وأدناس أدنى النَّاس.

وطار الخبر إلى القدس، فطارت قلوب من به رُعبًا وطاشت، وخفَقت أفئدتهم خوفًا من جيش الإسلام وجاشَتْ، وتمنَّتِ الفرنج لما شاعت الأخبار أنها ما عاشت، وكان به من مقدَّمي الفرنج باليان بن بارزان، وهو وملكهم في التَّسلُّط سِيَّان، والبطرك الأعظم وهو الشَّاني العظيمُ الشَّان، والذين أغفلتهم حياطةُ حطين من الفرسان الداوية والاسبتارية والبارونية، من ذوي الكُفر والشَّنآن، وقد حشروا وحشدوا، ونشروا ونشدوا، وحميت حَميَّتهُم، وأبت الضَّيْمَ أبيَّتهم، وحارت غيرتهم، وغارت خيرتهم، وتبلَّدوا وتلدَّدُوا، وقاموا وقعدوا، وصوبَّوا وصعَّدوا، فاشتغل بال باليان، واشتعل بالنيران، وخمدت نارُ بطر البطرك، وضاقت بالقوم منازِلُهم، فكأنَّ كل دارٍ منها شَرَكٌ للمُشرِك، وقاموا للتدبير في مقام الإدبار، وتقسَّمت أفكار الكفار، وأَيِسَ الفرنج من الفرج، وأجمعوا على بذل المُهج، وقالوا: ها هنا نطرح الرؤوس،

ونسبك النُّفوس، ونسفك الدِّماء، ونهلك الدَّهْمـاء، ونصبر على اقتراح القُروح، واجتراح الجروح، ونسمح بالأرواح شُحًّا بمحل الرُّوح، فهذه قُمـامتنا[1] ، فيها مقامتنا، ومنهـا تقوم قيامتُنا، وتصيح هامتنا، وتصحُّ نَدَامتنا، وتسيح علاَّمتنا، وتَسُحُّ غمامـتنا، وبها غَرَامنا، وعليها غَرَامتنا، وبإكرامهـا كرامتنا، وبسلامـتها سلامـتنا، وباستقامـتها استقـامتنا، وفي استدامـتها استدامـتنا، وإن تخلَّينا عنها لزمت لآمَتُنا، ووجـبت ملامتُنا، ففـيهـا المصلب والمطلب، والمَذْبح والمقرب، والمجـمع والمعبـد، والمهبط والمصـعـد، والمَـرقى والمرقب، والمشـرب والملعب، والمـمـوَّه والمُذهَب، والمطلع والمقطع، والمربى والمربـع، والمُرَخَّم والمخرَّم، والمُحَلل والمُحـرم، والصور والأشكال، والأنظار والأمـثال، والأشباه والأشبـاح، والأعمدة والألواح، والأجـسام والأرواح، وفيـها صُـوَر الحوارِيِّين في حِـوارهم، والأحـبـار في أخـبارهم، والـرَّهابين في صـوامعـهم، والأقـسَّـاء في مجامعهم، والسَّحَرة وحبالها، والكهـنة وخيالها، ومثال السَّيِّدة والسيد، والهـيكل والمولد، والمائدة والحـوت، والمنعـوت والمنحـوت، والتلميـذ والمعلِّم، والمهد والصَّبي المتكلِّم، وصورة الكبش والحمار، والجنَّة والنَّار، والنواقيس والنواميس.

قالوا: وفيها صَلبَ المسيح، وقُرِّب الذَّبيح، وتجسَّد اللاهوت، وتألَّه النَّاسـوت، واسـتـقـام التـركيـب، وقام الصـليب، ونزل النور، وزال الدَّيجـور، وازدوجت الطبـيعـة بالأُقْنُوم، وامـتزج المـوجود بالمعـدوم، وعمـدت معمـودية المعبـود، ومخضت البـتول بالمولود، وأضـافوا إلى

(١) القمامة من أعظم الكنائس في بيت المقدس. وتسمَّى أيضًا كنيسة القيامة.

متعبَّدهم من هذه الضلالات بما ضَلُّوا فيه بالشُّبَه عن نهج الدلالات، وقالوا: دون مقبرة ربنا نموت، وعلى خوف فوتها منا نفوت، وعنها ندافع، وعليها نقارع، وما لنا ألا نقاتل! وكيف لا ننازع ولا ننازل! ولأيِّ معنى نتركهم حتى يأخذوا، ونَدَعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستنقذوا؟!

وتأهبوا وتباهوا، وما انتهوا بل تناهوا، ونصبوا المجانيق على الأسوار، وستروا بظلمات السَّتائر وجوه الأنوار، واستشاطت شياطينُهم، وسَرَحت سراحينُهُمْ، وطَغت طواغيتهم، وأُصليت مصاليتهم، وهاج هائجهم، وماج مائجهم، وخضَّتهم قسوسُهم، وحرَّضتهم رؤوسهم، وحَرَّكتهم نفوسُهم، وجاءتهم بجوى السُّوء جواسِيسهم.

ونصبوا على كل نيق[1] منجنيقًا، وحَفَروا في الخَندق حَفْرًا عميقًا، وشادوا في كل جانب رُكنًا وثيقًا، وفرَّقوا على كل بُرجٍ فريقًا، وجعلوا إلى كل طارقٍ بالرَّدى للردِّ طريقًا، وأعادوا كل نهجٍ واسعٍ بما وعروه وعوَّروه به مضيقًا، وتحمل كلٌّ منهم ما لم يكن له من قَبْلُ مطيقًا، وخرج جماعةٌ منهم على سبيل اليَزَك[2] ، فأدلجوا ليلاً، واعترضوا عِدَّة من أصحابنا غارَّةً، على طريق السلامة مارَّةً، وكان قد شذَّ من المقدمة المنصورة أميرٌ تقدم، وما تحرز ولا تحزَّم، وما ظن أن قُدَّامه من له جرأة الإقدام، ومن يعتقد أن رِبْحَ كُفره خسارةُ الإسلام، وهو الأمير جمال الدين شروين بن حسن الزرزاري، فوقعوا عليه في موضعٍ

(١) النيق: أرفع موضع في الجبل. انظر «القاموس المحيط» (نوق).
(٢) اليزك: كلمة فارسية تعني: طلائع الجيش.

يُعرف بالقُبيبات، فاستُشهد ـ رحمه اللّه ـ. ولما بلغ السلطان خبره ساءه وغَمَّه.

ثم أقبل بإقبال سلطانه وأبطال شجعانه، وأقيال أولاده وإخوانه، وأشبال مماليكه وغِلمانه، وكبار أمرائه وعِظام أوليائه، وأصبح يسأل عن الأقصى، وطريقه الأدنى، وفريقه الأَسْنى، ويذكُرُ ما يفتح اللّه عليه بِحُسْنِ فتحه من الحُسْنى، وقال: إن أُسعدنا من اللّه على إخراج أعدائه من بيته المقدَّس فما أَسعدنا، وأي يدٍ له عندنا إذا أَيَّدَنا، وإنه مكث في أيدي الكُفر إحدى وتسعين سنة لم يتقبلِ اللّهُ فيه من عابدٍ حسنة، ودامت هِمَمُ الملوكِ دونه متوسِّنة[١]، وخلتِ القرون عنه متخليةً، وخلتِ الفرنج به متولية، فما ادَّخر اللّه فضيلة فتحه إلا لآل أيوب، ليجمع لهم بالقَبول القُلوب.

وكيف لا يهتمُّ بافتتاح البيت المقدَّس والمسجد الأقصى، المؤسس على التَّقوى، وهو مقامُ الأنبياء، وموقف الأولياء، ومعبد الأتقياء، ومَزَارُ أبدال الأرض وملائكة السماء، ومنه المحشر والمنشر، ويتوافد إليه من أولياء اللّه بعد المَعشرِ المَعشَر، وفيه الصَّخرة التي صِينَتْ جدة أبهاجها من الإنهاج[٢]، ومنها مِنهاج المِعراج، ولها القُبة الشماء التي هي على رأسها كالتَّاج، وفيه ومض البارق ومَضى البُرَاق، وأضاءت ليلة الإسراء بحلول السراج المُنير فيه الآفاق.

ومن أبوابه باب الرَّحمة، الذي يستوجب داخله إلى الجنة بالدخول

---

(١) أي: نائمة.

(٢) الإنهاج: البلى، ومنه: نهج الثوب، بلى وخلق. انظر «لسان العرب» «نهج».

الخُلود، وفيه كرسي سليمان ومحراب داود، وفيه عين سُلوان التي تُمثل لواردها من الكوثر الحوض المورود، وهو أولُ القِبلتين، وثاني البَنِيَّتَيْنِ، وثالث الحرمين، وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي أنها تُشدُّ إليها الرِّحال، وتعقد الرجاءَ بها الرِّجال. ولعل اللَّه يعيده بنا إلى أحسن صورة، كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه في أول سورة، فقال عز من قائل: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا**﴾ [الإسراء: ١] وله فضائل ومناقب لا تُحصى، ومنه كان الإسراء، ولأرضه فُتحَت السماء، وعنه تُؤثر أنباء الأنبياء وآلاء الأولياء، ومشاهد الشهداء، وكرامات الكُرماء، وعلامات العُلماء، وفيه مبارك المبارّ، ومسارحُ المسارّ، وصخرتها الطولى القبلة الأولى، ومنها تعالت القدم النبوية، وتوالت البركةُ العُلوية، وعندها صلَّى نبينا ﷺ بالنبيين، وصحِبَ الرُّوح الأمين، وصَعدَ منها إلى أعلى عليين، وفيه محراب مريم عليها السلام، الذي قال اللَّه فيه: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ**﴾ [آل عمران: ٣٧]، ولنهاره التعبد، ولليله المحيا، وهو الذي أسسه داود، وأوصى ببنائه سُليمان، ولأجل إجلاله أنزل اللَّه سبحانه ﴿**سُبْحَانَ**﴾ وهو الذي افتتحه الفاروق، وافتتحت به سورة من الفُرْقان.

فما أجله وأعظمه، وأشرفه وأفخمه، وأعلاه وأجلاه، وأسماه وأسناه، وأيمن بركاته وأبرك ميامنه، وأحسن حالاته وأحلى محاسنه، وأزين مباهجه وأبهج مزاينه، وقد أظهر اللَّه طُوله وطَوْله بقوله: ﴿**الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ وكم فيه من الآيات التي أراها اللَّه نَبيه، وجعل مسموعنا من فضائله مرئية، ووصف للسلطان من خصائصه ومزاياه، ما وثق على

استعادة آلائه مواثيقَه وألاياه[1] ، وأقسم لا يبرح حتى يبر قَسمُه، ويُرفع بأعلاه عَلَمُه، وتخطو إلى زيارة موضع القـدم النبوية قدمُه، ويصغي إلى صرخة الصخرة، وسار واثقًا بكمال النُّصرة.

نزول السُّلْطان على البيت المقدَّس وحَصْره وما كان من أمره

□ **قال العماد**: نزل السلطان على غربي القُدس يوم الأحد خامس عشر رجب، وكـان في القُدس حينئذٍ من الفرنج ستُّـون ألف مقاتل من فارس وراجل، وسائف ونابل، فاستهدفوا للسـهام، واستوقفوا للحِمَام، وقالوا: كل واحـد منا بعشريـن وكل عشرة بمئـتين، ودون القيامـة تقوم القيامة، ولحبِّ سلامتها تُقلى السلامة.

وأقام السلطان خـمسة أيام يدور حول البلد، ويقـسم على حصاره أهل الجَلَد، وأبصر في شـماليه أرضًا رضـيها للحصـار، متَّسعـة لمجال الأسمـاع والأبصار، ممكنةً للدنُوِّ من النقب إن صـار من حَيِّـز الأنصار. فانتـقل إلى المنزل الشمالي يوم الجـمعة العـشرين من شهر رجب، فـما أصبح يوم السبت إلا على منجنيقات قـد نُصبت بلا نَصب، فدام القتالُ والنزال، وفرسانهم في كل يوم يـباشرون دون الباشورة، أمام جـموعهم المحـصـورة المحـسـورة المحـشـورة، ويبـرزون ويُبـارزون، ويطاعنون، ويحـاجـزون، والمطيـعون للَّـه عليـهم يحمـلون، ومن دمـائهم يَنهَلُون ويُنْهِلون، كـما قال الـلَّه تعالى فـيهم ﴿ **يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ**

---

(١) ألايا: جمع مفردها الألوة: اليمين. انظر «لسان العرب» «ألا».

ويقتلون﴾ وممن استشهد مبار ًا، ولم يشهد بينه وبين الجنّة حاجزًا، الأمير عز الدين عيسى بن مالك، كان أبوه صاحب قلعة جَعْبر، فإنه حاز بشهادته في المحشر المفخر، وأكثر ورود الموت إلى أن ورد الكَوثَر، وكان في كلِّ يوم يَفْرِسُ فوارس، ويَلقى ببشر وَجهه وجوه المَنُون العَوابس، فاغتمَّ المسلمون من صرعته، وهان عليهم إتلاف المُهَج بعد تلاف مُهجَته، فركبوا أكتاف الرَّهَج، حتى وصلوا إلى الخندق فخرقوه، وبدَّدوا جمعه وفرَّقوه، والتصقوا بالسُّور فنقبوه، وعَلَّقوه وحشوه وأحرقوه، وصدَّقوا وعد اللَّه في القتال لأعدائه فَصَدَقوه، ولما غضتّهم الحرب، وقع السور واتسع النَّقب، فَصَعُبَ عليهم الهَيِّن وهان لنا الصعب، عقدوا ما بينهم مشورة، وقعدوا ما بينهم ضرورة، وقالوا: ما لنا إلا الاستئمان، فقد أخذ لنا بخطه الخِذلان والحِرمان. وأخرجوا كبراءهم ليؤخذ لهم الأمان، فأبى السلطان إلا قتالهم وتدميرهم واستئصالهم، وقال: ما آخذ القدس إلا كما أخذوه من المسلمين منذ إحدى وتسعين سنة، فإنَّهم استباحوا القتل، ولم يتركوا طَرْفًا يستزير سِنَة، فأنا أُفني رجالهم قتلاً، وأحوي نساءهم سبيًا. فبرز ابن بارزان ليأمن من السلطان بموثقه، وطلب الأمان لقومه، وتمنَّع السلطان، وتسامى في سَومه، وقال: لا أمن لكم ولا أمان، وما هوانا إلا أن نُديم لكم الهوان، وغدًا نملككم قَسرًا، ونوسعكم قتلاً وأسرًا، ونسفك من الرِّجال الدِّماء، ونسلط على الذُّرية والنساء السِّباء. وأبى في تأمينهم إلا الإباء، فتعرضوا للتضرُّع، وخَوَّفوا عاقبة التسرع، وقالوا: إذا أيسنا من أمانكم، وخفنا من سلطانكم، وخبنا من إحسانكم، وأيقنا أنه لا نجاة ولا نجاح، ولا صُلح ولا صلاح، ولا

سلم ولا سلامة، ولا نعمة ولا كرامة، فإنا نستقتلُ فنقاتل قتال الدم والندم، ونقابل الوجود بالعدم، ونلقي أنفسنا على النار، ولا نُلقي بأيدينا إلى التهلُكة والعار، ولا يجرح منا واحد حتى يجرح عشرة، وإنا نحرق الدُّور، ونخرب القُبَّة، ونترك عليكم في سبينا السُّبَّة، ونقلع الصَّخرة، ونوجدكم عليها الحسرة، وقُبَّة الصخرة نرميها وعين سُلوان نعميها، والمصانع نخسِفُها، والمطالع نَكسِفُها، وعندنا من المسلمين خمسة آلاف أسير، ما بين غنيٍّ وفقير، وكبير وصغير، فنبدأ بقتلهم، وشتِّ شملهم، وأما الأموال فإنا نَعطبُها ولا نُعطيها، وأما الذراري فإنا نسارع إلى إعدامها ولا نستبطيها، فلا يحصل لكم سبيٌّ، ولا يُقبل لكم سعي، ولا يسلم عمر ولا عمارة، ولا نُضار ولا نضارة، ولا نساء ولا صبيان، ولا جماد ولا حيوان، فأيُّ فائدة لكم في هذا الشُّح، وكل خُسرٍ لكم في هذا الربح، ورُبَّ خيبةٍ جاءت من رجاء النُّجْح، ولا يصلح السوء سوى الصُّلح. فشاور السلطان أصحابه، فقيل له: الصواب أن نحسبهم أُسارانا، فنبيعهم نفوسهم، ونعمِّم بصغار الجزية رؤوسهم، ويدخل في القطيعة مرؤوسهم ورئيسهم.

واستقر بعد مراودات ومعاودات، ومفاوضات وتفويضات، وضراعات من القوم وشفاعات، على قطيعةٍ تُكمَّل بها الغبطة، ويحصل منها الحوطة، اشتروا بها منا أنفسهم وأموالهم، وخلَّصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم، على أنه من عجز بعد أربعين يومًا عما لزمه، أو امتنع منه وما سلَّمه، ضُربَ عليه الرِّق، وثبت في تملكه لنا الحق، وهو عن كل رجل عشرة دنانير، وعن كل امرأة خمسة دنانير، وعن كل

صغـيرة أو صـغير دينـاران، الذكر والأنثى في ذلك سـيَّان، ودخل ابن بارزان، والبطرك، ومقـدَّما الدَّاوية، والإسـبتار في هذا الضـمان، وبذل ابن بارزان ثلاثين ألف دينار عـن الفقـراء، وقـام بالأداء، ولم يَنكُل عن الوفاء، فمن سلم خرج من بيته آمنًا، ولم يعد إليه ساكنًا، وسلَّموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على هذه القطيعة، وردُّوه بالرغم رد الغصب لا الوديـعة، وكان فـيه أكثـر من مائة ألف إنسـان من رجالٍ ونساء وصبيان، فأغلقت دونهم الأبواب، ورُتِّب لعـرضهم واستخراجِ ما يلزمهم النواب، ووُكِّلَ بكل بابٍ أميـر ومقدَّمٌ كبير، يحـصر الخارجين، ويحصي الوالجين، فمن اسـتخرج منه خرج، ومن لم يَقُمْ بما عليـه قعد في الحَبْس وعَدِمَ الفَرَج، ولو حُـفظَ ذلك المال حقَّ حفظه، لفاز منه بيت المال بأوفـر حظه، لكنَّمـا تم التفـريط، وعمَّ التـخليط، فكلٌّ من رشـا مشى، وتـنكَّبَ الأُمناء نَهجَ الرُّشد بالرُّشـا، فمنهم من أُدلي مـن السور بالحبال، ومنهم من حُمل مـخفيًّا في الرِّحال، ومنهم من غُيرت لبسته فخرج مخفيًّا في زِي الجُند، ومنهم من وقعت فيه شفاعةٌ مطاعة لم تقابل بالرد، والثقات الأكـابر استنابوا أصاغر، فـأقاموا في تقصـيرهم المعاذر، وقنوا لأنفسهم الذخائر، وادَّعى مُظفر الدين كُوكُبُوري أن منهم جماعة من أرمن الرُّها، وعددها ألف نسمة، فجعل إليه أمرها، وكذلك صاحب البيرة ادَّعى بالعُـدَّة الكثيـرة زهاء خمـس مائة أرمني ذكـر أنهم من بلده، وأن الواصل منهم إلى القُدس لأجل متعبَّـده، وكذلك كل من استوهب عدة استطلقها، وحصل له مرفقها، ثم تولى الملك العادل استخراجهم، وقوَّم على الأداء منهـاجهم، وسـهل على السلطان لفرط جـوده الاسـتخراج والإخراج، وتوفر لعامة الناس وخاصتَّهم ببهجة سماحه الابتهاج، وما فينا

إلا من فاز بأوفى نصيب، ورعى منه في مرعى خصيب.

وكان السلطان قد رتب عدة دواوين، في كل ديوانٍ منها عدة من النواب المصريين، وفيهم من الشاميين، فمن أخذ من أحد الدواوين خطًّا بالأداء، انطلق مع الطلقاء، بعد عرض خطه على من بالباب من الأُمناء والوكلاء، فذكر لي من لا أشك في مقاله أنه كان يحضر في الديوان، ويطلع على حاله، فربما كتبوا خطًّا لمن نَقْدُه في كيسهم، وتَلَبَّس أمر تلبيسهم، فكانوا شركاء بيت المال لا أُمناءه، وخانوه على ما حصل لكل من الغِنى والنفع وما أضر غناءه، ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة ألف دينار، وبقي من بقي تحت رق وإسار، ينتظر به انقضاء المُدة المضروبة، والعجز عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة.

وكانت بالقُدس ملكة رومية متعبدة مترهبة، في عبادة الصليب متصلِّبة، وعلى مُصابها مُتلهِّبة، وفي التمسك بملتها متصعبة متعصبة، أنفاسها متصاعدة للحُزن، وعبراتها متحدرة تحدر القطراتِ من المُزن، ولها حال ومال ومتاع، وأشياء وأشياع وأتباع، فعاذت بالسلطان فأعاذها، ومن عليها وعلى كل من معها بالإفراج، وأذن في إخراج كل ما لها في الأكياس والأخراج، وأبقى عليها من مصوغات صُلبانها الذهبية المجوهرة ونفائسها، وكرائم خزائنها، فخرجت بجميع مالها وحالها، ونسائها ورجالها، وأسفاطها وأعدالها، والصناديق بأقفالها، وتبعها من لم يكن من أتباعها، فراحت فرحى، وإن كانت من شجنها قرحى.

وكذلك خرجت زوجة الملك المأسور كي، وهي ابنة الملك أماري،

وكانت مقيمة في جوار القدس مع مالها من الخول والخدم والجواري، فاستأذنت في الإلمام بزوجها، وكان بقيده مقيمًا في بُرج نابلس موكلاً به ليوم وَعدِ تسريحه، فأذن لها، فخلصت هي ومن تبعها، وأقامت عند زوجها.

وكذلك خرجت الإبرنساسة أم هنفري، وهي ابنة فليب وزوجة الإبرنس الذي سُفك دمُه يوم حطين، وهي صاحبة الكرك والشوبك، وهي بنوابها محوطة، وبرأيها منوطة، فجاءت سائلة في ولدها العاني، فوعدت أنها إن سمحت بحصنها سمح لها بابنها، ثم أُعفيت وأُطلقت وعُصمت، واستحضر ابنها هنفري بن هنفري من دمشق إليها، وأقرَّ برؤيته عينيها، وسار معها من الأمراء والأمناء من يتسلم منهم تلك المعاقل، فخرجت فمضت إلى حصونها لتسلِّمها، فمانعها أهلها ودافعوها، وردوها ذليلة خائبة، فسكنت صور، واستودعت السلطان ابنها المأسور، ووعدها بإطلاقه إذا تسلم تلك الحصون.

ذكر يوم الفتح وبعض كتب البشائر إلى البلاد

❑ **قال العماد**: تسلم المسلمون البلد يوم الجمعة أوان وجوب صلاتها، وطلعت الرايات الناصرية على شرفاتها، وأُغلقت أبوابها لحفظ ناسها، في طلب القطيعة والتماسها، وضاق وقتُ الفريضة، وتعذر أداؤها. وللجمعة مقدمات وشروط لم يمكن استيفاؤها، وكان الأقصى لا سيما محرابه مشغولاً بالخنازير والخنا، مملوءًا بما أحدثوا من البنا، مسكونًا ممن كفر وغوى، وضل وظلم وجنى، مغمورًا بالنجاسات التي

حَرُمَ علينا في تطهيره منها الونى، فوقع الاشتغال بالأهم الأنفع، والأتم والأنجح الأنجع، وهو حفظهم وضبطهم إلى أن يوجد شرطهم، ويؤخذ قسطهم.

وجلس السلطان بالمخيم ظاهر القدس للهناء، وللقاء الأكابر والأمراء، والمتصوفة والعلماء، وهو جالسٌ على هيئة التواضع وهيبة الوقار، بين الفقهاء وأهل العلم جلسائه الأبرار، ووجهه بنور البشر سافر، وأمله بعز النجح ظافر، وبابُه مفتوح، ورفده ممنوح، وحجابه مرفوع، وخطابه مسموع، ونشاطه مُقْبل، وبساطه مُقَبَّل، ومحياه يلوح، وريَّاه يفوح، قد جلت له حالة الظفر، وكأن دَسْتَه به هالة القمر، والقراء جلوسٌ يقرؤون ويرشدون، والشعراء وقوف ينشدون ويَنشدون، والأعلامُ تبرز لتنشر، والأقلام تُزْبر لتبشِّر، والعيون من فرط المسرة تدمع، والقلوب للفرح بالنصرة تخشع، والألسنةُ بالابتهال إلى الله تضرع، وبُشر المسجد الحرام بخلاص المسجد الأقصى، وتلي ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ**﴾ [الشورى: ١٣]، وهنئ الحجر الأسود بالصخرة البيضاء، ومنزل الوحي بمحل الإسراء، ومقر سيد المُرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والأنبياء، ومقام إبراهيم بموضع قدم المصطفى ﷺ وعليهم أجمعين، وأدام أهل الإسلام بشرف بنيته مستمتعين. وتسامع الناس بهذا النصر الكريم، والفتح العظيم، فوفدوا للزيارة من كل فج عميق، وسلكوا إليه في كل طريق، وأحرموا من البيت المقدس إلى البيت العتيق، وتنزهوا من زهر كراماته في الروض الأنيق.

✍ وكتب العماد في ثاني يوم الفتح سبعين كتاب بشارة، كل كتاب

بمعنى بديع وعبارة، فمنها الكتاب إلى الديوان العزيز ببغداد افتتحه بهذه الآيـة: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥].

الحمد للَّه الذي أنجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف، وقهر بأهل التوحيد أهل الشرك والخلاف، وخص سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافة، ومكن دينه المرتضى، وبدل الأمن من المخافة، وذخر هذا الفتح الأسنى والنصر الأهنى للعصر الإمامي النبوي الناصري على يد الخادم؛ أخلص أوليائه، وأخص من اعتزازه باعتزائه إليه وانتمائه. وهذا الفتح العظيم والنُّجْح الكريم قد انقرض من الملوك الماضية، والقرون الخالية على حسرة تمنِّيه، وحيرة ترجيه، ووحشة اليأس من تسنِّيه، وتقاصرت عنه طوال الهمم، وتخاذلت عن الانتصار له أملاكُ الأمم، فالحمد للَّه الذي أعاد القُدُس إلى القُدْس، وأعاذه من الرجس، وحقق من فتح ما كان في النفس، وبدل وحشة الكفر فيه من الإسلام بالأنس، وجعل عز يومه ماحيًا ذل الأمس، وأسكنه الفقهاء والعلماء بعد الجُهال والضلال من البطرك والقس، وعبدة الصليب ومستقبلي الشمس، وقد أظهر اللَّه على المشركين الضالين جنوده المؤمنين العالمين، وقطع دابر القوم الظالمين، والحمد للَّه رب العالمين، فكأن اللَّه شرف هذه الأمة، وقال لهم: اعزموا على اقتناء هذه الفضيلة التي بها فضلكم، وحقق في حقهم امتثال أمره في قوله الكريم: ﴿ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة: ٢١].

وهذا الفتح قد أقدره اللَّه على افتضاضه بالحرب العوان، وجعل

ملائكته المسومة له من أعز الأنصـار ،وأظهر الأعوان، وأخرج يوم الجمعة من بيتـه المقدس أهل الأحـد، وقمع من كان يقـول: إن اللَّه ثالث ثلاثة بمن يقول: هو اللَّه أحد. وأعـان اللَّه بإنزال الملائكة والروح، وأتى بهذا النصر الممنـوح، الذي هو فتحُ الفتـوح، وقد تعالـى أن يحيط به وصف البليغ نظمًا ونثرًا، وعُبِدَ اللَّه في البيت المقدس سرًّا وجهرًا، وملكت بلاد الأردن وفلسطين غورًا ونجدًا، وبـرًّا وبحرًا، ومُلئت إسلامًا، وكانت قد ملئت كفـرًا، وتقاضى الخادم دَيْنَ الدين الذي غَلَقَ رهنه دهرًا، والحـمد للَّه شكرًا، حمدًا يُجدد للإسلام كل يومٍ نصرًا، ويزيد وجوه أهله ببشرى فتوحـه بشرًا، وأبى الخادم إلا استـباحة أموالهم وأرواحـهم، وحسم داء اجتـراحهم باجتـياحهم، وأنه لا بد مـن تطهير الأرض المقـدسة برجس دمائهم، وقـتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسائهم، ولما أيسـوا من النجاة، وفتح أبوابها المُرتجة من أسبابهـا المرتجاة، خوفوا بقتل الأسارى المسلمين، وهم أكثـر من ثلاثة آلاف، وأنهم يفسـدون جميع مـا في البلد من مالٍ وبناء بهدمٍ وإحـراق وإتلاف، وعُرِفَ أن جهلهم يحـملهم على كل نُكرٍ شنيع، وأنهـم تدعـوهم فظاظتـهم إلى كل ضـرٍّ فظـيع، وبذلوا إطلاق الأسرى، وشـرطوا حمل مـال الفدا، ومـا زالوا يبتـهلون ويضـرعون، ويذلون ويخشعون، حـتى استقر الأمر أنهم يُفادون، وأجـيبت الصخرة المقدسـة عند استصـراخها، وبركت البـركة الناهضـة إليها في مناخـها، وغسلت من أوضـارها وأوزارها بعبـرات العيون، ورجع اضـطرابها إلى السكون، وفديت بنواظر أهل الإيمان، وصوفحت للوفـاء بعهدها المجدد بالإيمان، وذكـرت في يوم خـلاصـها مـن رجب بليلة المعـراج، وتجلى

إظلامها بإنارة سنا السراج، وأعيدت الكنائس مدارس، وأضحت بإحياء رميم التوحيد رسومُ الكفر عافيةً دوارس، وزالت ضجرة الصخرة، ونعَّشها اللَّه من العثرة، وبدل بالأنس فيها ما كان من الوحشة والحسرة، فالحمد للَّه على هذه النصرة، والمنَّة له على هذه المبرة.

وقد تسلمنا مع بيت المقدس جميع المعاقل من حد الداروم إلى حد طرابُلُس، وكل ما كان جاريًا في مملكة ملك القدس ونابلس، ولم يبق إلا صور، فإنها قد تأخر انتزاعها، وتقدم امتناعها، والفرنج فيها قد ضريت بآمالها أطماعُها، وهي بتأييد اللَّه مستفتحة، والقلوب بتذليل جامحها منشرحة.

* ومن كتب أُخَر: فُتِحَ بيتَ اللَّه المقدس الذي عجز الملوك عن تمنيه فكيف تسنِّيه؟ وماتتِ الأطماع دونه فلم تطمع فيه، فَمَنَّ اللَّه علينا بتذليل صعبه، وإعذاب شربه، وتسهيل وعره، وتحصيل فخره، وقضى الملوك في ليله، وجئنا نحن عند إسفار فجره. وقد كانت الصخرة مُستصرخة، ومطايا الكفر بكلاكلها عليها منوَّخة، فأُجيبت دعوتها، وأصينت حظوتها، وتناثرت على حَجَرها يواقيت الشفاه، وقوبلت قبلتها بِقُبَل الأفواه، ودنا المسجد الأقصى للقاصي والداني، وزال رين العائن وقرت عين الراني.

هذا فتحٌ عظيمٌ قدره، جسيم فخره، فاضلٌ عصره، كاملٌ نصره، غير منسيٍّ إلى يوم الحشر ذكره، وقد افْتُض بنا بِكرُه، واقتُضي بسيفنا وترُه، وزهر زهره، وظهر قهره، وهلك الكافر وكفره، وجاء من نعم اللَّه ما لزم على الأبد شكره.

أبينا إلا إحـراقـهم بنيـران الصوارم، وإغـراقـهم في أمـواه الطلى والجمـاجم، وتسلمنا القدس في يوم كـانت في مثل ليلتـه ليلة المعراج، وحنت الصـخرة حنين جـذع المعجـزة الأولى في ظلمة ليلهـا إلى ذلك السراج الوهاج، والحمد للَّه على سـلوك ما وضح من المنهاج، ونضوب ما كان نبع من الأجاج، وخلا بيت اللَّه لقصد الحاج، وصدق الحاج.

مبشرة بما فضل اللَّه به عصرنا، وعجل به نصرنا، ونظم به سلكنا، وطرز به مُلـكنا، وهو فـتحُ بيـتِ اللَّه المقـدس الذي غَلِـقَ رهنه دهرًا، واغتُصبت من الإسلام قهرًا، وارتد كفرًا، وامتدت به الأيام عمرًا فعمرًا، وتقاصرت الهمم عن اسـتفتاحه، وأصلد زَنْد[1] الملوك فيه فـعجزوا عن اقتداحه، ونزلوا بالـرغم على التماس الكفر واقتراحـه، واحتملوا لحفظ مواضعهم نكاية اجـترامه واجتراحه، فلا جـرم أعده اللَّه لأيامنا، وذخره لمواسم اعتـزامنا، وفتحـه بنا إظهارًا لفضيـلة هذه الأيام، وإيثارًا لما نحن نؤثره من إعلاء كلمة الإسلام، فأصرخنا الصخرة، وأهدينا إليها النصرة، ومكنا من قلبها وإن كان من الحجر المسرة.

وتسلمنا القدس يوم الجـمعة السابع والعشـرين من رجب، وقضينا من حق هذا البيت ما وجب، وجـاء القُدُس إلى القُدْس، وزال الرجس وذهب، وتولى فـيـه الإسـلام وتولى عنه الكفـر، عظم الأجـر وفـخُم الفخر، وطـاب النشر وزاد البشر، ومُـحي الرجس وثبت الطهر، وهلك المشرك، وذل البطرك، وأُقصي من المسجد الأقصى الساجد إلى الشمس، وتجلى الحق بنوره الكاشف لِلَّبسِ.

(١) أصلد الزند: صوت، ولم يور.

عـاد بيت اللَّه المقـدس إلى طهـارته، ونطق منه لسـان التـقـديس بعبارته، وتهلل وجه السعد بنضارته، وخصنا القدر في إتمام أمره بخطابه وإشـارته، وزادت الوجوه بشـرًا ببشـارته، وقـد أعاد اللَّه إلى الإسـلام المسجد الأقصى، وملكنا أدناه وأقصـاه، وأسنى دولتنا بما سناه من فتحه وهناه، وعلموا أنهم هالكون؛ وأنا لهم بالقهر مالكون، وفي سبيل القتل والأسر والسـبي سالكون، فخرجـوا يطلبون الأمان، ويبـذلون الإذعان، حتى يسلـموا المكان، فقـيل لهم: الآن وقد عـصيتم، ورضـيتم بما فـيه هلاككم وأبيتم، فروعـوا بقتل أُسارى المسلمين وهم ألوف، وعرفنا أنهم لا يقصرون عن شرٍّ، فإن جهلهم معروف. فـتضرعوا وتشافعوا وتعفروا في تراب الذُّل ووقعوا، وتقرر عليهم مال اشتروا به أنفسهم، فنزعوا به من الخوف ملبـسهم، وسلمـوا القدس، فـأعدناه إلى القدس، وطـهرناه من الرجس، وأجبنا دعوة الصخرة، وغسلنا عنها وضر الكفر بعبرات العبرة.

فُتحَ بيتُ اللَّه المقدس، الذي غَلِـقَ رهنُه، وطال في يد الكفر أسره وسجنه، واسـتهل بغـر أيامنا مُزنه، وأنار يمنه، وعـاد بإحسانـنا حُسنه، وزال بنا خوفه وزاد أمنه، وبقي قريب مائـة سنة في يد الكفر مسجونًا، وبرجس الشرك مشحونًا، حتى أعاد اللَّه بنا رونقه، وأذهب قلقه، وأعدم فرقهُ.

وهذا فـتحٌ لم يكن منذ عـصـرِ الصـحابة ـ رضـي اللَّه عنهم ـ له نظيـر، وأُفُقُ الدين به منيفٌ منيـر، وشرف أيامنـا به كبـير، وهو إمـام فتوحنا المُدخرة لنا، وما لها بتأييد اللَّه تأخير.

فُتحَ البيت المقدس الذي لم يخطر تمنيه بخاطر الملوك، وتوعر على

عزائمهم نهجُ طريقه المسلوك، وحالت دونه قنطاريات الفرنج وطوارقُها، وجنت على الإسلام فيه حوادثُ الليالي وطوارقُها، حتى دعانا اللَّه لفتحه فأجبناه، ووعدنا بالفوز فأصبناه، وأوردنا مشرع صفائه فاستعذبناه، وعرفنا طيب عرفه فاستطبناه، وذخَر لعصرنا هذا الفتح فاستقبلناه.

رأوا أحجار المنجنيقات قد أنزلتِ الأسواء بالأسوار، وغارَتِ الصخور للصخرة المباركة فجدت في إنقاذها من الإسار، وهتمت ثنايا الأبراج، وأعضل بها في العلاج داءُ الأعلاج، فعاينوا الحمام، وشاهدوا الموت الزؤام.

أقامت المنجنيقات على حصانته جد الرجم، وواقعت ثنايا شرُفاته بالهتم، وتطايرت الصخور من نصرة الصخرة المباركة، وحجرت على حكم السور بسفه الأحجار المتداركة، وحسرت النُّقوبُ عن عروسِ البلد نُقُبَ الأسوار، وانكشفت للعيون انكشاف الأسرار.

نَهَضَتْ لإصراخ الصخرة المقدسة الصخور، وطارت من أوكار المجانيق كأنها الصقور، ما أسر البيت الحرام بفكاك أخيه من الأسر، وإجراء ماء الإسلام فيه لغسل أوضار الكُفر، وإنقاذ الصخرة المباركة ممن قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، وإلحافها من البهاء والرونق والعز الإسلامي كسوة، ولقد غُسِلَتْ من أدران الكفر وأدناسه، وطُهرت من أرجاس أنجاسه، بمياه العيون التي بها قذيت، وصُقلت بشفاه المؤمنين وطالما بأيدي الكفر صديت، وأعيد إليها ذكرُ اللَّه تعالى بعد طول الغُربة، وتذكرت بصحبة الأولياء ما سلف لها في عهد الصحابة ـ رضي

اللَّه عنهم ـ من حُسنِ الصحبة، ودنا المسجد الأقصى فأُقصي منه الساجد للشمس، وسكن العلماء والفقهاء في مواطن البطرك والقس، وأُبدل الناقوس بالأذان، بل الكفر بالإيمان، وصلى محرابُ[1] الإسلام في المحراب الذي أسلم، وقد سنَّى اللَّه تعالى هذا الفتح الأعظم، والنُّجح الأفخم.

وقد نُدِبَ فلان في الرسالة القُدسية، والبشارة العُرسية، التي تم بها مأتم الكفر وعُرس الإسلام، وعاد بها المسجد الأقصى إلى مداناة المسجد الحرام، وتجلت عروس الصخرة لعيون الناظرين، وفاضت عليها مياه أحداق الأولياء، فَرَحَضَت[2] عنها أوضار الكافرين، وكان الإسلام منه غريب فرجع إلى وطنه، وسكن منه إلى التوطن في مسكنه، وزالت مخاوفه وعاد إلى مأمنه، وفاض العرف من منبعه، وأنار التوحيد من مطلعه، وعلا سنا السنة، وحلا جنى الجنة، وخلصت مواضع المُخلصين من أولياء الأمة، وخرج البطاركة والقسيسون من مساجد الأئمة، وعادت الكنائس مدارس، وآيات التثليث بها دوارس، ووجوه أهل الإيمان باشرة، ووجوه أهل الصليب عوابس، ومحت أيامنُ هذه الأيام تلك الليالي الدوامس، وقد أقيمت الجُمَع والجماعات، ونُظفت بل طهرت تلك الساحات، وصلى محرابه المحرب، ودرس فيه الخلافَ والمذهب، فالحمد للَّه الذي تسنى بفضله هذا المطلب، وتيسر بتأييده الأمر الأصعب.

* **قال العماد**: وكان المولى الأجل الفاضل متأخرًا بدمشق لعارضٍ مَنَّ

---

(١) المحراب والمحرب: الشديد الحرب، والشجاع، ويعني به صلاح الدين. «القاموس المحيط» (حرب).

(٢) رحضت: أي: غسلت. انظر «القاموس المحيط» (رحض).

اللَّه بشفــائه، فمن جملة مــا كتب السلطان إليــه: أما الفتح فــمن جُملة بركات همته، وآثار جذبت عزمتــه، فإن اللَّه تعالى سهل ما سجل أهل الدهر بأنه صعب، وأهب نسيم النصــر إبان يقال ليس له مهب، وخصنا بهذا الشرف، وألحقنا في هذه الفضــيلة بصالحي السلف، وقد بُدل الكفر بالإيمان، والناقــوس بالأذان. وجلس العلمــاء والفــقــهاء في مــجــالس الرهبان، وفتحت بهذا الفتح من بيت اللَّه المقدس أبواب الجنان، وتزاحَمَ الخــارجون من الــبلد من الفرنج والــنصارى في دخــول أبواب النيــران، وصلى محارب الدين في المحراب، ورفع الملائكة ما كان تكاثف بأنفاس الكفر من الحجاب، وغُسِلَتِ الصخــرة المباركة من أوضارها بماء العيون، الفائض الفائق غزارة الأمواه، وقُبلت بالشفاه وبوشرت بالأفواه، وطهرت بأهل العلم والحلم من أدناس أهل الجهل والسفاه.

والحمــد للَّه ثم الحــمد للَّه، ومــا كان يعــوزنا ويعوزه إلا حُــضور المجلس السامي أسماه اللَّه، فــما لهذا الأمر رُواء إلا بروائه، ولا للأنس لقاء إلا بأنس لقائه، وكاد يُصحف الفتحُ لولا صالح دعائه، وحسن آلائه.

والحمد للَّه الذي خصنا بهذه الخاصيــة، وفضلنا بالنصرة القدسية، وذخر لنا هذا البر الذي عجز بل قصر عنه ملوك البرية.

والحمد للَّه على هذه النعمة السنية، فما أشوقنا وأشوق القدس إلى قدومه، وما أظمأنا وأظمأه إلى خُصوص الري به وعمومه، ويا حظ هذا البــيت الذي هو أخو البــيت الحــرام من زيارته، وما آنق روضــه وأوفق رضاه إذا فاز بنظره ونضارته، ونحن نعرف أن همــته العالية تحدوه، وأن دينه إلى إجــابة دعــوته تدعوه، ونســأل اللَّه تعــالى أن يكمل صــحتــه،

ويُنعشَ نهضته، ويقوي قوته، ومـا أقمنا بهذا البلد إلا لتطهيره، وترتيب أمره وتدبيره.

* **ومن كُتُبٍ أُخَر**: نصرنا اللَّه بملائكته المسومين، وأوليائه المؤمنين. واستخلصنا بتأييده البلاد وانتزعناها، واقتضضنا بالبيض الذكور من الحرب العوان أبكارَ الفُتوح وافترعناها، وهذه موهبةٌ مُذهبة، ومنقبةٌ لا تبلغ إلى وصفها بلاغة موجزة ولا مُسهبة، ونوبة ما للإسلام بعدها نبوة، وحظوة في مذاق أهل التقوى والمغبرة حلوة، وبُشرى تجلو الوجوه ببشرها، وتضوع مهاب المحاب بنشرها، ويُغرقُ أهل الشرق والغرب سِجالُ غربها، وتقر عين المؤمنين في البعد والقرب بأنوار قربها.

عاد التقديس إلى الأرض التي به وصفت، وأحاطت البركة بالبقعة التي بقوله تعالى: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ عُرفت، وظهرتِ الصخرة المقدسة وطُهرت، وزُهيت أيامن هذه الأيام وزهرت، وقُمعت الطائفة الباغية من أهل التثليث بأهل التوحيد وقُهرت، واستبشر المحراب والمنبر بخطبته وإمامه، وافتخر الزمان بعصر مولانا أمير المؤمنين وأيامه، وقد تملكنا البلاد الساحلية وتسلمناها حصنًا حصنًا، ونقضنا من الكفر ركنًا ركنًا، وأجلينا الكفار منها فاجتلينا بها من الحسنى حُسنًا.

فتحٌ شرَّف اللَّه به هذه الأُمة، وجلا به الغُمة، وكشف المُلمة، بل شرفنا بفخره، وأعدنا لذُخره، وخصنا بفضيلته في عصره، وأجرى لنا ما كان قد أبطأ من عادة نصره، وقمع بأهل دينه من عساكرنا أهل كُفره، وقامت بواترُنا بِوَتْرِه[1]، وعرق البلاد الساحلية من دم الكفر ببحره،

---

(١) بواتر جمع، ومفردها: باتر وهو السيف القاطع. والوتر: القتل.

وأصرخت الصخـرة، وحفت بها النُّصرة، وزالت عنهـا المضرة، وعادت إليها المبـرة، ونُعشت منها العثرة، وفاضت لهـا من عين المؤمنين العبرة، وزُفت عروسـها البكر محصنة لم تُـقتض منها العُذرة، وحـالت العُرَّة(١) ولاحتِ الغُرة، وظهرت من صـدف قُبتها الدرة، وصُـوفحت آثار القدم النبـوية بالأيمان، وجُددت بعـدها صفـقة الإيمان، وبطل الناقـوسُ بحق الأذان، وفُتحت أبواب الجنان لأهلها، وأُخرج منها أهل النيران، والحمد للَّه على هذا الإحسان حمداً مستمرًّا على مر الزمان.

ومن كتـاب إلى سيف الإسـلام باليمن: الـفتح الأكبـر والنجح الأزهر، والنصر الأشـهر والعـصر الأبهر، والفـضل الأكثر، والإفـضال الأوفر واليوم الأنور واليمن الأنضر والفجـر الأسفر والفخر الأظهر. . . هو الفـتح الذي تفوح بمحـابه مهـاب الفتوح وتبـوح بسر روحـه وملكه سرائر الملائكة والروح، وتروح وتغدو عوادي النعم وروائحها إلى روض الهدى المروح، وتلوح تـباشيـر بشراه في لوح الدهر لكل مؤمـن يتلقاها بالوجه السافر الصدر المشروح، وتنوح ناعية الكفر في كل ناحية، ولكل نادبة للأنس على قتيلها القلب المقروح، فُتح بيت اللَّه المقدس الذي غَلِقَ نيفًـا وتسعين سنةً مع الـكفر رهنُه، وطال في أسـره سجنه، واستـحكم وهنُه، وقوي نكره، وضعف ركنه، وزاد حـزنه، وزال حُسنه، وأجدبت من الهُدَى أرضـه وأخلف مُزنه، وواصله خوفـه وفارقه أمنه، واشـتغل خاطرُ الإسلام بسببه وساء ظنه، وذكرَ فيه الواحدُ الأحد الذي تعالى عن

(١) حالت: زالت. والعُرَّة: الجرب، والقذر. انظر «اللسان» (حول، عرر).

الولد أن المسيح ابنه، وربع فيه التثليث فعز صليبه وصُلبه، وأفرد عنه التوحيد فكاد يهي متنه، ودرج الملوك المتقدمون على تمنِّي استنقاذه، فأبى الشيطان غير استيلائه واستحواذه، وكان في الغيب الإلهي أن معاده في الآخرة إلى معاذه، وطنت أوطانه بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس، وجُليت الصخرةُ المقدسة جلوة العروس، وزارها شهر رمضان مضيفًا لها، نهارُ صومها بالتسبيح، وليلُ فِطرها بالتراويح.

* ومن كتبٍ أخر: البيتُ المقدَّس صار مقدَّسًا، وأصبح للإسلام مُعَرَّسًا، ورجع أهلُ التَقْوى إليه فقد كان بها مُؤَسَّسًا، وخَرِسَ الجَرَس، وذَهَبَ الدَّنس، وبَطَلَ النَّاقوس، وخرج القُسوس، وزال الأذى بالأذان، وصُوفحت الصَّخْرة المقدَّسة بأيمان أهل الإيمان، وما صلَّت في محراب البيت المقدَّس التُّقاة، حتى صلَّت في محاريب رقاب الكُفْرِ المَشْرَفيَّات، وما تمَّ الرِّضى بفتح المسجد الأقصى حتى أُقصي منه من أقصاه اللَّه عن رضاه، وما تَبَوَّأ المسلم المُصَلِّي فيه مثواه من الجَنَّة حتى تبوأ الكافر المُصْلَى بالنَّار مثواه.

صُوفح موضعُ القَدَم المباركة ليلةَ المِعْراج بالأيدي، وقال لأولياء اللَّه أهل الإخلاص: أهلاً بكم فما أحسن الخلاص من ولاية أهل التَّعَدِّي، وعاد المسجد الأقصى للمصلِّين المُقَرَّبين جَنَّةً ومنارًا، بعد أن كان للْمُقْصَيْن المُضَلِّين نارًا ودارًا، وتسلَّم مِحْرَبُ الإسلام مِحْرَابه، وأصبحت لألأفه لما ألفى أصحابه، وترنَّح المنبر لِتَرَنُّمِ الخطيب، وانجبر الدِّين بانكسار صُلْب عابد الصَّليب السَّليب.

خلا بالُه من أمر القُدْس بإعادته إلى قُدُسه، وإخلائه من رِجْزِ

الشِّرْك ورِجْسه، وإجلاء داويِّه واسبتاره وبطركه وقَسِّه، وتعويضه من وحشة الضَّلالة من الهدى بأُنسه، وردِّ الإسلام الغريب إلى بيته المقدَّس، ونَفْي الكافر من كاسِفَ البال راغمَ المَعْطس، ونصب المنبر بالمسجد الأقصى لإِقامة الخطبة الإِمامية، ورَفْعِ ما رُفِعَ قَدْرُه من الأعلام العَبَّاسية، والإِفراج عن محرابه بهدم ما بني دونه من مباني الشِّرْك، وكَشْفِ أستار الكَفَرَة التي حَجَبَتْ بالهتْك والفَتْك، وإقامة الجُمَع فيه والجماعات، وإدامة أوراد العبادات به ووظائف الطَّاعات، وغسل الصَّخْرة المقدَّسة بدم الكافر ودمع المؤمن، ونزع لباس بأس المسيء عنها بإِفاضة ثَوْبِ ثَوَاب المُحْسِن، وتنزيه تلك الجَنَّة من دَنَسِ أهل النَّار، وإعلاء ما كان دَرَس من معالم الأبرار ومطالع الأنوار.

وقد رجع الإِسلام الغريب منه إلى داره، وخرج قَمَرُ الهُدَى به من سِراره، وذَهَبَتْ ظُلَمُ الضَّلالة بأنواره، وعادت الأرضُ المقدَّسة إلى ما كانت موصوفه به من التقديس، وأُمنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح السُّرى ومناخ التَّعْريس، وقد أُقصي عن المسجد الأقصى الأقصون من اللَّه الأبعدون، وتوافى إليه المُصْطَفُون الأقربون والملائكة المقرَّبون، وخَرِسَ النَّاقوس بِزَجَلِ[1] المسبِّحين، وخرج المفسدون بدخول المُصْلحين، وقال المحراب لأهله: مرحبًا وأهلاً، وشَمِلَ جماعة المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة ما جمع للإِسلام فيه شَمْلاً، ورُفِعَت الأعلام العَبَّاسيَّة على منبره، فأخذت من بِرِّه أوفى نصيب، وتَلَتْ بألسنة عَذَبها ﴿**نَصْرٌ مِنَ اللَّه وفَتْحٌ قَرِيبٌ**﴾ وغُسِلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من دَنَسِ

(١) الزَّجَل: رفْع الصوت.

المُشْركين. وبَعُدَ أهل الأحد من قُرْبها بقُـرْب المُوَحِّدين، فذكر بها ما كاد يُنْسى من عَـهْـد المِعْـراج النَّبـوي، وأقامت بدلائـلها براهين الإِعـجـاز المحمَّدي.

عاد الإِسلام بإسـلام البيت المقدس إلى تقديسـه، ورجع بُنْيانه من التقـوى إلى تأسيسـه، وزال ناموس ناقوسـه، وبَطَلَ بنصِّ النَّصر قـياسُ قَسِّـيسـه، وفُتِحَ باب الرَّحـمة لأهلها ودخلت فـيه الصَّـخْرَةُ لفَـضْلها، وباشرت الحياة بها مواضع سجودها، وصافحت أيدي الأولياء آثارَ القدم النَّبوية بتـجديد عهودها، وشُـهِدَ مقام المِعْراج ومـوطئ بُرَاقه، ورُئِي نُورُ الإِسلام ومَطْلعُ إشراقـه، ودنا المسجد الأقصى للرَّاكع والسَّاجـد، وامتلأ ذلك الفضاء بالأتقياء.

* **ومن كتاب فاضلي إلى بغداد**: تقلَّص ظِلُّ الكافر المبسوط، وصَدَقَ اللَّه أهل دينه، فلمـا وقع الشَّرْط وقع المشـروط، وجاء أمـر اللَّه وأُنوف أهل الشِّرْك راغمـة، وأدلجت السيوفُ والآجال نائمة، واسـتردَّ المسلمون تُراثًا كان عنهم آبقًـا، وظفروا يقظةً بما لم يصدِّقوا أنهم يظفـرون به طيفًا على النأي طارقًا.

***ومنه في وصف نَقْب السُّور**: فأُخلي السُّورُ من السَّيَّارة، والحرب من النَّظَّارة، وأمكن النَّقَّاب أن يُسْـفرَ للحرب النِّقابَ، وأن يعيـد الحَجَرَ إلى سيرته من التُراب، فتقدَّم إلى الصَّخْـر فمضغ سَرْدَه بأنياب معْوَله، وحَلَّ عُقَدَه بضـربه الأخرق الدَّالِّ على لطافَة أَنْمُله، وأسمع الصَّخـرة الشَّريفة جنينه فـاستـغاثتـه إلى أن كادت تَـرِقُّ لمقتله، وتبـرَّأ بعضُ الحجـارة من

بعض، وأَخَذَ الخرابُ عليها مَوْثِقًا فلن يَبْرَحَ الأَرْض.

* **ثم قال**: واستقرَّت على الأعلى أقدامُهم، وخَفَقَتْ على الأقصى أعلامُهم، وتلاقت على الصَّخْرة قُبَلُهم، وشُفيت بها وإن كانت صخرةً كما يُشْفى بالماء غُللهم، وملك الإِسلام خُطَّةً كان عهدُه بها دمْنَةَ سُكَّان، فخدمها الكُفْرُ إلى أن صارت روضةَ جِنان، لا جَرَم أن اللَّه أخرجهم منها وأهبطهم، وأرضى أهلَ الحقِّ وأَسْخَطَهم. وأوعز الخادمُ بردِّ الأقصى إلى عهده المعهود، وأقام له من الأئمة من يوفيه ورْدَه المورود. وأُقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكادت السماواتُ للسُّجُوم[1] يَتَفَطَّرْنَ، والكواكبُ منها للطَّرَب يَنْتَثِرْن، ورُفِعَتْ إلى اللَّه كلمةُ التوحيد وكانت طريقُها مسدودة، وطَهُرَتْ قبورُ الأنبياء وكانت بالنَّجاسات مكدودة، وأُقيمت الخَمْس وكان التَّثْليث يُقْعِدها، وجَهَرَتِ الأَلْسُن باللَّه أكبر وكان سحر الكُفْر يَعْقِدُها، وجُهِرَ باسم أمير المؤمنين في وطنه الأَشْرف من المِنْبر، فَرُحِّبَ به ترحيبَ مَنْ بُرَّ بمن بَرَّ، وخَفَقَ علماه في حِفَافَيْه، فلو طار سرورًا لطار بجناحيه. وكان الخادمُ لا يسعى سعيه إلا لهذه العُظْمى، ولا يُقاسي تلك البؤسى إلا رجاءَ هذه النُّعْمى، ولا يُحارب من يستظلمه إلا لتكون الكلمةُ مجموعةً فتكون كلمةُ اللَّه هي العليا، وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعَرَض الأدنى من الدُّنيا، وكانت الألسن ربما سَلَقته، فأنضج قلوبها بالاحتقار، وكانت الخواطر ربما غَلَتْ عليه مراجِلُها، فأطفأها بالاحتمال والاصطبار، ومن طلبَ خطيرًا خاطَرَ، ومن رام صفقةً رابحةً جاسَرَ، ومن سما لأن يُجلِّي غمرةً غامَرَ.

---

(١) مِن انسجم الدمع: إذا سال وانصبَّ. انظر اللسان «سجم».

* ووصف فيه يوم حطِّين فقال: وكان اليومُ مشهودًا، وكانت الملائكةُ له شهـودًا، وكان الصَّلِيب صارخًـا وكان الإِسلام مـولودًا، وأُسرَ الملك وبيده أوثقُ وثائقه، وآكدُ وُصَلِه بالدِّين وعلائقه، وهو صليب الصَّلبوت، وقائد أهل الجبروت، ما دُهمـوا قَطُّ بأمرٍ إلا وقام بين دهائهم يحرِّضهم؛ يبسط لـهم باعَهُ، وكان مَـدُّ اليدين في هذه الدّفـعة وَدَاعَـه، لا جَرَمَ أنه يتهافتُ على ناره فَرَاشُهم، ويجتـمع في ظِلِّ ظلامه خشَاشُهُمْ، ويقاتلون تحت ذلك الصَّليب أَصْلَبَ قتال وأصدَقَه، ويرونَهُ مـيثاقًا يبنون عليه أشدَّ عُقَد وأوثَقَه، ويعدُّونه سورًا تحـفر حوافر الخيل خَنْدَقَه، ولم يُفْلت منهم معروفٌ إلا القومص، وكان ـ لعنه اللَّه ـ مليًّا يوم الظَّفر بالقتال، ومليًّا يوم الخذْلان بالاحـتيال، فنجا ولكـن كيف، وطار خوفًا من أن يَلْحَـقَه مَنْسَـرُ الرُّمْح وجَنَاح السـيّْـف، ثم أخذه الـلَّه بعـد أيامٍ بيـده، وأهلكه لِمَوْعِده، وكان لِعدَّتهم فـذلك، وانتقل من ملكِ الموت إلى مالك، وبعد الكسرة مَـرَّ الخادم على البـلاد فطواها بما نشر عـليها من الرَّايـة السوداءِ صبغًـا البيضاء صُنعًا، الخـافقة هي وقلوب أعدائها، العـالية هي وعزائم أوليائها.



* الشعر وفتح القدس:

على مثل هذه الغايات النبيلة تُوقف القصائد، وفي دوحة الفتح الأعظم يحلو المديح.. مديح الرجل.. مديح البطل.. صلاح الدين:

مديحك أحلى في فمي من جنا المُنى ... ومن طعم برْد الماء عذبًا على الصَّدى
أسامر فيك الشعر مستمتعًا به ... فأبْسطُه بَسْط الخميلة في الندى
أوَدُّ لو أن البيت ألف قصيدةٍ ... وكلَّ قصيد ألفُ حزبٍ تردَّدا
وكيف اقتصادٌ في مدائحِ يوسف ... وقد بذّ غايات السوابق في المدى[1]

□ وقال الجلياني:

أبا المُظَفَّر أنت المُجْتَبى لهدى ... أُخرى الزَّمان على خُبْرٍ بخُبْرَته
فلو رآك وقد حُزْتَ العُلا عمرٌ ... في قُلَّة التَّلِّ قَضَّى كُنْه عِبْرَته[2]
ولو رآك وأهلُ القُدْس في وَلَهٍ ... أبو عبيدةَ فدَّى[3] من مَسَرَّته
غداةَ جزُّوا النَّواصي في قُمامته ... وأعولوا بالتَّباكي حَوْلَ صَخْرَته
دارتْ بك المِلَّة الحُسْنى فنحن على ... عَهْدِ الصَّحابة في استمرارِ مرَّته
وأنت كاسْمِك صدِّيقٌ وصاحبُهُ الـ ... ـمَلْكُ المُظَفَّرُ سامٍ في مَبَرَّته
وفي السُّلالة عثمانٌ يؤيِّدُه ... عُلا عليٍّ على إيثار نُصْرَته
وكم لديك ذوي قُرْبى رقَوا شَرَفًا ... وكم بعيدٍ رأى الزُّلْفى بِهِجْرَته

---

(١) ديوان «المبشرات القدسيات» للجلياني ـ جمع د. عبد الجليل حسن عبد المهدي ـ دار البشير ص(١٤٤).

(٢) العبرة: العجب. «معجم متن اللغة» (٤/ ١١).

(٣) يعني يقال له: جعلت فداك. «القاموس المحيط» (فدي).

يُشَبِّه القُبْجُ[١] ما بين البُزاة لَقَى ... مَلْكَ الفرَنْجِ أخيذاً[٢] بين عِتْرَتِه
أَما رأيتَ معالي يوسف نُسقَتْ ... حتى رَمَتْ كلَّ ذي مُلْك بحَسْرَتِه
أضحى لِنَشْرِ الهُدَى في فَتْحِ مَنْهَجِه ... وباتَ يطوي العِدَى في سَدِّ ثُغْرَتِه
واسْتَقْبَحَ الرِّجْس ممنوًّا بِمَشْهَدِه ... فاستفتَحَ القُدْس محشوًّا بزُمْرَتِه
لكنَّ بأس صلاح الدِّين أَذْهَلَهُمْ ... بوقعةِ التَّلِّ واستَشْرى بسَوْرَتِه
تعيا الجوارِحُ والفُرْسانُ وهو على ... بَدْءِ النَّشاط عَشيًّا مِثْلَ بُكْرَتِه
يا فاتحَ المَسْجِدِ الأقصى على بُهَمٍ[٣] ... وقانِصَ الجيشِ لا يُحْصى بِقَفْزَتِه
أَبْشِرْ بِملْكٍ كَظَهْرِ الشَّمْس مُطَّلع ... على البسيطةِ فتَّاحٍ بنشرته
حتى يكونَ لهذا الدِّينِ ملحمةٌ ... تحكي النُّبوةَ في أيام فَتْرَتِه

قصيدة فخْر الكتاب أبي علي الحسن بن علي الجويني في فتح المقدس:

قال ـ رحمه اللَّه ـ:

جُنْدُ السَّماءِ لِهذا المَلْكِ أَعْوَانُ ... مَنْ شَكَّ فيهم فهذا الفَتْحُ بُرهانُ
متى رأى النَّاس ما نحكيه في زَمَنٍ ... وقد مَضَتْ قَبْلُ أزمان وأَزْمانُ
هذي الفُتوحُ فتوحُ الأنبياءِ وما ... لها سوى الشُّكْرِ بالأفعال أثمانُ
أَضْحَتْ ملوكُ الفرنجِ الصِّيْد في يده ... صَيداً وما ضَعُفوا يومًا وما هانُوا
كم مَنْ فُحولِ ملوكٍ غُودروا وهُمُ ... خَوفَ الفرنجةِ وِلدانٌ ونِسوانُ

---

(١) القُبَجُ: ويسكن: الحَجَل. «معجم متن اللغة» (٤/ ٤٨٠).

(٢) أي: أسيرًا.

(٣) البهم جمع، مفردها بهمة: بالضم: الشجاع، وقيل: الفارس الذي لا يُدْرى من أين يؤتى له من شدة بأسه، وتأتي أيضًا بمعنى: الجيش. «اللسان» (بهم).

استصرخت بملكشاه طرابلس ... فخام عنها وصمت منه آذانُ
هذا وكم ملكٍ من بعده نظر الـ ... ـإسلام يطوى ويُحوى وهو سكرانُ
تسعون عامًا بلادُ اللَّه تصرخُ والـ ... ـإسلامُ نصَّارُه صُمٌّ وعُميانُ
فالآن لبَّى صلاحُ الدِّين دعوتهم ... بأمرِ مَنْ هو للمعوانِ معوانُ
للنَّاصر ادُّخرتْ هذي الفُتوحُ وما ... سمتْ لها هِممُ الأملاكِ مُذ كانوا
حَبَاه ذو العَرْشِ بالنَّصْرِ العزيز فقا ... ل النَّاس داودُ هذا أم سُليمانُ
في نصف شهرٍ غدا للشِّرك مُصطلمًا ... فَطهرتْ منه أقطارٌ وبُلدانُ
فأين مَسلمةٌ عنها وإخوته ... بل أين والدهم بل أين مَروانُ
وَعدِّ عما سواه فالفرنجةُ لم ... يَبذُّهمْ من ملوكِ الأرضِ إنسانُ
لو أنَّ ذا الفَتحَ في عصرِ النبي لقد ... تنزلتْ فيه آياتٌ وقُرآنُ
يا قُبحَ أوجه عُبادِ الصليبِ وقد ... غدا يُبرقعها شُؤم وخذلان
خَزَنتَ عند إله العَرشِ سائر ما ... ملكتهُ وملوكُ الأرضِ خُزانُ
فاللَّه يُبقيك للإسلامِ تحرسُهُ ... من أن يُضامَ ويُلفى وهو حيرانُ
وهذه سَنةٌ أكرم بها سنةً ... فالكفر في سِنَةٍ والنَّصرُ يَقظانُ
يا جامعًا كلمةَ الإيمانِ قامعَ مَنْ ... معبودُه دونَ ربِّ العَرشِ صُلبانُ
إذا طَوَى اللَّه ديوانَ العبادِ فما ... يُطوَى لأجرِ صلاحِ الدين ديوانُ

◘ ولنقيب الأشراف بالديار المصرية النسّابة الجوّاني:

أتُرى منامًا ما بعيني أبصرُ ... القُدسُ يُفتحُ والفرنجةُ تُكسَرُ
وقُمامةٌ قُمت من الرِّجس الذي ... بزواله وزوالها يتطهرُ
ومَليكُهُم في القَيْدِ مصفودٌ ولم ... يُرَ قَبلَ ذاك لهمْ مليكٌ يُؤسرُ

قد جاء نَصرُ اللَّه والفَتحُ الذي ... وُعدَ الرَّسُولُ فسبِّحوا واستغفرُوا
فُتِحَ الشَّام وطُهرَ القُدسُ الذي ... هو في القيامة للأنام المَحشَرُ
من كان هذا فتحه لمحمدٍ ... ماذا يُقالُ له وماذا يُذكرُ
يا يوسف الصديق أنت لِفتحها ... فاروقُها عُمرُ الإمامُ الأطهرُ
ولأنتَ عثمان الشريعة بعدَه ... ولأنتَ في نصرِ النُّبوَّة حَيدرُ
ملكٌ غدا الإسلامُ من عَجَبٍ به ... يختالُ والدنيا به تَتَبخترُ
نَثرٌ ونظمٌ طعنُهُ وضِرابُهُ ... فالرُّمحُ يَنظمُ والمهنَّد يَنثُرُ
حيث الرِّقابُ خواضعٌ حيث العيو ... نُ خواشعٌ حيث الجباه تُعَفَّرُ
غاراتُهُ جُمَعٌ فإن خَطبت له ... فيها السيوفُ فكلُّ هامٍ مِنبرُ
إذ لا ترى إلا طُلَى[1] بسنابكٍ ... تُحذَى نعالاً أو دماءً تُهدرُ
وصوافنًا تختار أن تطأ الثَّرى ... فَيصدُّها عنه طُلًى وسَنَوَّرُ[2]
تمشي على جُثَثِ العِدَى عُرجًا ولا ... عَرجٌ بها لكنها تَتَعثرُ

☐ وقال أبو الحسين بن جُبير الأَنْدَلُسي:

أَطلتْ على أُفقِكَ الزَّاهرِ ... سُعُودٌ من الفَلَك الدَّائرِ
فأبشِر فإن رِقابَ العِدَى ... تُمدُّ إلى سَيفكَ الباترِ
وعما قريبٍ يَحلُّ الردى ... بكُندهمُ النَّاكثِ الغادرِ
وخِصبُ الورى يوم تسقي الثُّرى ... سحائبُ من دَمِهَا الهامرِ
وكم لك من فَتكةٍ فيهمُ ... حكَت فتكَةَ الأسدِ الخادرِ

(١) الطُّلى جمع، مفردها الطُّلاة: وهي العنق. انظر «لسان العرب» (طلي).
(٢) السنور: جملة السلاح وخصّ بعضهم به الدروع. انظر «لسان العرب» (سنر).

كَسرتَ صَليبَهُمُ عَنوَةً ... فللّه دَرُّكَ من كاسرِ
وغَيرتَ آثارَهُم كُلَّها ... فليس لها الدَّهْرَ من جابرِ
وأمضيتَ جدكَ في غَزوهم ... فَتَعسًا لِجَدِّهمُ العاثرِ
وأدبَرَ مُلكُهمُ بالشام ... وولّى كَأمْسِهِمُ الدَّابرِ
جنودُك بالرُّعبِ منصورةٌ ... فَنَاجِزْ متى شِئتَ أو صابرِ
فكلُّهمُ غَرِقٌ هالك ... بتيَّار عَسكَرِكَ الزَّاخرِ
ثَأرتَ لدين الهُدَى في العِدَى ... فآثرك اللَّه مِنْ ثائرِ
وَقُمتَ بِنصرِ إلهِ الوَرَى ... فَسَمَّاك بالملك النَّاصرِ
وجاهَدْتَ مجتهداً صابراً ... فللّه أجرُكَ من صابرِ
تبيت الملوكُ على فُرشهم ... وتَرفُلُ في الزَّرَدِ السَّابري
وتُؤثِرُ جاهِدَ عَيشِ الجهادِ ... على طِيبِ عَيشِهِمُ النَّاضرِ
وتَسهرُ ليلك في حقِّ مَنْ ... سَيرضِيكَ في جَفنك السَّاهرِ
فَتحتَ المقدس من أرضه ... فعادَتْ إلى وَصْفها الطاهرِ
وجِئتَ إلى قُدسه المُرتَضى ... فخلَّصْتَهُ من يَدِ الكافرِ
وأعلَيتَ فيه مَنارَ الهُدَى ... وأَحييتَ من رَسمه الدَّاثرِ
لكم ذَخَرَ اللَّه هذي الفتوح ... من الزَّمنِ الأول الغابرِ
وخَصَّك من بعد فاروقه ... بها لاصطناعك في الآخرِ
محبَّتُكُم أُلقِيتْ في النُّفوس ... بذكرٍ لكم في الوَرَى طائرِ
فكم لهمُ عند ذكر الملوك ... لمثلك من مَثَلٍ سائرِ

❁ ❁ ❁

- وقال أبو الحسن عليُّ بن محمد السَّاعاتي:

أعيًّا وقد عاينتمُ الآيةَ العُظمى ... لأيةِ حالٍ تذخروا النَّثرَ والنَّظما
وقد ساغَ فَتْحُ القُدسِ في كلِّ منطقٍ ... وشاعَ إلى أن أسمعَ الأسلَ الصُّمَّا
حَبا مكَّةَ الحُسنى وثَنى بيثربٍ ... وأطربَ ذياك الضريحَ وما ضمَّا
فَليتَ فَتى الخَطاب شاهدَ فتحَها ... فيشهدَ أن السيفَ من يوسفٍ أصمَى
وما كان إلا الداءُ أعيا دواؤه ... وغَبْرُ الحُسامِ العَضبِ لا يُحسنُ الحَسما
وأصبح ثَغْرُ الدِّين جَذلانَ باسمًا ... وألسنةُ الأغماد تُوسعُه لَثما
سَلُو الساحل المخشي عن سَطواته ... فما كان إلا ساحلاً صادَفَ اليمَّا

- وله من قصيدةٍ أُخرى في السُّلْطان:

عَصفتْ به ريحُ الخُطوب زعازعًا ... فلقينَ طَودًا لا تخفُّ أناتُهُ
هو منقذُ البيتِ المقدَّس بعدما ... طالَتْ فما وَجدَ الشفاءَ شُكاتُهُ
بيتٌ تأسَّس بالسُّكون وإنما ... عند الزِّحافِ تَحركْت سكناتُهُ
أمشتِّتَ الأعداء وهي جحافلٌ ... عن شَملِ دينٍ جُمعَت أشتاتُهُ
أُوتيتَ عَزمًا في الحروبِ مسدَّدًا ... لا زَيغُه يُخشى ولا هَفَواتُهُ
أحسنتَ بالبيتِ العتيقِ ويَثربٍ ... ولك الفعَالُ كثيرةٌ حَسناتُهُ
هذي سيوفُك مُحرماتٌ دونَهُ ... لبكائِهِنَّ تبسَّمَت حُجُرَاتُهُ

- وله من قصيدةٍ أُخرى:

هو الفاتحُ البيتِ المقدس بعدما ... تحامته سادات الدُّنا ومَسودُها
فضيلةُ فَتحٍ كان ثاني خليفةٍ ... من القوم مُبديها وأنت مُعيدُها

❁ ❁ ❁

□ وللعمادِ قصيدةٌ يهنئُ بها صلاحَ الدّينِ بفتحِ القدسِ وهو مخيّم عليه يقولُ فيها :

رأيت صلاحَ الدين أَشرفَ من غدا ... وأَفضلَ من أضحى وأكرمَ من أَمسى

وقيل لنا في الأرضِ سبعةُ أَبحرٍ ... ولسنا نَرى إلا أناملَهُ الخَمسا

سَجيتُه الحُسنى وَشيمَتُه الرِّضا ... وَبَطشتُه الكُبرَى وعِزتُهُ القَسعا

فلا عَدمَت أيامُنا منه مَشرِقًا ... يُنيرُ بما يولي ليالينَا الدُّمسا

جنودكَ أملاكُ السَّماءِ وَظنَّهُم ... عُدَاتُك جنَّ الأرضِ في الفَتكِ لا الإِنسا

فلا يستحقُّ القُدْسَ غيرُك في الوَرَى ... فأنتَ الذي مِنْ دونهم فَتَحَ القُدسا

ومن قَبلِ فَتحِ القُدسِ كنتَ مقدَّسًا ... فلا عَدمَت أخلاقُك الطُّهرَ والقُدْسا

وَطَهرتَهُ من رِجسِهم بدمائهم ... فأذهبتَ بالرجسِ الذي ذَهبَ الرِّجْسا

نَزَعتَ لباسَ الكفرِ عن قُدسِ أرضِها ... وألبستَها الدين الذي كَشفَ اللَّبسا

وعادَتْ ببيتِ اللَّه أحكامُ دينه ... فلا بطركًا أبقيتَ فيها ولا قسا

وقد شاعَ في الآفاقِ عنك بِشَارةٌ ... بأن أذانَ القُدسِ قد بَطل النَّقسا

جَرَى بالذي تهوى القضاءُ وظَاهَرت ... ملائكةُ الرحمن أجنادَك الحُمْسا[1]

وكم لبني أيوبَ عَبدٌ كَعَنتَرٍ ... فإن ذُكِروا بالبأس لا يذكروا عَبْسا

وقد طاب رَيَّانا على طَبريَّةٍ ... فيا طِيبَها مغنًى ويا حُسنها مَرسى

وعكَّا وما عكَّا فقد كانَ فَتحُها ... لإِجلائهم عن مُدنِ ساحلهم كَنسا

وصيدا وبيروت وتِبنين كلُّها ... بسيفك ألفى أنفُه الرَّغمَ والتَّعسا

---

(١) الحُمْس: جمع أحمس، وهو الشجاع، والمتشدد على نفسه في الدين.

ويافـا وأرسُـوف ويُبنَى وغَـزَّةٌ ... تَخذتَ بها بين الطُّلى والظُّبَى عُرسا
وفي عَسقَلانَ الكُفرُ ذَل بملككمْ ... فَمَنظرُهُ بل أمرُهُ اربدَّ وارجسَّا
وصارَ بصورٍ عُصبَةٌ يَرقُبونَكُمْ ... فلا تُبطئوا عنها وحُسُّوهمُ حَسَّا
توكَّل على اللَّه الذي لك أصبحَتْ ... كلاءتُهُ درعًا وعصمَتُهُ تُرسا
ودَمِّر على الباقين واجتث أصلهُم ... فإنَّك قد صَيرتَ دينارهم فَلسا
ولا يَنسَ شِركَ الشَّرقِ غَربُك[1] مُرويًا ... بماءِ الطُّلى من صاديات الظُّبَى الخَمسا
وإن بلادَ الشرق مظلمةٌ فَخُذ ... خُرَسان والنَّهرين والتُّرك والفُرسا
وبعد الفرنج الكُرجَ فاقصدْ بلادَهُم ... بعزمِك واملأ من دمائهمُ الرَّسَّا[2]
أقامتْ بغاب السَّاحلين أُسودُكم ... وقد طَرَدت عنه ذئابَهُمُ الطُّلسا

□ ولنَجْمِ الدّين يوسفَ بنِ الحسينِ بنِ المُجاورِ قصيدةٌ:

الوَقتُ أَضيقُ من سماعِ قصيدةٍ ... مَوسُومةٍ بصفاتِ أَغيدَ أهيفِ
الجِدُّ في هذا الزمان مُبينٌ ... والهَزلُ فيه مع الغَواية مُختفِ
بالناصرِ المَهدِي والهادي إلى ... سُبُلِ الجهادِ أبي المُظفرِ يُوسُفِ
المستعينِ بِربِّه والواثقِ الـ ... ـمنصورِ والمستظهرِ البرِّ الوَفي
شُدت قُوى أركان ملة أحمدٍ ... وَتَجَمَّلت بجهاده في المَوقفِ
ملكٌ إذا أَمَّ الملوكُ جَنابَهُ ... لاذوا بأكرمِ من يُؤمُّ وأشرَفِ
وإذا أَتَوا أَسرى إلى أبوابه ... وقَفُوا بأعظمِ من يَصُولُ وأَرأف
مولى غدا للدِّين أكرمَ والدٍ ... حَدِبٍ على أبنائه مُتَرَفِّفِ

(١) الغرب: حدة السيف.
(٢) الرس: البئر.

عَـزَلَ الفـرنجـة ثـم وَلَّى جَـيـشَـهُ ... أَعظِم به من صَارِفٍ ومُـصـرِّف

قد أَنصَفَ التَّوحيدَ من تثليثهم ... وأقامَ في الإنجيل حَد المُصحَف

مُـغـرًى بتـجـريح الرِّجـال لأنَّه ... يَروي أحـاديثَ العَـوَالي الرُّعَّف

مَلِكٌ له في الحَرب بَحـرٌ تَفـقُّـه ... وله غَـداةَ السلم زُهدُ تَصَـوف

وعليـه أُنـزلَ في الجـهـاد مُـفَـصَّلٌ ... فلذاك يقـرؤه بسـبـعـة أَحـرُف

عَـزمٌ وحِلمٌ أنسـيـا مـا كـان من ... عَـزمِ ابن مِـرداسٍ وحِلمِ الأَحنَف

يا صـاحِ قُل للإنكـتـير الكلب دَع ... عَنك الجنونَ وَخُذْ مقالةَ مُنصِف

القُدسُ مـا فـيـه لسـرجكِ مطمعٌ ... كـــلا ولا نـورُ الإلـهِ بمنطفي

والمسجد الأقصى فعنه تقصَّ منْ ... وَقع الدَّبابيس الأليـمـةِ تَعـرِف

واستَفتِ نفسك فهي أخبثُ ناصحٍ ... واترُك مـتـابعـةَ اللجَـاجِ المُتلف

واعـجب لرُمحٍ بالرؤوس مُـعـمـم ... واطرَب لسـيـفٍ بالدِّمـاء مُـغَلف

يا أيهـا الملكُ الذي لطبـاعـه ... وسـيـوفـه خُلُقـا رِضى وتَعَـسُّف

للَّه يوم عَـــرُوبة إذ أَعــرَبتْ ... سـاعـاتُهُ عن نَصرِك المتـعـرِّف

سَنَّتْ سيوفُكَ في الرؤوس ختانةً ... ذَهَبَت بمهـجـة كلِّ عِلجٍ أَقلَف

آفــاتـهم وافَت بأخـذك منهُمُ ... يافـا فكم من حَسـرَةٍ وتأسُّف

أَوَمـا رأى الأعـلاجُ حين دَعَـوتَهـا ... بلسانِ سَيفٍ في الكريهة مُلحف

لم تَستَطع عصيانَ أَمرك بل أَتَت ... مُنقـادةً طَوعًـا ولم تَتَـخَلف

فـاستَدعِ جـارَتَهـا وثَنِّ بأُختـهـا ... وكـذاك حـتى الأربعين وَنيف

مـا للسـواحل غـيرُ بَحـرِك حـافظٌ ... بشَبـا سنانٍ أو بصفـحَـة مُرهَف

هذا الطِرازُ الأخـضـرُ استَـفتَـحتَـهُ ... فَـزِهـا بثوبٍ من عُلاك مُسجف

أَحييتَ دينَ محمدٍ وأقمتَهُ ... وسَتَرتَهُ مِنْ بَعدِ طُول تَكَشُّفِ
وَضَبطتَ ديوانَ الجهادِ بعاملٍ ... من عاملٍ وَبِمُشرفٍ من مَشرفي[1]
وبجهبذِ العَزْمِ الذي لا يَنْثَني ... وبناظرِ الرأي الذي لم يَطرِفِ
فَخُذِ الخَراجَ من البسيطة كلها ... واستأدِ فَرضي جزيَةٍ وموظفِ
واقْبِض على الدنيا بكفِّ زهادةٍ ... وابسُط لرحمتها جَنَاحَ تعطفِ
جاءت جنودُ اللَّه تَطلُبُ ثأرَها ... وَصُدُورُها بك عن قليلٍ تَشتَفِي
فانهض بها وتَقَاضَ حَقَّك موقنًا ... أن الإله بما تؤَمِلُه حَفي
هم فَتيَةُ الأتراك كلُّ مُجَفجِفٍ ... يَغشَى الكريهةَ فوقَ كل مُجفجَفِ
قومٌ يخوضُون الحِمامَ شجاعةً ... لا يَنظُرون إليه من طَرفٍ خَفي
إن صبَّحوا الأعداءَ في أوطانِهم ... تركوا ديارَهُمُ كَقاعٍ صَفصَفِ
أنتَ اصطَفَيتهُم لِنُصرَةِ ديننا ... للَّه درُّ المُصطفى والمُصطَفِي

وقال الرشيد بن بدر النابلسي[2] في فتح القدس يمدح صلاح الدين ويهنئه بما أوتي من الفتوح:

هذا الذي كانت الآمال تَنتظرُ ... فَلْيوفِ للَّه أقوامٌ بما نَذروا
هذا الفتوحُ الذي جاء الزمانُ به ... إليك من هفوات الدهر يعتذرُ
تجلُّ علياه عن مدحٍ يُحيط به ... وصفٌ وإن نظم المدّاح أو نثروا
يا نعمةً كَبرت عند الأنام له ... قدرًا ففي كل شكر عندها صِغرُ

---

(١) العامل: الرمح. المشرفي: السيف ينسب إلى المشارف، من قرى اليمن. انظر «لسان العرب» (عمل - مشرف).

(٢) «عقد الجمان» للعيني ٢٥/ حوادث ٥٨٣هـ.

لا تروين لفتوح بعدها قصصًا وإن تَعاظم منها الخُبرُ والخَبَرُ

ومنها:

توضحَ الدهرُ عن يوم أغرَّ به تزهى وتفتخر الآصال والبُكرُ
يومٌ تعالى محلاً واستنار سنًا فدون مرتبتيه الأنجمُ الزُّهرُ
يومٌ به التأمَ الكفار في عدد جمٍ ولكن لكسر ليس ينجبرُ
فالروع متصلٌ والصبر منفصل والنقع مرتفع والنصر منحدر
جاءوا كما أقبلَ الطودُ الأشمُّ له من حيثُ ما سرت فيه مسلك وعر
وجئتهم مثل ما انقضّ القضاء فلا والله لم يُغنهِمْ بأسٌ ولا وَزَر
بنفسِ حانٍ على الإسلام محتمل الـ آلام لم يُثْنِه خوفٌ ولا حَذَرُ
حُسنى إلى الخلق أهداها مليكهُمُ نُعمى من الله مرحومًا بها البشرُ
وعصبةٍ من بني أيوب كاشفة الـ كروب ساعة وجه النصر مستتر
مَدّوا كما مدّ فيضُ البحر ملتطم الـ أمواج حتى إذا قابلتهم جزروا
لقد فتحتَ عصيًّا من ثُغورهمُ لولاك ما هُدَّ من أركانها حَجَرُ
تركت أرضهم من طول ما عمرَت منهم بلاقعَ لا أُنثى ولا ذكرُ
نقضت ما أبرموا أبرمتَ ما نقضوا عمرت ما هدموا هدمتَ ما عمرُوا
بمثل ذا الفتح لا والله ما حكيت في سالف الدهر أخبار ولا سير
حين به حان هلك المشركين فيا لله طيبَ العشايا منه والبكر
الآن قَرت جُنوبٌ في مضاجعها ونام من لم يزل حلفًا له السهرُ
الآن طاب إلى البيت المقدس كالـ بيت المحرّم إحرام ومعتمرُ

يا بهجة القدس إذ أضحى به علم الـ
إيمان من بعد طي وهو منتشر

يا نور مسجده الأقصى وقد رُفعت ... بعد الصليب به الآيات والسُّورُ
شتّان ما بين ناقوس يُدان به ... وبين ذي منطق يصغي له الحجرُ
اللّه أكبر صوتٌ تَقشعر له ... شمُّ الذرى وتكاد الأرضُ تَنفطِرُ
يا مالك الأرض مهدها فما أحدٌ ... سواك من قائم للهَدي يُنتظرُ
ما اخضرَّ هذا الطرازُ الساحلي ثمرا ... إلا لتعلو به أعلامُك الصفرُ

أضحى بنو الأصفر الأنكاس موعظةً
فيها لأعدائك الآيات والنذرُ

صاروا حديثًا وكانوا قبلُ حادثةً ... على الورى يتقيها البدو والحَضَرُ
سلبتهم دولة الدنيا وعيشتها ... حتى لقد ضجرت من وفدهم سَقَرُ
هذا الذي سلب الإفرنج دولتهم ... وملكهم يا ملوك الأرض فاعتبروا
مراكز ما اختطاها الخوف مذ مائة ... عامًا ولا ريع أهلوها ولا ذعروا
ولا أُصرِّحْ بأسماء البلاد فقد ... أسهبتُ والقائلُ المنطيق يختصرُ
هذا الإمام صلاح الدين أشرف مَنْ ... به الممالكُ والأملاكُ تفتخرُ
دانتْ ودانتْ له الدنيا فما أحد ... في الأرض إلا إلى نُعماك يفتقرُ
يا خاطبًا جنة الفردوس مُمهرَها ... أجرِ الجيادَ لنعمَ الصِّهْرُ والمَهَرُ
يغنيك إجمال قولي عن مُفصَّله ... في لفظه البحر معنى تحته الدرر

❀ ❀ ❀

□ وقال الدكتور عدنان النحوي في «ملحمة فلسطين»:

هذهِ القُدْسُ زينتهـا الليالي ... والفُتُوحَات والهَوَى المنشُودُ
يا صَلاحَ الدين العُهودُ رُؤاهَا ... حَاليَاتٌ وبشرياتٌ وَعِيدُ
جَردِ السيف شُعلةً في الدياجي ... رب سيفٍ يُضيء منه الوجُودُ
أَهدهَا حليةَ الفُتوح فيزهو ... لُؤلُؤ عندَهَا وتَزهُو بُرُودٌ
واجعلِ النصرَ طَاعةَ اللَّهِ بالحـ ... ـقِّ وَظلاًّ يأوي إليه الشَريدُ
عَلم الناسَ كيفَ تَهوي رؤوسُ الـ ... ـكُفرِ عَدلاً وكيفَ يَعفُو الشديدُ

❁ صلاح الدين وكتائب الإيمان يدخلون القدس ❁

يا «لِبالبانَ» عندَ بَابكَ يَستجـ ... ـدي أَمَانًا وأنتَ عَنهُ تَحيدُ(١)
وَجُيوشُ الفرنجِ يَسحقُهَا الذُّ ... لُّ وَيَطوي لِوَاءَهَا التَّشريدُ
نَسيَ المجرمُون أيَّ دِماءٍ ... قَد أَصابوا وأي قومٍ أُبيدوا
فَأتوا في جُفونهم دَمعةُ الذُّ ... لِّ، وفي دَمعهم رَجاءٌ وَحيدُ
جُد علينا، على الطفولة، بالعَفْـ ... ـو، حنَانيكَ أَنتَ، أنتَ الرشيدُ
حكمةٌ أَشرقت بِقلب صَلاحِ الـ ... ـدين، رَأيٌ مِنَ الرَّشَادِ سَديدُ
المُروءاتُ في يَديك: فَعفوٌ ... مِنْ قَويٍّ وفديةٌ وحُدُودُ
فَارِمِ بالسيفِ رأسَ كل شقيٍّ ... غَادرٍ ظل في الديارِ يَكيدُ
وَهبِ العفو للضعاف، ففي السَّا ... حَاتِ ناجٍ مُروعٌ وَفَقيدُ
واقبلِ الفديةَ التي دَفعوها ... واحذَرِ الغَدْرَ منهمُ أن يَعُودُوا

(١) رئيس الصليبين في القدس الذي ذل لصلاح الدين ذلاً عظيمًا طلبًا للأمان وفي البداية لم يجبه صلاح الدين ثم أجابه ورقّ صلاح الدين لأسرى المسلمين بالقدس.

كُل يَومٍ يُحطمــوا أَلفَ قَيــدٍ مَنْ جــميلٍ صَنَعــتــهُ أو يَزيدُ
واجعل الهُدنةَ الرحيمةَ عَزمًا منْ قــويٍّ يَأوي إليــهِ الطَّرِيدُ
يا ليــومٍ أَغــرَّ في الدهر باقٍ لم يَزل منه عــزَّةٌ وصُــعــودُ
وروابي الأقــصَى نداءٌ وذكــرٌ والوَرَى فيــه رُكعٌ وسُــجــودُ
الفُــتُــوحــاتُ أَقبلت تَتــوالى كي تَرى مـجـدَها لديكَ يَعــودُ
شَــرفُ الهُــدنةِ الأبيَّــة نَصــرٌ عَـبــقــريٌّ عَلى الزَّمَـان جَـديدُ
وفلسطينُ كلهــا زَهوةُ النَّصْــرِ ودَارُ الإسـلام عُـرسٌ وَعـيـدُ
والأعَــاديَ شَــراذمٌ وأَســارى وَجَــبــانٌ مُــمــزَّقٌ وشَــرَيدُ
يَهبُ الصلحَ سيــدٌ حينَ يَعفُو وَهُـوَ في زَهوة الإباءِ يَجُــودُ
وَذَليل تراهُ يَلهثُ خَلفَ الصُّــلْح أَعــيَــتــهُ حِيلةٌ وَجُــهــودُ

❑ وقال أبو الحسن علي بن محمد الساعاتي يمدح الملك الناصر صلاح الدين:

جَلَت عـزمـاتك الفـتح المبينا فـقـد قـرَّتْ عـيـون المسلمـينا
رَدَدتَ أخــيــذةَ الإســلام لَمّا غـدا صَرفُ القضاء بهـا ضمـينا
وهانَ بكَ الصليبُ وكان قدمًا يعــزُّ على العــوالي أن يهــونا
يقــاتلُ كلُّ ذي مُلكٍ رياءً وأنت تُقــاتـلُ الأعــداء دينا
غَــدَت في وجنة الأيام خــالاً وفي جيـد العلى عـقـدًا ثمـينًا
فــيــا للَّه كم سَــرَّتْ قلوبًا ويا للَّه كم أبكت عــيــونا
ومــا طَبــريةٌ إلا هَديٌّ تَرفَّعُ عن أكُفِّ اللامــســينا
حَصـانُ الذيل لم تُقذَف بسوءٍ وَسَل عنهــا الليــالي والسنينا

فَضضتَ ختامها قسراً ومن ذا يَصدُّ الليث أن يَلجَ العَرينا
لقد أنكَحتَها صمَّ العوالي فكان نتاجُها الحربَ الزَّبُونا
هَناك نَدًى أهلَّ الأرضَ طُرًّا سواك ومعقل أعيا القرونا
قَستْ حتى رأت كفؤًا فلانت وغايةُ كلّ قاس أن يلينا
قَضيتَ فريضةَ الإسلام منها وصَدَّقتَ الأماني والظُّنونا
تَهُزُّ معاطفَ القدس ابتهاجًا وتُرضي عنك مكَّة والحجونا
فلو أن الجهادَ يُطيق نُطقًا لنادَتْكَ: ادخلوها آمنينا
جَعلتَ صباح آهلها ظلامًا وأبْدَلتَ الزئيرَ بها أنينا
تخالُ حَماةُ حوزتها نساءً يخوضون الحديد مقنعينا
لبيضِك في جَماجمهم غناءٌ لذيذٌ علَّم الطيرَ الحنينا
تميلُ إلى المثقفة العَوالي فهل أمست رماحًا أم غصونًا
يكادُ النقعُ يُذهلُها فلولا بُروق القاضيات لما هُدينا
فكم حازت قُدود قَناك منها قدوداً كالقَنا لونًا ولينا
وغيد كالجآذر آنساتٍ كغيد نَداك أبكاراً وَعُونا
ولَمّا باكَرتها منك نُعمَى بَنانٍ تفضح الغيثَ الهَتونا
أعَدتَ بها الليالي وهي بيضٌ وقد كانت بها الأيام جُونا
فليس بعادمٍ مرعًى خصيبًا أخو سَغَبٍ ولا ماءً مَعينا
فلا عَدِمَ الشآم وساكنوه ظُبًى تشفي بها الداءَ الدَّفينا
سُهادُ جُفونها في كل فَيح سُهادٌ يمنح الغمض الجفونا
فَألمم بالسواحل فهي صَورٌ إليكَ وألحِق الهامَ المتونا

فـقلبُ الـقـدس مـسـرورٌ ولولا ... سُطاك لكان مكتـئـبًـا حـزينا
أدَرتَ على الفـرنج وقـد تلاقت ... جـمـوعُـهُـم عليك رَحًى طحـونا
فـفي بَيـسـانَ ذاقـوا منك بُؤسًـا ... وفي صَـفَـدٍ أتوك مـصـفَّـدينا
لقـد جـاءتهمُ الأحـداثُ جـمـعًـا ... كـأنّ صـروفـهـا كـانت كَـمـينا
وخـانهمُ الزمـان ولا مَـلامٌ ... فلستَ بمُبـغِضٍ زمنًا خَـؤونا
لقـد جـرَّدتَ عـزمًـا ناصِـريًّا ... يُحـدثُ عن سناه طورُ سـينا
وأذعنَ كـوكـبٌ لمّا تهـادتْ ... نجـوم ملوكـهـا لك مُـذعنينا
فكنتَ كيوسف الصدّيق حقًّا ... لـه هوت الكـواكبُ سـاجـدينا
لقـد فَـضُلت قـوافيك القـوافي ... كـمـا فـضل العـبيـرُ اليـاسـمينا
فَـأحـسن واثـقًـا باللّه صنعًـا ... فليس يضـيعُ أجـر المؤمنينا
لقـد أتعـبت من طلب المعـالي ... وحـاول أن يؤوس المسلمـينا
وإنْ تك آخـرًا وخـلاك ذمٌّ ... فـإنّ مـحـمـدًا في الآخرينا



❁ صفةُ إقامة الجمعة بالأقصى شَرَّفه اللَّه تعالى في رابع شعبان ثامن يومِ الفتْح ❁

❑ **قال العماد**: لما تسلم السلطان القدس أمر بإظهار المحراب، وكان الدَّاوية قد بنوا في وجهه جدارًا، وتركوه للغلة هُريًا[(١)] وقيل: كانوا اتخذوا مستراحًا عُدوانًا وبغيًا، وكانوا قد بنوا من غربي القِبلة دارًا وسيعة، وكنيسةً رفيعة، فأوعز برفع ذلك الحجاب، وكَشفِ النقاب عن عروس المحراب، وهَدمِ ما قُدامه من الأبنية، وتنظيف ما حوله من الأفنية، بحيث يجتمع الناس للجمعة في العَرصة المتَّسعة.

ونُصِبَ المنبر، وأظهر المحراب المطهر، ونُقض ما أحدثوه بين السواري، وفرشوا تلك البسيطة بالبُسط الرفيعة عِوضَ الحُصر والبواري[(٢)]، وعُلقتِ القناديل، وتُلي التنزيل، وحق الحق وبطلت الأباطيل، وتولى الفرقان وعُزِلَ الإنجيل، وصفت السجادات، وصفت العبادات، وأقيمت الصلوات، وأديمت الدعوات، وتجلت البركات، وانجلت الكربات، وانجابت الغيابات، وانثابت الهدايات، وتُليت الآيات، وأعليت الرايات.

ونطق الأذان وخرس الناقوس، وحضر المؤذنون وغاب القُسوس، وزال العبوس والبوس، وطابتِ الأنفاس والنفوس، وأقبلت السعود

(١) الهُرْي مفرد: الأهراء، وهو بيت كبير ضخم يُجمع فيه طعام السلطان. انظر «المعجم الوسيط» (٢/ ٩٤٤)، و«خطط المقريزي» (٢/ ٢٢٩).

(٢) البواري: جمع، مفردها: الباري والبارياء، وهو الحصير المنسوج. فارس معرّب. انظر «لسان العرب» (بري).

وأدبرت النحوس، وعاد الإيمان الغـريب منه إلى موطنه، وطُلبَ الفضلُ من معدنه، وورد القراء وقرئ الأوراد، واجتمع الزهاد والعُباد، والأبدال والأوتاد، وعُـبِدَ الواحـد، ووحـد العـابد، وتوافد الراكـع والساجـد، والخـاشع والواجـد، والزَّاهي والزَّاهـد، والحـاكم والشـاهد، والجـاهد والمجاهد، والقائم والقاعد، والمتهجد والساهد، والزائر والوافد.

وصَـدَحَ المنبر، وصـدع المُذكِّـر، وانبعث المعـشـر، وذكر البـعث والمحـشر، وأملى الحُـفـاظ، وأبكى الوعاظ، وتذاكـر العلمـاء، وتناظر الفـقـهاء، وتحـدثت الرواة، وروى المحـدثون، وتحنف الهُـداة، وهدى المتـحنفـون، وأخلص الـداعـون، ودعا المُـخلصـون، وأخـذ بالعـزيمة المترخـصون، ولخص المُفسـرون، وفسر الملخـصون، وانتدى الفـضلاء، وانتدب الخُطـباء، وكثـر المترشـحون للخطابة، المتـوشحـون بالإصابة، المعروفـون بالفصاحة، الموصـوفون بالحصـافة، فما فـيهم إلا من خطب الرُّتبة، ورتب الخطبـة، وأنشأ معنًـى شائقًا، ووشى لفظًا رائقًـا، وسوى كلامًا بالموضع لائقًا، وروى مبتكرًا من البـلاغة فائقًا، وفيهم من عرض علي خُطبـته، وطلب مني نصـبتـه، وتمنى أن ترجح فـضيلتـه، وتنجح وسيلته، وتسبق منيـته، فيها أُمنيته، وكلّهم طال إلى الالتـهاء بها عنقه، وسال من الالتـهاب عليـها عرقُـهُ. وما منهم إلا من يتـأهب ويترقب، ويتوسل ويتقرب، وفيهم من يتعـرض ويتضرع، ويتشوف ويتشفع، وكلٌّ قد لبس وقاره ووقـر لباسه، وضرب في أخماسه أسـداسه، ورفع لهذه الرياســة راسـه، والسـلطان لا يعين ولا يبين، ولا يـخص ولا ينص، ومنهم من يقول: ليتني خطبتُ في الجمعة الأولى، وفُزت باليد الطولى،

وإذا ظفرتُ بطالع سَعدي، فما أبالي بمن خطب بعدي.

فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان أصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان، وامتلأ الجامعُ، واحتفلت المجامع، وتوجست الأبصار والمسامع، وفاضت لرقة القلوب المدامع، وراعت لحلية تلك الحالة وبهاء تلك البهجة الروائع، وغصت بالسابقين لها المواضع، وتوسمت العيون، وتقسمت الظنون، وقال الناس: هذا يومٌ كريم، وفضلٌ عميم، وموسم عظيمٌ، هذا يوم تُجاب فيه الدعوات، وتُصبُّ البركات، وتسال العبرات، وتُقال العثرات، ويتيقظ الغافلون، ويتعظ العاملون. وطوبى لمن عاش، حتى حضر هذا اليوم الذي فيه انتعش الإسلام وارتاش، وما أفضل هذه الطائفة الحاضرة، والعصبة الطاهرة، والأمة الظاهرة، وما أكرم هذه النصرة الناصرية، والأسرة الإمامية والدولة العباسية، والمملكة الأيوبية، والدولة الصلاحية، وهل في بلد الإسلام أشرفُ من هذه الجماعة، التي شرفها اللَّه بالتوفيق لهذه الطاعة.

وتكلموا فيمن يخطب، ولمن يكون المنصب، وتفاوضوا في التفويض، وتحدثوا بالتصريح والتعريض. والأعلام تُعلى، والمنبر يُكسى ويجلى، والأصوات ترتفع، والجماعات تجتمع، والأفواج تزدحم، والأمواج تلتطم، وللعارفين من الضجيج ما في عرفات للحجيج، حتى حان الزوال، وزال الاعتدال، وحيعل[1] الداعي، وأعجل الساعي، نصب السلطان الخطيب بنصه، وأبان عن اختياره بعد فحصه، وأوعز إلى القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين علي القرشي بأن

---

(١) حيعل، أي: قال: حيّ على الصلاة.

يرقى ذلك المرقى، وترك جباه الباقين بتقديمه عرقى، فأعرتُهُ من عندي أُهبةً سوداء من تشريف الخلافة، حتى يكمل له شرف الإفاضة والإضافة، فَرَقِيَ العُود، ولقي السعود، واهتزت أعطاف المنبر، واعتزت أطرافُ المعشر.

وخطب وأنصتوا، ونطق وسكتوا، وأفصح وأعرب، وأبدع وأغرب، وأعجز وأعجب، وأوجز وأسهب، ووعظ في خُطبته، وخطب بموعظتيه، وأبان عن فضل البيت المقدس وتقديسه، والمسجد الأقصى من أول تأسيسه، وتطهيره بعد تنجيسه، وإخراس ناقوسه، وإخراج قسيسه، ودعا للخليفة والسلطان، وختم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. ونزل وصلى في المحراب، وافتتح ببسم اللَّه الرحمن الرحيم من أُمِّ الكتاب، فأم بتلك الأمة، وتم نزولُ الرحمة، وكمل وصولُ النعمة.

ولما قُضيت الصلاة انتشر الناس، واشتهر الإيناس، وانعقد الإجماع واطرد القياس، وكان قد نُصبَ للوعظ تجاه القبلة سرير، ليفرعه كبير، فجلس عليه زين الدين أبو الحسن علي بن نجا، فذكَّر من خاف ومن رجا، ومن سَعِدَ ومن شقي، ومن هلك ومن نجا، وخوَّف بذي الحجة ذوي الحجا، وجلا بنور عظاته من ظُلم الشبهات ما دجا، وأتى بكل عظة للراقدين موقظة، وللظالمين محفظة، ولأولياء اللَّه مرقِّقة، ولأعداء اللَّه مغلظة.

وضَجَّ المتباكون، وعج المتشاكون، ورقتِ القلوب، وحقت الكُروب، وتصاعدت النعرات، وتحدرت العبرات، وتاب المذنبون،

وأناب المتحوِّبون، وصاح التوابون، وناح الأوَّابون، وجرت حالات جلت، وجلوات حلت، ودعوات علت، وضراعات قُبلت، وفُرصٌ من الولاية الإلهية انتُهِزت، وحصصٌ من العناية الربانية أُحرِزَت.

وصلى السلطان في قُبة الصخرة، والصفوف على سعة الصحن بها مُتصلة، والأمة إلى اللَّه بدوام نصره مبتهلة، والوجوه الموجهة إلى القبلة عليه مُقبلة، والأيدي إلى اللَّه مرفوعة، والدعوات له مسموعة، ثم رُتبَ في المسجد الأقصى خطيبًا استمرت خطبته، واستقرت نصبته.

✍ قلتُ: هذه ألفاظ العماد في هذا الفصل من كتاب «الفتح»، وذكره في كتاب «البرق» بعبارةٍ أُخرى تشتمل على فوائد زائدة، وفي تكرار ما تقدم أيضًا بغير تلك العبارة فائدة فإنها معانٍ جليلة كلما كررت حَلَتْ.

❁ فصل ❁

❑ **قال العماد في كتابِ «البرقِ»**: لما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح تقدم السلطان في المسجد الأقصى ببسط العِراص، وإخلائها لأهل الإخلاص، وتنظيفها من الأدناس، وكنس ما في أرجائها من الأرجاس. وقد كان سبق أمره من مبدأ الأمر، بهدم ما هناك من أبنية الكفر، وإبراز المحراب القديم، وإعادة موضعه إلي الوضع الكريم، فقد كان الداوية بنوا غربيه دارًا وأدخلوه فيها، وخلطوه بمبانيها، واتخذوا منه جانبًا مستراحًا للأعلال، وجانبًا هُربًا للغِلال، فأمر في العاجل بكشفِ قناعه، ورفعِ الوضيع من أوضاعه، ونقل ما وقع من أنقاضه، ونقض ما اعتور ذلك الجوهر النفيس من أعراضه، حتى طَهُرَ موضع المنبر

والمحراب، واستظهر بإزالة ما قُدامه من الحجاب، واجتمع الخَلق في ذلك الأسبوع على تفريق ذلك الهدم المجموع، وتعاونوا حتى كشفوه، ونظفوه، ورشوه وفرشوه، وكان قد أمر باتخاذ منبر في تلك الأيام، فنجزوه وركبوه.

ولما أصبحنا يوم الجمعة وجدنا العِلَل مُزاحة، والهمم مُراحة، والخواطر إلى وردها ملتاحة مرتاحة، وهناك فضلاء بلغاء، وعلماء أتقياء، وكلٌّ منهم قد سبق بخطبة الخُطبة، وأمل الفوز بفضيلة تلك الرتبة، وأعد لذلك المقام مقالاً، ونَشطَ بشِقْشَقَةِ فصاحته من قَرَمِ حصافته عقالاً، حتى إذا حيعل الداعي، وتعين الفرض على الساعي، حضر السلطان للصلاة قبة الصخرة، باديةً على أساريره أسرار سروره بالأسرة، وامتلأت تلك العراص والحصون، واستعبرت للفرح بما يسره الله العيون، وآن لدين الله أن تُقضى له الديون وتُفك الرهون، ووجلت القلوب، وخشعت الأصوات، وحسنت الظنون، وعين السلطان القاضي محيي الدين أبا المعالي محمد بن علي القرشي الزكي بن الزكي للصلاة والخطبة، وفرع تلك الرتبة، فصعدَ وسعد، وحمدَ وأحمد، وأدت المعاني الشريفة ألفاظُه، ونبه الأقاصي والأداني إيقاظُه، وجلا المسامع، وجلت المدامع، وأتى بالخطبتين المفروضتين على الوجه المشروع، والمنهج المتبوع، والشرطِ الموضوع، وذكر في الفتح البكر ما اقتض به أبكار الاستعارات بأبدع البراعات، وأبرع العبارات، وصدح بالصدق، ونطق بالحق، وفاز بالسبق، وحاز الفضيلة على فُضَلاء الغرب والشرق، فهو لنشر المعاني أضم خطيب، له بنشر المعالي أضمخ طيب، فأين قُس في عكاظه من

قياس ألفاظه! وأين سحبان من سجعاته! وابن نُباته من نباته! ولو عاشا لافتقرا إلى فِقَرِه، واحتقرا أعراضهما عند جوهره، ودعا لأمير المؤمنين، ثم لسلطان المسلمين، ونزل وقام إمامًا أكمل بصلاته الفرض، أرضى بسمت دعواته والطمأنينة في ركعاته وسجداته أهلَ السماء والأرض، وسُر السلطان بنصبه ورفعه، وامتلأ صدرُه حبورًا منه بجلاء بصره وسمعه، فقد أخذت بالأبصار أشعة أنوار الخُطبة، في سواد الأهبة، وعظمت أخطار المهابة في خواطر المحبة، وكرُمت سرائرُ الزلفى إلى اللَّه والقُربة.

ثم رتب السلطان بعده خطيبًا تستمر إقامته للجُمع والجماعات، وتستقر ملازمته لأداء الصلوات.

ولما قضيت الصلاة تلك الجمعة، نُصب سريرٌ للوعظ أبقى تلك الأُمة المجتمعة، وتقدم السلطان إلى زين الدين الواعظ ليفرع السرير، وينفع بعظاته الصغير والكبير، وحضر المجلس بمرأًى منه ومسمع، فكان أنور مجلس ومجلى وأشرف جمع ومجمع، فحقق ورقق، وأشهد وأشهق، وحلب بعباراته الحُلوة العبرات، وشار العسل بمعسول الإشارات، وبشر البشر بشارة البشارات، وذكر الفتح وبكارته، والقدس وطهارته، والدين وجسارته، والكفر وخسارته، والقدر وإعانته، والظفر وإبانته، والصخرة وإصراخها، والروعة وإفراخها، والنار وصراطها، والقيامة وأشراطها، والرحمة وبابها من باب الرحمة، والجنة وجناها لهذه الزحمة، وما أعده اللَّه لهذه الطائفة، وما أنزله من الأمن على القلوب الخائفة، ووصف ببلاغته ما لا يبلغ إليه نُطقُ الألسنة والواصفة،

ووصف الجهاد وفرائضه وفضائله، والخير ودلائله، والنجح ووسائله، والشرع ومسائله، والذنب وغوائله، وإحسان السلطان وفواضله، والبحر وساحله، والدين وحقه، والكفر وباطله، وكان يومًا راجحًا، وسومًا رابحًا.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢ / ٣٤٦):

«لما تطهّر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان والنواقيس والرهبان والقساقس، ودخله أهل الإيمان، ونُودي بالأذان وقُرِئ القرآن، ووُحِّد الرحمن، كان أول جمعة أقيمت في اليوم الرابع من شعبان، بعد يوم الفتح بثمان، فنُصب المنبر إلى جانب المحراب، وبُسِطت البُسط، وعُلِّقت القناديل، وتُلِي التنزيل، وجاء الحق وبطلت الأباطيل، وصُفّت السّجّادات، وكثرت السجدات، وتنوعت العبادات، وارتفعت الدعوات، ونزلت البركات، وانجلت الكربات، وأُقيمت الصلوات، وأذّن المؤذنون، وخرس القسيسون، وزال البوس، وطابت النفوس، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس، وعُبد اللَّه الأحد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الأخلاص: ٣، ٤]، وكبّره الراكع والساجد، والقائم والقاعد، وامتلأ الجامع، وسالت لرقة القلوب المدامع، ولما أذّن المؤذنون للصلاة قبل الزوال، كادت القلوب تطير من الفرح في ذلك الحال، ولم يكن عُيِّن خطيب فبرز من السلطان المرسوم الصلاحي وهو في قبة الصخرة أن يكون القاضي محيي الدين بن الزكي اليوم خطيبًا، فلبس الخلعة السوداء، وخطب للناس خطبة سنية فصيحة بليغة».



❁ خطبةُ القاضي محيي الدين بن الزكيّ ❁

◘ **قال العماد**: وخطب القاضي محيي الدين بن زكي الدين أربع خُطَبٍ. في أربع جُمَع، كلها من إنشائه، وأودعها سر بلاغة عُنيت بإفشائه، وذكرت الخُطبة الأولى، ويد الفصاحة فيها طُولى، افتتاحها بهذه الآيات: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿وقل الحمد للَّه الذي لم يتخذ ولداً﴾ الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: ٥٩]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].

* **والخطبة**: الحمد للَّه مُعزِّ الإسلام بنصره، ومُذِل الشرك بقهره، ومُصرفِ الأمور بأمره، ومديمِ النعمِ بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دُولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفَضله، وأفاء على عباده من ظِله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يُمانع، والظاهر على خليقته فلا يُنازع، والآمر بما يشاءُ فلا يُراجع، والحاكم بما يريدُ فلا يُدافع.

أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونَصره لأنصاره، وتطهيره بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حَمدَ من استشعر

الحمد باطنُ سِره وظاهر جهاره.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، الأحد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الأخلاص: ٣، ٤]، شهادَةَ من طهر بالتوحيد قَلبهُ، وأرضى به ربه.

وأشهدُ أن محمدًا ﷺ عَبدُه، ورسولُه، رافع الشك، وداحض الشرك، وراحض الإفك، الذي أُسرِيَ به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وعُرِجَ به منه إلى السماوات العُلا إلى سِدرة المنتهى. عندها جَنَّةُ المأوى، ما زاغ البصر وما طغى.

صلى اللَّه عليه، وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رَفَعَ عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عُثمان بن عفان ذي النُّورين جامعِ القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

أيها الناس، أبشروا برضوان اللَّه الذي هو الغاية القُصوى، والدرجة العُليا، لما يسره اللَّه على أيديكم من استرداد هذه الضالة، من الأمة الضالة، وردها إلى مقرِّها من الإسلام بعد ابتذالها في أيدي المُشركين قريبًا من مائة عام، وتطهير هذا البيت الذي أَذِنَ اللَّه أن يُرفَعَ وأن يُذكر فيه اسمه، وإماطةِ الشرك عن طُرُقه بعد أن امتد عليها رُواقه، واستقر فيها رسمه، ورَفعِ قواعده بالتوحيد فإنه بُني عليه، وبالتقوى فإنه أُسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه، فهو موطن أبيكم إبراهيم، ومعراج نبيكم محمد عليه السلام، وقبلتكم التي كنتم تُصلون إليها في

ابتداء الإسلام، وهو مقرُّ الأنبياء، ومقصد الأولياء، ومَفرُّ الرُّسل، ومهبط الوحي، ومنزل تَنَزُّلِ الأمر والنهي، وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها اللَّه في كتابه المبين، وهو المسجد الذي صلى فيه رسول اللَّه بالملائكة المقربين، وهو البلد الذي بعث اللَّه إليه عبده ورسوله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحه؛ عيسى الذي شرَّفه اللَّه برسالته، وكرَّمه بنبوَّته، ولم يزحزحه عن رُتبة عبوديَّته، وفقال تعالى: ﴿لن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النساء: ١٧٢]، وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وهو أولُ القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، لا تُشدُّ الرِّحالُ بعد المسجدين إلا إليه، ولا تُعقدُ الخناصر بعد الموطنين إلا عليه، ولولا أنكم ممن اختاره اللَّه من عباده، واصطفاه من سُكَّان بلاده، لما خصَّكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مُجارٍ، ولا يباريكم في شَرَفها مُبارٍ، فطوبى لكم من جيشٍ ظَهرت على أيديكم المعجزات النَّبوية، والوقعات البَدرية، والعزمات الصدِّيقية، والفتوح العُمَرِيَّة، والجيوش العُثمانية، والفتكات العلوية، جدَّدتُم للإسلام أيامَ القادسية، والوقعات اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخالدية، فجزاكم اللَّه عن نبيه محمد ﷺ أفضلَ الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مُهَجكم في مقارعة الأعداء، وتقبلَ منكم ما تقربتم به إليه من مُهرَاقِ الدماء، وأثابكم الجَنَّة فهي دار السعداء، فاقدروا ـ رحمكم اللَّه ـ هذه النِّعمة حق قدرها، وقوموا للَّه تعالى بواجبِ شُكرها، فله النِّعمة عليكم

بتخصيصكم بهذه النِّعْمة، وترشيحكم لهذه الخِدمة، فهذا هو الفَتحُ الذي فُتِحَت له أبوابُ السماء، وتبلَّجت بأنواره وجوه الظلماء، وابتهج به المَلائكةُ المقرَّبون، وقَرَّ به عَينًا الأنبياءُ والمرسلون، فماذا عليكم من النِّعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدَّس في آخر الزَّمان، والجُند الذي تقوم بسيوفهم بعد فَترةٍ من النبوة أعلامُ الإيمان، فيوشك أن تكون التهاني به بين أهل الخضراء[1]، أكثر من التهاني به بين أهل الغَبراء، أليس هو البيتُ الذي ذكره اللّه في كتابه، ونصَّ عليه في خطابه، فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١] - الآية؟ أليس هو البيت الذي عظَّمته الملوك، وأثنت عليه الرُّسلُ، وتُليت فيه الكتبُ الأربعة المنزَّلة من إلهكم عز وجل؟ أليس هو البيتُ الذي أمسك اللّه عز وجل الشمس على يوشع لأجله أن تَغرُب، وباعد بين خطواتها لِيتيسَّرَ فتحهُ ويَقرُب؟ أليس هو البيتُ الذي أمر اللّه موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يُجِبه إلا رجلان، وغضب عليهم لأجله، فألقاهم في التيه عقوبةً للعصيان؟

فاحمدوا اللّه الذي أمضى عزائمكم لما نَكَلت عنه بنو إسرائيل، وقد فضلهم على العالمين، ووفَّقكم لما خُذِلَ فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين، وجَمَعَ لأجله كلمتكم وكانت شَتَّى، وأغناكم بما أمضته «كان» و«قد» عن «سوف» و«حتَّى». فليهنكم أن اللّه قد ذكركم به فيمن عنده، وجعلكم - بعد أن كنتم جنودًا لأهويتكم - جُندَه، وشكركم الملائكةُ المنزَّلون على ما أهديتم إلى هذا البيت من طِيبِ التوحيد، ونَشرِ التقديس

---

(١) الخضراء: السماء. انظر: «القاموس المحيط» مادة (خضر).

والتَّحميد، وما أَمَطتُم عن طُرُقهم فيه من أذى الشرك والتَّثليث، والاعتقاد الفاجر الخبيث، فالآن يستغفر لكم أملاكُ السماوات، وتصلِّي عليكم الصلوات المباركات.

فاحفظوا - رحمكم اللَّه - هذه الموهبة فيكم، واحرسوا هذه النعمة عندكم، بتقوى اللَّه التي من تمسَّك بها سَلِمَ، ومن اعتصم بعُروتها نجا وعُصِم، واحذروا من اتباع الهوى، وموافقة الرَّدَى، ورجوع القَهقَرَى، والنكول عن العِدَى، وخذوا في انتهاز الفُرصة، وإزالة ما بقي من الغُصَّة، وجاهدوا في اللَّه حق جهاده، وبيعوا عبادَ اللَّه أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من عباده، وإياكم أن يستزلكمُ الشيطان، وأن يتداخلكم الطُّغيان، فيخيَّل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد، وبخيولكم الجياد، وبجلادكم في مواطن الجِلاد، لا واللَّه، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠].

واحذروا عبادَ اللَّه - بعد أن شَرَّفكم بهذا الفتح الجليل، والمنح الجزيل، وخصَّكم بهذا الفتح المُبين، وأعلق أيديكم بحبله المتين - أن تقترفوا كبيرًا من مناهيه، وأن تأتوا عظيمًا من معاصيه، فتكونوا كالتي نَقَضت غَزلها من بعد قوةٍ أنكاثًا، والذي آتيناه آياتنا فانسَلَخَ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، والجهادَ الجهادَ فهو من أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم، انصروا اللَّه ينصُرْكُم، واذكروا اللَّه يذكركم، اشكروا اللَّه يزدكم ويشكركم، جُدُّوا في حَسمِ الدَّاء، وقَطعِ شَأفة الأعداء، وتطهيرِ بقيةِ الأرض التي أغضبتِ اللَّه ورسولهُ، واقطعوا فروع الكُفرِ واحتثوا أُصوله، فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية، والمِلة المحمدية.

اللَّه أكبر، فَتحَ اللَّه ونَصرَ، غَلَبَ اللَّه وقَهرَ، أَذلَّ اللَّه من كَفَر.

واعلموا ـ رحمكم اللَّه ـ أن هذه فُرصة فانتهزوها، وفريسة فناجزوها، ومهمَّة فأخرجوا لها هِممَكم وبَرِّزُوها، وسيروا إليها سرايا عزماتكم وجَهِّزُوها، فالأمور بأواخرها، والمكاسب بذخائرها، فقد أظفركم اللَّه بهذا العدو المخذول، وهم مثلكم أو يزيدون، فكيف وقد أضحى في قُبالة الواحد منهم منكم عشرون، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥] أعاننا اللَّه وإياكم على اتباع أوامره، والازدجار بزواجره، وأيدنا مَعشرَ المسلمين بنصر من عنده ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وتمام الخُطبة والخطبة الثانية قريب مما جرَت به العادة، وقال بعد الدُّعاء للخليفة: اللَّهم، وأدم سلطان عبدك، الخاضع لهيبتك، الشاكرِ لنعمتك، المُعترفِ بموهبتك، سيفك القاطع، وشهابك اللامع، والمحامي عن دينك المُدَافع، والذابِّ عن حَرَمك الممانع، السَّيِّد الأجل، الملك الناصر، جامعِ كلمة الإيمان، وقامعِ عَبدة الصلبان، صلاحِ الدُّنيا والدِّين، سلطان الإسلام والمسلمين، مطهرِ البيت المقدَّس، أبي المُظفر يوسف بن أيوب، محيي دولة أمير المؤمنين.

اللَّهم عُمَّ بدولته البسيطة، واجعل ملائكتك براياته محيطة، وأحسن عن الدِّين الحنيفي جزاءه، واشكر عن المِلة المحمدية عَزمه ومضاءه.

اللَّهم أبقِ للإسلام مُهجته، ووقِّ للإيمان حَوزته، وانظر في المشارق



والمغارب دعوته.

اللَّهم كما فتحت على يَدِهِ البيتَ المقدس بعد أن ظُنت الظنون، وابتُلي المؤمنون، فافتح على يده أداني الأرض وأقاصيها، وملِّكه صياصي الكفرة ونواصيها، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزَّقها، ولا جماعة إلا فَرَّقها، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها بمن سبقها.

اللَّهم اشكر عن محمدٍ ﷺ سَعيه، وأنفذ في المشارق والمغارب أمره ونَهيه، اللَّهم وأصلح به أوساطَ البلاد وأطرافَها، وأرجاء الممالك وأكنافها.

اللَّهم ذلل به مَعاطِسَ الكُفار، وأَرغِم به أُنوف الفُجار، وانشر ذوائب مُلكه على الأمصار، وابثُث سرايا جنوده في سُبُل الأقطار.

اللَّهم ثبتِ المُلكَ فيه وفي عَقبه إلى يوم الدين، واحفظه في بنيه وبني أبيه الملوك الميامين، واشدد عَضُدَه ببقائهم، واقض بإعزاز أوليائه وأوليائهم.

اللَّهم كما أجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام، وتتخلد على مرِّ الشهور والأعوام، فارزُقه المُلكَ الأبديَّ الذي لا ينفد في دار المتقين، وأجب دعاءه في قوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

ثم دعا بما جرت به العادة»[1].

---

(١) «عيون الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة (٣/ ٣٧٦ ـ ٣٩١) ـ مؤسسة الرسالة.



* من وصايا صلاح الدين لجنوده... ويا لها من وصية!!:

قال ـ رحمه الله ـ: «اعلموا أنكم جند الإسلام اليوم ومنعته، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين وأموالهم وذراريهم في ذممكم معلّقة، والله ـ عز وجل ـ سائلكم يوم القيامة عنهم، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن البلاد والعباد غيركم، فإن توليتم ـ والعياذ بالله ـ طوى البلاد وأهلك العباد، وأخذ الأموال والأطفال والنساء، وعُبد الصليب في المساجد، وعُزل القرآن منها والصلاة، وكان ذلك كله في ذممكم، فإنكم أنتم الذين تصديتم لهذا كله، وأكلتم أموال المسلمين لتدفعوا عنهم عدوهم وتنصروا ضعيفهم، فالمسلمون في سائر البلاد متعلّقون بكم، والسلام»[١].

المدرسة الصلاحية من مآثر صلاح الدين

* أضاعها سلاطين الأتراك:

قال الأصبهاني في «الفتح القُسّي» ص(١٤٥): «فاوض السلطان جلساءَه من العلماء الأبرار، والأتقياء الأخيار، في مدرسة للفقهاء الشافعية، ورباط للصلحاء الصوفية، فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بـ(صند حنّة) عند باب أسباط، وعين دار البطرك، وهي قرب كنيسة القيامة للرباط ووقف عليهما وقوفًا، وأسدى بذلك للطائفتين معروفًا ـ يريد الشافعية والصوفية ـ وارتاد أيضًا مدارس للطوائف ـ يريد المذاهب الإسلامية الأخرى ـ ليُضيفها إلى ما أولاه من العوارف».

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٤٨).

❐ وقـد أوقف صلاح الدين مكان المدرسـة الصـلاحيـة. في ثالث عشر شهر رجب سنـة ثمان وثماني وخمسمائة: وجعلهـا للشافعية... وكانت على مرّ قرون متتابعة من أجلّ المدارس في ديار الإسلام، وتولى مشيختها والتدريس فيها أعلام من العلماء:

وأولهم: قاضي القضاة المعروف «ابن شدّاد» صاحب كتاب «المحاسن اليوسفـية» في سيرة صلاح الدين. وكان من المعـاصرين، الذين يعملون في خدمة السلطان.

ومـنهـم: شيخ الإسلام عبد الرحمن محـمد بن الحسين بن عساكر شيخ الشافعية بالشام.. كان يقيم بالقدس أشهرًا وبدمشق أشهرًا. وتوفي سنة ٦٢٠هـ.

ومن مـشـاهيـرهم: شيخ الإسـلام أبو عمر عـثمان، المشـهور بابن الصلاح، صاحب كتاب «علوم الحديث» توفي سنة ٦٤٣هـ.

ومنهم شيخ الإسـلام محمـد بن محمـد الجزري المقرئ الشـافعي صاحب كتاب «النشر في القراءات العشر» توفي سنة ٨٣٣هـ.

وفي أواخر العهد المملوكي كان يدرس فيها إبراهيم بن الأمير ناصر الدين علاّمه عصره وكان حيًّا على رأس سنة ٩٠٠هـ[1].

❐ وفي سنة ١٨٥٦م أصـدر السلطان عـبد المجـيد أمـرًا لمتصـرّف القدس بتسليم المدرسـة الصلاحية لقنصل فرنسـا، فسُلِّمت له، وبُني لها

---

(١) انظر «الأنس الجليل» فقد ذكـر المؤلف أسماء العلماء الذين درسوا في المدرسـة الصلاحية حتى زمانه سنة ٩٠٠هـ (٢/ ١٠٢).

سورًا وحصنًا، وقُدِّمت هدية من السلطان عبد المجيد إلى إمبراطور فرنسا «نابليون الثالث» اعترافًا بجميل فرنسا لمساعدته في حرب القرم عام ١٨٥٦م. فعمّرها الرهبان المُسَمَّوْن بالآباء البيض، وجعلوها مدرسة إكليريكية.

وفي الحرب العالمية الأولى استردها جمال باشا، وأقامها كلية علمية دينية، أتى لها بالأدوات المطلوبة من ألمانيا.

وبعد خروج العثمانيين من القدس أُعيدت إلى الآباء البيض، وهي اليوم مدرسة، وفيها متحف وكنيسة.

أخرجها السلطان عبد المجيد من ملكية الأوقاف الإسلامية، وقدّمها هدية للأعداء، وعندما جاء الإنجليز كان عندهم علم بهذا فأرجعوها إلى من امتلكها بالهبة من السلطان. أما عمل جمال باشا فلم يعتمد فيه على فرمان سلطاني، فكان فرمان السلطان عبد المجيد أقوى فثبتت لهم.

◘ والذي نقوله للسلطان عبد المجيد في قبره:

من الذي ملّكك أرض القدس لتُهدي منها من تشاء؟

لا يوجد في شرع الخلافة الإسلامية التي تمثلها أن يهدي الخليفة أوقاف المسلمين إلى أعدائهم؟»[١].



---

(١) «بيت المقدس» لشرّاب ص(١٤٩ ـ ١٥٠).

عكا وما أدراك ما عكا؟
صفحات مجد وبطولة

☐ بعد عودة القدس إلى أيدي المسلمين ركبت جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا ببيت المقدس وغيره، . . . من صور في أربعة مراكب، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى، يحرضون الفرنج ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس، وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه، فإذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح؟ قالوا: هذا نبي العرب يضربه، وقد جرحه ومات. فينزعجون لذلك ويحمون ويبكون ويحزنون، فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم، وموضع حجهم على الصعب والذلول حتى النساء المخدرات والزواني والزانيات الذين هم عند أهليهم أعز الثمرات»[1] .

وصل الصليبيون إلى عكا وحاصروها سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وتتابعت عليهم الإمدادات من كل أنحاء أوروبا، ومن القواعد الصليبية في البحر المتوسط، حتى أن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال، ومنهن من تأتي بنية راحة الغرباء لينكحوها في الغربة، فيتخذن راحة وخدمة وقضاء وطر، قدم إليهم مركب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء، وأجملهن بهذه النية[2] .

---

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٣٥).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٣٤).

ورابط المسلمون داخل عكا وحولها بقيادة الملك الناصر صلاح الدين، وصبروا وصابروا لمدة سبعة وثلاثين شهرًا، ولكن شاءت إرادة اللَّه أن تسقط عكا في أيدي الصليبيين.

* شباب صنعهم الإسلام وبطولات نادرة في عكا:

❑ قال ابن كثير: «تواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة؛ لأجل نصرة أصحابهم، يمدونهم بالقوة والميرة، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد، عليها جلود مسقاة بالخل، لئلا يعمل فيها النفط، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل، وهي أعلا من أبرجة البلد، وهي مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاءوا، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرهم، وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا، وحصل لهم ضيق منها، فأعمل السلطان فكره بإحراقها، وأحضر النفاطين ووعدهم الأموال الجزيلة إن هم أحرقوها، فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين، والتزم بإحراقها، فأخذ النفط الأبيض وخلطه بأدوية يعرفها، وغلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار نارًا تتأجج، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت نارًا بإذن اللَّه، لها ألسنة في الجو متصاعدة، واحترق من كان فيها، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل، واحترق في كل برج منها سبعون كفورًا، وكان يومًا على الكافرين عسيرًا، وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة (٥٨٥هـ)، وكان الفرنج قد تعبوا في عملها سبعة أشهر، فاحترقت في يوم واحد

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنية، وأموال كثيرة، فامتنع أن يقبل شيئًا من ذلك، وقال: إنما عملت ذلك ابتغاء وجه اللَّه، ورجاء ما عنده سبحانه، فلا أريد منكم جزاء ولا شكورًا»[١] .

* البطل المسلم عيسى العوّام قصة نهديها لمن زوّروا التاريخ وزيّفوه:

نهدي قصة هذا البطل إلى القزم يوسف شاهين، وهو وأمثاله دأبوا على تزوير التاريخ فصوّرا عيسى على أنه مسيحي.

والقصة يرويها القاضي ابن شداد في «النوادر السلطانية» أيام محنة عكا: قال: «ومن نوادر هذه الوقعة ومحاسنها أن عوّامًا مسلمًا كان يقال له عيسى، وكان يدخل إلى البلد[٢] بالكتب والنفقات على وسطه ليلاً، على غِرّة من العدو، وكان يغوص ويخرج من الجانب الآخر من مراكب العدو، وكان ذات ليلة شدّ على وسطه ثلاثة أكياس، فيها ألف دينار، وكتب للعسكر، وعام في البحر فجرى عليه مَن أهلكه، وأبطأ خبره عنا، وكانت عادته أنه إذا دخل البلد طار طير عرّفنا بوصوله، فأبطأ الطير، فاستشعر الناس هلاكه، ولما كان بعد أيام بينما الناس على طرف البحر في البلد، وإذا البحر قد قذف إليهم ميتًا غريقًا، فافتقدوه فوجدوه عيسى العوّام، ووجدوا على وسطه الذهب وشمع الكتب، وكان الذهب

---

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٢) أي: عكا أثناء حصار الفرنج لها.

نفقة للمجاهدين، فما رئي من أدّى الأمانة في حال حياته وقد أدّاها بعد وفاته إلا هذا الرجل، وكان ذلك في العشر الأخير من رجب»[١] .

فهل أدّى من زوروا التاريخ أمانة الكلمة للأجيال أم ضيّعوها؟!

وأمـام أسوار عـكا كان السـلطان البطل صـلاح الدين يطوف بين الأطلاب، وينادي بنفـسه: «يا للإسلام» وعـيناه تذرفان بالدمـع، وكلما نظر إلى عكا، ومـا حلّ بها من البـلاء، وما يجـرى على ساكنيـها من المصاب الـعظيم، اشتـد في الزحف والحث على القتـال، ولم يطعم في يوم زحفهم على عكا طعامًا البتة، وإنما شـرب أقداح مشروب كان يشير بها الطبيب.

ويرسل إليه أهل عكا: «إنا قد بلغ منا العجز إلى غاية ما بعدها إلا التسليم، ونحن في الغـد ـ يعني يوم الأربعاء ثامن جمـادى الآخرة ـ إن لم تعملوا معنا شـيئًا نطلب الأمان، ونسلم البلد ونشتري مـجرد رقابنا، وكـان هذا أعظم خبـر ورد على المسلمين وأنكاه في قلوبهم، فـإن عكا كانت قـد احتوت على جمـيع سلاح الساحل والقـدس ودمشق وحلب ومصـر أيضًا وجمـيع البلاد الإسلامـية، واحـتوت على كبـار من أمراء العـسكر وشجـعـان الإسلام، كـسيف الدين المشطوب، وبهـاء الدين قراقـوش[٢] ، وغيرهما؛ وكان بهاء الدين قراقـوش ملزمًا بحراستها منذ

---

(١) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لبهاء الدين بن شداد.

(٢) انظر إلى من زيّفوا التاريخ.. وكيـف جعلوا من هذا البطل العظيم الذي تولّى الدفاع عن عكا في أشد أوقات المحن... كـيف جعلوا منه رمزًا للحاكم المسـتبد. ألا لعنة اللّه على الكاذبين.

قدوم العدو المخذول عليها، وأصاب السلطان ـ رحمه اللَّه ـ من ذلك ما لم يصبه بشيء غيره، وخيف على مزاجه التشوش.

وانظر كيف اجتمعت الدنيا على قتال الأبطال الأشاوس:

لقد قدم مع من قدم لقتال المسلمين ملك الألمان: (فإنه أقبل في عُدد وعَدد كثير جدًّا، قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل، من نيته خراب البلد وقتل أهلها من المسلمين، والانتصار لبيت المقدس، وأن يأخذ البلاد إقليمًا بعد إقليم، حتى مكة والمدينة، فما نال من ذلك شيئًا بعون اللَّه وقوته، بل أهلكهم اللَّه ـ عز وجل ـ في كل مكان وزمان، فكانوا يتخطفون كما يتخطف الحيوان حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية، فدعته نفسه لأن يسبح فيه، فلما صار فيه حمله الماء إلى شجرة فشجت رأسه، وأخمدت أنفاسه، وأراح اللَّه منه العباد والبلاد، فأقيم ولده الأصغر في الملك، وقد تمزق شملهم، وقَلَّت منهم العدة، ثم أقبلوا لا يجتازون ببلد إلا قتلوا فيه، فما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا في ألف فارس، فلم يرفعوا بهم رأسًا، ولا لهم قدرًا، ولا قيمة بينهم، ولا عند أحد من أهل ملتهم، ولا غيرهم، وهكذا شأن من أراد إطفاء نور اللَّه، وإذلال دين الإسلام)[1].

* وانظر إلى أبطال الإسلام:

لما أحس العدو الصليبي في نفسه قوة، بسبب توالي النجد عليهم، اشتد طمعهم في عكا، وسلّطوا عليها المنجنيقات من كل جانب،

---

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٣٦).

وتناوبوا عليها بحيث لا يعطل رميها ليلاً ولا نهارًا، وذلك في رجب سنة ست وثمانين وخمسمائة، «ولما رأى أهل البلد ما نزل بهم من مضايقة العدو وتعلّق طمعه بهم حرّكتهم النخوة الإسلامية، وكان مقدموه حينئذ: أما والي البلد وحارسه فالأمير الكبير بهاء الدين قراقوش، وأما مقدم العسكر الكبير حسام الدين أبو الهيجاء، وكان رجلاً ذا كرم وشجاعة، وقدمة في عشيرته ومضاء في عزيمته، فاجتمع رأيهم على أنهم يخرجون إلى العدو، فارسهم وراجلهم، عن غرة وغفلة منهم، ففعلوا ذلك، وفُتحت الأبواب، وخرجوا دُفعة واحدة من كل جانب، ولم يشعر العدو إلا والسيف فيهم حاكم عادل، وسهم قضاء اللَّه وقدره فيهم نافذ خاذل، وهجم الإسلام على الكفر في منازله، وأخذ بناصية مناضله، وداس مقاتله، ولمّا ولج المسلمون خيام العدو ذهلوا عن المنجنيقات وحراستها، وحفظها وسياستها، فوصلت شهب الزرّاقين المقذوفة، وجاءت عوائد اللَّه في نصرة دينه المألوفة، فلم تكن ساعة حتى اضطرمت فيها النيران، وتحرّق منها بيدها ما شيّد الأعداء في المدة الطويلة في أقرب آن، وقُتِل من العدو في ذلك اليوم سبعون فارسًا وأُسِر خلق عظيم، وكان من جملة الأسرى رجل مذكور منهم، ظفر به واحد من آحاد الناس ولم يعلم بمكانته، فلما انفصل الحرب، سأل الفرنج عنه هل هو حيّ أم لا؟ فعرف الذي هو عنده عند سؤالهم أنه رجل كبير، وخاف أن يُغلب عليه ويُرد إليهم بنوع مصانعة أو على وجه من الوجوه، فسارع وقتله، وبذل الفرنج فيه أموالاً كثيرة، ولم يزالوا يشتدون في طلبه ويحرصون عليه حتى رُميت إليهم جثته، فضربوا

بنفوسهم الأرض، وحثوا على وجوههم التراب، ووقعت عليهم بسبب ذلك خمدة عظيمة، وكتموا أمره، ولم يظهروا مَنْ كان، واستصغر المسلمون بعد ذلك أمرهم، وهجم عليهم العرب من كل جانب يسرقون ويقتلون، ويأسرون إلى ليلة النصف مِن شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة.

وكان الكندهري قد أنفق على منجنيق كبير عظيم الشكل ـ على ما نقل الجواسيس والمستأمنون ـ ألفًا وخمسمائة دينار، وأعدّه ليقدمه إلى البلد، ومنع من حريقه ذلك اليوم كونُه بعيدًا عن البلد، ولم يقدم بعد إليه، فلما كانت الليلة المباركة المذكورة خرج الزرّاقون والمقاتلة، والهم يحفظهم من كل جانب، واللَّه يكلؤهم، فساروا من تحت ستر اللَّه حتى أتوا المنجنيق المذكور، وأضرموا فيه النار، فاحترق من ساعته، ووقع الصياح من الطائفتين، وذهل العدو، فإنه كان بعيدًا من البلد، وخاف أن يكون قد أحيط به من الجوانب، وكان نصرًا من عند اللَّه، وأخرق بلهيبه منجنيق لطيف إلى جانبه»[1].

* ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾:

❑قال الحافظ ابن كثير:

«كتب متولي عكا من جهة السلطان صلاح الدين وهو الأمير بهاء الدين قراقوش في العشر الأول من شعبان إلى السلطان: أنه لم يبق عندهم في المدينة من الأقوات إلاّ ما يبلّغهم إلى ليلة النصف من شعبان،

---

(١)«النوادر السلطانية» لابن شداد ص(١٣٤ ـ ١٣٥).

فلما وصل الكتاب إلى السلطان أسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم، خوفًا من إشاعة ذلك، فيبلغ العدو فيقدموا على المسلمين، وتضعف القلوب. وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالديار المصرية أن يقدم بالميرة إلى عكا، فتأخر سيره، ثم وصلت ثلاث بطش ليلة النصف، فيها من الميرة ما يكفي أهل البلد طول الشتاء، وهي صحبة الحاجب لؤلؤ، فلما أشرفت على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد، ويتلف ما فيها، فاقتتلوا في البحر قتالاً شديدًا، والمسلمون في البر يبتهلون إلى اللَّه - عز وجل - في سلامتها، والفرنج أيضًا تصرخ برًّا وبحرًا، وقد ارتفع الضجيج، فنصر اللَّه المسلمين، وسلم مراكبهم، وطابت الريح للبطش فسارت فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء، ودخلت البلد سالمة، ففرح بها أهل البلد والجيش فرحًا شديدًا، وكان السلطان قد جهّز قبل هذا البطش الثلاث بطشة كبيرة من بيروت، فيها أربعمائة غرارة، وفيها من الجبن والشحم والقديد والنشاب والنفط شيء كثير، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة، وأمر من فيها من التجار أن يلبسوا زيّ الفرنج حتى أنهم حلقوا لحاهم، وشدّوا الزنانير، واستصحبوا في البطشة معهم شيئًا من الخنازير، وقدموا بها على مراكب الفرنج، فاعتقدوا أنهم منهم، وهي سائرة إليهم كالسهم إذا خرج من كبد القوس، فحذرهم الفرنج غائلة المياء من ناحية البلد، فاعتذروا بأنهم مغلوبون عنها، ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح، وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهم من الميرة، والحرب خدعة، فعبرت الميناء فامتلأ الثغر بها خيرًا، فكفتهم إلا أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية، وكانت البلد يوجد بها برجان يُقال لأحدهما: برج

الديّان، فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات، إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا، فعظم أمر هذه البطشة على المسلمين، ولم يزالوا في أمرها محتالين، حتى أرسل اللَّه عليها شواظًا من نار فأحرقها وأغرقها، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطًا كثيرًا وحطبًا جزلاً، وأخرى خلفها فيها حطب محض، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء أرسلوا النفط على بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين، واحترقت الأخرى، وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها، فلما أرسلوا النفط على برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدرة اللَّه تعالى، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة، فما تعدت النار بطشتهم فاحترقت، وتعدّى الحريق إلى الأخرى فغرقت، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت، وهلك من فيها، فأشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين في قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)] .

* رحم اللَّه شهداء عكا... وما أغدر النّصارى وأخسهم:

كثر القتل في رجالة عكا وخيالتها وقلّت المؤن.. وخرج الأبطال رحمة بعوام المسلمين ـ يفاوضون ملوك الفرنجة.

خرج البطل سيف الدين المشطوب إلى ملك الإفرنسيس بأمان، وقال: «إنا قد أخذنا منكم بلادًا عدّة، وكنا نهدم البلد وندخل فيه، ومع هذا إذا سألونا الأمان أعطيناهم وحملناهم إلى مأمنهم وأكرمناهم، ونحن

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨).

نُسَلِّم البلد، وتعطينا الأمان على أنفسنا؟ فأجابه بأن «هؤلاء الملوك الذين أخذتموهم منا، وأنتم أيضًا مماليكي وعبيدي، فأرى فيكم رأيي». وبلغنا بعد ذلك أن المشطوب أغلظ له في القول، وقال: «إنا ما نسلِّم البلد حتى نُقتل بأجمعنا، ولا يُقتل واحد منا حتى يقتل خمسين نفسًا من كباركم»، وانصرف عنه وحمل العوّام كتب أهل عكا للسلطان: «إنا قد تبايعنا على الموت، ولا نزال نقاتل حتى نُقتل، ولا نُسلِّم البلد ونحن أحياء، فانظروا أنتم كيف تعملون في شغل العدو عنا، ودفعه عن قتالنا، فهذه عزائمنا، وإياكم أن تخضعوا لهذا العدو أو تلينوا له، فأما نحن فقد فات أمرنا»[1] .

ولما ضاق الأمر بأهل عكا، وقلّت المؤن، تيقّنوا أنه متى أُخِذ البلد عنوة ضربت أعناقهم عن آخرهم، وأخذ جميع ما فيه من العدد والأسلحة والمراكب صالح أهل عكا الفرنجة على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين، هم وذراريهم ونسائهم، ولكن متى رعى النصارى للمسلمين ذمة وعهدًا، «ففي عصر يوم الثلاثاء السابع وعشرين من رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة ركب الانكتار وجميع عسكر الفرنجية راجلهم وفارسهم، ثم أحضروا من الأسارى المسلمين من كتب اللَّه شهادته في ذلك، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم أوثقوهم في الحبال، وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد، فقتلوهم صبرًا طعنًا وضربًا بالسيف ـ رحمة اللَّه عليهم ـ، وأصبح المسلمون يكشفون الحال فوجدوا المسلمين الشهداء في مصارعهم، وعرفوا مَنْ عرفوه منهم، وغشي المسلمون بذلك حزن عظيم

---

(١) «النوادر السلطانية» ص(١٦٨، ١٦٩ ـ ١٧٠).

وكآبة عظيمة، ولم يبقوا من المسلمين إلا رجلاً معروفًا مقدَّمًا أو قويًا أَيِّدًا للعمل في عمائرهم»[١] .

* **الأيوبيون بعد صلاح الدين :**

بعد وفاة صلاح الدين ومجيء أولاده الثلاثة الذين اقتسموا البلاد ما بين مصر ودمشق وحلب، تراجعت الدولة، وبدأ التناحر بين الإخوة أنفسهم على ما عهد في مثل هذه الأحوال.

تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل: «علي بن صلاح الدين» وأنشأ المدرسة الأفضلية وتعرف قديمًا بالقبّة، بحارة المغاربة. وقفها على فقهاء المالكية بالقدس.

وأوقف الملك الأفضل عام ٥٨٨هـ ما يحيط ويتصل بموضع البراق الشريف من أرض، وغيرها على أهل المغرب فقيل: «حي المغاربة» وهي المنطقة الواقعة إلى الجنوب من الحرم.

□ يقول ابن كثير: «وكان الأفضل[٢] بعد موت أبيه قد أساء التدبير، فأبعد أمراء أبيه وقرّب الأجانب وأقبل على اللهو»[٣] .

بعد أولاد صلاح الدين جاء عمهم العادل، واستطاع أولاد العادل الذين ورثوا الملك الأيوبي مقاومة الصليبيين بعض الشيء، وكان للملك عيسى بن العادل جهاد مع الصليبيين وكان عالمًا يحب العلماء، ويقول: أنا على عقيدة الطحاوي، وقد ساعد أخاه الكامل في موقعة دمياط مع

(١) «النوادر السلطانية» ص(١٧٤).
(٢) ابن صلاح الدين.
(٣) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٠).

الفرنجة، ويقول: «واقعة دمياط أدّخرها عند اللَّه تعالى وأرجو أن يرحمني بها»[١].

* تخريب سور بيت المقدس:

دمّر المعظم عيسى أسوار القدس خوفًا من استيلاء الصليبيين عليها وخرّب المدينة فاضطر أهلها إلى الهجرة في أسوأ الظروف.

❑ يقول ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣/ ٩٠ ـ ٩١) في أحداث سنة ست عشرة وستمائة:

«في مستهل هذه السنة خُرّب سور بيت المقدس عمّره اللَّه بذكره، أمر بذلك المعظم خوفًا من استيلاء الفرنج عليه بعد مشورة من أشار بذلك، فإن الفرنج إذا تمكنوا من ذلك جعلوه وسيلة إلى أخذ الشام جميعه، فشرع في تخريب السور في أول يوم المحرم، فهرب منه أهله خوفًا من الفرنج أن يهجموا عليهم ليلاً أو نهارًا، وتركوا أموالهم وأثاثهم، وتمزّقوا في البلاد كل ممزق، حتى قيل إنه بيع القنطار الزيت بعشرة دراهم، والرطل النحاس بنصف درهم. وضجّ الناس وابتهلوا إلى اللَّه عند الصخرة وفي الأقصى، وهي أيضًا فعلة شعناء من المعظم، مع ما أظهر من الفواحش في العام الماضي، فقال بعضهم يهجو المعظم لذلك:

في رجب حلّلَ الحميّا ... وأخرب القدس في المحرّم

❁ ❁ ❁

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٣١).

□ وبكى خطيب بيت المقدس محمد بن المبارك القرقساني الخطيب هذه المصيبة فقال:

مُصَابُ القدس قد سَلَبَ الرُّقادا ... وقد لبس الخطيب به حدادا
وقاضيه قضى نحبًا وإن لم ... يمت لخراب ما أعلى وشادا
ونادى المسجد الأقصى أيرضى ... بهذا الفعل من فرض الجهادا
ومنبرُه الشريف يئنّ خوفًا ... ومما حَلَّ بالمحراب مَادا
ولا تَرْقى لصخرته دموع ... فكم قد أقرحتْ أسفًا فؤادا
كذا محراب داودٍ علته الـ ... ـكآبةُ دمعُه مَجلى العِهادَا
ولازم باب رحمته عذاب ... وسحَّ الطورُ أدمعَه وجادا
وأصبحت المدارس مُعْولات ... تُريق محابر الفتيا المدَادا[١]

□ وبكاه قاضي الطور مجد الدين محمد بن عبد اللَّه الحنفي فقال:

مررتُ على القُدس الشريف مُسَلِّمًا ... على ما تَبقَّى من رُبوع كأنجُمِ
ففاضتْ دُموعُ العَين منّي صبابةً ... على ما مضى من عصرنا المتقدمِ
وقد رام علجٌ أن يُعفي رُسومَهُ ... وشمَّرَ عن كَفي لئيم مُذمَّمِ
فقلتُ له شُلت يمينك خَلِّها ... لمعتبرٍ أو سائلٍ أو مُسلِّمِ
فلو كان تُفدى بالنفوس فديتُه ... بنفسي وهذا الظنُّ في كل مُسلمِ[١]

❀ ❀ ❀

---

(١) «عقود الجمان» (٦/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

(٢) «النجوم الزاهرة» (٦/ ٢٤٥)، «شذرات الذهب» (٥/ ٦٦)، «عقود الجمان» للعيني.

تسليم بيت المقدس للفرنجة

□ من ثمارهم تعرفونهم. . . أبعد صلاح الدين يأتي الأقزام ليسلموا بيت المقدس لفريديك الثاني وملوك أوربا. . . ويُضيِّع ملوك بني أيوب أمجاد سيدهم وفخرهم صلاح الدين؟

أتى الأمبراطور فريدريك الثاني إلى سورية سنة ٦٢٦هـ من أجل القدس وبعث إلى الكامل يقول:

«إن عتيقك، وتعلم أني أكبر ملوك الفرنج، وأنت كاتبتني بالمجيء، وقد علم البابا والملوك باهتمامي، فإن رجعت خائبًا انكسرت حرمتي. وهذه القدس فهي أصل دين النصرانية. وأنتم قد خربتموها، وليس لها طائل، فإن رأيت أن تنعم عليّ بقصبة البلد ليرتفع رأسي بين الملوك، وأنا ألتزم بحمل دخلها إليك»[(١)] .

ولمّا وصل فريدريك الثاني إلى عكا أرسل إلى الكامل يقول مع رسول:

«الملك يقول: كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شيء ولا أجيء إليهم، والآن، فقد كنتم بذلتم لنائبي[(٢)] الساحل كله، وإطلاق الحقوق بالإسكندرية، وما فعلنا. وقد فعل اللَّه لكم ما فعل من ظفركم وإعادتها لكم. ومَن نائبي؟ إنْ هو إلا أقل غلماني، فلا أقلّ من إعطائي ما كنتم بذلتموه له»[(٣)] .

---

(١) «العبر في خبر من غبر» للذهبي (١٠٢/٥).

(٢) في زمن حصار دمياط.

(٣) «كتاب السلوك» للمقريزي (ج١، ق٢/٢٢٨ ـ ٢٢٩)، وكتاب «وثائق الحروب الصليبية» ص(٢٤٨).

يقول ابن كثير: «ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة... استهلت هذه السنة وملوك بني أيوب مفترقون مختلفون، قد صاروا أحزابًا وفرقًا، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر، وهو مقيم بنواحي القدس الشريف، فقويت نفوس الفرنج لعنهم اللَّه بكثرتهم بمن وفد إليهم من البحر، وبموت المعظم واختلاف من بعده من الملوك، فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان صلاح الدين منهم، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده، وتبقى بأيديهم بقية البلاد فتسلموا القدس الشريف، وكان المعظم قد هدم أسواره، فعظم ذلك على المسلمين جدًّا، وحصل وهن شديد وإرجاف عظيم، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون»[1].

* بكاء الشعراء لبيت المقدس بعد تسليمه للفرنج:

وبكت الأمة تسليم أغلى مقدساتها للصليبيين، وكان الشعراء لسان حال الأمة.

قال أبو شامة في «الروضتين» (٢/ ٢٠٥): «ورثاه الرئيس الفاضل شهاب الدين أبو يوسف يعقوب بن محمد المجاور بقصيدة منها:

أعيني لا ترقَي من العَبَرات ... صلي في البُكا الآصالَ بالبكَراتِ
لعل سيولَ الدمع يُطفئ فيضُها ... تَوقُّد ما في القلب من جَمَرات
ويا قلبُ أسعر نار وجدك كُلما ... خَبت بادّكار يبعثُ الحَسَرات
ويا فمُ بُح بالشجو منك لعله ... يُروّح ما ألقَى من الكُرُبات

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٣٣).

على المَسجد الأقصى الذي جلَّ قَدرُه
على موطن الإخبات[1] والصلوات

على منزلِ الأملاك والوحي والهُدى | على مشهد الأبدال والبَدَلات
على سُلم المعراج والصخرة التي | أنافت بما في الأرض من صَخرات
على القبلة الأولى التي اتجهت لها | صلاةُ البرايا في اختلاف جهات
على خير مَعمورٍ وأكرَمِ عامرٍ | وأشرف مبنيّ لخير بُناةِ
وما زال فيه للنبيين معبدٌ | يُوالون في أرجائه السجَدات

عفا المسجُد الأقصى المبارك حوله الـ
ـرفيع العماد العالي الشُرُفات

عفا بعدما قد كان للخير موسمًا | وللبر والإحسان والقُربات
يُوافي إليه كل أشعثَ قانتٍ | لمولاه برٍّ دائمِ الخَلَوات
خلا من صلاةٍ لا يملُّ مُقيمها | تُوشح بالآيات والسوَرات
خَلا من حَنين التائبين وحُزنهم | فمن بين نُوّاحٍ وبين بُكاة
لَتَبكِ على القُدس البلادُ بأسرها | وتعلنُ بالأحزان والترحات
لِتَبك عليها مكةٌ فهي أُختُها | وتشكو الذي لاقت إلى عَرَفات
لِتَبكِ على ما حل بالقُدس طيبةٌ | وتشرحهُ في أكرم الحُجُرات
لقد أشمتُوا عكا وصورٍ بهدمها | ويا طالما غادَتهُما بشَمَات
لقد شتَّتُوا عنها جماعة أهلها | وكل اجتماعٍ مُؤذنٌ بَشتات

---

(١) الإخبات: الخشوع والتواضع.

وقد هَدَموا مجدَ الصلاحِ بهدمها ... وقد كان مجداً باذخَ الغُرُفاتِ
وقد أخمدوا صَوتًا وصيتًا أثاره ... لهم عُظمُ ما والوا من الغَزَوات
أما علمت أبناءُ أيوب أنهُم ... بمسعاته عُدّوا من السرَوات[١]
وأن افتتاحَ القُدس زهرةُ مُلكهم ... وهل ثمرٌ إلا من الزَهَرات
فمن لي بنوّاح يَنُحنَ على الذي ... شَجاني بأصواتٍ لهن شجاة
يُرَددنَ بيتًا للخزاعي قاله ... يُؤبِّنُ فيه خيرة الخِيَرات
مدارسُ آيات خَلَت من تلاوةٍ ... ومنزل وحيٍّ مُقفرُ العَرَصات[٢]

□ وأنشد عبد الرزاق بن رزق اللَّه بن أبي الهيجاء الرَّسْعني لما سمع الخبر بتسليم البيت المقدّس إلى الفرنج خذلهم اللَّه:

تعالوا نُقيم الحزن في مجمع الأنس ... ونصبغُ أثواب المصيبة بالنِّقْس[٣]
ونعمل للإسلام أعظمَ مأتمٍ ... كما أن عُبّادَ الطواغيت في عُرس
ونبكي دمًا بعدَ الدموع وإنَّهُ ... قليلٌ على ما قد أُصبنا من القُدس
أيؤخذُ والإسلامُ فيه بقيةٌ ... فوا عجبًا أين النخاةُ من الحُمْس
عذيرك من ضرب النواقيس موضع الـ ... أذان وتبديل الأئمة بالقُّس
مَنامًا أرى أم يقظةً ما سمعتُه ... أحقًّا عبادَ اللَّه أم خانني حسي
لئن تمَّ هذا الأمر لا تمَّ إنَّه ... لأشهى إلى نفسي حلوليَ في رَمسي

---

(١) السروات: أهل الشرف والدين والكرم والمروءة.

(٢) «الروضتين» (٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٣) النِّقس: بكسر النون المشددة: المداد الذي يكتب به، والنَّقس بفتح النون المشددة: العيب.

لئلا أرى داعي الضلال مُصوِّتًا على المسجد الأقصى يؤذنُ بالنَّقْس[1]
لعمرك هذا الرُزء لا هُلكُ هالكٍ ولا سَلبُ مالٍ لا ولا عَدَمُ النَّفْس

ولو قيل للبيت المقدس تكلّم عن مصابك لقال مثلما قال الشاعر:

إن يكُنْ بالشام قلَّ نَصيري وتَهدَّمتُ ثم دامَ هُلوكي
فلقد أصبحَ الغداة خرابي سمةَ العار في حياة الملوك[2]

سلّم الملك الكامل لفردريك الثاني ملك الفرنجة القدس ما عدا المسجد الأقصى، سُلِّمت المدينة وسط مظاهر الحزن والسخط سنة ٦٢٦هـ ١٢٢٩م.

وبقيت في أيديهم حتى سنة ٦٣٧هـ عندما استردها الملك الناصر داود ابن أخي الكامل ولكن الناصر سلّمها مرة أخرى سنة ٦٤١هـ.. ثم عادت إلى الإسلام نهائيًّا سنة ٦٤٢هـ عندما استردها الخوارزمية، جنود الملك نجم الدين أيوب ملك مصر. وقد بلغ عدد السنين التي دخلت القدس فيها تحت سيطرة الأوربيين ٩٩ سنة من سنة ١٠٩٩ ـ ١١٨٧م (٨٨ سنة).

ومن سنة ١٢٢٩م ـ ١٢٣٩م (١٠ سنوات).

ومن سنة (١٢٤٢ ـ ١٢٤٣م (سنة واحدة المجموع: ٩٩ سنة).

❀ ❀ ❀

(١) النَّقْس: الضرب بالناقوس.

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلّكان (٦/٢١٨)، و«نفح الطيب» (٢/١٦).

المماليك مغاوير الإسلام.. حفظة فلسطين الأمناء

صارت القدس بأيدي المماليك سنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م وبقيت كذلك حتى سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م...

وقفوا سدًّا منيعًا أمام الصليبيين وحرموهم من تحقيق أطماعهم في العودة إلى القدس.

* بيبرس المجاهد العظيم الذي أدّب التتار والصليبيين:

□ الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الذي قال عنه ابن كثير: «كان شهمًا شجاعًا عالي الهمة بعيد الغور مقدامًا جسورًا، يشفق على الإسلام، له قصد في نصرة الإسلام وأهله»[1].

أنشأ الدولة العباسية بعد دثورها، وبقي الناس بلا خليفة نحوًا من ثلاث سنين. أقامه اللَّه عونًا ونصرًا للإسلام وأهله، وشجًا في حلوق المارقين من الفرنج والتتار والمشركين.

أرسل البطل بيبرس إلى مقدم الاستبارية لما نقضوا عهودهم معه:

«ما جعلنا حصوننا إلا خيولنا، ولا خنادقنا إلا سيوفنا، ولا أسوارنا إلا رجالنا. وأما قولكم إن قلاعكم ما تخاف إلا اللَّه، ولا يجسر أحد أن يصل إليها، فسوف ترون كيف يكون الوصول إليها إن شاء اللَّه تعالى»[2].

---

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٧٥).

(٢) «كتاب السلوك» للمقريزي (١/ ق٢ ـ ٩٦٥).

« من خفي عليه خـروج هذه العساكر، وجهل ما علمـته الوحوش في الفلاة والحيتـان في المياه من كثرتها التي لعلّ بيوتكم ما فـيها موضع إلا ويكنس منه الـتراب الـذي أثارته خـيل هذه العـسـاكـر، ولعل وقع سنابكها قد أصم أسماع من وراء البحر من الفرنج وَمَن في موقان[1] من التتر».

- فتح بيبرس قيسارية عنوة سنة ٦٦٣هـ، وفتح في طريقه عثليت، والملوحة وحيفا.

- وفتح قلعة أرسوف[2] عنوة سنة ٦٦٣هـ بعد أن أقام الحصار على هذه القلعة أربعين يومًا ليلاً ونهارًا بأنواع الحصار.

ولما أعـيا الفـرنج الأمر طلبـوا الأمان فلم يؤمنّوا، وتسلّقت إليـهم الرجال، وأُخِـذت، وأُسر من بها غيـر من قتل. وكان فـتح القلعة يوم الخمـيس حادي عشـر من رجب، استسلم قـائد القلعة الذي فـقد ثلث فرسـانه، مقابل الحـصول على وعدٍ بالإبـقاء على حيـاة الذين نجوا من القتل. وأثار سـقوط هذا الحصن الكبـير مشـاعر الإفرنج ومخـاوفهم، وهذا ما أوحى إلى شـاعر الداوية الغنائي «ريسوبونومـيل» من التروبادور أن ينظم قصيدة بالغة المرارة يشكو فيها من أن المسيح أصبح ـ فيما يظهر ـ مسرورًا لما حلّ بالمسيحيين من مذلة وهوان»[3] .

---

(١) موقان إحدى أقسام أذربيجان، انظر: «السلوك».

(٢) مدينة على الساحل بين قيسارية ويافا.

(٣) «الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة» لبسام العسلي ص(٢٨ ـ ٢٩) ـ دار النفائس.

ولما أرسل المسيحيون الذين في عكا وفدًا يطلبون من بيبرس السماح له بمواراة جثث قتلى قرية «قارة» أغلظ في رفض طلبهم، وقال لهم بأنهم إذا كانوا يلتمسون جثث القتلى فسوف يجدونها في وطنهم، ولتنفيذ تهديده هبط إلى الساحل، وقتل كلّ من وقع في يديه من المسيحيين.

◻ كما انتزع الملك الظاهر صفد من بين أيدي الفرنج قهرًا سنة أربع وستين وستمائة[1] وتسلم الحصن وقت صلاة الجمعة ثامن عشر شوال.

◻ وتمّ فتح يافا التي تغلّب عليها من قبل الفرنج، ونازلتها ملوك كالناصر صلاح الدين والعادل أخيه وغيرهما، ولم يتفق فتحها، وخُبِّئ للسلطان[2] ، وذلك سنة ست وستين وستمائة، تمت إبادة المقاومة، وتدمير القلعة.

◻ وكذلك فتح حصن الشقيف في نفس السنة، وقال الإسلام: هذي بضاعتنا رُدَّت إلينا، وذلك في سابعة يوم الأحد سلخ شهر رجب المبارك.

وبحمد اللَّه قد أصبحت تلك الضالة التي فقدها الإسلام منشودة، وتلك العارية التي استولت عليها يد الكفر مردودة. هذه القلعة التي فرض الداوية سيطرتهم عليها، وأصبح رجالها بعد ذلك أرقاء.



(١) «البداية والنهاية» (١٣/٢٤٦، ٢٤٧).

(٢) «حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي ص(٢٥٦) ـ الرياض.

* **الملك الأشرف خليل، يفتح عكا، ثم يدمّرها سنة ٦٩٠هـ ويطهر كل الساحل من دنس الصليبيين:**

سار هذا البطل العظيم لفتح عكا بجيش يضم ستين ألف فارس، ومائة وستين ألفًا من المشاة، ومعهم العرّادات، والمجانيق التي اشتهرت باسم «الثيران السوداء»...

واحتشد النصارى من الداوية والأسبتارية، وفئة من الإنكليز والألمان ومقاتلي قبرص، وانضمّ إليهم بعد مدّة ملك قبرص «هنري»، وكانت تحصينات المدينة قوية ومتينة.

ونصب السلطان الأشرف على عكا اثنين وسبعين منجنيقًا، وقاتل من بها من الفرنج أربعة وأربعين يومًا حتى فتحها عنوة، في يوم الجمعة السابع عشر جمادى الأول، وهدمها كلها بما فيها وحرقها.

□ أخذها الصليبيون بعد أن غدروا بأهلها في يوليو ١١٩١م بعد مقاومة باسلة من قراقوش، ثم استردها الأشرف خليل في ١٨ من مايو سنة ١٢٩١، أي بعد قرن كامل من الزمان.

ولم تكد عكا تقع في قبضة الأشرف، حتى شرع في تدميرها، واستباحة دورها وأسواقها، ثم إشعال الحريق بها، كما تم تدمير الأبراج والقلاع المنيعة حتى لا تكون رأس حربة لما يقوم به الفرنج الصليبيون من اعتداء على بلاد الشام، ولقد قتل جيش الملك الأشرف خليل في اجتياحه للمدينة حوالي عشرة آلاف صليبي، ولم يقبل السلطان أن يأخذ أسرى من المدحورين، بل فرّق عشرة آلاف منهم على أمراء الجند فقتلوهم عن آخرهم[1].

---

(١) «فتح عكا تذكارات وعلامات تاريخية» مقال للدكتور أحمد السيد الصاوي ـ من مجلة القدس العدد ٢٠ ـ جمادى الأولى ١٤٢١هـ ص(٢٧).

ما مثل عكّا في الحصون لأنها ... أم القرى يأتمّها الكفار
كانت لهم كرسي مملكة إلى ... تحصينها في المعضلات يصار
حتى أتاها الأشرف الملك الذي ... خافت فرنج بأسه وتتار
فشفى صدور المسلمين بفتحها ... ولتفتحنّ بغزوه الأمصار

▫ والحقيقة أن الأشرف لم يلجأ إلى هذه المذبحة انتقامًا لمثيلتها من مائة عام، ولكن قبل ذلك وبعده ليوقع الرعب في قلوب الصليبيين الذين ارتجفت أوصالهم في بقية الإمارات الصليبية في الشام، ورحلوا عن بقية مدن الساحل تباعًا.

وطهرت صور، وصيدا، وحيفا، وجبل الكرمل، وطرسوس، وعثليت. وسيذكر التاريخ لهذه الملك العظيم اقتلاعه لآخر مواقع الفرنج الذين بقوا ـ وعلى امتداد مائتي سنة ـ جرثومة في بلاد الطهر اجتثها سيف الأشرف.

نالت القدس ممن المماليك اهتمامًا كبيرًا، فأنشؤوا المدارس، وأجروا تعميرات على قبة الصخرة والمسجد الأقصى. وفي سنة ٧٧٧هـ جعلوا القدس نيابة مستقلة تابعة للسلطان، بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق، ومن آثارهم أنهم سحبوا الماء من عين العروب إلى القدس. وغدت القدس زمن المماليك مركزًا من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي.. يفد إليها الدارسون من الأقطار كلها.

▫ يقول الأستاذ «محمد حسن شرّاب» في كتابه القيّم «بيت المقدس» (٤٢٥ ـ ٤٣٠):

«وهؤلاء الذين نصفهم بالمماليك، هم الذين هزموا أكبر غزو

وحشـي على البلاد الإسـلاميـة، بعد الغـزو الصليبي، ألا وهو الـغزو المغولي ومـعركة عين جـالوت تتحدث عنها الـركبان، وتُعدُّ رمـزًا لقوة الإسلام فالمعارك الـفاصلة في تاريخ الإسلام هي: بَدرٌ، وحطين، وعين جالوت. .

. . وعَهـد هؤلاء الأفـذاذ العلمي، من العهـود الزاهرة، وآثارهم العلمية، والعمرانية شاهدة لتاريخهم المجيد.

فقد عددت لـهم في القدس وحدها خمسًا وثلاثين مـدرسة لتعليم العلوم النافـعة وعـشرات من المسـاجد، والبنايات والأوقـاف والأربطة، والإصلاحات. . وإنَّ عصرهم كان خيرًا للمسلمين، وللعرب، وللأماكن المقدسة، من العصر التركي، الذي كـان يملك العالم في عصره، وأمواله لا يحـصـيهـا العـدّاد. إنهـا إذا كانـوا مماليك، فإنـهم في رأيي مماليك الإحسان، على معنى قول الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبدْ قلوبهم　　　فطالما استـعبـد الإنسـانَ إحسـانُ

❑ وقول الشاعر:

إذا أنت أكـرمت الكريم ملكتـه　　　وإن أنت أكـرمت اللئـيم تمرّدا

فهؤلاء أحسوا في قرارة نفوسهم أنَّ اللَّه أحسن إليهم عندما جعلهم مسلمين وحـكامًا، فامـتلك قلوبهـم هذا الإحسـان. لم يفـخـروا بنسب ينتمون إليه، وإنما فخروا بـأعمالهم التي خلدتهم. ومن حقهم علينا، أن نلقبهم بأحبّ الألقـاب إليهم في حياتهم، ومن حـقهم علينا أن نذكرهم في التـاريخ بالصفـة التي تدل على الوفاء لهـم جزاء ما قـدموا للـعرب والمسلمين. ومن الأوصاف المناسبة لعصرهم أن نقول «عصر الأفذاذ».

* ثانياً: آثارهم في المسجد الأقصى، والحرم القدسي:

(أ) الأروقة في المسجد الأقصى:

في حرم المسجد الأقصى من جهة الغرب أروقة مبنية بالبناء المحكم. وهي ممتدة من جهة القبلة إلى جهة الشمال.

وأولها: عند باب الحرم المعروف بباب المغاربة. وآخرها عند باب الغوانمة [انظر: «مخطط الحرم الشريف»] وكلها عُمّرت في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في مُدد مختلفة.

فالرواق الممتد من باب المغاربة إلى باب السلسلة، عُمّر سنة ٧١٣هـ.

والرواق الممتد مما يلي منارة باب السلسلة، إلى قرب باب الناظر عُمّر سنة ٧٣٧هـ.

والرواق الممتد من باب الناظر إلى قرب باب الغوانمة، عُمّر سنة ٧٠٧هـ.

(ب) **رُخّم صدر المسجد الأقصى**، أي: حائط المسجد الجنوبي، وفُتح بالمسجد الشباكان اللذان على يمين المحراب وشماله سنة ٧٣١هـ.

(ج) **جُدّد تذهيب قبة الصخرة**، وقبة الأقصى حوالي سنة ٧٢٠هـ.

(د) **عُمّرت القناطر** التي تسمّى «الميازين» على رأس المرقبين الشماليين بصحن قُبة الصخرة، أحدهما مقابل باب حطّة، والآخر مقابل باب شرف الأنبياء، وكانت عمارة الأول سنة ٧٢١هـ والثاني سنة ٧٣٦هـ.

(هـ) **جُددت عمارة باب القطانين سنة ٧٣٦هـ**، وهو أحد أبواب الحرم الغربية.

(و) **المدرسة الجاولية:** (ولتعرف بكلية روضة المعارف الوطنية سابقًا) وهي واقعة في الجهة الشمالية الغربية من ساحة الحرم الشريف. وقفها الأمير علم الدن سنجر الجاولي نائب غزة سنة ٧١٥هـ وكان من أهل العلم وله مصنفات كثيرة.

(ز) **سبيل قايتباي:** بناه السلطان قايتباي سنة ٨٨٧هـ.

(ح) **المدرسة التنكزية:** واقفها الأمير تنكز، نائب الشام، وهي مدرسة مُتقنة البناء. وموقعها على يمين الداخل إلى الحرم الشريف من باب السلسلة، وهو باب الحرم الرئيس. وعلى باب المدرسة نقش يفيد بناء المدرسة سنة ٧٢٩هـ.

(ط) **الرخام المبني** في حائط المسجد الأقصى الجنوبي عند المحراب لجهة الشرق... وهو من آثار تنكز نائب الشام.

(ي) جدّد تنكز، قناة الماء الواصلة إلى مدينة القدس من العَرُّوب سنة ٧٢٧هـ ووصلت إلى القدس، ودخلت وسط الحرم سنة ٧٢٨هـ. وبنى تنكز البركة الرخام التي بين قبة الصخرة والمسجد الأقصى.

(ك) **مئذنة باب الأسباط:** عُمرت في أيام الملك الأشرف شعبان سنة ٧٦٩هـ. وجددت في أيامه الأبواب الخشبية المركبة على أبواب المسجد الأقصى، وعمارة القناطر على السلالم الموصلة إلى صحن قبة الصخرة المقابل لباب الناظر.

(ل) **منبر برهان الدين:** مبنيّ بألواح من الرخام الأبيض على رأس السلم المقابل للباب الجنوبي لقبة الصخرة. وقد عمره قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة وإلى جانبه إلى الغرب منه محراب. ويُصلَّى في

هذا المكان العيد والاستسقاء وتوفي القاضي المذكور سنة ٧٩٠هـ.

.. هذا ما تيسرت معرفته من إنشاءات وإصلاحات الأفذاذ في منطقة الحرم الشريف، وأذكر الآن بإيجاز أسماء المدارس التي أوقفوها في القدس الشريف لخدمة المجاورين في المسجد الأقصى.

*** ثالثًا: المدارس التي أوقفها السلاطين الأفذاذ، لخدمة أهل المسجد الأقصى:**

- دار الحديث: سنة ٦٦٦هـ.
- المدرسة الدواداريّة، وتعرف اليوم بمدرسة الإناث الإسلامية سنة ٦٩٥هـ.
- المدرسة السلامية: سنة ٧٠٠هـ.
- المدرسة الكريمية: بالقرب من باب حطة سنة ٧١٨هـ.
- المدرسة الجاولية: سنة ٧١٥هـ.
- المدرسة التنكزية: نسبة إلى تنكز، والي الشام. سنة ٧٢٩هـ.
- المدرسة الأمينية: على الجانب الغربي من الطريق المؤدي باب الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء سنة ٧٣٠هـ.
- المدرسة الملكية: في الجهة الشمالية من الحرم سنة ٧٤١هـ.
- المدرسة الفارسية: في الجهة الشمالية من الحرم سنة ٧٥٥هـ، وواقفها الأمير فارس الدين، نائب غزة.
- المدرسة والتربة الأرغونية: بالقرب من باب الحديد سنة ٨٥٩هـ. ودفن فيها الملك حسين بن علي.
- المدرسة الطشتَمْرية: بباب الناظر: سنة ٧٥٩هـ.

□ المدرسة المنكيّـة: بالقرب من مدخل الحرم الغربـي المعروف بباب الناظر، وكان يشغل مبناها دوائـر المجلس الإسلامي الأعلى سابقًا. سنة ٧٦٢هـ.

□ المدرسة الطازية: بطريق باب السلسلة لجهة الشمال. سنة ٧٦٣هـ.

□ المدرسة الشيخونية: سنة ٧٦١هـ.

□ دار القرآن السلامية: على الجانب الغربي من طريق باب السلسلة سنة ٧٦١هـ.

□ المدرسة المحدثية: عند باب الغوانمة سنة ٧٦٢هـ.

□ المدرسة الإسعردية: في الجهة الشمالية من الحرم سنة ٧٦٠هـ.

□ المدرسة اللؤلؤية: سنة ٧٨١هـ.

□ المدرسة البلدية: في الجهة الشمـالية من باب السكينة، ويسمونه باب السلام، وهذا الباب بحذاء باب السلسلة لجهة الشمال سنة ٧٨٢هـ.

□ المدرسة الخاتونية: بالجهـة الغربية من الحرم على يمين الخارج من باب القطانين وقد دُفن فـيها الزعـيم الهندي مولانا محـمد علي. ودفن فيها مـوسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية العربيـة، وابنه الشهيد عبد القادر الحسيني الذي استـشهد في معركة القسطل ٨/ ٤/ ١٩٤٨م. . والمدرسة موقوفة سنة ٧٥٥هـ، وأُكملت سنة ٧٨٢هـ.

□ المدرسة البارودية: بباب الناظر، سنة ٧٦٨هـ.

□ المدرسة الحنبلية: بباب الحديد، في سنة ٧٧٧هـ.

□ المدرسة الجهاركسية: سنة ٧٩١هـ.

□ المدرسة الصبيبية: في الجهة الشمالية من ساحة الحرم سنة ٨٠٩هـ.

□ المدرسة الكاملية: بخط باب حطّة لجهة الغرب. أوقفت سنة ٨١٦هـ.

- المدرسة الباسطية: شمال الحرم بالقرب من باب شرف الأنبياء (باب الملك فيصل) سنة ٨٣٤هـ.

- المدرسة الطولونية: بداخل ساحة المسجد الأقصى عند الرواق الشمالي، يُصعد إليها من السلم الموصل إلى منارة باب الأسباط. سنة ٨٠٠هـ.

- المدرسة الغادريّة: في الجهة الشمالية من ساحة الحرم بين باب شرف الأنبياء ومئذنة باب الأسباط. سنة ٨٣٦هـ.

- المدرسة الحسنية: بطريق باب الناظر سنة ٨٣٧هـ.

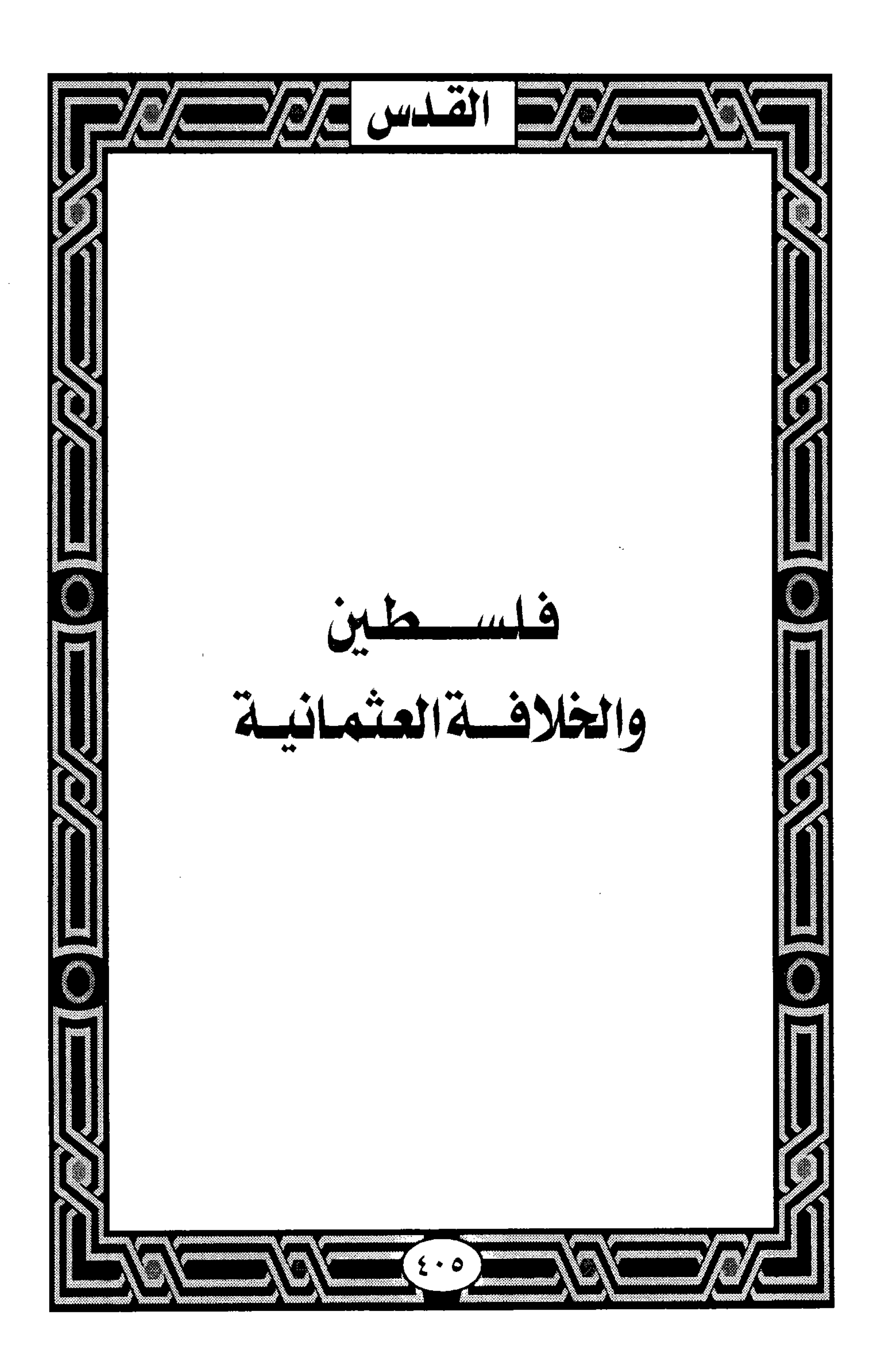
- المدرسة العثمانية: وتعرف بدار الفتياني واقعة على يسار الخارج من الحرم من باب المتوضأ المعروف بباب المطهرة سنة ٨٤٠هـ.

- المدرسة الجوهرية: بطريق باب الحديد في الجهة الشمالية، وتعرف بدار الخطيب سنة ٨٤٤هـ.

- المدرسة المزهريّة: بباب الحديد سنة ٨٨٥هـ.

- المدرسة الأشرفية: على ميسرة الداخل على الحرم عند باب السلسلة، وتقف على سطحها مئذنة باب السلسلة سنة ٨٨٥هـ. بناها السلطان قايتباي. وله أيضًا السبيل المعروف باسمه داخل الحرم بناه سنة ٨٨٧هـ، ومن آثاره المرقى الموصل إلى صحن قبة الصخرة في الجهة الجنوبية الغربية بالقرب من المدرسة النحوية وفي سنة ٨٨٧هـ بني مئذنة جامع عمر، بجوار كنيسة القيامة.

- دار الخطابة: واقعة بظاهر سور المدينة المحيط بالمسجد الأقصى من جهة الجنوب، بجوار الزاوية الختنية من جهة الغرب، ويرجع بناؤها إلى نهاية القرن التاسع الهجري.



فلسطين والخلافة العثمانية



فلسطين أيام الخلافة العثمانية

(٩٢٢هـ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٥١٧ ـ ١٩١٧م)

❑ دخلت القدس في حماية الأتراك أواخر أيام عام ٩٢٢هـ في عهد السلطان سليم، وهو السلطان التاسع من سلاطين آل عثمان.

وكان أول نائب تركي على القدس هو «جان بردي الغزالي»، وكانت ولايته نذير شؤم على القدس؛ لأن هذا الرجل خان قائده قانصوه الغوري، واتصل بالسلطان سليم سرًّا واتفق معه على أن ينسحب هو وخير بك من جيش الغوري في معركة مرج دابق. وكان أحدهما على ميمنة الغوري، والآخر على يساره.

فكانت هزيمة جيش الغوري بسبب ذلك، فكافأه السلطان سليم بأن ولاّه نيابة الشام، ومنها القدس. وبعد موت السلطان سليم طمع في السلطنة، واتصل في هذا السبيل بفرسان القديس يوحنا في رودس لمساعدته، ولكن اللَّه جعل منيته في تدبيره، فمات ولم يصل إلى مطمعه»[(١)].

❑ في عام ١٥٢٠م، تولّى السلطان سليمان القانوني، وفي عهده جُدِّد آخر سور حول القدس الشريف.

❑ وفي عام ١٢٤٧هـ ١٨٣١م سقطت القدس في أيدي إبراهيم باشا بن محمد علي باشا المصري.

ولكن إبراهيم باشا اضطر إلى ترك البلاد سنة ١٨٤٠م تحت ضغط الدول الكبرى.

❑ وفي عام ١٨٧٤م ١٢٩١هـ ارتبطت متصرفية القدس بوزارة الداخلية في استانبول، وفي سنة ١٩١٧م. سقطت في أيدي بريطانيا.

---

(١) «بيت المقدس» لشراب ص(٤٥٧)، و«الكواكب السائرة» (١/ ١٦٨).

حفاظ السلطان عبد الحميد على فلسطين والديار الإسلامية

□ لعل الموقف الذي وقفه السلطان عبد الحميد من فلسطين والصمود الذي أبداه تجاه جميع المحاولات التي بذلها زعماء الصهيونية العالمية كافيان في نظر الباحث العربي المسلم، لتثمين دور السلطان عبد الحميد في الحفاظ على وحدة الأراضي الإسلامية وعدم التفريط بشبر واحد منها، رغم المتاعب السياسية والمالية والعسكرية التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية إبّان تلك الفترة، والتي استغلتها الصهيونية أبشع استغلال لتنفيذ وعيدها له باسقاطه عن عرشه، عندما لم يتجاوب مع الوعود والإغراءات اليهودية.

□ ولم يكن «تيودور هرتزل» هو الوحيد الذي سعى لمقابلة عبدالحميد وحاول استدراجه، لتحقيق مآرب الصهيونية، فلقد تكررت المحاولات واختلفت الوسائل والأساليب، ولم تصل الصهيونية إلى بغيتها، إلا بعد أن نجحت في مخططها لإبعاد عبد الحميد عن عرش الخلافة الإسلامية.

□ وقد روى الشيخ طه الولي[1] أنه زار مع أخيه فؤاد الولي - قبل وفاته - في ١١ أيلول سبتمبر ١٩٦٧ الشيخ علي شيخ العرب في بيته بطرابلس الشام بلبنان، واستمعا منه إلى هذه الرواية:

□ كان ذلك عام ١٩٠١م ونحن في قصر يلدز باستانبول، وإلى

---

(١) الشيخ طه الولي، عالم وبحاثة لبناني فاضل، يعمل أمينًا للمكتبة العامة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، أما شقيقه فؤاد فقد كان رحمه اللّه، أستاذًا للتاريخ في كلية التربية والتعليم بمدينة طرابلس الشام بلبنان.

جانبي الشيخ محمود الجيزاوي، أمام جامع العرب في دار السعادة، وإذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد الثاني فاستقبلهم تحسين باشا رئيس الكتاب وهم:

١ ـ مزاحي قراصو مدير أحد البنوك.

٢ـ جاك ولم أعد أذكر باقي اسمه.

٣ـ ليون ولم أعد أذكر باقي اسمه.

▫ وأصر على معرفة ما يريدون لينقله حرفيًّا للسلطان فأبدوا استعدادهم لـ:

١ـ الوفاء بجميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية.

٢ـ بناء أسطول لحماية الدولة.

٣ـ تقديم قروض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة؛ لانعاش مالية الدولة وإنماء مواردها مقابل:

١ـ إباحة دخول اليهود إلى فلسطين في أي يوم من أيام السنة للزيارة.

٢ـ السماح لليهود بإنشاء مستعمرة ينزل بها أبناء جلدتهم قرب القدس أثناء الزيارة.

▫وحينما نقل تحسين باشا ما سمعه إلى السلطان أجابه: قل لهؤلاء اليهود الوقحين:

١ـ إن ديون الدولة ليست عاراً عليها لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة ولا يضيرها ذلك.

٢ـ إن بيت المقدس الشريف افتتحه للإسلام أول مره سيدنا عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ ولست مستعداًّ أن أتحمل تاريخيًّا وصمة بيع الأراضي

المقدسة لليهود، وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها.

٣ـ ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام.

وأخبراهم أن يخرجوا وألا يحاولوا مقابلتي أو الدخول لهذا المكان بعدها..

◻ ويستمر الشيخ علي شيخ العرب[١] في روايته فيقول: إن عبدالحميد أرسل بعد ذلك إلى ممدوح باشا ناظر الداخلية ليكلفه بالاتصال برؤوف باشا متصرف القدس الشريف ليقوم بالتحري فوراً عن اليهود في فلسطين ولا سيما في القدس، بحيث لا يبقى منهم إلا الزائرون لمدة محدودة.

◻ ويقول: إن اليهود نجحوا في استخدام جمعية «الاتحاد والترقي» التي تقنعت بها جماعة «الدونمة»، وهم المتظاهرون بالإسلام من يهود أسبانيا، فاطاحوا بعبد الحميد عام ١٩٠٨، ولم تكن «المشروطية»[٢] غايتهم، بل أنهم قاموا برشوة بعض المشايخ للخروج في الشوارع والمناداة بـ «الارتجاعية»[٣] لإخراج السلطان ولدفع الاتحاديين للثورة، تمهيداً

---

(١) الشيخ علي شيخ العرب، أحد شيوخ العرب الذين قربهم إليه السلطان عبد الحميد فعاشوا في كنفه وفي رحاب قصره «يلدز».

(٢) المشروطية: دعوة إلى إباحة الحريات العامة والمشاركة في الحكم والعمل بالدستور.

(٣) الارتجاعية: دعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية، وهي ما يعرف اليوم بـ«الرجعية»، وهي حادث ٣٠ مارت الذي أدى إلى الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد بعد أن تم تدبير مجزرة كبرى في استانبول نسبت للارتجاعيين، وصورت على أنها مرتبة ومخططة لتثبيت نفوذ عبد الحميد والانقضاض على المشروطية الثانية، كما حصل في أعقاب المشروطية الأولى.

إلا أن الوثائق أثبتت كما سنورده في الباب القادم، أنها تمت بتدبير من الاتحاديين =

للتخلص من الإسلام نفسه.

وهذه الرواية الشخصية تعزز الروايات العديدة التي تناقلتها مختلف المصادر حول مساعي اليهود المتكررة مع السلطان عبد الحميد الثاني، لانتزاع موافقته على تسهيل هجرتهم إلى فلسطين[١].

وقد بعث السلطان عبد الحميد برسالة إلى شيخه محمود أبوالشامات شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق بعد خلعه من الخلافة، نشرتها مجلة العربي، وهذا نصه يا هو[٢].



وبه نستعين

خطاب عبد الحميد الثاني للشيخ محمود أبو الشامات.

الحمد للَّه رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة[٣]، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي

= والمأسورنيين والانكليز وقد وردت ـ اتهامات هذه الجهات صراحة في مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، وفي اعترافات لكل من أنور باشا، وجمال باشا عبر مذكراتهما عقب اقصائهما عن الحكم.

(١) انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ـ ترجمة د. محمد حرب عبد الحميد.

(٢) يا هو: الذكر بالاسم المفرد «اللَّه اللَّه» يا خليفة المسلمين لا يجوز، والذكر بالاسم المضمر هو نوع من الهوس.

(٣) مفيض الروح والحياة هو اللَّه سبحانه وتعالى. وليس شيخ الطريق الشاذلية، وهكذا يقع خليفة المسلمين في الشرك ـ رحمه اللَّه ـ وعافاه. وما سقطت الخلافة العثمانية إلا بمثل هذه المعتقدات البدعية. سقطت لما كان المستشار الدّيني لها محمد أبو الهدي الصيادي شيخ الرفاعية الذي سمّاه الكواكبي «البغل المزركش» وأتى بالأقوال الطوام. لما انتشرت البدع والشركيات نالها ما نالها.

الشامات، وأقبل يديه المباركتين، راجيًا دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي، أعرض أني تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢ مارس في السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

سيدي! إنِّي بتوفيق اللَّه تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية[1] ليلاً ونهارًا، وأعرض أنني ما زلت محتاجًا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ:

إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم «جون ترك» وتهديدهم - اضطررت وأُجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصرّوا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة «فلسطين»، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف.

وأخيرًا وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبًا. فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضًا، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي:

«إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبًا - فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبًا - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي.

---

(١) الأوراد الشاذلية بما فيها من بدع واستغاثة وطلب المدد من غير اللَّه.. وأنت خليفة المسلمين رحمك اللَّه وغفر لك.

لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية، ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلم أسوّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي، والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضًا».

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير، هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية، والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة «فلسطين».

وقد كان ذلك ما كان. ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على اللَّه المتعال، وأعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام، وبه أختم رسالتي هذه. ألثم يديكم المباركتين، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي وسلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم لقد أطلت عليكم البحث، ولكن دفعني لهذه الإطالة، أن أحيط سماحتكم علمًا، وتحيطوا جماعتكم بذلك علمًا.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

٢٢ أيلول ١٣٢٩ خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

◻ وكان بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا، وقد وجّه مذكرة إلى سفيره بالأستانة عام ١٨٤٠ قال فيها:

«يقوم بين اليهود والمبعوثين الآن في كل أوربا شعور قوي، بأن الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين تأخذ في الاقتراب..

ومن المعـروف جيـدًا أن يهود أوربا يمتلكون ثروات كـبيـرة. . ومن الواضح أن أي قطر يختار أعداد كبيرة من اليـهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التي سيجلبها معهم هؤلاء اليهود.

فإذا عاد الشعب الـيهودي تحت حماية ومباركـة السلطان، فسيكون في هذا حائلاً بين محـمد علي ومن يخلفه، وبين تحقـيق خطته الشريرة في المستقبل».

وحتى إذا لـم يؤد هذا التشـجيع الذي سـيقدمـه السلطان لليـهود بالفعل إلى استيطان عدد كبير منهم في حدود الإمبراطورية العثمانية، إلا أن إصدار قـانون من هذا النوع سيعمـل على انتشار روح الصداقـة تجاه السلطان بين جمـيع يهود أوربا، وستـرى الحكومة التركيـة في الحال كم سيكون مـفيدًا لقضـية فلسطين أن يكسب أصدقاء مـفيدين في كثـير من الأقطار بقانون واحد بسيط منها».

وبعد عـام واحد أرسل بالمرستـون رسالة أخرى إلى سفـيره في الأستانة طالبه فيها بإقناع السلطان بإباحة هجرة اليهود وقال:

«سيكون مفيدًا جدًّا للسلطان إذا ما أغرى اليهود المبعثرين في أوربا وإفريقـيا بالذهاب والتوطن في فلسـطين، لكن اليهود يطلبـون نوعًا من الأمان الحقـيقي الملموس، ولذلك فـإني أقترح أن يكون في استطاعـتهم الاعتماد على حملة بريطانيا، وأن يسمح لهم بأن ينقلوا إلى الباب العالي شكاواهم عن طريق السلطات البريطانية».

كمـا استعان اليـهود الروس بالسفيـر الأمريكي في الأستانة ليـبذل نفوذه ومسـاعيه لدى السلطان عبد الحمـيد بالسماح لليهـود بالهجرة إلى فلسطين، خصوصًا بعد قرار الولايات المتـحدة الأميركية عام (١٨٨٢م)،

وذلك بتحديد هجرة اليهود إليها، لكن وزير خارجية عبد الحميد أخفق في إقناعه، ومضى نحو خمس سنوات والمحاولات اليهودية جارية دون كلل أو ملل، حين جاءت محاولة كبرى من بريطانيا لدى السلطان عام (١٨٨٧م) بذلت فيها كل جهودها وإغراءاتها المالية ووعودها العلنية والسرِّية، بالوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، لكن عبد الحميد ثبت على رفضه القاطع.

◻ وكانت الهجرة اليهودية قد بدأت من روسيا القيصرية أثر قيام منظمة «عشاق صهيون» باغتيال القيصر الروسي إسكندر الثاني بالقنابل في ١٣ آذار مارس (١٨٨١م)، وحملة السلطات الروسية لتصفية اليهود بعدها.

وقد قبلت السلطات الروسية إيواء بعض اليهود الهاربين من روسيا لكن مطامع اليهود تطورت عقب المؤتمر الصهيوني الأول ببال في سويسرا[1].

وقد تمكنت حركة التهجير اليهودية «البيلوا» في عام (١٨٨٢م) من إيصال ٢٠ مستعمرًا يهوديًّا إلى فلسطين اعتبروا «رواد» الهجرة اليهودية، وعملوا على تحويل عدة قرى عربية صغيرة نائية إلى مستعمرات صهيونية ولكنهم فشلوا في الزراعة فشلاً ذريعًا ولولا مساعدات البارون إدمون دي روتشيلد لماتوا جوعًا ومرضًا.

◻ وقيل أيضًا أن السير موسى مونتفيوري خاطب إبراهيم باشا والي محمد علي على الشام ليسمح لهم بهجرة اليهود إلى فلسطين، وأبدى

---

(١) انظر: د. صالح مسعود أبو بصير ـ «جهاد شعب فلسطين» ـ رسالة دكتوراه بالأزهر ـ دار الفتح ـ ببيروت.

استعداده لشراء الأراضي اللازمة لاستيطان اليهود في فلسطين، ولكن إبراهيم باشا رفض هذا العرض.

□وفي عام (١٨٩٦م) اتصل هرتزل بدوق بادن الأكبر وطلب منه أن يحصل له على إذن لمقابلة مع قيصر ألمانيا، وشرح له الفوائد التي ستعود من هذا المشروع، إذا تم تقسيم الدولة العثمانية في المستقبل القريب فسوف تقف الدولة التي تقام في فلسطين حاجزًا، وتستطيع أن تلعب دورًا في المحافظة على تركيا، وأن تسند السلطان بالمال إذا هو تخلى عن قطعة أرض لا قيمة لها عنده.

كما أثار القضية لدى قيصر روسية عن طريق دوق هس حمي القيصر.

□وعندما أرسل السلطان عبد الحميد الثاني مندوبًا سريًّا لأوربا للاتصال بالأرمن اللاجئين بعد تشكيلهم اللجان ونضالهم للتحرر، عرض هرتزل مساندة اليهود في قضية الأرمن ـ كما جاء في مذكراته ـ مقابل خدمات مؤكدة للقضية الصهيونية، ولكن عبد الحميد رفض العرض.

□وقد أرسل «المسيو كريسبي»[١] مقالاً حول القضية الصهيونية يشير فيه الكاتب إلى حادث وقع خلال سنتي (١٩٠٠ ـ ١٩٠١م) قال كريسبي: «كان الدكتور هرتزل[٢] في ذلك العهد رئيس تحرير القسم

---

(١) وردت هذه الشهادة في صحيفة تركية اسمها «أقشام» أي: المساء بقلم صحفي إنكليزي يدعى «كريسبي»، وقد نقلتها جريدة «المعرض» البيروتية في عددها الصادر يوم ١٠ كانون الثاني يناير ١٩٣٣م ص(٢٩).

(٢) الدكتور تيودور هرتزل يهودي بولوني ولد في بوادبست (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) وأقام في فيينا، اشتغل في التأليف المسرحي والصحافة وتأثر بقضية الجاسوس الفرنسي اليهودي «دريفوس» وألف كتابه «دير يودنيشتات» أي: الدولة اليهودية عام ١٨٩٦ وترأس أول =

الأدبي في جريدة «نيوفري» في فينا، فأرادني أن أسعى له في مقابلة السلطان عبد الحميد بعد أن بسط لي بحزن شديد كيف أن غليوم «امبراطور ألمانيا» والبرنس دوبيلوف خدعاه لما رافقهما في رحلة الإمبراطور إلى فلسطين.

□ فقد وعده هذا الأخير أن يقدمه إلى السلطان، فلما وصلوا إلى الاستانة اكتفى البرنس بأن عرفه إلى عزت باشا «العابد» الذي ما كاد يسمع بالقضية الصهيونية حتى غرق في بحر من اللذات ووجد أنها مزراب من الذهب، وقد قبلت أن أهتم شخصيًّا بقضية الدكتور هرتزل وخصوصًا أن هذه المطالبة لم تكن تعاكس المساعي التي كنت أقوم بها يومئذ.

وبدأت بكل شجاعة عملي، فاصطدمت في البداية بصعوبات خفية ولولا مساعدة شيخ الإسلام «جمال الدين أفندي» وكنت على صلة دائمة به، لفقدت كل أمل بنجاح مساعي، فإن هذا الشيخ أخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور هرتزل وتقدماته، وكانت هذه التقدمات باهرة وإليك بيانها:

أن الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين في أنحاء العالم بفلسطين أن يدفعوا الدين العثماني البالغ «إذا لم تخني الذاكرة» ٣٣ مليون ليرة إنكليزية، ويتعهدون كذلك ببناء أسطول كامل للدفاع عن

= مؤتمر صهيوني في بازل بسويسرا في ٢٨ آب اغسطس ١٨٩٧م كما قابل السلطان عبدالحميد في إطار مساعيه لتوطين اليهود بفلسطين، والمعروف أن الصهيونية بقيت مفتقرة إلى التخطيط، حتى تمكن هرتزل من عقد ذلك المؤتمر الذي حضره ٢٠٤ من مندوبي سائر الجمعيات الصهيونية في مختلف أرجاء العالم.

أراضي الدولة العلية.

وفي هذه الأثناء قبل «أي: هرتزل» أن يعقد للدولة العثمانية قرضًا بمبلغ مليون فرنك تصرف في سبيل التسليح العام، ولكن هذه المساعي حبطت ولم تنجح.

❑ يعتبر «ليو بنسكر» (١٨٢١ - ١٨٩١م) الداعية الأول للحركة الصهيونية، ثم تلاه «آحاد هاعام» (١٨٥٦ - ١٩٢٧م) الذي اعتبر المفكر الأول للصهيونية بمفهومها الحديث، أما المؤسس الحقيقي للصهيونية كحركة سياسية فهو «تيودور هرتزل» (١٨٠٦ - ١٩٠٤م).

ورواد الصهيونية هؤلاء جميعًا يتفقون على فكرة الإستيلاء على الأرض، رغم الخلافات البسيطة على الأساليب.

❑ وقد رسم هرتزل سياسة الاستيطان الصهيوني المبرمج فقال في «يومياته» عام (١٨٩٥م) ما يلي: «يتوجب علينا أن ننزع الملكية الخاصة لأراضي فلسطين من أيدي ملاكها، وينبغي أن يكون ذلك في لطف، وفي منتهى السرية والتكتم والحذر الشديد، وعلينا أن نقوم بتهجير السكان المعدمين - الفلسطينين - عبر الحدود، بعد أن نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا - فلسطين - بينما نحاول تأمين استخدامهم وتشغيلهم في بلدان العبور». «يوميات هرتزل: ط٢، بيروت ١٩٧٣م».

❑ وفي عام (١٨٩٨م) سئل هرتزل عن الحدود الشمالية للدولة اليهودية المقترح إقامتها في مؤتمر بال (١٨٩٧م) وما إذا كانت ستقف حدودها عند بيروت أم تتعداها شمالاً فقال: «عندما نصل إلى بيروت سوف يكون من المهم أن نسأل أنفسنا هذا السؤال، إن حدود دولتنا سوف تتوقف على عدد المهاجرين إليها، كلما كان هناك مهاجرون، كلما

احتجنا إلى مساحات من الأرض أوسع». «يوميات هرتزل، المصدر السابق».

□ أما الكابتن «نورمان بنتويتش» المفكر الصهيوني الأميركي الذي تولى مهمة نائب المندوب السامي البريطاني على فلسطين أيام «هربرت صموئيل» الإنكليزي فقد ذكر في كتابه «فلسطين اليهود: الماضي والحاضر والمستقبل» الذي أصدره عام (١٩١٩م)، النظرية الصهيونية التوسعية التي يسميها «حكماء صهيون» بنظرية «جلد الغزال» فقال: «إن رقعة الأرض التي يمكن أن يمتد عليها الاستعمار الاستيطاني هي من البحر المتوسط إلى نهر الفرات، ومن جبال لبنان إلى نهر مصر النيل».

وكان الاستيطان الصهيوني قد بدأ بشكل منظم منذ عام (١٨٥٥م) بقدوم اليهودي البريطاني «موسى مونتفيوري» الذي تمكن من شراء بيارة برتقال قرب يافا لتكون أول «موشاف» صهيوني - قرية زراعية فردية بعكس «الكيبوتز» فهي قرية زراعية جماعية - وفي عام (١٨٧٠م) أنشيء أول معهد زراعي صهيوني قرب يافا أيضًا بتمويل من «روتشيلد»، وفي عام (١٩٠١م) تم تأسيس الصندوق القومي اليهودي «كيرن كايميت» تنفيذًا لبروتوكولات حكماء صهيون بضرورة شراء أراضي فلسطين لتوطين الشعب اليهودي[1] .

---

(١) لا يخفى أن المساعي الصهيونية لم تفتر لحظة واحدة لخلق الكيانات الطائفية في المنطقة، رغم إنفضاح هذا المخطط وتوقف «إسرائيل» وزبانيتها عن تنفيذه مرات عديدة، ذلك أن الكيان «الإسرائيلي» بحد ذاته، كيان عنصري طائفي، فضلاً عن إفتقاره لإمكانات الدولة الحقيقية، ولولا الدعم الأميركي المستمر لزال ذلك الكيان المصطنع تلقائيًا.
وقد كانت التجربة المرة التي عانتها «إسرائيل» إبان العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) حينما وقف الجنرال دوايت أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة إلى جانب القضية =

وبعد نجاح المؤامرة اليهودية بالإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني على يد الاتحاديين عام (١٩٠٩م) أصدر «الاتحاديون» تشريعًا يقضي ببيع جميع الأراضي السلطانية في الدولة وبالمزاد العلني! ولولا يقظة عرب

= العربية من زاوية الحرص الخالص على المصالح الأميركية في المنطقة، درسًا بليغًا أكد للصهاينة في «إسرائيل» وأميركا ضرورة الحرص على عدم تكرار هذه التجربة ـ التي قد لا تحتملها «إسرائيل» ـ ثانية، مما حدا بهم لبرمجة العمل للسيطرة على البيت الأبيض والخارجية والدفاع والمخابرات، ومجلس الشيوخ والنواب ومختلف الأجهزة العسكرية والإعلامية، والجامعية والثقافية والمالية والاقتصادية، ومراكز البحوث والدراسات والاستفتاءات، لضمان استمرار الانحياز الأميركي لتثبيت وجود ذلك الكيان اليهودي المصطنع في المنطقة العربية، وفي قلب العالم الإسلامي.
ومن المؤلم أن يشهد العرب والمسلمون في هذه الآونة المظلمة من تاريخنا، بدايات تنفيذ تلك المشاريع التقسيمية، التي لم يعد الخجل ليمنع دعاتها من رفع عقيرتهم الطائفية، دون الحاجة للبحث عن أعذار أو مبررات منطقية، بحيث تخطوا في «جرأتهم» الأجهزة الاستعمارية في أسوأ أيام الانتدابيين الفرنسي والإنكليزي، ولعل الأشد إيلامًا أن هذه «الوقاحة الطائفية» تتم على مسمع ومرأى من آذان وأعين الأمة بمختلف فئاتها وأقطارها، دون أن يتحرك ساكن، وكأن المشاعر تبلّدت، والهمم فترت، والنخوة طارت من الرؤوس، التي أصبحت مفرغة من العقول، فراغ القلوب من تقوى اللّه وخشية العاقبة!.
ولقد أكد الكاتب الأميركي ستيفن غرين في كتابه «الانحياز» أن اليهود ما كانوا ليحققوا هذه السلسلة من الانتصارات بدءًا بحرب (١٩٤٨م)، وحتى غزو لبنان (١٩٨٢م)، بل حتى اليوم، لولا التورط الأميركي التدريجي في الانحياز إلى «إسرائيل» ضد العرب، معززًا قناعته بمجموعة من الوثائق السرية التي عثر عليها في ملفات الاستخبارات الأميركية وغيرها من الدوائر المعنية، والتي تؤكد جميعها أن الجيش «الإسرائيلي» بدون الدعم الأميركي في ألمانيا ونقلها إلى «إسرائيل»، كما يكشف عن المخالفة التي ارتكبها عسكريون أميركيون للدستور الأميركي بمحاربتهم إلى جانب «إسرائيل» عام (١٩٤٨م)، دولاً ليست في حالة حرب مع أميركا، أيام الرئيس الصهيوني «ترومان»، كما يكشف من جانب آخر أن موسكو سهلت عدة مرات تهريب الأسلحة والمحاربين إلى «إسرائيل»، مما يؤكد تواطؤ الشرق والغرب على قضيتنا العربية والإسلامية، التي لا حل لها إلا بالجهاد، مهما عزّت التضحيات.

فلسطين، واندلاع الحرب العالمية الأولى، لضاعت فلسطين كلها منذ ذلك التاريخ، فقد بلغ عدد المستوطنات التي شيدها اليهود خلال السنوات ما بين (١٩١٠ ـ ١٩١٤م) ٣٩ مستوطنة تضم نحو ١٢ ألف يهودي هم مجموع من كان في فلسطين آنذاك. «بلاد فلسطين: مصطفى الدباغ».

وهكذا نجد أن المشروع الصهيوني قطع خطوات واسعة في أيامنا هذه، بالمقارنة مع خطواته المتعثرة منذ «موشاف مونتفيوري»، وقد نجح الصهاينة في تحقيق نظرية «جلد الغزال» التي استمد منها كيسنجر نظريته المعروفة بـ«سياسة الخطوة خطوة»، حتى التهمت «إسرائيل» غزة وسيناء، والضفتين والجولان، ثم صعدت إلى جنوب لبنان ودخلت بيروت وسيطرت على منابع الحاصباني والليطاني والوزاني، ودان وبانياس والأردن، وبحيث أصبح «سد المخيبة» الذي أقيم منذ سنوات طويلة على نهر اليرموك رمزًا للـ «الخيبة العربية» التي جسدتها أحداث لبنان المأساوية وجراحه النازفة منذ بداية الفتنة الطائفية الجديدة بافتعال «حادث الباص» في عين الرمانة ببيروت يوم ١٣ نيسان أبريل (١٩٧٥م)، والتي أدت إلى خراب لبنان وهيأت الأجواء لتنفيذ المخطط الصهيوني القديم الهادف لإقامة سلسلة من الدويلات الطائفية في المنطقة لتبرير وجود «إسرائيل» ككيان عنصري[١].

(١) منذ إعلان الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة عام (١٩٤٧م) كان اليسار العربي يقف جنبًا إلى جنب مع عملاء الغرب في بلادنا، ولا غرو فقد كان الإتحاد السوفيتي أول المعترفين بقيام «إسرائيل» وعلى رأسهم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول المعسكرين الغربي والشرقي، ولكن حقدهما الصليبي المتأصل، وخوفهما الموروث من شبح «المارد الإسلامي» قد جمع بينهما للاتفاق على زرع هذا الكيان الدخيل، لضمان استنزاف قوى وطاقات هذه المنطقة.

. . . .

= ولقد تكرس هذا اللقاء «الشرقي - الغربي» بصـورة جلية من خلال المحاولات المبذولة في السر والعلـن لتحقـيق «التفاهم» بين «إسـرائيل» «والعرب»، حـيث بدأ مسلسل مـساعي الحوار «العربي - الإسـرائيلي» منذ عام (١٩٥٦م)، حينما وجه المحامي المصـري اليساري يوسف حلمي بالاشتراك مع الزعـيم الشيوعي اليهودي «المصـري» هنري كوريال رسالتين لكل من جمال عبد الناصـر، وبن جوريون يدعوانهما فيهمـا باسم «الحركة الديموقراطية» و«حركة السلام المصرية» لعقد مؤتمر للسلام بمشاركة الدول العربية «وإسرائيل» ودول عدم الانحياز والدول الكبرى، ولكن العدوان الثـلاثي على مصر عام (١٩٥٦م) أجهض تلك المحاولة.

وحين نستعرض أسماء «أبطال السلام» على الجـبهة «الإسرائيلية» لا يجد بينهم إلا الأيدي القذرة الملطـخة بالدماء، بل إن بين ضـحاياهم أبطالاً حـقيقين للسـلام، وأولهم: «ناتان يالين - مور» وهو رئيس عصابة «شتـيرن»، قاتل «الكونت برنادوت» مندوب الأمم المتحدة إلى فلسطين عـام (١٩٤٨م)! وثانيـهم «عامـوس كنعان» الكـاتب الصهـيوني المعـروف والعضـو في عصابة «شتـيرن» أيضًا، أمـا ثالثهم فهـو «يوري أفنيري» وهو بدوره إرهابي قديم في منظمة «أرغون» وعضو «الكنيست الإسرائيلي»، والبطل الرابع هو «أريك رولو» وهو اسم مستـعار لشخصية إرهابيـة يهودية مصرية سبق أن طردت من مصـر في أعقاب فضيحة «لافـون» الشهيرة وأعني به «إلياهو رفول» الذي تحول بعـد نزوحه إلى فرنسا إلى «أريك رولو» الكاتب الصـحفي الخطير في «لـوموند» الفرنسـية، وخبـير شـؤون الشرق الأوسط للخارجـية الفـرنسية ولإذاعـة وتليفزيون باريس!!، أمـا بقيـة أبطال السلام من الجانب اليهودي فهم زمرة من الشيوعيين المشبوهين من رفاق هنري كوريال وبينهم: «كلوديا» التي كانت تـعمل ضمن وفـد مصر للأونسكو في باريس، و«جـوزيف حزان»، و«جويس بلو»، و«ريمون اسطـمبولي»، و«مـوريس بارث»، و«دانييل أميت» الأسـتاذ في الجامعة العبرية بالقدس، وآخرهم الجنرال «ماتيـتا هوبيليد» الذي قاتل في صفوف عصابة «الهاجاناه» منذ كان في الخـامسة عشرة من عمره، وجميـعهم ممن شارك في كل الحروب العربية - «الإسرائيلية» فضلاً عن سجلاتهم الإرهابية الحافلة عبر أنشطة عصابات «شتيرن» و «أرغون» و «الهاجاناه»، وتلك هي «الحمائم الإسرائيلية» الوديعة!!.

وعلى الجـانب العـربي مَن عسـانا نجـد مِن أبطال السلام. إن تـاريخ «الحوار العـربي - الإسرائيلي» يسـجل أن أول «مؤتمر سلمي» عقد في «فـلورنسا» بإيطاليا برعاية ولي عـهد المغـرب - آنذاك - الأمـير الحسن بن مـحـمد الخـامس، وكان ذلك في عـام (١٩٥٨م)، بترتيب من هنري كوريال الذي جمع فيه وفودًا من الأحزاب الشيوعية العربية مع ممثلي

. . . .

= الحزب الشيوعي الإسرائيلي «راكاح»، وبعد عدوان (١٩٦٧م) التقى النقيب السابق بالجيش المصري «أحمد حمروش» رفيق كوريال في الحزب الشيوعي المصري وعضو «الحركة الديموقراطية»، و«حركة الضباط الأحرار» مع «كوريال» و «أريك رولو» في باريس حيث رتبوا اللقاء بين جمال عبد الناصر، وناحوم غولدمان رئيس «المؤتمر اليهودي العالمي» وقد أجهضت المحاولة بوفاة عبد الناصر عام (١٩٧٠م).

ثم تابعت منظمة التحرير الفلسطينية «الحوار» عبر القياديين الماركسيين «المتفهمين» بدءاً بممثل المنظمة في لندن سعيد حمامي الذي لقي مصرعه في يناير (١٩٧٨م) ومروراً بنعيم خضر، وبعز الدين قلق اللذين اغتيلا في أبريل (١٩٨٣م).

كما شارك في «الحوار» المنظر اليساري المصري الدكتور رفعت السعيد، وممثل المنظمة في داكار «أبو خليل»، وكان عرّاب اللقاءات في كثير من الأحيان رئيس النمسا السابق اليهودي «برونو كرايسكي»، أو رئيس رومانيا اليهودي «نيقولاي شاوسيسكو» أو رئيس الوزراء الفرنسي اليهودي «بيار منديس فرانس» الذي استضاف الحوار مراراً في قصره الصيفي.

وقد كشف سامي الجندي في كتابيه «البعث» و«كسرة خبز» عن رفضه لتنفيذ تعليمات وزير خارجية سورية الدكتور إبراهيم ماخوس قبيل عدوان يونيو (١٩٦٧م)، باجراء حوار مع ممثلي «العدو» في باريس، بينما اعترف نائب رئيس الوزراء المصري حسن التهامي بإجرائه الحوار مع موشي دايان في الرباط (١٩٧٦م)، تمهيداً لعقد اتفاقيات «كامب ديفيد» التي أسفرت عن اغتيال أنور السادات عام (١٩٨١م).

كما كشفت الأحداث اللبنانية عن اتصالات مشبوهة منذ مطلع السبعينات بين زعماء الموارنة وقادة «العدو الإسرائيلي» حيث رتب كميل شمعون اجتماعات حضرها بيار الجميل ووالده بشير وأمين مع شخصيات «إسرائيلية»، أسفرت عن طبخة الفتنة الطائفية التي ما زالت مندلعة منذ عام (١٩٧٥م).

وقبلها كانت اجتماعات «الشونة» بين «جوالدا ماير» والملك عبد اللّه التي أدت إلى اغتيال الملك عبد اللّه في المسجد الأقصى عام (١٩٥٠م).

وهكذا نجد أن أقصى اليمين التقى مع أقصى اليسار في «حوار» ودي لترسيخ كيان «إسرائيل» في قلب العالم الإسلامي، مستهدفاً زرع هذا الجسم الدخيل لإعاقة أية صحوة إسلامية حقيقية.

◘ ونشرت مجلة «المشرق»[1] تفاصيل محاولة أخرى عن طريق اللورد اليهودي غوش سفير بريطانيا في الاستانة أيام عبد الحميد فقال:

«لما كان اللورد «غوش» الإسرائيلي أي: اليهودي سفيرًا بالأستانة عرض على الحكومة السنية أن يجعل تلك النواحي: جلعاد ومؤاب في غور الأردن، التي مساحتها ستمائة ألف هكتار، مستعمرة لليهود، تحت نظارة الباب العالي، يسمونها كما يشاؤون، بشرط أن يدفعوا لمولانا السلطان مبلغًا عظيمًا من الدراهم، ولا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات، غير أن الدولة السنية لم تلب دعوة «غوش» وأغنياء اليهود، فذهبت آمالهم أدراج الرياح، وكانت غايتهم أن يمهدوا الطريق لأبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة بالأراضي المقدسة، كما كانت قبل المسيح.

◘ وكانت المحاولة الأخيرة التي قام بها تيودور هرتزل في عام (١٩٠١م)، ولكن عبد الحميد رفض مقابلته للصدر الأعظم:

«انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع، إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، التي جاهدت في سبيلها وروتها بدمائها فليحتفظ اليهود بأموالهم وملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن! أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت

---

(١) لمعرفة حجم النفوذ المالي الذي تتمتع به الصهيونية يكفي أن نعلم أن أسعار الذهب والعملات الدولية يتم تحديدها في نشرتين يوميتين منذ عام (١٩١٩م) من قبل أربعة من كبار تجار الذهب وجميعهم من اليهود وهم: روتشيلد، ومونتاغو، وشارب ويبكلي، وجونسون.

من الدولة الإسلامية، وهذا أمر لا يكون، إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة» .

وقد أثار جوابه هرتزل فوجه للسلطان إنذارًا بواسطة يوسف الخالدي كبير النواب العرب، في مجلس المبعوثان العثماني جاء فيه:

«أما إذا رفض فسنواصل البحث، وصدقني إننا سوف نهتدي إلى مكان آخر وفقًا لما نريده، وفي هذه الحالة سوف يضع على تركيا بلا رجعة آخر سهم في متناول يدها لتنظيم ماليتها والنهوض باقتصادها.

وثقوا أن من يصارحكم بهذا القول صديق مخلص للأتراك فاذكروا ذلك دومًا»[١] .

وقد نبهت هذه الحادثة المسلمين، فوجهت أنظار الحكومة لتنبيه الأهالي إلى الاحتزاز من تلبية مطالب اليهود وعدم تمكينهم من التسلل إلى فلسطين فنشرت جريدة «معلومات» التي كانت تصدر في الاستانة، ونقلت عنها «ثمرات الفنون» التي كان يصدرها ببيروت المرحوم الشيخ عبد القارد القباني ما يلي:

«لليهود ميل شديد تقادم فيهم لمجاورة القدس[٢] ، لأن تلك

---

(١) انظر نص رسالة عبد الحميد الثاني إلى شيخه محمود أبو الشامات ضمن الوثائق والملاحق في نهاية الكتاب.

(٢) تكررت هذه الآونة الأخيرة محاولات نسف المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي، كما نجح الصهاينة في نسف العديد من المساجد الإسلامية في عدة مدن وقرى فلسطين المحتلة، كما هاجموا مؤخرًا طلبة الكلية الإسلامية في الخليل، وقد أطلق الشيخ سعد الدين العلمي رئيس الهيئة الإسلامية العليا في القدس آخر صيحة تحذير للعالم الإسلامي، محملاً المسلمين وقادتهم المسؤولية أمام اللّه والتاريخ، حينما كشف في تصريح له نشرته صحيفة «صوت الشعب» الأردنية، أن الحاخام الصهيوني «مائير كاهانا» =

الأقطار كانت لحداً لاعتلاء مجدهم في الأزمنة الغابرة، وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية إلى لحد مجد أسلافهم فعزم الكثيرون منهم على المهاجرة إلى أنحاء القدس، وتوطن فريق منهم في تلك الجهات وصار لهم قسم كبير من الأراضي، وما يزال الكثيرون يرغبون بالهجرة وشراء الأراضي. وهذا ما يضر بصوالح الدولة والأمة معًا، إذ تصبح القدس في يوم من الأيام وهي بيد اليهود فقط.

□ وهناك حادث سياسي آخر يؤكد التصميم على الحفاظ على فلسطين وذلك حين انتهز السلطان عبد الحميد فرصة وفاة الخديوي توفيق يوم ٧ كانون الثاني يناير (١٨٩٢م)، وتولية ابنه عباس حلمي فاستغل

= زعيم حركة «كاخ» قد خيّره بين بيع المسجد الأقصى لليهود بمليون دولار أو الاغتيال، على أن تتم عملية البيع بالهدوء والكتمان، وقال الشيخ العلمي: إنه تعرض لأربع محاولات اغتيال من قبل منظمة «كاخ» بعد هذا التهديد.

كما تكررت أنباء اعتقال وتعذيب وإضطهاد العلماء المجاهدين الذين يواصلون قيادة الكفاح والتعبئة للجهاد داخل الأرض المحتلة، منذ أن نفذ اليهود جريمتهم بإحراق المسجد الأقصى.

ناهيك عن «الحفريات الأثرية» التي بدأت منذ أيام موشي دايان، ولم تنته بوفاته، والتي تستهدف إزالة جميع المقدسات الإسلامية من فلسطين، بحجة التنقيب عن «الهيكل» والكشف عن الآثار اليهودية!.

وفي تحقيق لجريدة «القبس» الكويتية في الأرض المحتلة نشرته يوم ٦ مايو (١٩٨٤م) نقلت على لسان الشيخ عكرمة سعيد صبري صيحة تحذير أخيرة للمسلمين في العالم جاء فيها: إن هدم المسجد الأقصى بات مسألة وقت!!.

كما كشفت صحيفة «التايمز» البريطانية، وصحيفة «لوماتان» الفرنسية أن ضباطًا في الجيش الإسرائيلي يقفون من وراء شبكات الإرهاب الصهيوني التي تتخذ من عصابات «غوش إيمونيم» ـ أي: جبهة المؤمنين ـ ستارًا لها، فضلاً عن جماعة «المولودين ثانية» الذين يستعجلون مجيء «المسيح المنتظر» بنسف المساجد الإسلامية بفلسطين!.

عبدالحميد دهاءه السياسي لإخراج سيناء من ولاية مصر فأصدر فرمان التولية بحدود مصر دون إشارة لسيناء، وحضر المشير أيوب باشا إلى مصر لتلاوة الفرمان في الحفل التقليدي، ولما علمت وزارة الخارجية البريطانية بالأمر وقعت أزمة عنيفة بينها وبين عبد الحميد، وكادت تعلن الحرب حتى اضطرته في ٨ نيسان أبريل (١٨٩٢م) إلى إعادة سيناء لولاية مصر.

❑ ويقول عبد الرحمن الرافعي في كتابه «مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية»: إن آراء الباحثين اختلفت في تفسير موقف عبد الحميد، وأن الشواهد تشير إلى خشيته من النفوذ البريطاني في مصر، وتسلط الصهيونية على بريطانيا مما يحفزها لتقديم تسهيلات لإسكان اليهود في سيناء[(١)].

---

(١) كلف فيلب كلوتسنيك رئيس المؤتمر اليهودي العالمي عام (١٩٨٠م) لجنة اقتصادية واجتماعية من يهود العالم بوضع تقرير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في إسرائيل، يرأسها البارون اليهودي جي دي روتشيلد وتضم نحو ٣٠ فردًا بينهم البروفسور حاييم بن شاما رئيس جامعة تل أبيب، وادغار برونغمان رئيس المؤتمر اليهودي الحالي، وسول كاني مدير بنك كندا وأمين صندوق المؤتمر اليهودي العالمي، واللورد ليفر أوف مانشتر عمدة ريو دي جانيرو، وموريس ليفنسون رئيس مركز دراسات المؤسسات الديمقراطية، والبروفسور سيمور لبيست أستاذ العلوم السياسية والاجتماع بجامعة ستانفورد الأمريكية، والبروفسور مارتن ميرسون رئيس جامعة بنسلفانيا.
وبعد جهود استمرت ثلاثة أعوام قدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن أن عدد اليهود في العالم اليوم ١٥,٣ مليون نسمة موزعين على ١٠٠ دولة منهم ٣,٥ مليون يهودي في إسرائيل و٦ مليون يهودي في الولايات المتحدة، و٢,٤ مليون يهودي في الاتحاد السوفيتي، كما يوجد في فرنسا حوالي ٦٠٠ ألف يهودي، وفي بريطانيا ٤٥٠ ألف يهودي، وفي كندا والأرجنتين حوالي ٣٠٠ ألف بكل منهما، وفي البرازيل ١٤٠ ألفًا، وفي جنوب إفريقيا ١٣٠ ألفًا.

بينما يذهب آخرون إلى أبعد من ذلك فيقولون أن عبد الحميد بدهائه السياسي البعيد تعمد إثارة بريطانيا للمطالبة بضم سيناء إلى مصر مما يؤكد أن سيناء مصرية، وأن الاحتلال البريطاني لمصر لا يبرر التصرف بسيناء وإعطائها لليهود، وأن اللعبة لم يكتشفها الانكليز واليهود، إلا بعد أن كرسوا ضم سيناء لمصر رسميًّا ودوليًّا.

أيقنت الصهيونية العالمية بعد فشل محاولاتها المتكررة للحصول على موافقة السلطان عبد الحميد الثاني بالسماح لليهود، بالهجرة المحدودة فقط وليس إقامة وطن قومي في فلسطين ـ أن وجوده يشكل عقبة كأداء في سبيل تحقيق مقررات المؤتمر الصهيوني الأول، ولم يملك هرتزل ـ بعد فشل محاولته الأخيرة ـ إلا أن يلجأ لسلاح التهديد والوعيد صراحة.

= ويزعم التقرير أن عدد اليهود انكمش نتيجة للمذابح الجماعية من ١٦,٧ مليون عام ١٩٣٩م إلى حوالي ١١ مليون عام ١٩٤٥م.

ويتطرق التقرير إلى قضية المستوطنات في الأرض المحتلة فيرى أنها سوف تؤدي تدريجيًا لدفع عرب الضفة الغربية إلى إعلان التحدي السافر، وإبطاء عملية السلام، فضلاً عن تكاليفها الباهظة التي ستؤدي إلى مزيد من إضعاف الاقتصاد الإسرائيلي، وتقليل قدرته على مساندة قوة قتالية فعالة!!.

ويقول التقرير إن إسرائيل تواجه ثلاث مهام جوهرية في الوقت الراهن هي:

١- إقامة سلام آمن.

٢- ترتيب جبهتها الداخلية.

٣- تنمية علاقات صحية وبناءة أكثر مع يهود المهجر الدياسبورا.

كما يعترف التقرير بأن إسرائيل تجد نفسها حاليًّا محاصرة بعدد من المشاكل الإقتصادية والاجتماعية، والدينية والسياسية الخطيرة، مما يشكل خطرًا داخليًّا على مستقبلها لا يعلوه سوى الخطر الخارجي!!.

ولم يكن السلطان عبد الحميد بغافل عن مدى نفوذ وتأثير الصهيونية العالمية على اتجاهات السياسة العالمية من خلال ممارستها في الدول الكبرى، ولكنه في الوقت نفسه لم يملك إلا أن يرفض العروض والوعود الصهيونية التي أخذت تقايض ديار المسلمين المقدسة بأموال اليهود الملوثة.

استقر رأي الصهيونية العالمية على العمل للإطاحة بالسلطان عبدالحميد الثاني، كخطوة على طريق عودة «شعب اللَّه المختار» إلى أرض «الميعاد» في مملكة إسرائيل التي تطمح للوصول بحدودها من الفرات إلى النيل.

وكان للصهيونية أكثر من وسيلة تسعفها في الوصول لأغراضها، نتيجة للمكر والدهاء اليهودي المعروف.

فقد أوجدت الحركة الماسونية بمحافله الشرقية والغربية، وكانت السبية اليهودية الروسية «روكزيلان» التي تزوجها السلطان سليمان القانوني وسماها «حرم السلطان» أول بؤرة صهيونية، وأول خرق للشريعة الإسلامية بما حققته من تقارب بين سليمان القانوني وفرنسوا الأول ملك فرنسا، حينما منح لقب «حامي النصارى العثمانيين» وعقد اتفاق الدولة الأكثر رعاية عام (١٩٥٣م)، الذي تحول إلى ما عرف بـ «الامتيازات الأجنبية» فيما بعد[1] .

---

(١) ما زالت فضيحة المحفل الماسوني بي ٢، تتفاعل منذ انفجارها في مطلع الثمانيات، فقد هدد عميل المخابرات الإيطالية الهارب «فرانشيسكو بازينزا» في مقابلة صحفية مع مجلة «البرجيزي» اليمينية بنشر وثائق مثيرة وخطيرة عن تورط عدد كبير من الساسة، ورجال الإقتصاد الإيطاليين بفضيحة بنك «إمبروزيانو» الذي وجد رئيسه السابق «ربيرتو كالفي» =

ولم يتوقف دور روكـزيلان عند هذا الحد بل أنها بعد زواج ابنـتها مهرماه من اللقيط الكرواتي رستم باشا دبرت مؤامرة قتل الصدر الأعظم إبراهيم باشا، ونصبت صهرها مكانه، فكافأها بخنق ولي العهد مصطفى ابن ضرتهـا، ونصبت مكانه ابنها سليم الذي أصـبح فيمـا بعد السلطان سليم.

وكانت روكزيلان سببًا في استـعطاف سليمان القانوني لقبول هجرة اليهود إلى روسيا هربًا من ظلم القياصرة، كما استعطفته ثانية لقبول إيواء يهود الأندلس الذين شردتهم محاكم التفـتيش الأسبانية، فنزلوا سلانيك والأناضول، وجـزر المتوسط وموانيء الشـام ومصر، وهم الذين سبـبوا فيمـا بعد دمار الدولة العثمـانية، فنال الخليفة عبـد الحميد الثاني حـفيد سليمان القـانوني على يد اليهودي قره صو جـزاء سنمار، ولم يشفع له عند الصهيـونية إزاء رفضه لعـروض هرتزل، مما حققه البـارون اليهودي «هيرس» من ثروة طائلة بفضل تعهده لأعمـال الخطوط الحديدية العثمانية (١٩٠٥م)، حتى أنه أوصى قـبيل وفاته بإنفـاق مائتين وخمـسين مليون فرنك لتأمين إقامة وطن قومي ليهود العالم، وهكذا كرر مرة أخرى جزاء سنمار لخلفـاء المسلمين، وقد أعطى قـره صو أربعمـائة ألف ليرة ذهبـية قبـضهـا من البنك الإيطالي وسلمهـا لثري اســمه «نجـيب دراغا» الذي

= قتيلاً في ظروف غامضة تحت جسر «بلاك فراير» في لندن عام (١٩٨٢م).

وقال بازينزا: إنه يؤلف كتابين ويصور فيلمًا عن أهم الفضـائح السياسية مما سيحدث هزة كبيـرة، والمعروف أن بازينزا يرتبط بصداقـات مع هنري كيسنجر وأليكسندر هـيج، وكبار الساسـة في أميركا وإيطاليـا، بحكم علاقاته القـديمة مع الماسونية والمافـيا وفروعهـما في «الألوية الحمراء» وأجهزة المخابرات الغربية !!.

أعطاها لأيوب صبري أحد أعضاء «الاتحاد والترقي» لصرفها على أحداث مجزرة ٣١ مارس[1] التي أطاحت بحكم عبد الحميد، وكان قره صو أحد أربعة بلغوا عبد الحميد قرار عزله، رغم أنه يتمتع بالجنسيتين الإيطالية والعثمانية، وقد فاخر قره صو[1] بعدها بقوله: «إن الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة إنكليزية ما لم ينفذ عبد الحميد بخمسة ملايين».

▫يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم في محاضرته القيمة «غزة أريحا»: «إنه في نفس الليلة الذي أُقصي فيها السلطان عبد الحميد آخر سلاطين آل عثمان حدث حادثان خطيران أولهما: غياب الإسلام الفعلي، ثانيًا: سقوط فلسطين في يد اليهود، ومن المعروف أن اليهود بذلوا جهدًا كبيرًا في إغراء السلطان عبد الحميد حتى يسمح لهم بالاستيطان فقط في شرق الأردن وسوريا الجنوبية، وبعد ذلك جاء هرسل فعرض على «عبد الحميد» مساعدات مالية مُغرية، فقال السلطان ضمن جوابه: سوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منّا ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قُسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل لكنها لن تُقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل تشريحنا بأي ثمن كان. وعرض هرسل بعد ذلك على السلطان اقتراحًا بتأسيس جامعة إسلامية في القدس يدرس فيها الشباب المسلم كل العلوم العلمية والدينية، ولكن لم يفلح كذلك، قدّم هرسل للسلطان مليوني ليرة ذهبية رشوة شخصية له فغضب شر غضبة وطرده، وفي اللقاء

---

(١) كان اليهودي قره صو أحد أربعة بلغوا عبد الحميد قرار عزلة ويا لسخرية الأيام يهودي!!. وهؤلاء الأربعة هم:
اليهودي قره صو، والأرمني آدم، والأرناؤوطي طوبطائي، والكرجي حكمت.

الأخير حضر هرسل ومعه رئيس الحاخامات يعرضون عليه رشوة لإقامة وطن يهودي، واقترحوا القدس وحدها، وقال هرسل: أحب أن أعرض لجلالتكم بأننا مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها مناسبة من الذهب حالاً من أجل القدس، فقال السلطان ـ وكان يحكي القصة لأحد أصدقائه في المنفى ـ: شعرت بالدم يضفر من رأسي، تأمل، لقد وصلت الجرأة بهذين اليهوديين إلى عرض الرشوة في مقابل سلطتنا، صرخت بهما: اخرجا من هنا حالاً، إن الوطن لايباع بالمال، وحينما دخل رجال القصر أمرتهما بإخراجهما، منذ ذلك الوقت ناصبني اليهود العداء كل ما ألاقيه هنا في سلانيك هو جزاء عدم إعطاء الوطن لليهود، ولقد ضحيت بعرشي من أجل فلسطين والقدس، وقلت لهم: لقد خدمت الملّة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين عامًا، فلن أسوّد صحائف المسلمين أبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين.

يقول بعدما أبلغوه بقرار خلعه: وحمدت المولى، وأحمده أنني لم أقبل أن ألطّخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكلفيهم إياي بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة الفلسطينية.

وبعد خلع السلطان عبدالحميد أخذت الصحف اليهودية في سلانيك تزف البشرى بالخلاص من مضطهد إسرائيل، وعاث اليهود فساداً في تركيا، وكان من ضمن الإجراءات التي قام بها السلطان عبد الحميد بعدما أحس بالخطر اليهودي أصدر فرمانات تقضي برفض قبول التجاء اليهود المطرودين إلى الدولة العثمانية، وأعلن ذلك قائلاً: «إن سكن اليهود في أجزاء الإمبراطورية يجعلهم يتسللون إلى فلسطين تدريجيًّا رغم ما اتخذته من تدابير، وسيسعون إلى تشكيل حكومة

موسوية بتشجيع الدول الأوربية، فليغادروا إلى أمريكا، أيضًا سنّ تعليمات لضمان عدم بقاء اليهود في القدس بعد إكمال زيارتهم لها، وبعد هذا حدث تسلل لليهود إلى فلسطين حتى بلغ عددهم فيها خمسًا وعشرين ألفًا طيلة أكثر من ثلاثين سنة، أغلق السلطان عبد الحميد جميع المحافل الماسونية في الإمبراطورية كلها لكنها استمرت بشكل سرّي والمعروف أن الماسونية الولد النجيب لليهودية، وكان الذي سلّم السلطان قرار الخلع العم نويل قره صو اليهودي الماسوني فالتفت السلطان إلى الوفد الذي كان معه قائلاً: ألم تجدوا شخصًا آخر غير اليهودي لكي تبلغ خليفة المسلمين قرار الحل؟!

ومن قرارات: «السلطان عبد الحميد» قرارًا أبلغ به جميع ممثلي دول العالم في اسطنبول عام ١٩٠٠ بمنع الحجاج اليهود من تسليم جوازات سفرهم عند دخولهم أرض فلسطين كما يحدث مع الحجاج في مكة فيسلم الحاج جواز سفره ويعطوه وثيقة يتحرك بها داخل مكة لمدة معينة، وإن تأخر عن هذه المدة فله الويل، فكل من لا يغادر البلاد في هذه المدة يُطرد بالقوة، وأصدر السلطان أمرًا بجعل تصريح الإقامة هذا لونه أحمر، حتى يسهل طردهم ولذا فلقد رأى اليهود بعد تمكنهم أن يفرضوا على جميع الجوازات الدبلوماسية على مستوى العالم كله اللون الأحمر، وهو الجواز الذي لا يُفتش صاحبه، وهذا يعتبر إعادة اعتبار لليهود ضد إجراء السلطان عبد الحميد.



❁ السلطان عبد الحميد واليهود ❁

قال الدكتور عدنان النحوي ـ حفظه اللَّه ـ:

سَلامٌ على «عَبْد الحَميد» وَقَدْ مَضَى
عَلى الطّيْبِ من أَمْجادِهِ العَطِرَاتِ
فَيَا أيُّها «السّلطان» ذكْرُك عاطِرٌ
عَلى صِدْق مَا جَاهَدْت في حَلَبَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى حَقٍّ وخُضْتَ سَبِيلَه
وَمَا لِنْتَ مِنْ طعْنٍ وَمِنْ غَمَرَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى دِيْنٍ يُوَحِّدُ أُمَّةً
وَيَجْمَعُ نُعْمَى عِيْشَةٍ وَمَمَاتِ
دَعَوْتَ إِلَى الإِسْلام يُنْكِرُ فُرْقَةً
وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ شُبُهَاتِ
يُسَاوِمُكَ الكُفّار مَالاً وَزِيْنَةً
وَزَهْرَةَ دُنيا أوْ مَتَاعَ حَيَاةِ
لِتُعْطِيَهُمْ دَارًا وَرَوْضًا وَمَا حَوَتْ
«فِلسْطِيْنُ» مِنْ قُدْسٍ وَمِنْ حُرُمَاتِ
فَقُلْتَ لَهُمْ: أمْضَيْتُ عَهْدِي وبَيْعَتي
مَعَ اللَّهِ في سَعْيِي وَفِي رَكَعَاتِ
وَبِعْتُ إِلَى الرَّحْمنِ نَفْسي بِجَنَّةٍ
عَلَى حُرْقَةِ الأَشْوَاقِ واللَّهَفَاتِ

فَكَيْف تُرَاني أَرْتَضِي عَـرَضًـا بـهـا
إِذَا كَـانَت الدُّنْيَـا هَشِـيْمَ نَبـاتِ
مَضَيْتَ...وَمَا لانَتْ قَنَاتُك بَيْنَهُمْ
وَمَـا وَهَنَتْ نَفْسٌ عَلَى شَـهَـوَاتِ
هَوَى بِكَ رُكْنٌ...ما هَوَى عَزْمُكَ الذي
بَنَيْتَ بِهِ رُكنًا وصَـرْحَ أُبـاةِ
نَفَوْكَ... وَمَا هانَتْ بذَاكَ مَحَامِدٌ
وآذَوْك... فاستمسكْتَ بَيْنَ عُتاةِ
عَلَوْت... فَهَانُوا دون صَبْرِك والهُدَى
وَذَلّوا...وَرُمْتَ المجْـدَ في ذَرَوَاتِ
سَـلامٌ عَلَى رُكُنٍ هَوَى فَـهَـوَت بـه
مِنَ الدّار أرْكَـانٌ ومِنْ عَـزَمَـاتِ

☐ وقال ـ حفظه اللَّه ـ:

أينَ عَـبْـدُ الحـمـيـد هانَ لديْه ... زخـرفٌ زائلٌ وقـصـرٌ مـشـيـدُ
لـم تَهُنْ حُـرْمَـة الدِّيار عَلَيْـهِ ... لـم يَرُعْـهُ أذى ومكرٌ شـديدُ
صَـدَقَ اللَّه والرسـولَ فَـلانَ السـ ... ـجنُ والـهَـجْـرُ والأسى الممدودُ
رُبَّ يوم ينالُ فـيـه من اللّـ ... ـه نعـيـمًـا أَوْفى عليـه الخلودُ
حَـمَلَتْـهُ له الجنانُ فَـحُـورٌ ... مُـقْـبِـلاتٌ ولؤلؤٌ منضـودُ[1]

---

(١) ملحمة الأقصى ص (١٤١).



* **ما يُؤخذ على الأتراك:**

«المعروف أن اليهود كانوا ممنوعين من دخول القدس والسكنى فيها منذ سنة ١٣٥ قبل الميلاد، وجاء الإسلام وهم على هذه الحال، وكان من شروط عقد الفتح ألا يسكنوا البيت المقدس.

وفي زمن ضعف وتهاون حكام المسلمين، تسرّب بعض اليهود إلى القدس لزيارة ما يتوهمونه من آثار أنبيائهم... ولعلَّ هذا السماح أو السكوت عن دخولهم القدس كان في زمن السلطان سليمان القانوني ١٥٦٦م أو في عهد ولده سليم الثاني.

وقد ذكروا أن للسلطان سليمان القانوني زوجةٌ روسية اسمها «روكسيلانة» لعلها كانت يهودية الأصل.. وقد نُسب إليها إنشاء التكية المعروفة بتكية خاصكي سلطان في عقبة المفتي شرقي دار الأيتام الإسلامية، بالقدس..

أقول: ولعلَّ بعض ولاة القدس قد سمحوا لليهود بالدخول إلى القدس للزيارة طمعًا في زيادة ما يجنونه من الرسوم المالية على الزائرين، ومما يدلُّ على ذلك، أننا لم نكن نقرأ أن لليهود ذكرًا في العهد المملوكي فلما جاء العصر التركي أخذوا يتسربون ويزداد عددهم، حتى كان لهم في زمن إبراهيم باشا عضو في مجلس الشورى، وبدءوا منذ ذلك العهد، يتجرؤون على إظهار شعائرهم الدينية».

ومن مشجعات اليهود على الهجرة والاستيطان في العهد التركي، ما يلي:

أولاً: في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ ـ ١٨٦١م) امتلك اليهود أول

أرض في المدن الفلسطينية، وذلك عام ١٨٥٤م، وهي القطعة التي أُقيم عليها «حيّ مونتيفوري» في بيت المقدس، نسبة إلى موسى مونتيفوري (١٧٨٤ ـ ١٨٨٥م) الثري البريطاني الذي زار فلسطين مرارًا، وشجع فكرة الاستيطان اليهودية.

ثانيًا: في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١ ـ ١٨٧٦م) منحتْ الحكومةُ اليهودَ قطعة أرضٍ أُقيمت عليها مدرسة «نيتر» الزراعية بالقرب من يافا. وهذا هو نصُّ الفرمان السلطاني الذي صدر في ٤ محرم سنة ١٢٨٧ (٥ نيسان ١٨٧٠م) إلى شارل نيتر، نقلاً عن جريدة فلسطين اليافية في عددها الصادر ٢/ ١٠/ ١٤١٢هـ «يُفْتَحُ المكتبُ المذكور لتعلم فَنّ الزراعة والفلاحة المرغوبة ترقيتُه في بلاد دولتي العلية، ويكون تابعًا لقوانين الدولة العليا تحت نظارة المعارف، وتحت حمايتي السنيّة. على أنَّ هذا المكتب، وإن يكن أُنشئ على اسم أطفال الملَّة الموسوية، إلا أنَّه يقبل فيه تلامذة من سائر الملل والمذاهب، بشرط أن يكونوا جميعهم من التبعيّة العثمانية».

وحول الفقرة الأخيرة من هذا الفرمان، كتبت الصحيفة المذكورة في عدديها الصادرين في ٢٩/٨، ١٨/ ٩/ ١٤١٢، تقول: إنَّ مجموع من دخل المدرسة ـ من الطلاب العرب ـ خلال ٤٣ سنة هم ١١ طالبًا، لم يكملوا دراستهم، وقبولهم كان لأسباب عديدة، منها: كون آبائهم من ذوي النفوذ، أو لهم علاقة بأشغال المدرسة. [عن كتاب/ النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ـ خيرية قاسمية ص١٢٤].

ثالثًا: أرهقت الدولة التركية الفلاحين الفلسطينيين بالضرائب، فعجزوا عن دفعها، فأدّى ذلك إلى استيلاء الدولة على أراضي الفلاحين،

وقراهم وعرضها في المزاد سنة ١٨٦٩م، لاستفياء ديون الضرائب المترتبة عليهم، فاشتراها أغنياء بيروت وتجارها الذين لا تربطهم بالوطن رابطة فباعها هؤلاء إلى اليهود «تاريخ فلسطين الحديث» للكيالي ص(٤٥)..

.. وكلّما قرأت هذا الخبر، تقطّع قلبي ألمًا.. لأنني أحصر التاريخ أمامي لأفتش فيه عن مثل هذا الصنيع فلا أجد.. وأسأل: لو كان الحاكمُ في قلبه ذرةٌ من الإيمان: باللَّه، والرسول، والوطن، والإنسانية والقوميّة، والحضارة، والكرامة، والشهامة والمروءَة.. لو كان في قلبه ذرة من هذه المقاييس هل يفعل هذا الصنيع؟ والجواب معروف. الفلاح الفلسطيني: يزرعُ أرضه مرة واحدة في العام إذا جاد اللَّه عليه بالغيث ويجمع منها في كلِّ عام، ما يكفيه قوت العام كلّه.. وإن كثيرًا منهم تسقط عنهم الزكاةُ الشرعية؛ لأنه لا يملك إلا قطعة من الأرض، لا تكاد تدرّ عليه إلا قوت الكفاف.. فبأيّ حقّ تُطلبُ منه الضريبة؟ إن الجزية، أو الخراج يسقطان عن الكتابيّ الذي يعجز عنهما، فكيف يُسْلَبُ مسلمٌ أرضه؛ لأنه عجز عن دفع الضريبة؟ وبأيّ حقّ تؤخذ الضريبة؟ ألأنَّ الحكومة تدفعُ الأعداء عن ثغور الإسلام؟ ألأنها تنشر العلمَ في ديار الإسلام؟ ألأنها تشق القنوات وتُصلح الأرضين؟.

❁ ❁ ❁

(و) إن الحقيقة التي وصلتُ إليها، بعد دراسة متأنيّة، تقول: إن سلاطين الأتراك، لم يُعطوا بيت المقدس حقّه من الرعاية، ولم يكونوا حريصين على بقائه في حوزتهم، إلا لأنه أحد الأماكن المقدسة التي يزعم السلاطين أنهم يحرسونها ويخدمونها، لكسب عواطف المسلمين. وما حرسوها، وما خدموها ولكن شُبّه للمسلمين ذلك.

وإننا لنقول: إنهم فرّطوا في أرضها، ووضعوا حجر الأساس في استيلاء الأغراب عليها، وإنَّ السلاطين الأتراك كانوا قوميين متعصبين لقوميتهم العثمانية، أكثر من تعصب القوميين العرب لقوميتهم العربية، ولم تظهر هذه النزعة على يد الاتحاديين فقط، وإنما وُلدت مع ميلاد الدولة التركية. ومن الشواهد لما ذكرتُه:

١ ـ من الشواهد على قوميتهم، أنهم أصرّوا على أن تكون اللغة التركية هي لغة الدولة مع أنَّ استخدام اللغة العربية ضرورة بل واجب ديني.. وهم أول مَنْ اتخذ لغة أعجمية لغةً للدولة من الأسر والسلاطين العجم الذين كان لهم سلطان شامل على بلاد العرب، فبنو بويه، والسلاجقة كانوا من العجم، ولكنهم اتخذوا العربية لغة، والمماليك ـ مع أن أكثرهم أتوا من وراء البحار ـ اتخذوا العربية لغةً للدواوين، ونجم في عصرهم أعلام الكتابة الديوانيّة:

النويري، صاحب «نهاية الأرب» و«القلقشندي» صاحب «صبح الأعشى».

ومن قبلهم كان بنو أيوب من أصل كردي، وكان في خدمتهم جهابذة من الكُتاب والأدباء. وما كانت تُكتبُ الرسائل على لسان صلاح الدين، إلا بأرقى الأساليب العربية التي كانت سائدة في أيامهم.

ومن الشواهد على القومية التركية، أنك عندما تقرأ مذكرات السلطان عبد الحميد، فإنه يكثر من استخدام مصطلح «الأمة العثمانية» و«الأمة التركية» و«تراث الآباء والأجداد». مع أنه اتخذ «الخليفة» لقبًا له.

٢ ـ عَدَوْا على أرض القدس، وعلى الأوقاف الإسلامية، فقدموها هدية للغرباء.. والأمثلة لذلك كثيرة.

منهــا: المدرسة الصــلاحيّــة، التي أوقفــها صــلاح الدين الأيوبي، لتكون مدرسة عليا يتخرج فيها العلماء. أهداها العثمانيون للفرنسيين سنة ١٢٧٣ ـ ١٨٥٦م وحولوها إلى كنيسة.

وفي سنة ١٨٦٨م أهدى السلطان عبد العزيز فردريك ويلهم، وليّ عهد بـروسيا «بيمـارستان»[١] صلاح الديـن، أو جزءًا منه، وأنشأ عـليه الألمان كنيسة المُخَلّص، التي يسميهـا العرب كنيسة الدّباغة. والمعروف أن هذا المستشـفى (بيمارستـان) بقي يعمل حتى أواسط القرن الثـامن عشر الميلادي ـ الثاني عشر الهجري. وقد جرى افتتاح هذه الكنيسة سنة ١٨٩٨م عندما زار غليوم الثاني القدس في زمن السلطان عبد الحميد الثاني.

ومنها: أن السلطان عـبد الحميـد الثاني، أهدى للإمبـراطور غليوم الثـاني سنة ١٨٩٨م أثناء زيارة الأخيـر القدس، أهداه قطعـة أرض على جبل صِهـيون مساحتهـا نحو دونمين، وبنى عليها الألمان كنيســة سموها «كنيـسة نيـاحة العـذراء» ويصف شاهد عـيان الاحـتفـال باستـلام هذه الأرض، فيقول: «عند الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاثنين في ٣١ تشرين الأول، ســار الإمبـراطور وزوجـه بموكب حـافل إلى مكان النبي داود، المعروف بعُليّة صهون، ولما بلغا المكان المشـار إليه، تقدم توفيق بك سفير الدولة العلية فـي برلين، وأهدى جلالته باسم الحـضرة العلية الـسلطانية أرضًا في ذلك المكان تبلغ مساحتها نحو ألفي متر مربع، وحضرة متصرف القدس قدّم إليه أوراقها الطغرائية الرسمية الواردة من الآستانة العليّة..

---

(١) بيمارستـان: مأخوذة من «بيمار» الفارسية بمعـنى «مريض» و«ستان» بمعنى «مكان» وتدل على المستشفى، وتختصـر أحيانًا فيقال «مرستان» وتطلق عند العامـة اليوم على مستشفى المجانين.

فاستلمها بيده الكريمة وسلّمها إلى وزير خارجيته وتقدم حينئذٍ صاحب الفضيلة الشيخ سعيد الداودي أمام جلالته قائلاً: بناءً على الصداقة الكائنة بين جلالته وعظمة متبوعنا الأعظم، فإننا نقدم لجلالتكم هذه الأرض، ونحملكم على الراحات. .

وخطب الإمبراطور قائلاً: إن ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان أهدى المرحوم والدي الأرض التي بنيت عليها الكنيسة التي تمَّ تدشينها اليوم «كنيسة المخلص».

وأما عظمة صديقي السلطان عبد الحميد خان، فقد أهداني هذه الأرض، وكما أننا بنينا في الأولى كنيسة للألمان الإنجليين، فسوف نبني في هذه كنيسة للألمان الكاثوليك، فشكرًا لعظمته ولآل عثمان العظام» {عن كتاب «الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية، لإبراهيم الأسود ص(١١٣ ـ ١٣٦)}.

. . فهل قرأت أو سمعت أن خليفة عظيمًا يهدي أراضي المسلمين وأوقافهم إلى الغرباء؟ وقد ذكرنا في مكان آخر، أن الإمبراطور الألماني هذا كان متكبرًا متغطرسًا دخل القدس في زيّ الصليبيين، ورفض أن يدخل المدينة من أحد أبوابها حتى لا يكون الإمبراطور تحت سقف أو سلطة أجنبية، فأمرت الحكومة أن يُفتح له باب خاص في هذه المناسبة.

٣ ـ وأما السلطان عبد الحميد الثاني الذي نُقل عنه أنه رفض التوقيع على وطن قومي لليهود في فلسطين، فإن رفَضه لم يكن له تأثير، ولم يفعل شيئًا غير الرفض. . لقد رفض إنشاء دولة، ولكن الهجرة اليهودية السريّة والعلنيّة كانت في ازدياد في أيامه، ولم يتخذ إجراءات حاسمة للفصل في الموضوع. . لقد تولى عبد الحميد الثاني

الخلافة مدة ٣٣ سنة، كان يمكنُه فيها، لو كان جادًّا، أن يُصدر أوامره، لمنْع ازدياد اليهـود في فلسطين بعامّـة، والقدس بخاصـة، مع أنَّ المسألة كانت مُثَارةً، ويعلم بقصتها الخاص والعام.

(أ) تولى السلطان عبد الحميد الخلافة من سنة ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م.. وكانت الحكومة التـركية قبل توليته بسبع سـنوات (١٨٦٩م) قد استولت على أراضي مـرج بن عـامر من أهـلها، وباعـتـهـا بالمزاد العلني، لأن الفلاحين عجزوا عن تسديد الضرائب المترتبة عليهم...

ألم يطّـلع السلطان عـلى هذا الظلـم الذي حلّ بالناس؟ ألـم يكن باسـتطاعـته أن يُعـيـد الأرض إلى أهلهـا، وهو يعلم أنهـا وصلت إلى اليهود؟.

(ب) في سنة ١٨٨٦م بدأت الاصطدامـات المسلحة بين الفـلاحين العرب، الذين طردوا من أرضـهـم، وبين اليهود.. فمـاذا فعلت الإدارة التركيـة؟ أصدرت أمرًا أن لا تزيد مدة إقـامة السائح اليهـودي في البلاد أكثر من ثلاثة أشهر... وهذا إجراءٌ ليس حـاسمًا؛ لأن الإدارة التركية، كانت قـد استشـرى فيها الفـساد، وانتشـرت الرّشوة، مما جعل القـيود المفروضة غير ذات تأثير.

(ج) في سنة ١٨٩٠م، كـان في القـدس متـصـرف اسمـه رؤوف باشا، أبدى تعاطفًا مع العرب، وحاول أن يمنع اليهود من دخول البلاد، ويمنع انتقـال ملكية الأراضي إليـهم.. فعُـزل عن منصبـه، وحلّ محله رشاد باشا، الذي تعاطف تعاطفًـا كاملاً مع مطامع اليهود.. ومَنْ الذي يعزلُ ويولّي؟ إن الأمـر بيد الحكومة التـركية في استـانبول.. ولـم يكن الأمر سرًّا على السلطان: فقد ذهب وفدٌ إلى العاصمة التركية من وجهاء

القدس سنة ١٨٩٠م وقدموا شكواهم إلى الحكومة.

وفي سنة ١٨٩١م قدم وفد من أهل القدس عريضة مكتوبة إلى الصدر الأعظم ـ رئيس الوزراء ـ وعينوا فيها مطلبين: الأول: تحريم الهجرة اليهودية، والثاني: منع استملاك اليهود للأراضي الفلسطينية.

[راجع «تاريخ فلسطين الحديث» للكيالي، ص(٥٠) ـ وأقواله مدعمة بالوثائق]»[1] .

◻ وقبل أي شيء فإن انتشار التصوف في أُخريات عهد الخلافة العثمانية، وسريان البدع في أرجاء دولة الخلافة كانت العامل الرئيسي لسقوطها قبل تكالب الصليبيين الغربيين على إسقاطها وفي التاريخ عبرة لمن يعتبر.

* العهد العثماني في سنواته الأخيرة في بيت المقدس:

بعد دخول تركيا الحرب العالمية الأولى بجانب الألمان، أعلن السلطان محمد رشاد الخامس بوصفه خليفة للمسلمين «الجهاد الأكبر» ضد انكلترا وحلفائها.. وأخذت الحكومة العثمانية تعمل على نشر دعوة الجهاد بين المسلمين.

وأُخرجت راية النبي ﷺ، ووصلت من المدينة إلى بيت المقدس في ٢٠/ ١٢/ ١٩١٤م. وأقيم لاستقبالها حفل كبير في الساحة المحيطة بقبة الصخرة، وختم الاحتفال بإقامة الصلاة في المسجد الأقصى، ووُضِعت الراية هناك مؤقتًا، لإخراجها في اليوم الذي سيزحف فيه الجيشُ على مصر.

---

(١) «بيت المقدس» لشراب ص(١٨٩ ـ ١٩٤).

* ولوجه الله نقول للتاريخ:

أنه لم يهتم الأتـراك بالدفاع عن القدس الاهتـمام اللائق بمكانتـها وفضلها ولذا كان من الغريب اهمال أمر إعداد خطة دفاعية رصينة للدفاع عنها واتخاذ ما يلزم لتنفيذها، بالرغم من مـساعدة طبيعة الأرض المحيطة بالقدس وملاءمتها لأغراض الدفاع بصورة ممتازة، وقد أصدر مقرر القيادة العامة للجيوش العثمـانية (ييلدرم) بالناصرة في ١٥ تشرين الثاني أوامره بإعداد دفـاعات القـدس، وهو أمر كـان يجب أن يتم منذ قبـول الدفاع وصرف النظر عـن مشاريع غـزو مصر والتـقدم نحو الـسويس، أي منذ معـركة الـروماني في آب ١٩١٦م. ولذا لم تكن دفـاعات القـدس عند الهجوم عليها في كـانون الأول من عام ١٩١٧م أكثر من خط واحد من خنادق النار المحفورة حديثًا في أرض كلسية طباشيرية يكشف بها التراب المستخـرج حديثًا ببيـاض لونه خط التحصينات، ولم يكن بهـا ما يكفي لأغراض الدفـاع الطويل من أرزاق وعتـاد ومدّخرات. ولم تجُـهّز بمدافع الحصار الثقيلة ولم تتخذ أي إجراءات فيما يتعلق بموضوع السكان المدنيين وإخـلائهم، أو ترتيب إعـاشـة البـاقين فـي المدينة في ظروف المعـركـة الدفاعـية، وبالرغم من كل ذلك فقـد أشغل الفيلق العـشرون العثـماني بقيادة علي فـؤاد باشا الذي كان مقره في باب الواد مواضـعه للدفاع عن القدس اعتبارا من ٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧م.

أعدّ علي فـؤاد باشا الذي رُقي إلى رتبة لواء دفاعـاته عن القدس، ونظم له «فوذ فالكنهاين» الألماني[١] على أثر قطع الإنكليز طريق القدس ـ

(١) تولى القيادة بمقر القيادة العامة للجيوش العثمانية في بادئ الأمر المشير «فالكنهاين الألماني» وفي أول أذار من عام ١٩١٨م خلفه المشير درليمان فون ساندرس وهو ألماني أيضًا!!

نابلس ـ خط مواصلات أمين يمتد شرقًا نحو أريحا والأردن وسكة الحجاز، ولكن علي فؤاد باشا ـ الذي كان يعتبره فالكنهاين أحسن قادة الفيالق التركية ـ لم يكن مؤمنًا بإمكان الدفاع عن القدس بالنظر للقتال المستمر الذي أنهك فيلقه بالرجال والمعدّات. وكان المشير الألماني يعقد الآمال على وصول القوات الألمانية وغيرها يوم ١٢ كانون الأول، إلا أن جميع الآمال قد انهارت حيث لم يستطع الفيلق العشرون الصمود في معركة القدس الدفاعية حتى لمدة ٢٤ ساعة، إذ تساقطت خطوطه وشرع بالانسحاب، وقد كان لضعف معنويات العثمانيين لدى القائد والجند تأثير كبير لإضعاف العزم على الثبات وهو أول ما يستند عليه الدفاع.

وعُين الجنرال اللنبي يوم ٨/ ١٢/ ١٩١٧م للشروع بالهجوم الكاسح للاستيلاء على القدس، وما إن بدأ الهجوم، قدّر علي فؤاد باشا حراجة الموقف وقرّر قبل ظهر ذلك اليوم استحالة الدفاع عن المدينة ووجوب إخلائها والانسحاب شرقًا.

دخول الإنكليز القدس

في اليوم الثامن من كانون الأول عام ١٩١٧م وفي ليلة الأحد بعث متصرف القدس (عزت بك) يطلب مفتي القدس (كامل الحسيني) ورئيس بلديتها (حسين سليم الحسيني) إلى داره. وفيها خاطبهما قائلاً: قد أحاطت الجنود الإنكليزية بالقدس ولا بد من أن تسقط في أيديهم وأنا سأترك المدينة بعد نصف ساعة سألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم ـ أي تسليم المدينة للفاتحين.

وفي نحو التاسعة من صباح الأحد ٩/ ١٢/ ١٩١٧م خرج رئيس البلدية يصحبه ابن أخيه توفيق صالح الحسيني، ومفتشا الشرطة عبدالقادر

العلمي، وأحمد شريف، وفريق من الشبان منهم رشدي محمد المهتدي، وجواد إسماعيل الحسيني، وحنا إسكندر اللحام الذي كان حاملاً العلم الأبيض، إشارة للتسليم. التقى هؤلاء بالإنكليز في الغرب من المدينة على طريق الشيخ بدر، وأخذ الضابط يسأل الرئيس أسئلة استدل منها على أنَّ العثمانيين غادروا القدس عندئذ دخل الجيش البريطاني البلدة في العاشرة والنصف، وانتهى العهد التركي الذي دام (٤٠٠ سنة) ١٥١٦ ـ ١٩١٧م

ويصف صاحبا تاريخ القدس ودليلها (ص١٣٨ ـ ١٣٩) دخول هؤلاء البريطانيين للقدس بقولهما:

«وفي صباح اليوم التالي انسحب الأتراك من المدينة، فريق منهم انسحب عن طريق أريحا وآخرون ولّوا وجوههم شطر نابلس. وكانت السماء ماطرة، وكان يُخيم على المدينة سحب قاتمة من الرهبة والسكون، فدخلها الإنكليز (الأحد ٩ كانون أول ١٩١٧م) دخلوها عن طريق الشيخ بدر، الحي الكائن إلى الغرب من المدنية، وكان أول عمل قام به الإنكليز بعد احتلالهم المدينة، أن نصبوا عند مدخلها من الغرب، وذلك المدخل الذي دخلوها منه.. وهو الحي المعروف بحي الشيخ بدر، نُصْبا من الرخام الأبيض تذكاراً لفتحهم، نقشوا عليه اسم اللورد اللنبي والتاريخ الذي فُتحت على يده، وأنشأوا حول النصب حديقة ـ وأرادوا أن يرفعوا على النصب صليبًا. إلا أنهم عادوا فعدلوا عن ذلك استجابة لرغبة اليهود. ووضعوا الصليب لا يراه الناظر من بعيد وفي ١١/ ١٢/ ١٩١٧م، وبعد أقل من ستة أسابيع من إعلان وعد بلفور، دخل الجنرال اللنبي القائد العام للقدس من باب الخليل، وأذاع على

سكان بيت المقدس من على درج القلعة الواقعة بباب الخليل البيان التالي إلى سكان بيت المقدس وأهالي القرى المجاورة:

«إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي، أدى إلى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي وفي الوقت الذي أُذيع عليكم هذا النبأ، أُعلن الأحكام العرفية، وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية. . .»(١) .

* الثورة العربية خنجر دامي في الخلافة العثمانية:

في ٩ شعبان الموافق ١٠ يونيو ١٩١٦م ابتدأت الثورة العربية عندما أطلق الشريف الحسين أمير مكة رصاصة الثورة على ثكنات الجيش العثماني، ثم أذاع منشور «الثورة» وما دري هذا الشريف!! أنه خان أمته ووقع في براثن الكولونيل لورانس المسمى بلورانس العرب. . عاشق الصهيونية. . وبجنود الشريف حسين الأعراب دخل اللنبي القدس. . . من يتصور هذا!! ويغرس علمه على جبل صهيون ويقول: لقد انتهت الحروب الصليبية الآن.

* دخول اللنبي فلسطين ومعه الغفاة من القوميين:

فَيا وقفَة التاريخِ يَسكبُ دَمعةً
يُودِّع من ساحاتِهِ الخَضِراتِ

وَيا وَقفَةَ التاريخ يَسكُبُ أدمعًا
عَلَى هَولِ ما يمتدُّ من نكبَاتِ

(١) «بيت المقدس» لشُرَّاب ص(٢١٥ ـ ٢١٦).

وَيَا وَقفَةَ التَّارِيْخ والزّحْفُ مُقْبلٌ
وفرحَةُ قِطعانٍ وفرحَةُ شاةِ
فَيَاأَيُّها الأَقْصَى...! حَنانَيْكَ..هَلْ تَرى
أَكفَّ وفاءٍ أم أكفّ عُداةِ
وهل رَاعكَ الزحفُ الذي شد جَمعهُ
بَنوْكَ وَقَد غذَّوهُ بالمُهُجاتِ
أَلِّلنبي...! وقد خفَّت إليهِ عمائمٌ
ودَفقُ جَماهيرٍ وخفقُ سُعاةِ
ومَا ضرَّهم لو كان فيهم مُضلَّلٌ
وَحِيدٌ يُغَذّي الشرَّ بين هُدَاةِ
ولو كان فرداً واحداً هَانَ أمرُهُ
ولكنهم جمعٌ وحَشدُ غُفاةِ
ولكنهم، يا ويحَ نفسي، أُمةٌ
غفَت وتولاَّها طَويلُ سُباتِ
ومَاجت لهُ الدنيا...! دويَّ مُنافِقٍ
ورجفَةَ رِعديدٍ وهمسَ وُشَاةِ
وصفَّقَ مأجُورٌ... ورجَّعَ أَحمَقٌ
عُواءَ ذِئابٍ أو صَدَى طَعَناتِ
أَلِّلنبي...! وقد أَصغَت مَواثيقُ أمةٍ
إِليكَ، وآمَالٌ وعَهدُ حَياةِ

تكلم...! وقد أصغت قُلوبٌ وأَضلُعٌ
تُرَجعُ من شـوقٍ حنينَ رُفَـاتِ
وَقَتلَى على المَيدان كُنتَ تَقُودُها
أزِمَّتُها عَهدٌ وجَهلُ غُفَاةِ
تكلم...! كأن الغَدرَ يهدرُ من فمٍ
وتَنطلِقُ الأَحقادُ من كلِمَاتِ
أللنبي...! أَزح عنكَ القِناعَ لعلنا
نرَى ما طوَاه المكرُ من صرخَاتِ
فَدَوَّى: هُنَا يُنهي الصليبُ حُروبهَ
ويُمضِي فُنُونَ الموتِ والفَتكاتِ
ويُمضِي معَ الأيام نهجَ إبادةٍ
وخُطةَ تَمزيقٍ ووأدَ حَياة
ودوَّى بها الأقصَى يَمُوجُ بأدمعٍ
مُفَزَّعَةِ الأحزَانِ مُشتعِلاتِ
وَعَادَ رجال المسلمين... وخَلَّفوا
هُناكَ... بقايَا الدمع والحَسَراتِ
يَعضُّونَ من طُولِ الندامةِ كفَّهُم
ويُحنُونَ من هامٍ ومن نَظراتِ
يَمُرون... والساحَاتُ صرَعى ولم تجِد
لها من بواكٍ حولَها ونُعاةِ

وغـــابَت وُعُـــودُ «الإنجليـز» كـأنهـا
بقـــيـــةُ أَحــــلامٍ وَوهـمُ رُوَاةِ
وكـشـرَت الأنيـابُ وامـتَـدَّ مـخلَبٌ
وَعـــوت ذِئابُ البـيــدِ والفَلَوات
ودَوت وُحُـوشُ الغَابِ تسـحَقُ دُونَهَـا
دِيَارًا وتَرمي شـــاهِقَ الـذَّرَوَاتِ
تُمــزق أوصــالَ البِــلادِ غنَائمًــا
تَنَاهَبُــهَــا في جَـهــرَةٍ وبَيَــاتِ
فـيـا أيـهـا الأقـصـى إِسـارُك خـانِقٌ
عَلَى قــبــضَــةٍ تَدمَى وكَفٍّ جُناةِ
تُحـيطُ بكَ الأفـعَى وسُمّ انتِـدابِـهـا
وتَزْحَفُ صِــهــيــونٌ إلى أكــمــاتِ
وتقطَعُ أرحَــامًــا وتنصُبُ بينهَــا
حُــدودًا وتُوري النار في أجَــمــاتِ
إِذا سَـقَطَ «الأقـصـى» فكل دُروبهـم
مــفــتَّــحَــةُ الأبوابِ والطُرُقــاتِ
فسِيري «فرنسا» ها هُوَ الدّربُ شقه
لِزحــفكِ ليلٌ حَــالكُ الظُلُمــاتِ
أفـــاقَت دِمــشقٌ والرَّدى يدفَع الرَّدَى
ودَفعُ المنَايا صَــاعِقُ الخَطَفـــاتِ

فَهبَّ إلى ساحاتِها الصِّيدُ والتقتْ
مَلاحمُ من هولٍ ومن غَضَباتِ
فيا «مَيْسَلُونُ» استرجعي دمعَةَ الأسى
ويومًا يُرَوِّي الدهرَ بالعَبَراتِ
أحاط بك المكرُ اللئيم وأطبقت
عليكِ زُحُوف الموت والنكبَات
فرنسا...! وهذي الشامُ لمت دُموعَها
على حُرقَةِ الأجفانِ واللَّمَحَاتِ
وهذي دِمشقٌ والليالي تَمدُّها
مآتِمُ أَجيالٍ ونَعيُ كُماة

❁ ❁ ❁

غورو الصليبي وقبر صلاح الدين

لما وقف غورو على قبر صلاح الدين ركله بقدمه وقال: ها قد عُدْنا يا صلاح الدين!

أَعِيدي صَدَى «غورو» ووقفَةَ فاجرٍ
جَبانٍ وزيفَ المجدِ والدعَواتِ
وَقَفتَ على قَبرٍ يَضُمُّ جِدارُهُ
جَلالَ حَياةٍ في جَلالِ مَمَاتِ

أرَاعَكَ هذا القبرُ أم رَاعَكَ الذي
يَضم من الأَحداثِ والوقعَاتِ
حَسِبتَ الذي في القبرِ مَيْتًا... وإنَّه
شَهيدٌ مضى للَّه في وثَباتِ
فخانَكَ من عزم الرجالِ عزيمةٌ
وَرُحتَ ذَليلَ الصوتِ والخَطواتِ
تُنادي صلاح الدين مَهلاً فإنَّه
يُدَوِّي دويّ الساحِ والحَلباتِ
دَويًّا يهزُّ الأرضَ تحتَكَ هزةً
وينزَعُ من جَنبيكَ أيَّ ثَباتِ
نِداؤكَ كيدُ الظالمين وكبرُهُم
وزيفُ حَضارَاتٍ وزيفُ دُعَاةِ
نِداءُ جَبانٍ جَاوزَ الكِبرُ جُبنَه
فَخر صَريع الكِبرِ والسكراتِ
هُزِمتَ أمامَ القبرِ شرَّ هَزيمةٍ
كما هُزِمَ الأجداد في غَزَواتِ
نداءُ صلاح الدين مِلءُ حَواضرٍ
ومِلءُ زمانٍ زاهرٍ بشُداَةِ
أُولئك إن شِئتَ الجدودُ فَسلْهُمُ
لعلكَ تَلقَى الصدقَ بَيْنَ رُفَاتِ

جُـدُودُك طوَّاهم تُرابٌ وغَيهَبٌ
وَوَارَاهُمُ التاريخُ في حُفـرَاتِ
أولئك...! سَلهُم عن شِعارٍ ورايةٍ
ومَا زيَّفَوا من جَوهرٍ وسِمَاتِ
أحُرِّيَّةُ الإنسانِ خنقُ حناجرٍ؟
وزَيفُ إخاءٍ في لهيب تِرَاتِ
وزيفُ مُساواةٍ على جَاهليةٍ
مُؤَجَجَةِ الأهواء والنزَواتِ
وهذا صلاحُ الدينِ مجدٌ مُؤثلٌ
على الصِّدقِ مَنشُورٌ على صفحَاتِ

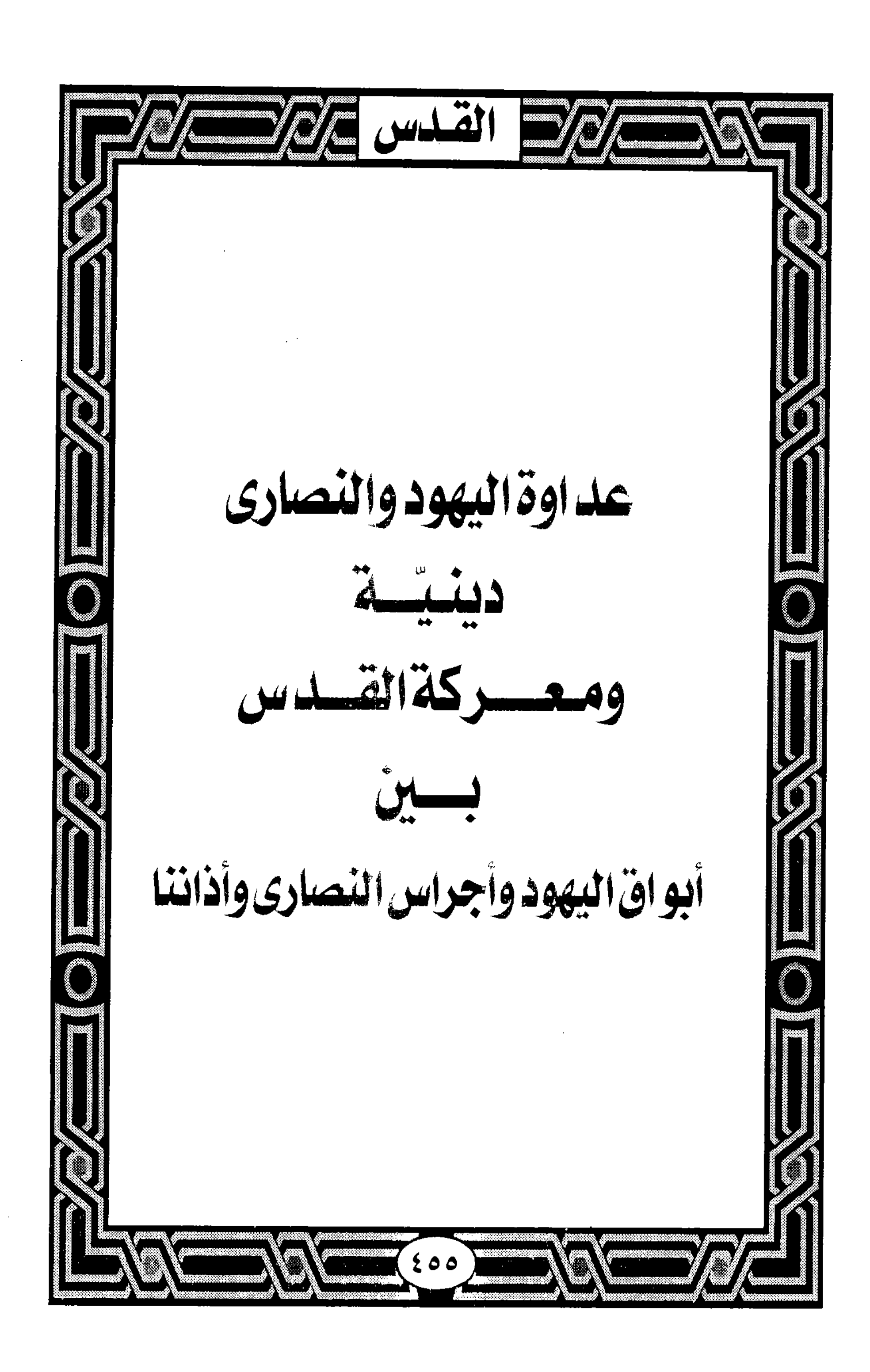
❀ ❀ ❀

فَأينَ «بْرِطانيا»... أين عَهدُ عصَابَةٍ...!
وَأينَ «فَرنَسَا»... من حَنانِ عِظَاتِ
وَأينَ «كِلايتُون»... أينَ «لُورَنسُ» حرَّكا
خُيوطًا ومدًّا بينَهما شبكاتِ
رَسَائِلَ «مكمَاهُون» خُطت بأدمُعٍ
وبِالدمِ دَفَّاقًا على هَضَبَاتِ
طَوتهُم زَوايا «سَايكس بيكُو» وقسَّمُوا
على شَهوةِ الأَطماعِ والنزَعاتِ
ووعدٌ علَى «بلفُور» تَحميه عُصبَةٌ
وَتَدفعُهُ في الجَهرِ والعَتَماتِ

فَبَكّوا كما تَبكي النِساءُ وَولوِلوا
على غُصَصٍ من دَمعِها شَرِقاتِ
وَهَل بَاتَ يُجدي الدمعُ والدارُ أَصبَحَت
على ذُلِ أهليها سَخيّ هِبَاتِ
وَأينَ شِفَاءُ الدمعِ والنصلُ قَد جَرَى
يَحزُّ رُءُوسًا أسلَمت لِعُتاةِ
عُتَاةٍ... أصَابُوا الزرع والضرع والحشا
ومَدّوا قَناةً أُتبِعَت بِقَنَاةِ
يَجُودون بالأقصى لصِهيونَ مِنحَةً
وَيَرمُون بالأعراضِ والفَلَذَاتِ

❁ ❁ ❁

وهَل كانَ يَدرِي «الإنجليزُ» بأنهُم
سَيَلقَون عُقبى الشرِّ والتبِعَاتِ
سَيَلقَون والأحلافَ يَومًا يَهُزهم
ويَنقَضُ من دارٍ ومن شُرُفَاتِ
تَخِرُّ سُقوفُ الدارِ فَوقَ رءُوسهم
ويَهْوُون في وادٍ من الظُّلماتِ
يُحِيقُ بهم مكرٌ رَموا ويسُومهُم
مَن الذلِّ ما سَامُوهُ من ضَرَباتِ
فلسطينُ هل أبقيتِ دمعًا لنائحٍ
حنانيْكِ من شوقٍ ومن عبراتٍ



عداوة اليهود والنصارى دينيّة ومعركة القدس بينْ أبواق اليهود وأجراس النصارى وأذاننا

عداوة اليهود والنصارى دينيّة

من أصدق من اللَّه قيلاً؟! ومن أصدق من اللَّه حديثًا؟!

* قال الحق عـز وجل وكلام الملوك ملوك الكلام: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

* وقال تعـالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

إن عداوة اليـهود والغرب لنا دينيـة وعداوتنا لهم دينيـة. إن طبول الحـرب على أبواب القدس تـخالطهـا وتعلوها أبواق اليـهود وأجـراس النصارى، فلمـاذا يتغابى ويتغـافل المتربعين على كراسي القـيادة والريادة الفكرية والإدارية لأمة الإسلام...

إن تغـيـيب الإسلام عن مـعركـة القدس وفلسطين خـيانة يرتكبـها العلمانيون.. وستجتمع الزنود والسواعـد المتوضئة حول صيحات الأذان تحلو لهم رنّات التكبـير ويفقهـون معنى الشهـادة، ولا سبيل غـير ذلك لعودة القدس.

ينطلق اليهود في صراعهم مع المسلمين من منطلق ديني؛

مسـمى دولتهم إسرائيل سُـمّيت باسم نبي اللَّه يعقـوب وهو أيضًا إسرائيل عليه السلام، والأرض التي احتلوها هي أرض وعدهم الرب بها منذ القدم مثلما تقول توراتهم المحرفة.

ونجمة داود في وسط علمهم، والرمـز الرسمي لدولة إسرائيل هي الشـمعدان بفـروعه السـبعـة ترمز لأيام الخليـقة السـبعـة. وهذه بعض النصوص التي تؤيد ما نقول:

قال «هرتزل»: «إن فلسطين التي نريد هي فلسطين داود وسليمان»[١].

وقال «إيغال آلون»: «جاء اليهود إلى البلاد لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون أنها كانت أرض آبائهم، الأرض التي وعدها اللَّه لهم، ولذراريهم في العهد القديم المبرم قبل آلاف السنين بين اللَّه وبين إبراهيم»[٢].

وقال «مناحيم بيجن» في كتاب الثورة: «منذ أيام التوراة وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأبناء إسرائيل، وقد سميت هذه الأرض فيما بعد فلسطين، وكانت تشتمل دومًا على ضفتي نهر الأردن. إن تقسيم الوطن عملية غير مشروعة، ولن يحظى هذا العمل باعتراف قانوني، وإن توقيع الأفراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطلة من أساسها، وسوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها وإلى الأبد»[٣].

وقال أيضًا في ٢٨/ ٥/ ١٩٦٨: «إن الأراضي العربية المحتلة هي أراضي إسرائيلية حررتها إسرائيل من الحكم الأجنبي غير الشرعي»[٤].

وقال «بن جوريون» في تبرير حرب ١٩٥٦م ـ : «إنه يوطد أمن إسرائيل ويحميها من العدو، ويحرر أرض الأجداد من الغاصبين»[٥] وبنفس الأسباب برر «ليفي أشكول» العدوان الإسرائيلي على فلسطين عام ١٩٦٧م حيث قال: «حماية إسرائيل، وتوطيد أمن إسرائيل، وتحرير الأرض من الغاصبين»[٦].

---

(١) «يوميات هرتزل» ص(٧٢)، مجلة صوت الأقصى عدد (١) سنة ١٤٠١هـ ص(٤).

(٢) جورجي كنعان: «وثيقة الصهيونية في العهد القديم» ص(٢٣).

(٣) «أهداف إسرائيل التوسعية» لمحمود شيت خطاب ص(٢٩).

(٤) المصدر السابق ص(٢٦).

(٥) «أهداف إسرائيل التوسعية» ص(٥١).

(٦) المرجع نفسه.

▭ وقال «إيجال آلون» في تصريح أدلى به في ١٩٦٩/٩/٤م: «إن القدس ستظل موحدة إلى الأبد بصفتها عاصمة إسرائيل»[١] .

▭ وقال «بن جوريون»: «ولا معنى لإسرائيل من غير القدس، ولامعنى للقدس من غير الهيكل»[٢] .

▭ وقال أيضًا في ١٠/١٠/١٩٦٧م: «إن القدس الموحدة ستظل اليوم وإلى الأبد عاصمة لإسرائيل، كان هذا الوضع منذ ثلاث آلاف عام، وسيظل كذلك حتى نهاية الأيام»[٣] .

*** وجوب تحرير أرض إسرائيل في نظر الحاخامات:**

يرى حاخامات اليهود وجوب تحرير أرض إسرائيل من الغاصبين، وهم يعتبرون الجيش الذي يقوم بذلك جيشًا مقدسًا، كما قال الحاخام «تسفي يهودا كوك» ـ الزعيم الروحي لجماعة غوش أمونيم ـ: «إن الجيش الإسرائيلي كله مقدس؛ لأنه يمثل حكم شعب اللَّه على أرضه، وملكوت السماوات تتجلى حتى في حكم دافيد بن جوريون»[٤] .

وكان أبرز ما قاله الحاخام «كوك» في عشية حرب الأيام الستة، إذ كشف النقاب عن أنه بكى عندما اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م بتقسيم فلسطين، وذلك عندما كان جميع اليهود يرقصون ويحتفلون بالقرار وصرخ في الحضور: «أين

(١) المرجع السابق ص(٤٦).
(٢) المرجع السابق ص(٣١).
(٣) المرجع السابق ص(٤٢).
(٤) «غوش أمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية» لداني روبشتاين ص(١٥).

نابلس؟ أين أريحا؟ أين نهر الأردن؟ إنها جميعًا لنا»[١].

وفي أواخر صيف عام ١٩٦٧ عقد في مؤسسة الحاخام هرتسوغ في القدس المؤتمر الأول لخريجي المدرسة الدينيـة، حول وجوب تحرير أرض إسرائيل.

وقد وجه المشتركون الشبـاب ثلاثة أسئلة لمئات الحاخامين في جميع أرجاء إسرائيل وكانت الأسئلة هي:

- هل يسمح حـسب تعاليم التـوراة التخلي عن مناطق مـحررة من (أرض إسرائيل)؟.

- هل يسمح التخلي عن مناطق خـوفًا من استيعاب عـدد كبير من العرب داخل حدودنا؟

- هل يجب أن يرغمنا الضغط الدولي على الانسحاب؟

وقد أجاب مئات الحاخامين بإجابة واحدة: «يجب عدم التخلي عن أي جزء من أجزاء أرض إسرائيل»[٢].

وقد أجاب الحـاخام الرئيسي آنذاك: «إسحاق نسـيم» على الأسئلة بأن أورد فقرة من أحاديث الحـاخام الأكبر «موشه بن ميمـون» قال فيها: «لقد أمرنا بأن نرث البلاد التي قدمها اللَّه تعالى لأبائنا: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولن نتركها في يد غيرنا من الأمم، أو للصحراء».

وقال الحـاخام نسـيم: «إن الإجابـة واضحة وحـاسمـة وهي: أنه

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) لقد نشرت ردود الحاخامين والأسئلة المتعلقة بأرض إسرائيل في صحيفة «موراشا» الناطقة بلسان شـبان حزب «المفدال» ومـدارس بني عكيبا. كمـا نشرت في كثيـر من الصحف. (غوش أمونيم ص١٩ - ٢٠).

حسب مـا نصت عليه التـوراة ليس لأحد الحق في إسـرائيل بما في ذلك حكومة إسرائيل إعـادة شبر واحد من حدود دولـة إسرائيل الموجودة في أيدينا».

وقد أجاب الحاخام «حاييم هليفي» بمحاضرة «حول بداية الخلاص» الذي نشـهده بأم أعـيننا سواء شـئنا أم أبينا وقال: «إن من يفكر بـإعادة أرض إسرائيل للأجانب يخالف مبـادئ الديانة اليهودية، وإن من يخاف الأقلية العربية الكبيرة فإنه كـمن ينتهك حرمة يوم السبت، وإن ثقته باللَّه ضعيفة للغاية».

◻وقال الحاخـام «يهودا غرشوني»: «إن العرب المقـيمين في البلاد يحتلون جزءًا من بلادنا، خلافًا لتـعاليم التوراة، وهم غرباء ويجب عدم توقيع أي تحالف معهم؛ لأننا مطالبون باحتلال البلاد واستيطانها».

◻وقـال الحاخـام «ش. يســرائيلي»: «إن محـاربة العـرب مثلهـا كالحرب المقـدسة التي وصفها الحـاخام موشه بن ميـمون بأنها يجب أن تشن ضد ثلاثة هم: عمليك، والشعوب السـبعة، ولمساعدة إسرائيل من أي جيش أجنبي يعتـدي عليها. وإذا لا توجد علينا الآن فريضـة احتلال البـلاد لتحـريرها من يد الغربـاء، فإننا لم نشن الحـرب للاحتـلال، بل للدفاع الصرف: أي مساعدة إسرائيل من الاعتداء الأجنبي».

◻وقال الحاخام «ن. ص. فريدمان»: «إن هناك مشاكل ذات طبيعة سياسية وأمنية، ولكنها غير قـائمة بالنسبة لامتلاك مناطق البلاد؛ لأن ما يتعلق بتحـرير البلاد واحتوائها ذو طابـع ديني وتوراتي. وتقول التوراة: إنه ليس لأحد الحق في التخلي عن أي شبر من أراضي بلادنا المقدسة»[1].

---

[1] انظر: «غوش أمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية» لداني روبنشتاين ص(١٥).

هذه أقوال حـاخامـات اليهـود، وهي تدل دلالة صريحـة على أن القتـال في فلسطين واجب ديني مقدس لتـحقيق وعـد اللَّه لبني إسرائيل وتحرير أرض إسرائيل.

قال مـدير إحدى الكليـات العسكرية: «إن تدريس المـعارك التي جاءت في التوراة ضروري للتربية النفسية للجندي الإسرائيلي»[١].

فالعقيدة الدينية أفضل حجة عند اليهود؛ لإقناع الشباب بالقتال من أجل إقامة دولة إسرائيل الكبـرى على أرض الميعاد في فلسطين، ولذلك حينما سمع الشباب اليهودي الحاخام «كوك» يقول بمناسبة تقسيم فلسطين ـ عندما كان جَمعٌ من اليهود يرقصون ويحتفلون بالقرار أي قرار التقسيم ـ «أين نابلس؟ أين أريحا؟ أين نهر الأردن؟ إنها جميعًا لنا»[٢] ذهبوا وتجندوا في وحداتهم، واحتلوا القدس وأريحا، وحققوا ما تدعو إليه عقيدتهم.

وقد اعتمد «هرتزل» على الحاخامين لتحقيق أهداف الصهيونية التي تتفق مع الدين اليهـودي فقال: «مما يدل على أنني لا أعمل لغـير صالح الدين، أنني أريد أن أتعامل مع الحاخامين، جميع الحاخامين»[٣].

وقد حدد «هرتزل» دور الحـاخامين بقوله: «سوف يقوم حـاخامونا الذين نتوجه إليهم بنداء خاص بتكـريس طاقاتهم لخدمة فكرتنا، وسوف يوحون بها إلى رعيتهم، عن طريق الوعظ من على منابر الصلاة»[٤].

وقال أيضًا: «سنقوم بنداءات خاصة لاشتراك الكهنة: يذهب مع

(١) كامل الشريف: «العقيدة الإسلامية ومعركة التحرير» ص(٧٨ ـ ٧٩).
(٢) داني روبنشتاين: «غوش أمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية» ص(١٥).
(٣) «يوميات هرتزل». نقلاً عن «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح ص(١٨٣).
(٤) مجلة صوت الأقصى عدد ١ ص(٤).

كل جماعة حاخامها، وبهذا تسير هذه الجماعات سيرًا طبيعيًّا، فيكون الحاخام نواة الجماعة، وسيكون هناك جماعات بقدر عدد الحاخامين، سيفهم الحاخامون قضيتنا أولاً، ويتحمسون لها، وهم بدورهم ينقلون هذه الحماسة للآخرين من على منابرهم»[١] .

ولم يغفل هرتزل عن التأكيد بأن «الشيء الوحيد الذي ما زال يجمعنا هو إيمان آبائنا. . الإيمان يوحدنا. . »[٢] .

في غضون عامين فقط من الجهد، استطاع هرتزل إقناع عدد كبير من الحاخامين، بحضور جلسات المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بازل عام ١٨٩٧م، حيث اقترح أحدهم، ويدعى «سيف»، العمل على تدريب اليهود الروس على السلاح في أميركا.

وعندما سئل «موشي ديّان» بعد حرب حزيران:

ـ هل كنتم تشعرون أن اللَّه معكم في معركة يونيو؟

أجاب:

ـ كنا نشعر أننا في جانب اللَّه.

وقال مرة:

ـ إن جيشنا ليست مهمته الأساسية حماية الصناعات، وإنما رسالته حماية المقدسات وعلى هذا الأساس يتدرب ويقاتل. . »[٣] .

فهو يعزو سبب الإنتصار إلى الإيمان باللَّه، وفي نص آخر يعزوه

---

(١) يوميات هرتزل: نقلاً عن «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح ص(١٨٤).

(٢) المرجع نفسه.

(٣) هادي المدرسي: «الصراع الإسلامي الإسرائيلي» ص(١٤).

إلى النفسية التي هي: «مزيج من الحب والإيمان والوطنية»، وإلى «تمسك اليهود بالعـقيدة التي صهرتها آلاف السنين من التـشرد والاضطهاد. .»، رابطًا بين معرفـة اليهود الدقيقة بالـفنون الحربية وبين ذلك «المزيج» وهذا «التمسك»:

«إن الصفات العسكرية الإسرائيلية المتمثلة بتكتيك وتوقيت ممتازين، وبمعرفة دقيقة للفنون الحربية، هي التي حولت الانكسار العربي في نهاية الأمر إلى هزيمة كـلاسيكية، ستـدرس بإعجاب في الكليات الحـربية في مختلف أرجاء العالم، ويكمن وراء هذه الصـفات الملموسة تمسك اليهود بالعقيدة التي صـهرتها آلاف السنين من التشرد والاضطهاد، وتصـميمهم الأكيد على تأمين بقاء إسرائيل كاملة.

كل واحـد منا حارب من أجل شيء هو مـزيج من الحب والإيمان والوطنية، وكنا نشعر أننا نقاتل لمنع سقوط (الهيكل الثالث). . .»[١] .

□ يقول «أنـدريـه شوراكي»: «إن التوراة العـبرية والتقـاليـد التي حواها كـتاب التعاليـم «التلمود» صارت من بعـدُ وطنًا للشعب الذي لا أرض له»[٢] .

□ ويقول المفكر الـصهيـوني: «يحيئـيل بينس»: «إن القومـية التي أمثلها، هي تلك القومية التي روحها التوراة، وحياتها مستمدة من تعاليم التوراة، ووصاياها. . إن الدين هو مصدر القومية»[٣] .

□ قـال «حـاييم وايزمـان» ـ أول رئيس لدولة العـدو ـ: «لما بلغت

---

(١) جريدة التايم ١٦/٦/١٩٦٧ نقلاً عن المسلمون والحرب الرابعة لزهدي الفاتح ص(١٩٤).

(٢) «دولة إسرائيل» لأندريه شوراكي ص(٨).

(٣) «قضايا الدين والمجتمع في إسرائيل» لأسعد رزق ص(١٤٢).

الرابعة من عمـري ذهبت إلى مدرسة الدين اليهـودي - وهذا ما لا غنى عنه لأي طفل يهودي - وخلال السنوات التي قضـيتها في مدارس الدين تلك، كان عليَّ أن أدرس أشياء من أصول الديانة اليهودية، والذي ملك عليَّ لبي سفر الأنبياء»[١] .

◻ وانظر إلى أثر العقيدة اليهودية على اليهود من الناحية الاجتماعية لقد أثرت العقـيدة الدينية في الناحية الاجتـماعية تأثيرًا كبـيرًا، إلى حد الالتزام بمباديء التوراة والتلمود من قبـل الشعب، على جميع المستويات حكامًا ومحـكومين، فعقيدة السـبت عندهم مقدسة، حـيث تتوقف في ذلك اليوم جميع الأعـمال والدوائر الرسمية وغير الرسمـية، ويلتزم بها الرئيس كما يلتزم بها الفـرد، فقد سار «بن غوريون» في جنازة «ديغول» ثماني ساعات على قـدميه، ورفض أن يركب السيارة؛ لالتزامـه بعقيدة السبت.

وكذلك حصل مع «بيجن» في جنازة السادات.

وقـد طلب اليهـود تقـديم اجتـمـاع فك ارتبـاط القوات المصـرية والإسرائيلية إلى الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الجمعة، بدلاً من مساء ذلك اليـوم؛ لأنه بداية يوم السـبت عندهـم، فأجـيب طلبـهم وعـقـد الاجتماع في الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة في الخيمة (١٠١) وهو وقت صلاة الجمعة عند المسلمين!!

والطعام في شريعة اليهود نوعان: «كوشير» وهو الذي أباحه موسى عليـه السلام شـفـويًّا، و«كشروت» وهو الذي أباحـته التوراة بالنص،

---

(١) «التربية اليهودية في فلسطين المحتلة» ص(٦٥).

ويلتزم اليهود بهذا الطعام، فتخـضع جميع المؤسسات الغذائية التي تقدم الطعام إلى مراقبـــة «دار الحاخـامية»، ومن هذه المؤسســـات الفنـــادق والمطاعم.

وقد كان طعام الوفد الإسرائيلي الذي شارك في مؤتمر القاهرة يأتي يوميًّا من النمسا حرصًا على مراعاة التعاليم اليهودية في الطعام.

وحرص «بيـجن» على أن يكون طعامـه أثناء وجوده في مـصر من «الكوشير» زيادة في الالتزام الديني[1].

◻وحينـما أراد العدو اليـهودي إقـامة سـفارة له في القـاهرة أصرّ اليهود على أن يكون موقع السفارة على الجهة الغربية من النيل. . . لماذا؟ لأن حدودهم تنتـهي عند الضفـة الشرقيـة؛ ولذلك رفض اليهود إقـامة السفارة على الضفة الشرقيـة، وأصرّوا على أن تكون على الضفة الغربية احترامًا لعقيدتهم في أن حدود إسـرائيل الكبرى تنتهى عند الجهة الشرقية من النيل.

◻وحين دخلت بعض كتائب الجيش اليـهودي في أرض سيناء عام ١٩٤٨م وقفت السـيارة الأولى وفيـها نسخـة كبيـرة من التوراة، وهبط الضــباط والجنود من السـيارات وقـبّلوا تراب سيناء قـبل أن يجتـازوها؛ لأنهم يعتبرون سيناء ملكًا لهم.

والقيادة العسكـرية تراعي تعاليم الدين مراعاة دقيقـة، فهم يضعون في كل دبابة نسخـة من التوراة، ويعـينون لكل كتيـبة واعظًا دينـيًّــــا،

(١)«صراعنا مع اليهود في ضـوء السياسة الشرعيـة» للدكتور محمد عثـمان بشير ص(٨٧ ـ ٨٨) دار الفلاح.

يحـرضهم على القتـال ويمنيهم بالجنة، ولا يبـدأون القتـال مطلقًـا يوم السبت، ويؤيد ذلك مـا جاء على لسان «بيغن» في أثناء الغـزوة الدموية للبنان: «إن طائرات العال لن تحلـق في يوم السبت احترامًـا لذلك اليوم المقدس»[١]، ويتفاءلون ببدء القتال يوم الإثنين، كما كان يفعل أنبياؤهم، ويطلقون على مـعاركهم أسـماء ترتبط بالدين: فحـرب ١٩٤٨م أطلقوا عليـها: «حرب الـتحرير» أي: تحـرير أرض إسرائيـل، وحرب ١٩٦٧م أطلقوا عليها: «حرب الأيام السـتة»، رغم أنها لم تكن ستة أيام؛ ولكن لأن «النبي يوشع» شن حـرب الستة أيام على أعـدائه يوم الإثنين، وظل يحاربهم إلى أن حلَّ مساء الجمعة، فطلب من اللَّه أن يؤخر غروب ذلك اليوم؛ حتى يجهز على أعدائه قبل أن يبدأ يوم السبت.

* وللعقيدة اليهودية أثر كبير في الحركة الصهيونية:

◻ يقول هرتزل: «الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد»[٢].

◻ وأكد هذا المعنى «وايزمان» أول رئيس لدولة الكيـان الصهيوني، فقال: «إن الشـعور الديني هو مصـدر الصهيونيـة والحافز لقيـامها، هذا الشـعور الناجم عن التـقاليـد والمعتـقدات اليـهودية، والمبني علـى أقدم الذكريات للبـلاد التي نشأت فيهـا الحياة اليهـودية الأولى، والتي مارس فيها اليهود حريتهم»[٣].

---

(١) «ملف إسرائيل ـ دراسة للصهيونية السياسية» لجارودي ص(٢٠).

(٢) «المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح ص(١٨٦).

(٣) «الصراع الإسلامي الإسرائيلي» لهادي المدرس ص(١٥).

▫وقال «ليفي أبو عسل»:

«إن موسى كان أول من شـيَّد صرح الصهيونيـة، ووطَّد دعائمهـا ونشر مبادئها السياسية، وقـد أثبت الواقع أن الصهيونية ليست في عهدنا هذا سوى حلـقة من سلسلة متـصلة حلقاتهـا، بعضـها ببـعض اتصالاً مستمسكًا وثيقًا ومتوافقة أجزاؤها تماسكًا محكمًا شديدًا. . »[١].

وواضح من كلام الصـهيوني «ليفـي أبو عسل» أن الصهيـونية هي بعينهـا الحركة اليهودية التي أجـجت الروح القومية عند اليـهود منذ أيام موسى عليـه السلام. وعن علاقـة الصهيونيـة باليهودية قـال «إسرائيل ابراهامز»: «لقد أجمع يهود العالم على أن قومـيتنا اليهودية المشتركة لن يكتسحها قصيروا النظر المتعصبون من دعاة الوطنية المحلية، فجميعنا إذن صهـيونيـون بحكم أن الصهيـونية هي التي تقـوي فينا روح التـضامن، وتشعرنا بقوميتنا اليهودية المشتركة»[٢].

▫وقال وايزمان لبلفور عندما عرض عليه شرق إفريقيا:

«إذا عرضت عليك باريس بدلاً من لندن، فـهل تقبل؟ فاسـتغرب بلفور هذا السؤال، وقال: ولكن لندن هي لنا».

فـقال وايزمـان: «وهكذا القـدس إنهـا لنا منذ كانـت لندن قاعًـا صفصفًا، فهز بلفور رأسه موافقًا، وقال: «هذا صحيح».

▫ ولما اعترض أحد الوزراء على احتـلال الجولان، وعلّل اعتراضه بعدم وجـود روابط توراتية، رد عليـه «إيغال آلون» بقـوله: «إن الجولان

---

(١) «جذور البلاء» لعبد اللّه التل ص(١٤٣).

(٢) المرجع السابق.

قطعة من إسرائيل القديمة لا تقل أهمية عن الخليل ونابلس»[١] وهبّ زعماء إسرائيل يؤكدون أن استيلاءهم على الأراضي المحتلة إنما هو تحقيق لما جاء في أسفار العهد القديم، وأخذوا يستحضرون بعض النبوءات»[٢].

وبعث أحد الحاخامات اليهود ببرقية إلى ديان بعد حرب ١٩٦٧م جاء فيها: «إن وجود إسرائيل في المناطق الجديدة هو تحقيق لأحلام السلف من شعبنا»[٣].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل برر الحاخامات غزو جنوب لبنان، واعتبروا أرض لبنان هي أرض قبيلة «عاشو» التي ورد ذكرها في التوراة... وهكذا فإن إسرائيل تعتمد في سياستها التوسعية على نصوص من التوراة.

◻وقال «بن غوريون» ـ أحد أقطاب الحركة الصهيونية المعاصرة ـ: «أنا يهودي أولاً وإسرائيلي بعد ذلك؛ لاعتقادي بأن دولة إسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره، ونيابة عنه»[٤].

◻وقال موشي ديان بعد حرب ١٩٦٧م: «هذا يوم بيوم خيبر. يا لثارات خيبر»[٥].

وبعد هذه الحرب أيضًا أصدر اليهود بطاقات معايدة، كتب على

---

(١)«الوثيقة الصهيونية في العهد القديم» لجورجي كنعان ص(١٠٣).

(٢)المصدر السابق ص(٧٢).

(٣)المصدر السابق.

(٤)«المسلمون والحرب الرابعة» لزهدي الفاتح ص(١٨٦).

(٥)«قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم ص(٢٨).

بعضها: «هزيمة الهلال»[١]. ورسم على البعض الآخر جنود يهود يطلون بعربدة وفجـور من مآذن المساجد الإسـلامية في المناطق المحتلة، وكـتبوا تحتها: «المؤذنون الجدد في الشرق الأوسط»[٢].

◻ وحينما دخلت جولدا مائير بعد احتلال القدس سنة ٦٧م فكانت جولدا وجميع وزرائها يمشون وراء الحـاخامات حفاة يبكون وهو سائرون نحو حائط المبكى في القدس القديمة.

وحينما وقفت جولدا على شـاطئ خليج العقبة ـ إيلات ـ وأخذت تستنشق الهواء، وتقول: «إني أشم رائحة أجدادي في خيبر»[٣].

فالصراع بيننا وبين اليهود صراع بين الإسلام والكفر.

◻ قال بنيامين نتنياهو في شهر ١٩٩٧/٤م خلال زيارته لأمريكا:

«حين أسير في القدس، أشعـر بأني أسير في المكان الذي خطا فيه الملك داود»[٤].

* انظر إلى هوسهم بالقدس:

لما وافق تيـودور هرتسل على اقتـراح السـياسي البـريطاني الكبيـر «تشمبرلين» في إعطاء اليهود وطنًا قوميًّا في أوغندة بوسط أفريقيا[٥]، ثار غلاة اليـهود على زعيمهـم، واعتدوا على مساعـده «ماكس نُورداو» بالرصاص، واتهموا هرتزل نفسه بالخيانة، وعند اجتماع المؤتمر الصهيوني

(١) المصدر السابق ص(٢٩).
(٢) «لورنس العرب على خطى هرتزل» لزهدي الفاتح ص(٢٣).
(٣) «صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية» ص(١٠٤).
(٤) مقدمة كتاب «القدس. . مدينة اللَّه ـ أم مدينة داود» ص(١٩).
(٥) كحل مؤقت لتشرد اليهود في الدول. وإلا فهرتزل يهودي من ناصيته إلى أخمص قدميه.

العالمي السادس بدأوا يهتفون ضده من القاعة، حتى إذا ما بدأ ينشد «إن نسيتُك يا أورشليم... نسوا هم كل شيء، وصفا له الجو، وسُلِّمت له الزعامة»(١).

هذي ترنيمتهم المقدسة ومزمور من مزاميرهم
(إن نسيتك يا أورشليم فلتُشلُّ يميني
وليلتصق لساني بحنكي إنْ لم أذكرك
إن لم أرفع أورشليم على قمة ابتهاجي)

◻ إن إسرائيل الكبرى تُرسم خطوطها توراتيا من النيل إلى الفرات، «ومَن شك في هذا فليسأل العلم الإسرائيلي ذي الخطيْن الأزرقين اللذين يرمزان إلى نهري النيل والفرات! وليسأل النجمة السداسية المدّعاة بـ «نجمة داود» التي ترمز إلى مملكة داود، والتي يتطابق مثلثاها للدلالة على تعاضد السلطة الدينية مع السلطة المدنية كما كان شأن الدولة في عهد مُلك داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ، وليسأل اللافتة المنصوبة على مدخل الكنيست الإسرائيلي متضمنة الوعد المذكور في التوراة، وليسأل بعد ذلك العملة المعدنية الإسرائيلية التي يتعامل بها اليهود منذ أواخر العقد الماضي صغارًا وكبارًا نساءً ورجالاً وأطفالاً، لتذكرهم كل يوم.. بل كل لحظة وهم يتعاملون بها.. الوعد الذي لم يكتمل وهو «إسرائيل الكبرى» حيث رُسمت على العملة خريطة لتلك الأرض بحدودها من النيل إلى الفرات»(٢).

---

(١) «القدس مدينة اللّه» لحسن ظاظا ص(٣٢).
(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» لعبد العزيز مصطفى كامل ص(٣٤).

☐ ويقول «مناحم بيـجن» في كتـابه «الثورة» ص(٣٢٥): «منذ أيام التوراة، وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأنبياء إسرائيل، وقد سُميت هذه الأرض فيمـا بعد فلسطين، وكانت تشمل دومًا ضـفتي نهر الأردن ولبنان الجنوبي وجنوبي غـرب سورية.. إن تقـسيم الوطن عـملية غـير مشروعة، وإن تواقيع الأفراد والمؤسسـات على اتفاقية التقسيم باطلة من أساسها، وسوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها إلى الأبد».

☐ وقال «شامير» ـ وهو زعيم الليكود بعد بيجين ـ وهو يخاطب جمعًا من المهاجرين: «إن (إسرائيل الكبـرى) هي عقيدتي وحلمي شخصـيًّا، وبدون هذا الكيان لن تكتمل الهجرة، ولا الصعود إلى أرض الميعاد»[١].

وقد فاز بمنـصب رئيس الوزراء بسبب برنامجه الهـادف للعمل من أجل إسرائيل الكبرى.

☐ و«بنيامين نتنياهو» ينتخب عام ١٩٩٦ تأييدًا لبرنامجه الانتخابي، ويكفي أنه اختار للتحالف الذي كان يقوده اسم «أرض إسرائيل».

☐ يقـول: «مناحم بيجين»: «لن يكون سـلام لشعب إسـرائيل ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعـرب، مادمنا لم نحرر وطننا بأجمـعه بعد، حتى لو وقّعنا معاهدات صلح»[٢].

☐ وقال الحاخـام «ماكوفر»: «لا أشك لحظة في أن الجـامع ذا القبة الذهبية والمقام على الصخرة نفسهـا، التي أقام عليها الملك سليمان مركز العبادة العـبرانية في التاريخ القـديم... هذا الجامع سيدمر لـيقام مكانه

---

(١) «السلام الضائع في كامب ديفيد» لمحمد كامل ص(٢٧).

(٢) كتاب «الثورة» لمناحم بيجين ص(٢٣٥).

هيكل القدس الجديد الذي سيعاد بناؤه بكل فخامته».

□ قال بن جوريون مقولته المشهورة، وردّدها بعده مناحيم بيجن: «لا قيمة لإسرائيل بدون القدس.. ولا قيمة للقدس بدون الهيكل».

□ وقال نائب وزير المعارف الإسرائيلي السابق «موشى بيلد»: «إن الهيكل هو قلب الشعب اليهودي وروحه»[١].

□ وقال زعيم منظمة «قائم وحي»: «مهمة هذا الجيل هي تحرير جبل الهيكل وإزالة الرجس والنجاسة عنه» وتابع: «سنرفع راية إسرائيل فوق أرض الحرم، لا صخرة ولا قبة ولا مساجد، بل راية إسرائيل فهذا واجب مفروض على جيلنا»[٢].

□ ولما افتتح اليهود نفق «الحشمونائيم» في سبتمبر ١٩٩٦م تحت المسجد الأقصى قال نتنياهو: «إنني فخور جدًّا؛ ومتأثر جدًّا، فالنفق يمس أساس وجودنا».

إن اليهود كانوا يتبادلون طوال أزمنة الشتات تحية يقولون فيها: «غدا نلتقي في أورشليم»! وبعد أن وصلوا إلى أورشليم أو «القدس» واستولوا على حائط البراق الذي يسمونه حائط (المبكى)، ابتدع لهم حاخاماتهم دعاءً يرددونه في كل صلاة أمام الحائط، وهو عبارة عن قسم وعهد على إعادة بناء الهيكل، ويدعون على أنفسهم باكين أن تلتصق ألسنتهم في حلوقهم إذا هم نسوه![٣].

---

(١) «الأصولية اليهودية» ص(١٠٢).

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(٥٧٤).

(٣) «وقد مرّ من قبل «إن نسيتك يا قدس فلتشل يميني..».

وأول من ردد ذلك الدعاء والتزم هذا التعـهد هم القادة العسكريون عندما دخلوا القدس عام ١٩٦٧م، ووقتـها لم يتقدم (موشي ديان) وزير الدفاع لدخول المدينة المقدسة إلا وراء الحاخـام الأكبر للجيش الإسرائيلي (شلومـو غورين)!، أمـا (إسحاق رابين) ـ رئـيس أركان حرب الجـيش الإسرائيلي آنذاك والذي تحول بعد إلى «ركن من أركـان السلام» ـ، فقد كتب في مذكراته يصف حرارة لحظات دخول القدس والاقتراب من جبل الهيكل. يقـول: «كان صبـرنا قصيـرًا ـ كان يجب أن لا نضيع الفـرصة التاريخـية، كنا كلمـا اقتربنا من حـائط المبكى ازداد الانفعـال.. حائط المبكى الذي يميز إسرائيل، لقد كنت أحلم دومًا بأن أكون شريكًا.. ليس فقط في تحـقيق قـيام إسـرائيل، وإنما في العودة للقـدس، وإعادة أرض حـائط المبكى إلى السيطرة الـيهـودية.. والآن عندما تحـقق هذا الحلم، تعجبت: كيف أصبح هذا ملك يدي!؟ وشعرت بأنني لن أصل إلى مثل هذا السمو طيلة حياتي».

هذا هو رئيس الأركـان الذي أصـبح بعد ذلك رئـيسًـا للوزراء في الحكومة العمالية «العلمانية»!!

❑ أمـا الرئيس الإسـرائيلي نفسـه (زلمان شـازار) فـقد تقـدم هو الآخـر نحـو الحـائط في ذلك اليـوم بخـطى وئيـدة وخلفـه جـمـوع يهـودية صـاخبـة، ويصف المعلق الصحـفي الفرنسي (جـان نويل) هذا المشهد فيقـول: «دخـل «زلمان شازار» رئيس إسرائيل المدينة التي فُتحت، ووقف أمام حائط المبكى، ولأول مرة منذ عـشرين قرنًا يقف رئيس دولة عبـرية مسـتقلة أمام مـعبد سليـمان الكبـير.. إن الإسرائيلـين الملحدين أنفسـهم تأثروا أيضًا بهذه المـشاعر الدينيـة.. إن اليهود لن يُنتـزَعوا من

القدس دون أن تدمى قلوبهم»[١] .

☐ وقال ديّان وقتها: «لقد أعدنا توحيد المدينة المقدّسة، وعُدنا إلى أكثر أماكننا قداسة، ولن نغادرها أبدًا»[٢] .

☐ وقال رابين في مؤتمر السلام في «الدار البيضاء»، وفي ضيافة الدولة المضيفة للجنة القدس!! قال: «إن القدس الكبرى الموحدة، ستظل عاصمة لإسرائيل لأبد الآبدين»[٣] .

☐ أما نتنياهو فقد وقف أمام أعضاء الكونجرس الأمريكي في أول زيارة له بعد فوزه في الانتخابات عام ١٩٩٦م وجهر بعبارة محددة رددها ثلاث مرات، وكأنه يردد قسمًا، قال:

أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد.. أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد.. أورشليم هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد.

ومع تعالي نبرات صوته كلما كرّر العبارة، كانت تتعالى أصوات التصفيق الحاد، لتغطي على صوت الميكروفونات، حتى دوّت القاعة كلها بتصفيق متواصل، وازداد حماسًا بعدما وقف جميع أعضاء الكونجرس الأمريكي لتحيته!

☐ أما (يهوذا البرق) أو يهود باراك فكان أول تصريح له بعد فوزه أن أعلن تمسكه بالقدس عاصمة موحدة وأبدية للشعب اليهودي.

---

(١) «الخلفية التوارتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل كيلاني ص(٣٦).

(٢) «الخلفية التوراتية» ص(٣٥).

(٣) صحيفة «هاتسوفيه» الإسرائيلية ١٢/ ١١/ ١٩٩٤م.

إن العبارة التي قالها بن جـوريون وكان يرددها بعده مناحم بيجن: «لا قيمـة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمـة للقدس بدون الهيكل» هذه العبـارة تتناسب منطقيًا مع النظرة الدينيـة اليهودية للقضـية، وتدل على أنهم يعُون ويعنون مـا يقولون، وإلا فمـاذا تصنع اليهود بدولة يعـقوب (إسرائيل) بدون مـدينة (داود)؟ وماذا يسـتفيـدون من مدينة داود، دون مـعبـد (سليمـان) الذي ترتبط به صلواتهم وحـجهم ومـجمل ديانتـهم (المنسوخة)؟»[1] .

* إسرائيل دولة دينية حتى النخاع:

إن إسـرائيل دولة دينيـة حتى الـنخاع: من اسـمـها، وعـلمهـا، وشعـارها، وعُملتها، ومـؤسسها، وعـاصمتهـا، وحدودها.. تناصب المسلمين أشـد العـداء من أجل دينهم.. ومن يظن غـير هذا من أقـزام العلمانية فهو عريض القفا، غافل، خائن لدينه.

☐ يقـول بن جوريون رئيس وزراء إسـرائيل الأسـبق: «وجب على كل يهـودي أن يهــاجـر إلى فلسطين، وإن كل يهــودي يبـقى خـارج إسرائيل، بعد إنشائهـا يعتبر مخالفًا لتعـاليم التوراة، بل إن هذا اليهودي يكفر يوميًّا بالدين اليهودي»[2] .

☐ ويقول حـاييم وايزمان: «ها نـحن يهود فقـط، ولا شيء آخر، شعب داخل شعوب»[3] .

---

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٢٣، ١٢٤).

(٢) «العرب واليهود في التاريخ» للدكتور أحمد سوسة ص(٣٧١).

(٣) «اليهود» لزهدي الفاتح ص(١٢٠).

◻ ويقول أدولف كريمر اليهودي: «جنسيتنا هي دين آبائنا، ونحن لا نعترف بأية قومية أو جنسية أخرى»(١).

المجتمع اليهودي اليوم في الأرض المحتلة يتألف من المهاجرين من ١٠٢ دولة مختلفة، يتكلمون ٧٠ لغة مختلفة، من شتات الأرض، جمعتهم العقيدة الواحدة، رغم اختلاف اللغات والألوان والقوميات والعناصر والأوطان والأفكار!

إنه الدين اليهودي القلب النابض في عرق كل يهودي، والعداء للإسلام، ويقول دفيد بن جوريون: «نحن لا نخشى خطرًا في المنطقة سوى الإسلام».

أما شيمون بيريز ـ الذي يمثل الحمائم في الأحزاب اليهودية ـ فقد قالها بصراحة: «إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهرًا سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد»(٢).

◻ وبدخول الألفية الثالثة تقترب دورة الزمان في التاريخ اليهودي من الانتهاء، لتبدأ دورة جديدة، دورة زمان (ملك السلام) الذي يعتقد اليهود أنه سيقضي على كل أعداء إسرائيل، وفي رأيهم أنه لا بد من تهيئة عالم الشهادة لقدومه من عالم الغيب.. لا بد من إقامة دولته، وتوحيد عاصمته، وتجهيز منبر دعوته وموضع قبلته!.

أما الدولة فقد أقاموها... (إسرائيل)، وأما العاصمة فقد وحدّوها

---

(١) «اليهود» ص(١٠٦).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» لعبد العزيز مصطفى ص(٣١).

(القدس)، وأما منبر الدعوة وموضع القبلة «الهيكل» فهو مهمة الوقت، وضرورة العصر في الفصل الأخير من الزمن السابق لعهد المخلِّص المنتظر كما يدّعون. وإسرائيل دولة وشعبًا جادة لتنفيذ المؤامرة الكبرى عن طريق:

أولاً: الحفريات تحت المسجد الأقصى:

وقد قطعت الحكومة الإسرائيلية فيها عشر مراحل، وهذه المراحل العشر استغرقت المدة منذ عام ١٩٦٧م وحتى نهاية ١٩٨٠م ولا تزال أعمال الحفريات تجري بطرق أخرى إلى وقتنا هذا.

وهي تستهدف الوصول إلى غاية من أخبث الغايات التآمرية على المسجد الأقصى، ولا تستطيع المنظمات اليهودية كلها أن تقوم بها وهي: تفريغ الأرض تحت المسجدين، لتركهما قائمين على فراغ ليكونا عرضة للانهيار بعد ذلك.

ثانيًا: شق الأنفاق:

وهي عمليات تشترك مع عمليات الحفريات في أنها تهدّد أساسات المسجد الأقصى في المرحلة الحالية، وتسهل أو تكمل مشروع بناء الهيكل في المراحل التالية، وقد تم الافتتاح الرسمي لنفق (الحشمونائيم) في سبتمبر عام ١٩٩٦م وتبنت الدولة العبرية هذه الأعمال. وهناك أنفاق أخرى يجري الإعداد لها والعمل فيها، والهدف منها أن يأتي وقت تكتمل فيه ممرات وشوارع تحت ساحات الأقصى تسهل التنقل تحته في المراحل القادمة.

وإسرائيل بهذا تُلقي برسالة مفادها أن اليهود أصبحوا شركاء في ساحات الأقصى؛ فالأنفاق تجري من تحتها، وبداخلها مساحات تصلح

لأن تكون كنيسًا مؤقتًا، يقيم فيه الراغبون من اليهود صلواتهم في «الدور الأسفل» ريثما يتاح الانتقال إلى الأدوار العليا.

ثالثًا: السور العازل بين المسلمين واليهود:

قبل اغتيال إسحاق رابين بعام، طرح مشروعًا لبناء سور ضخم يمتد بطول ٣٦٠ كيلو مترًا، وارتفاع ثلاثة أمتار، وقد هندس للمشروع (موشيه شاحاك) وزير الشرطة الإسرائيلي، ووافق عليه بيريز، وبدأ تنفيذ المشروع عام ١٩٩٦م.

ولم تقصّر الولايات المتحدة ـ حكومة وشعبًا ـ في دعم المشروع المريب، بل إنها تعهدت بأن يتم تنفيذه كاملاً بتمويل أمريكي خالص، وقد أقرّت له ميزانية منذ عام ١٩٩٣م، وقدّم كلينتون القسط الأول (مائة مليون دولار) في زيارته لإسرائيل عام ١٩٩٦م، وموّلت واشنطن أيضًا عمليات تزويد السور بـ (١٨ معبرًا) وطائرات استطلاع بدون طيار تحلّق على مدار الليل والنهار فوق السور، وأجهزة لضبط المتسللين وكشف المتفجرات، وتقرر تزويد السور ببوابات إلكترونية حديثة تمنع تسرب أي آلة معدنية، وأعلن في الولايات المتحدة عن إرسال معدات تُركّب في الحيّز العرضي للسور مع بالونات عسكرية بها أجهزة رصد تصويرية للحركة على امتداد السور، وسيزود الأمريكان إسرائيل أيضًا بـ(٢٠٦) طائرة هليوكبتر من النوع الخفيف لمزيد من المراقبة على الساحات المحيطة بالسور، وسيؤدي السور ـ الذي سيحوّل المناطق الفلسطينية إلى معتقل كبير ـ إلى حرمان المسلمين في الأرض المحتلة من مجرد التمتع بالنظر إلى أرض المقدسات من وراء الأفق، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال في الحديث الذي مرّ بك: «... **وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن**

فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا».

واسمعوا إلى هذه الأسطورة التي تتحول أمامنا إلى واقع: جاء في كتاب «القابلاه» في شرح التوراة: «توصف القدس بـ(الشخيناه) يعني: الملكوت الذي سيحكم العالم، وستحيط بها المرتفعات؛ حتى لا تصل إليها قوى الظلام، وستعلو جدرانها؛ حتى يعود التوازن إلى العالم»[1].

إذن، تحصين القدس وتحويلها إلى قرية محصنة والاستتار خلف أسوارها مناسب لطبيعة اليهود كما قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾[الحشر: ١٤].

□وأمر آخر هو تسكين اليهود المتدينين لمدينة القدس يسير وفق نسق ديني، يرسم معالمه المتشددون من حاخامات وكهنة وطلاب علوم دينية.

* الاستعداد لبناء الهيكل:

جمع الأحجار أولاً:

وقع اختيار إحدى الجماعات الدينية على حجر كبير «مقدس»!! يزن ٣,٥ طن، فقاموا في ١٥/ ١٠/ ١٩٨٩ بوضعه حجر أساس للهيكل الثالث بالقرب من مدخل المسجد الأقصى، وقال وقتها (جرشون سلمون) زعيم جماعة (أمناء الهيكل): «إن وضع حجر أساس الهيكل يمثل بداية حقبة تاريخية جديدة ـ نريد أن نبدأ عهدًا جديدًا من الخلاص للشعب اليهودي».

وأصبح جمع الأحجار المقدسة من صحراء النقب وغيرها عملاً

(١) «موسوعة اليهودية والصهيونية» للدكتور عبد الوهاب المسيري (٤/ ١٢٥).

تعبديًا للكثير من المعنيين بالتعجيل ببناء الهيكل.

ويقدر عدد الحجارة بستة ملايين حجر «توراتي»، أعدت عائلة (ليفي) اليهودية الثرية التي تملك كسارات حديثة جدًّا في جنوب الأرض المحتلة ـ كميات ضخمة من الحجارة التي لم تلمسها يد إنسان، أو أزميل عامل، حسب وصف التوراة[1] ـ على زعمهم ـ.

وانظر إلى هوسهم حين يقول أحد زعماء اليهود المتطرفين: «عندما ألمس هذه الحجارة وأحملها، أشعر بأن شيئًا من الجنة يتحرك فيها».

□ نبّه تقرير أذاعته وكالة الأنباء الفرنسية في أوائل أغسطس سنة ١٩٩٧م أنه لم يعد سرًّا أن الهيكل تم تصميمه الهندسي في الولايات المتحدة الأمريكية، على يد مستشارين هندسيين من يهود أمريكا.

وذكر التقرير أيضًا أن هذا التصميم وُضِع تحت تصرف الحكومة الإسرائيلية الآن، وتم إعداد فريق متكامل من عمّال البناء سيظلون تحت رهن الإشارة للعمل عندما يحين الوقت[2].

* **وماذا بعد الحجارة:**

أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية في تقريرها في شهر أغسطس عام ١٩٩٧م أن الاستعدادات تجري لتجديد وإحياء التقاليد والطقوس التي ستمارس في الهيكل، بما فيها من مذابح للحيوانات التي ستقدم ضمن الشعائر اليهودية، وذكرت أن الحاخامات ينشطون الآن في تخريج أجيال تقوم على رعاية تلك الطقوس في (معهد الهيكل) بالقدس.

---

(١) نقلاً عن «الخليج» ٦/ ١١/ ١٩٩٧م.

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(٨٨، ٨٩)، نقلاً عن (الشرق القطرية ١٩/ ٨/ ١٩٩٧م).

❑ يقول اليـهودي الفرنسي «إيمانويل هيـمان» في كتابه «الأصـولية اليهودية»: «توجد في القدس أكاديمية تلمودية تؤهل طلبتها لمهمة خاصة، هي إعداد الكهنة الذين سيـقومون بالخدمة في الهيكل الكبـير عند إعادة بنائه، وللاستـعداد لهذه الأيام المجـيدة، يعكف الحاخامـات على دراسة نصوص التوراة لاستخراج أدق التفاصيل لكيفية أداء الطقوس الإلهية كما كـانت تمارس في مملكة (إسـرائيل) منذ ثلاثة آلاف عـام، وبكل الصبـر والعناء، يعيـدون صياغـة أدوات العبادة، ويجمـعون الأواني النحاسـية لتلقي دمـاء الذبـائح وكـئـوس حفـظ السـوائل المقـدسـة وأبواق النداء للطقوس، وعـلى بعد خطوات من حائـط المبكى، أقيم متـحف صغـير لعرض أدوات العبادة على هذه الجماهير المتلهفة، ويأمل الحاخام (مناحيم ماكـوفر) الأمين على هذه المجمـوعة أن يقوم بـنفسه يومًـا بإخراج هذه الأدوات من دواليب العـرض الزجاجيـة لينقلهـا إلى الهيكل بعـد إعادة بنائه، ويقول: «على اليهود أن يقوموا ببناء الهيكل، فهي إحدى الوصايا الإلهية، ولا يجب أن ننتظر معجزة إلهية»[1].

❑ وتُعرض في إسـرائيل في أماكن مـتفـرقة عـشرات من الأدوات الدينية التي سـيحتاج إليـها رُوّاد الهيكل عندما يُبنى، مـثل المعدات التي ستـستخدم في مـعالجة الرماد بعـد التضحـية بالقرابين، والآنية والنبـيذ (المقدس) ومفروشات العبادة[2].

❀ ❀ ❀

---

(١) «الأصولية اليهودية» ص(١٠١).

(٢) «السياسة الكويتية» ٣٠/ ١٠/ ١٩٩٧م.

* الشمعدان السباعي المقدس:

حتى الشمعدان السُّباعي المقدس! تجري الآن بشأنه أشياء وأشياء، فهو أعظم رمز ديني عند اليهود، وهو يرمز لأيام الخليقة السبعة في التوراة، التي يعتقد اليهود أنهم سيتوِّجون اليوم السابع منها؛ ولهذا اتُّخِذ رمزًا رسميًّا للدولة الإسرائيلية، فنراه منقوشًا على العملات، ومطبوعًا على الأوراق، ومبرّزًا على واجهات المنابر ومنصات المحافل، هذا الشمعدان يعتقد اليهود أن قداسة (قدس الأقداس) داخل الهيكل لا تكتمل إلا بإيقاده داخله، والآن يريدون تحويل ذلك الرمز الأسطوري الديني التاريخي ـ والسياسي أيضًا ـ إلى حقيقة واقعة.

والشمعدان السباعي، ليس واحدًا فقط على ما يبدو، ولهذا جرت ولا تزال تجري المساعي للعثور على القديم (الذي يزن ٦٠ كيلو جرامًا من الذهب)، وإنجاز مجموعة أخرى من الشمعدانات الجديدة!

فقد أدلى (باروخ بن يوسف) زعيم منظمة (بناة الهيكل) بتصريح لوكالة الأنباء الفرنسية في أغسطس ١٩٩٧م، قال فيه: «إن جماعته انتهت من صنع شمعدان ذهبي ضخم تم صنعه في أمريكا، ونُقل بالفعل إلى إسرائيل، وقال: إن جماعته بدأت مع جماعات أخرى لإعداد حاخامات متمرسين في هذا الشأن؛ لإقامة الشعائر الدينية التي ستقام في الهيكل»[١].

وبدأ المليونير المصري (موسى فرج) ـ الذي يقيم في أمريكا ـ عام ١٩٩٠م بمباركة شخصية من صديقه الشخصي نتنياهو ـ قبل أن يصبح

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» نقلاً عن «الخليج» ٩/٨/١٩٩٧م ص(٩٢).

رئيسًا للـوزراء ـ في العمل لإنجاز شـمعـدان ذهبي آخـر في الولايات المتحدة، وقـد انتهى من إنجازه كما أكّد ذلك (إيهـود ألمرت) عمدة بلدية القدس.

◻ وانتهـى كذلك من إنجاز عـمل آخر هو (خـيمـة الاجتـماع) أو (خيمة العهد) التي يعتقد اليهود بضرورة وضعها في الهيكل؛ لأنها ترمز إلى الخيمة التي اجـتمع فيها موسى مع الملائكة ـ حسب معـتقد اليهود ـ فوعدته بمجد بني إسرائيل!

وهذه الخيمة الجديدة التي انتهى مـن إعدادها المليونير اليهودي، تم صنعها من خـيوط الذهب الخالص، وقد أهداها بعد إتمامـها إلى بنيامين نتنياهو!، وذلك إضافـة إلى الشمعدان الذهبي الذي خـصّص له المليونير مبلغ ١٥ مليون دولار أمريكي[(١)].

* والتابوت:

والتابوت الـذي يزعم اليهود أنهم سـيحـصلون عليه مـرة أخرى، وسـيكون معـهم في مـعاركـهم الفـاصلة مع أعدائهـم، فيكون النصـر حليفهم!!

هذا التـابوت كان مـوجـودًا في الهيكـل الأصلي داخل ما يُعـرف بقدس الأقـداس، وكان يضم قطعًـا من ألواح التوراة وبقـايا مما ترك آل مـوسى وآل هارون، وتابوت العـهد هذا يـقول عنه أحـد علمـاء الآثار والتاريخ اليـهودي: إنه موجـود في مكان سري في شـمال إثيوبيـا قرب مدينة (أقسوم) العاصمة القديمة للحبشة أيام حكم بلقيس وسليمان.

---

(١) روزاليوسف ١٨/ ٨/ ١٩٩٧م.

ورأي آخر في أن هذا التابوت في مكان ما في الطبقات العميقة تحت (قدس الأقداس)، يعني: تحت الأرض المقام عليها الآن مسجد الصخرة، وهذا هو الرأي التقليدي الشائع.

ولهذا صدرت الفتاوى الحاخامية بحظر دخول اليهود إلى داخل أروقة المسجد خوفًا من أن تطأه الأقدام!!

* والمذبح المقدّس:

وهو في الحقيقة من أهم ما يتعلّق بالطقوس داخل الهيكل، هذا المذبح قد أنجز بالفعل، فقد انتهت منظمة (حركة إعادة الهيكل) من بناء هذا المذبح في منطقة قريبة من البحر الميت، وقد أعد بطريقة تسمح بنقله في الوقت المناسب ليمثل مكانه في قلب مباني الهيكل.

وقد تم التحفظ عليه في مكان أمين بمحاذاة الحدود مع الأردن[١].

* البقرة الحمراء العاشرة (ميلودي):

حسب توراتهم المحرفة ـ وفي الإصحاح التاسع عشر من سفر العدد ـ أن البقرة الحمراء ستأتي إشارة من الرب، تذبح هذه البقرة، وتحرق البقرة جلدها ولحمها ودمها مع فرثها، ويخلط دمها بالماء وتستخدم في تطهير الشعب اليهودي؛ ليصبح مهيأً للدخول إلى الهيكل المقدس.

وعلى حسب تاريخ اليهود، جرت التضحية ببقرة واحدة في زمن الهيكل الأول، وثماني بقرات في زمن الهيكل الثاني، واليوم يستعدون لمرحلة (الهيكل الثالث)، وزمان البقرة «العاشرة».

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(٩٨ ـ ١٠٠).

□ وتعـهّد كـاهن أمريكي يُدعى (كـلايدلوت) ينتمي إلـى جمـاعة (حركة الهيكل الثالث) الإنجيلية الأصـولية بأن يُوقف جهوده للعثور على بقرة بالمواصفات الدقيقة الواردة في الـعهد القديم، وجرت مقابلات بينه وبين الحاخام الإسرائيلي (حاييم ريتشمان) الذي يعمل في معهد (الهيكل المقدس)، واقتنع الكاهـن بفكرة الحاخام في إنشاء مزرعـة لإنتاج الأبقار من سلالة (ريد نفوس) الضاربة إلى الحـمرة، وأنشأ الكاهن بالفعل تلك المزرعة في ولاية ميسـيسيبي الأمريكية، وقد أنشأ هذا الكاهن فـيما بعد فرعًا لمزرعته في مدينة حيفا تحسّبًا ليوم تولد فيه البقرة المنتظرة.

وفي شهر أكتوبر عام ١٩٩٦م تم الإعلان عن ميلاد بقرة حمراء في مزرعة (كـفار حسيـديم) أطلقوا عليها اسم (مـيلودي)، وذهب وفد من الحاخامات لمعاينة البقرة، وأعلنوا مطابقتها للمواصفات بعد أن باركوها. وأمروا بفرض حراسة مشددة حولها[1].

* البقرة ونجاسة الشعب (المختار):

من أعـجب أمور اليـهود، أنهم لا يزالـون يؤمنون عن يقين بأنهم (شـعب اللَّه المختـار) حتى تقـوم السـاعة!، والأعـجب من ذلك أنهم يعـتقـدون بالقـدر نفسـه من اليـقين بأنهم شـعب (نجس) منذ عشـرات القـرون؛ لأنهم قارفـوا نجـاسات عـديدة لا يمكن التطهـر منها حـسب شريعتهم إلا بدماء البقرة الحمراء ضمن طقوس لا تمارس إلى في الهيكل حسب ما جاء في سفر العدد الإصحاح ١٩.

جاء في الموسوعة الدينية اليهودية: «إن البقرة الحمراء يجب سحبها

(١) جريدة الأخبار المصرية ٢٥ إبريل ١٩٩٧، «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٠٥ ـ ١٠٧).

خارج القدس، وبعد ذبحها يجب حرقها بكاملها بعد إضافة خشب الأرز وأعشاب أخرى، ويشرف على هذه الطقوس حاخام أو كاهن، ويستخدم الرماد في التطهـر وطرد الأرواح الشريرة التي يمكن أن تنتقل إلى اليـهود من الموتى لومسّوا جثمانهم.

مع العلم بأن ما يقرب من ٩٥٪ من الطقوس العبادية اليهودية التي تؤدى في الهيكل، يحول بين اليهود، وبين ممارستـها ما يسمونه بـ(نجاسة الموتى)، بل إن بعض الحاخامـات يتحدثون عن استحالة افتـتاح الهيكل للعبـادة بأيدي (أنجاس)، واسـتـحالة تمـكن هؤلاء من القيـام بشـؤونه وطقوسه قبل تطهرهم برماد البقرة!! وللّه في خلقه شؤون.

كيف إذن سيبنون وهم أنجاس؟!!!

☐ أما عن التخطيط العملي للطهارة الجماعية، قال أحد الحاخامات الكبار: «سنحرق البقرة قبـالة موقع الهيكل من جهة الشرق، وبالإمكان أن نضيف إليها بعض الأشجار، وبعـد ذلك نخلط الرماد بعضه ببعض، ومن ثم يتم وضع الرماد في أنابيب، وتوزع في أرجاء البلاد!!».

* موعد ذبح البقرة:

حسـب المفاهيم اليـهودية لا بد أن تذبح البـقرة بعـد أن تتم ثلاث سنوات، وهناك اخـتلاف في الموعـد الذي ولدت فيـه، فالبـعض داخل إسرائيل يقـول إنها ولدت في شـهر أغسطـس عام ١٩٩٧م، وهناك من يقول: إنها وُلدت في يناير من العام نفسه، وعلى هذا، فهي ستتم عامها الثالث إما في يناير من عام ٢٠٠٠م، أو في أغـسطس من العام نفسه، وعلى هذا يكون العام ٢٠٠٠م عامًا مصيريًّا في عمر البقرة وفي عمر اليهود!!!

وقـد مر العـام فسـحقًـا وبعـدًا لعقـول اليـهود العـفنة وأفكارهـم ومعتقداتهم العفنة.

* **أيها الغافلون:**

اليهود الآن ليسوا من سلالة يعقوب - عليه السلام - بل يهود الشتات وحثالة العالم يجمعهم الدين فقط:

«بنو إسرائيل الذين هم من سلالة يعقوب فعلاً، والذين خرجوا من مصر انقرض أكثرهم بسبب المعارك والغزو الفرعوني، ثم الآشوري، ثم الآرامي والبابلي، ثم الإغـريقي، ثم البطالسة المصريون، ثم الفينيـقيون واليونانيون، ثم الرومـان فهؤلاء شُرِّدوا في أقاصي الدنيـا حتى كان من الأماكن التي فرّوا إليهـا من بطش الرومان المدينة المنورة، ثم خلت منهم فلسطين طيلة خـمسـة قرون حتى الحكم الإسـلامي، فكانت خالـية من هؤلاء اليهود، وحصل نوع من التبشير باليهودية في العصور الوسطى في شعـوب لا تمتّ إلى بني إسـرائيل بصلة ولا علاقـة لهم أبدًا بفلسطين؛ بجانب الذين رحلوا من اليـهود تزوّجوا بقوم آخرين؛ فلذلك تجـد فيهم من ينجب الأشقر والأسود والأصفر ممن لا صلة له بالأصل الإسرائيلي؛ فاعتنقت بعض الأمم المتـباعدة الديانة اليهودية في اليمـن والحبشة وبلاد القـوقاز وفي أواسط أوربا وفـي بلاد المغرب، وتهـوّد كـثيـر من الجنود الآشورين الذين أُرسلوا إلى فلسطين.

وخلاصة الكلام أن أغلب اليهود (من بني إسرائيل) منقرضين الآن، فالأمر الذي ننبه عليه الآن: أنه لا يصح أن تُسَمَّى دولة العصابات المغتصبة فلسطين باسم إسرائيل.

أولاً: لأن يعقوب ـ عليه السلام ـ بريء منهم.

وكذلك أنهم ليسوا بني إسرائيل الذين وُعدوا بذلك الوعد في التوراة، بل هؤلاء جنس آخر غير بني إسرائيل؛ لأن بني إسرائيل انقرضوا، ولم يبق منهم أحد، وحلّ محلّهم يهود الشتات، وكذلك شهادة علم الوراثة تؤيد هذا أيضًا»[١] .

يقرر العلماء أن اليهود ما هم إلا أجناس شتى، يجمع بينهم تعصب ديني «غير أن الحقائق الإنثربولوجية لا تكشف عن هذا فقط، بل تكشف ـ أيضًا ـ عن أن يهود العالم اليوم مختلطون في جملتهم اختلاطًا بَعُد بهم عن أي أصول إسرائيلية فلسطينية قديمة.

ومن هنا فلا جناح علينا إذا نحن قرّرنا في النهاية أن اليهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل، وأن هؤلاء شيء، وأولئك شيء آخر أنثربولوجيا، ولا رابط بين الطرفين سوى الدين والدين فقط»[٢] .

□ يقول الدكتور جمال حمدان أيضًا في كتابه الرائع «المدينة العربية» عن خلق دولة إسرائيل: «ومعنى كل هذا ببساطة أن إسرائيل من وجهة وعلى أساس جغرافية المدن ـ ليست في الحقيقة إلا مدينة شيطانية تجمّعت فيها حثالة مدن العالم ـ أو حثالة البشر ـ والمدينة الإسرائيلية ليست إلا استقطابًا «لحارة اليهود» في العالم ابتداءً من «المللة» المغربية إلى «القاع» اليمني، ومن حارة اليهود "Judencgasse" الألمانية إلى «الجيتو الإسرائيلية، وإسرائيل بهذا ليست في مجموعها إلا «دولة الجيتو»[٣] .

---

(١) محاضرة «غزّة ـ أريحا» للشيخ محمد إسماعيل المقدم.

(٢) انظر كتاب «اليهود أنثربولوجيا» للدكتور جمال حمدان.

(٣) «المدينة العربية» للدكتور جمال حمدان.

أنجب المكرُ سليله

أنْـجَـب المـكـرُ سَـلِـيـلَـه وشَـــفـى الغَـــدرُ غَـلِيلهْ

وجَـرى المغـرورُ لَهـثـا تَابعًــا كُلَّ مَـخِـيلهْ

فـــإذا الجَـــولات آلٌ وإذا الجـــائِلُ غُــولـه[1]

تِـلك «إجـــراءَاتُ بـدءٍ» في المتَـــاهَـاتِ الطَّويـلَهْ

ذَاكَ إعــلانُ مـــبـــادٍ للمَـــســارات المهِـيلَهْ

فَـمـتَى نَدخُلُ في صُلب المعـــانَاة الثَّـقِـيلهْ

ومَـتى تُنصب سُـوق الرّقِّ في ظل الخَـمـيـلَهْ

ومَــتى يَزهُو خِطَام الذُّل في أنـف القَــبـيـلهْ

ومَـتى تعـبث «استـيـر» بأحـــلام الفُـحُـولَهْ

ومـتَى يفـتـرش الغَـرقَـد صَـحـراء البُطُولَهْ

ويُـغـطي وادي الثـــأر ويستـــاق نخــيلهْ

ألـهـــاثٌ وسُـعـــارٌ قـبل إطفـاءِ الفـتـيلهْ؟

أجُـنونٌ وجُـنُـوحٌ قـبل إجـهاضِ الفَسِيلهْ؟

أصُـراخٌ وعَـويلٌ قَـبل إخـمـاد القَـتيلهْ؟

وحُـيـيٌ وكُـعـيبٌ لهـمـا مليُـون حِـيلَهْ

كل بند من شُـروط الذُّلّ يَبْـغـي ألف جـولهْ

هذه دَوامـة الإحـبـاط واليَـأس القَـتُـولهْ

---

(١) تورية ظاهرها أنثى الغول، وحقيقتها غولة بنت كوهين زعيمة المطالبين ببناء الهيكل.

جَـعلوا الـذُّلَّ وسَــامًــا ... للـتَّـحـــدي والبُطُولَه
جَــرَّعُــونا الكأس مُــرًّا ... حَطمــوا فــينا الرُّجُــوله
ألبــســونا ثوبَ عــارٍ ... يَســحبُ الخِــزي ذُيُولَه
نحن في التــاريخ نسيٌّ ... كُلَّمــا أرخى سُــدُولَه
أعَلينَا وحــدنَا تستَأسـد ... البُــومُ الـذَّليـلـه
أعَلينَا وحــدنَا تَستَكبـر ... الأيْـدي الـهَـــزيـلَه
أعَلينَا وحــدنَا تَقــوَى ... الـقَـــرارَات العَـلِيـلَه
يَـا خَلـيجَ الـذُّلِّ دومًــا ... تَـدفـع الجِــزْيَـة دُولـه
فــادفَع المهـرَ كَـثِـيـرًا ... يَـرفُض «الـرَّاعـي» قَـلِيـلَه
واضــمَن الصُّلح رَخَــاءً ... للزَّعَــامَــاتِ العَـمِـيلَه
وَاسـقِـهـا العَــارَ فُـراتًا ... يشــرب الـكافِــرُ نيلَه
واجـعـل الأقـصَى مُـبَـاحًا ... للعَــصَــابَات الرَّذيله
واجــعلِ الأعــلاجَ تَبني ... غُـــورَه ثُم جَـلِـيـلَه
سُـلبـت عَـكـا ويَافَــا ... وتُقَــاضِـيــه «خليله»
يَخـجَلُ التـاريخُ مِن فِـعل ... الزَّعــامَــات الخَـتِـيلَه
مــا على جَــسَّاسِ مـا ... يُنهش من عـرض الجليله
مَـا عَلى «البَـراضِ» مَـا ... يُنهب من سَرحِ القَـبِـيلَه
الخَـواجَـات رَضُوا فلتحـزن ... الـدُّنـيَـا الـكـلِـيـلَه
وإذا الجَـــحشُ تَـخَـلَّـى ... أركَضَ السَّــائِسُ فِـيلَه[1]

(١) الحمار والفيل الحزبان الحاكمان في أمريكا والسائس معروف.

يَخْتُلُون الأُمة العَقْرى ... وتُخْتَال الخَتِيله

يَشْرَبُون النفطَ حُرًّا ... في القَوارِيرِ الصقِيلَه

والخَنَازِيرُ تُغَنِّي ... فَوقَ هَامَاتِ الخَلِيلَه

والعَدُوّ الصِّرف هُم ... أَهل الفدى أَهل البطُولَه

«الأُصولِيُّونَ» من يدعُونَ ... بالدَّعوى الأصِيلَه

وبَنُو صُهيون مُنذُ الآنَ ... إخوان الفَسِيلَه

غَير مغضُوب عَلَيهِم ... عند «أصحاب الفَضِيلَه»!

فاحذِفُوا ما قيلَ قُدمًا ... في التفاسِير الطويلَه!

واشطُبُوا ما قيلَ فيهِم ... (بِئْسَما) تلك المقُولَه!

عَدِّل التاريخ واحذِف ... منه «حِطِّين» الدَّخِيلَه!

عدِّل السِّيرة واحذف ... ذِكر «كَعب» وقَبِيلَه

واجعل الكُفَّار حَصْرًا ... في قُريش أو بَجِيلَه

كُلُّ هَذا شَرط «شَامِير» ... فأوفُوا المرءَ كَيلَه!

وبِهَذا عَقْد «مَدريد» ... فأعطُوا العَهدَ قِيلَه

سُورةُ الأحزابِ والحَشْرِ ... مَعانِيها ثَقِيلَه!

فاطلُب التَّأويلَ شَيخًا ... تَلْقَ «للإسراء» حِيلَه

أو تَجاوزَهَا إلى الكَهْفِ ... وَلا تَخْشَ المثِيلَه[1]

آه يا شَعبَ المآسِي ... إنَّك المقْتُولُ غِيلَه

كبِّر اللَّه وجاهد ... كُل خوَّار الفصِيله

---

(١) سورة النجم.

أنت يُنبوع التَّحدي   أنت بُركان البطولَه
أنت منصُور بدينٍ   عزّ من يَقفُو سَبيلَه
وبِهذَا الوَعْد حَقًّا   أرسَلَ اللّه رسُولَه

❀ ❀ ❀

النصارى وما أدراك ما النصارى

في القرن السادس عشر ظهرت (الحركة البروتستانتينية) وغيّر هذا الانقلاب معالم النصرانية - الدائمة التغير - وجاء التغيير لصالح اليهود، وكانت إطاحة البروتستانت بحق الكنيسة في احتكار تفسير الكتاب المقدس مفتاحًا للولوج إلى التفسيرات الحرفية للنصوص التوراتية فيما يتعلق باليهود، بل بدأت النصرانية تخترق بالمفاهيم اليهودية، وتختلط بها بعد أن ضم البروتستانت التوراة (العهد القديم) إلى جانب الإنجيل (العهد الجديد) مصدرًا أوليًّا وحرفيًّا للتلقي، خلافًا لما كان عليه الأمر خلال خمسة عشر قرنًا خلت من عمر الديانة.

ولم يأت القرن السابع عشر حتى ظهرت نظرة غربية جديدة لليهود - أعداء الأمس - فقد دعا الحَرْفيون البروتستانت إلى ضرورة احتضان اليهود، والتمكين لهم في العودة إلى الأرض المقدسة على اعتبار أن مساعدتهم في ذلك سوف يعجل بمجيء المسيح عيسى ابن مريم إلى الأرض مرة أخرى؛ فالتفسيرات الحرفية للتوراة والإنجيل - بعيدًا عن تأويلات الكنيسة - أظهرت لهم أن خلاصة اليهود سوف يدخلون في ديانة المسيح عندما يعود، وبقيتهم من غير المؤمنين به سوف يقتلون مع باقي أعداء المسيح، أما أتباع المسيح من النصارى ومن يلحق بديانتهم

فسوف يعيشون مع المسيح في القدس مدة ألف عام قبل يوم القيامة، كما جاء في سفر رؤيا يوحنا.

فـالعودة حـسب هذه العـقـيدة النصـرانيـة سـتكون في (أورشليم الجديدة)، وسوف تكون على رأس ألفية جديدة، وسوف تكون في زمان لليهود فيـه وجود في الأرض التي سيعود إليهـا المسيح، فلا بد أولاً من عودة اليهود.. لكي يعود المسيح.

لقد ناطح النصـارى الأمة الخاتمة في أرض بيت المقدس ومـا حوله منذ وقت مبكر من عـمر الإسلام، بدءًا من غزوة مؤتة وتبـوك في عصر الرسـالة، ومـرورًا بعـصر الخلفـاء الراشـدين في أجنادين واليـرمـوك، والحروب الصليـبية التي أثبتت أحـداثها العظام أن القدس كانت هـدفها الأول والأخيـر، وانتهاءً بدخـول اللنبي في فلسطين وغـرس علمه على جبل صـهيون وحوله لفـيف من قواته من عرب الحـويطات، وهو يقول برطانة الأعاجم التي لا يفهـمها الغفاة من حـوله: «الآن انتهت الحروب الصليبية» وانتهاءً بما حدث من وقوف غورو أمام قبر صلاح الدين وركله له بقدمه، قائلاً: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

وكانت الحروب الصليبية أكبر دليل على مركزية القدس في وجدان النصـارى، فـلأجل تلك المدينة خـاضـوا حـروبًا مـتـواصلة تحت راية الصليب؛ لاسـتعـادة القدس من أيدي أمـة محـمد ﷺ ، وكـان هذا الصدام من أكبر الحروب في التاريخ كله، إذ استهدف توحيد أوربا دينيًّا تحت زعامة البابوات، وتشكيل تحـالف من كل عروش أوربا للوقوف في وجه المسلمين في عُقر دارهم، وقـد بدأت تلك الحروب في أواخر القرن الخامس الهجـري وأوائل القرن الحادي عشر الميلادي، ومـا خبت آمالهم

في عودة القدس إليهم يومًا تعلو مآذنها أصوات النواقيس.

* **التاريخ خير شاهد:**

توقفت الحروب الصليبية قرابة خمسة قرون؛ لتتجدد على يد الحملة الفرنسية أشد ضراوة وأخبث مكرًا ونكرًا. وبيان نابليون بونابرت إلى يهود العالم بالانضمام إلى حملته لانتزاع فلسطين خير شاهد.

* **نداء نابليون قبل وعد بلفور:**

إن هناك وثيقة تاريخية تنبه إلى أن أول إشارة للاستفادة من اليهود جاءت على شكل رسالة شخصية من «توماس كوريت» وهو من الشخصيات الأيرلندية اليهودية الرأسمالية إلى عضو حكومة الديركتوار - حكومة المديرين - «بول باراراس»، وفيها ينصح الفرنسيين المتطلعين إلى استعمار الشرق للعمل على خلق جسر لهم في فلسطين، وجعلها وطنًا قوميًّا لليهود، وقد نصّت هذه الرسالة على ما يلي: «وإنهم[1] يقدّمون لكم عنصرًا استعماريًّا ثابت الأركان، وقد يكون ضروريًا لكي يقوم في آسيا مقام الإمبراطورية الآخذة في الانحلال، إمبراطورية العثمانيين، ويقدم لكم أهم الضمانات لبث الفوضى وإشعال الفتن وإحلال الأزمات للقضاء على الأتراك جملة واحدة، ولعلّ الأتراك عندئذ يخفّفون قليلاً من تعصبهم».

ولقيت هذه الرسالة الخطيرة التي جاءت عبر المانش الاهتمام البالغ من قبل عضو الحكومة الفرنسية «بول باراراس» فعقد نابليون أثناء تجهيزه لحملته الصليبية اجتماعًا سرِّيًّا مع الشخصيات السياسية اليهودية، وفي أعقاب هذا الاجتماع صدر في فرنسا بيان موجه إلى يهود العالم بأن:

---

(١) أي: اليهود.

«البلاد التي ننوي قبولها بالاتفاق مع فرنسا هي: إقليم الوجه البحري من مصر، مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت، ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر».

كانت هناك مساومة مكشوفة بين نابليون واليهود، وصدر البيان التاريخي الذي وجّهه «نابليون بونابرت» أثناء قيامه بحملته الصليبية على مصر والمشرق العربي، وقد نشر هذا البيان في الجريدة الرسمية الفرنسية بتاريخ ٢٠ من نيسان/ إبريل ١٧٩٩، وكان تاريخ صدوره عن «نابليون» بتاريخ ٤ من إبريل ١٧٩٩، وكان وقتئذ يحاصر عكا التي انهزم أمامها.

جاء في البيان

«إن العناية الإلهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا قد جعلت رائدي العدل، وكفلتني بالظفر، وجعلت من القدس مقري العام وهي التي ستجعله بعد قليل في دمشق التي لا يضيرها جوارها بلد داود «يا ورثة فلسطين الشرعيين»: «إن الأمة العظيمة التي لا تتجر بالرجال كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادكم للشعوب تناديكم الآن؛ لا للعمل على إعادة احتلال وطنكم فحسب، وليس بغية لاسترجاع ما فُقد منكم، بل لأجل ضمان ومؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم؛ لكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين».

«انهضوا وبرهنوا على أن القوة الساحقة التي كانت لأولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئًا بسبيل تثبيط همّة أبناء هؤلاء الأبطال التي كانت محالفة إخوانهم تشرف أسبارطة وروما»[1].

---

(١) من مقال «صك المؤامرة ـ وعد بلفور النابليوني» ص(٧١ ـ ٧٣) لأحمد صبري الدبش ـ مجلة القدس العدد ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٠ شعبان ١٤٢١.

□ نسمع كثيرًا أن الذي بدأ الدعـوة لعودة اليهود إلى بيت المقدس، هو هرتزل مؤسس الدولة اليهودية، وهذا خطأ كبير.

«والحقيـقة غير ذلك، إذ إن أول من بدأ الـدعوة لتجميـع اليهود، ولتطبيق نبوءات التوراة هم النصارى قبل اليهود، وقبل الحركة الصهيونية بأكثر من أربعة قرون.. وإن لم نعِ هذه الحقيـقة جيدًا، فإننا لن نستطيع معرفة مواقف الغرب عامة، وأمريكا خاصة من الصراع الذي نعيشه الآن»[(١)].

□ قال «كينين» أحـد أبرز قيادات اليهود في أمـريكا في كتابه «خط الدفاع الإسـرائيلي»: «إسرائيل كانت أنشـودة مسيـحية، قـبل أن تصبح حركة سياسـية يهودية». فالبروتستانت النصارى هـم الذين أقاموا الحركة الصهيونية، وشجعوا اليهود للالتفاف حولها، وحتى عندما تردد (هرتزل) في اخـتيار فلـسطين وطنًا تبدأ منه الدولة اليـهودية، أرسـل إليه المبـشر النصراني البروتستانتي (وليم بلاكسـتـون) نسخة من التوراة موضح عليها المواضع التي تشير إلـى أن اليهود سيعـودون في آخر الزمان إلى الأرض المقدسة فاقتنع هرتزل.

ولهذا احتفظ اليهود بتلك النسخة من التوراة، ووضعوها إلى جوار ضريح هرتزل في القدس[(٢)].

لقـد كـان «بلاكسـتـون» الذي تحـتفل الـدولة اليهـودية بذكـراه، بروتستـانتـيًّا ولد عام ١٨٤١، وهو من رواد فكرة الصهيـونية النصرانية ودعا إلى الحـركة الصهيـونية قبل هرتزل بزمن، وذلك في كتـابه المسمى «عيسى قادم»، وقد تُرجم إلى أكثر من ٤٨ لغة منها العبرية، وطبع عدة

---

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» للدكتور سفر الحوالي مكتبة السنة ص(٤١).

(٢) انظر: «النبوءة والسياسة» تأليف جريس هالسيل ـ ترجمة محمد السمّاك ص(٩).

طبعات وبيع منه أكـثر من مليون نسخة، وكـان أوسع الكتب انتشاراً في القرن التاسع عشر في الغرب.

ويتلخص فكر بلاكـستون فـيما أسـماه (الاستـعادة الأبدية لأرض كنعان من قبل الشعب اليهودي) واسـتطاع بلاكستون بعد ذلك أن يصوغ مع طائفة من أعوانه عريضة ويوقعها مع أكـثر من ٤١٣ شخصية أمريكية من النواب والقـضاة والمحـامين والنخب ويرفـعوها إلى الرئيس بنيـامين هريسون يطالبونه فيها باستخدام نفوذه ومساعيه لتحقيق مطلب الإسرائيليين بالعودة إلى أرض فلسطين، وقد قدمت هذه العريضة عام ١٨٩١م.

وفي بريطانيا أسس البـروتستانت صندوقًا سمي (صندوق اكـتشاف فلسطين) أيام حكم فكتـوريا، وكان رئيس الصندوق وهو رئيس أساقـفة كنتربري وهو أكبـر الأساقفة في بريطانيا. وذلك بغـرض اكتشاف أرض الميعاد، وحدودها ومعالمها كما وردت في التوراة»[1].

وعندما عقـد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسـويسرا عام ١٨٩٧م كان من أبرز المشاركـين فيه القس البروتستـانتي (وليام هشلر)، وقد دخل إلى قاعـة المؤتمر بصحبة هرتزل، وهتف بحياته قـائلاً: «يحيا الملك يحيـا الملك»! وعندما جاء دوره في إلقـاء كلمته خاطب الصـهاينة المجتمعين قائلاً: «استفـيقوا يا أبناء إسرائيل، فالرب يدعوكم للعودة إلى وطنكم في الأرض المقدّسة».

* بريطانيا البروتستانتية:

ماذا تقول عن دولة لا تزال تحمل الصليب في علمها الرسمي.

---

(١) «القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى» ص(٤٥).

من دراسة تاريخ التآمر البريطاني على فلسطين، فالأمر قديم قبل وعد بلفور بعشرات السنين وبالتحديد من عام ١٨٣٨ عندما فتحت بريطانيا قنصليتها في مدينة «القدس».

وظهرت العديد من المشاريع الاستيطانية الرامية إلى إقامة دولة إسرائيل قبل وعد بلفور، منها:

- مشروع الكولونيل «تشرشل» الذي أعدّه، وأرسله إلى السيد «موزرمونتنيوري» ـ الممثل الرسمي للطائفة اليهودية في انجلترا عام ١٨٤١ ـ وأكّد خلاله على ملاءمة الوقت لوجود عنصري جديد يهودي يقحم في المسألة الشرقية، والجدير بالذكر أن هذا المشروع يعتبر سابقة مميزة وواضحة للمشروع الذي أعدّه «هيرتزل» بعد ذلك بـ ٥٥ عامًا في كتابه «الدولة اليهودية».

- مشروع ج جومر ـ الحاكم البريطاني لإستراليا ـ حيث دعا في كتابه «استقرار سوريا والشرق» عام ١٨٤٥ إلى ضرورة العمل من أجل استعمار تدريجي لفلسطين بواسطة مستعمرات يهودية.

- مشروع أ. متفورد وهو الموظف في الخدمة الاستعمارية البريطانية، حيث دعا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين تحميها بريطانيا، وتعمل وصية عليها إلى أن تستطيع الوقوف كدولة مستقلة ذات سيادة.

- مشروع لورانس لوليفانت، وهو المشروع الذي أُطلق عليه «مشروع أوليفانت الشرقي» حيث تضمّن كتابه «أرض جلعاد ورحلات في لبنان» الصادر في ١٨٨٠ إقحام كيان استعماري يهودي في فلسطين مدعوم برأس مال غربي»[1] .

---

(١) من مقال «الصهيونية وإعادة تسويق الذات» لمحمد مصطفى ص(٧٦) العدد (٢٣) نوفمبر ٢٠٠٠م من مجلة «القدس».

❑ يقول (باترسون سميث) في كتابه «حياة المسيح الشعبية»:

«باءت الحروب الصليبية بالفشل، لكن حادثًا خطيرًا وقع بعد ذلك، حينما بعثت إنكلترا بحملتها الصليبية الثامنة، ففازت هذه المرة. إن حملة اللنبي على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة»[١].

❑ ولذلك نشرت الصحف البريطانية صور اللنبي، وكتبت تحتها عبارته المشهورة التي قالها عندما فتح القدس: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»[٢].

ونشرت هذه الصحف خبرًا آخر يبين أن هذا الموقف ليس موقف اللنبي وحده بل موقف السياسة الإنكليزية كلها.

قالت الصحف: هنأ لويد جورج وزير الخارجية البريطاني الجنرال اللنبي في البرلمان البريطاني، لإحرازه النصر في آخر حملة من الحروب الصليبية، التي سمّاها لويد جورج: «الحرب الصليبية الثامنة»[٣].

* **وعد بلفور:**

ثم جاء بلفور الإنجيلي المتعصب البروتستانتي القذر صاحب الوعد المشهور:

❑ تقول مؤلفة حياته وهي ابنة أخته:

«إنه كان يؤمن إيمانًا عميقًا بالتوراة ويقرأها ويصدق بها حرفيًا. وأنه

(١) «قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم ص(٣٣) ـ مكتبة ابن تيمية نقلاً عن مجلة الطليعة القاهرية ـ مقال وليم سليمان ـ عدد ديسمبر عام ١٩٦٦ ص(٨٤).

(٢) وكان من حوله بضع مئات من عرب الحويطات، ولم يفقهوا ما يرطنه ذلك الضابط الإنكليزي بلكنته الأجنبية انظر «صحوة الرجل المريض» ص(٢٧٦).

(٣) «قادة الغرب يقولون» ص(٣٣ ـ ٣٤).

نتيجة لإيمانه بالتوراة أصدر هذا الوعد»[١] .

▫ تقول أخت بلفور عنه: «لقد تأثر بلفور منذ نعومة أظافره بدراسة التوراة في الكنائس، وكلما اشتد عوده زاد إعجابه بالفلسفة اليهودية، وكان دائمًا يتحدث باهتمام عن ذلك، وما زلت أذكر أنني في طفولتي اقتبست منه الفكرة بأن الدين النصراني والحضارة النصرانية مدينة بالشيء الكثير لليهودية.

▫ قال بلفور في المذكرة التي وضعها بنفسه في ١١ أغسطس (آب) ١٩١٩ لبحث المادة الثانية والعشرين من صك الانتداب «الدول الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية، وسواء كانت الصهيونية على صواب أو على خطأ، صالحة أو باطلة، فإنها ذات جذور عميقة في تقاليد العصر، واحتياجاته ومستقبله، على نحو أعمق بكثير»، وقد نشرت المذكرة في وثائق الخارجية البريطانية لعام ١٩٣٩م.

وكان بلفور يردد بفخر قائلاً: «أنا صهيوني أكثر من أي صهيوني آخر». وقد قال (وايزمان) عنه في مذكراته: «أتظنون أن (بلفور) كان يحابينا عندما منحنا الوعد؟!. كلا، إن الرجل كان يستجيب لعاطفة دينية يتجاوب بها مع تعاليم العهد القديم».

جاء في دائرة المعارف البريطانية: «إن الاهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين قد بقى حيًّا في الأذهان بفعل النصارى المتدينين وعلى الأخص بريطانيا التي كان اهتمامها أكثر من اهتمام اليهود أنفسهم» ـ وقال وايزمان في مذكراته: «إن من الأسباب الرئيسية لفوز اليهود بوعد بلفور هو

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» ص(٤٥).

شعــور الشعب البــريطاني المتأثر بــالتوراة وتغنيــه بالشوق الكبــير لأرض الميعاد»[١] .

وهذا نص وعد بلفور ١٩١٧ :

عزيزي اللورد روتشلد . .

يسـرني سرورًا عظيـمًـا أن أبلغك باسم حكومـة صاحب الجـلالة التصريح الآتي بإبداء العطف على الأماني الصهـيونية، وقد عُرِض على مجلـس الوزراء ووافق عليه تنظر حكومـة صاحب الجـلالة بعين العطف إلى تأسيس وطن قـومي للشعب اليـهودي بفلسطين، وسـتتخـذ أحسن التدابير تسهيلاً لهذا الغرض، ومن المفهوم جليًّـا أنه لن يعمل شيء من شأنه الإضرار بالحـقوق المدنية والسياسيـة للطوائف غير اليهودية المقـيمة بفلسطين، أو بالحقوق والأنظمـة السياسية التي يتمتـع بها اليهود في أي بلد آخر، وسأكون شاكرًا إذا أنبأتم الاتحاد الصهيوني بهذا التصريح» .

المخلص آرثور جيمس بلفور

❑ وكان رئيس وزراء بريطانيا في أيامه هو (لويد جورج) الذي يقول عن نفسه: «إنه صهيـوني وإنه يؤمن بما جاء في التوراة من ضرورة عودة اليهود، وأن عودة اليهود مقدمة لعودة المسيح» .

وقد سـبق هذا الوعد البريطاني، مـفاوضات في لندن بين زعـماء اليهود والحـكومة البريطانية في ٧ فـبراير ١٩١٧ (١٣٣٦هـ)، وأعقبـتها مفـاوضات بين اليهـود وبريطانيا والحكومة الفـرنسية والإيطاليـة؛ بشأن إصدار وعد لليهود بإنشاء وطن لهم في فلسطين، وتمت الموافقة رسـميًّـا

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤١، ١٤٢، ١٤٣).

على الوعد في لندن وباريس وروما، وأرجيء نشر هذه الموافقة حتى أواخر أكتوبر سنة ١٩١٧م، وكان نص التصريح قد عُرِض قبل إصداره على الرئيس الأمريكي ولسون ووافقه عليه[١] .

ويعترف وايزمان في مذكراته أنه هو الذي كتب بيده هذه الوثيقة بناء على طلب: اللورد بلفور[٢] الذي هو أشد صهيونية من الصهاينة أنفسهم.

ويذكر وايزمان في مذكراته بأننا انتدبنا الإنجليز لحكم فلسطين واستعنا بعصبة الأمم، فنحن الذين سلّمنا فلسطين للإنجليز مؤقتًا، وليس الإنجليز هم الذين وهبوها لنا بعد ذلك[٣] .

كما صرّح وايزمان أن بريطانيا احتضنت الحركة الصهيونية منذ نشأتها، وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها، ووافقت على تسليم فلسطين خالية من سكانها العرب لليهود في سنة ١٩٣٤، ولولا الثورات المتعاقبة التي قام بها عرب فلسطين لتمّ إنجاز هذا الاتفاق في الموعد المذكور[٤] .

وعقب الانتداب اختارت بريطانيا السير هربرت صموئيل اليهودي باقتراح من وايزمان[٥] ليكون أول مندوب سام لها في فلسطين، وكان المؤتمر الصهيوني الذي عُقد في (بازل) بسويسرا برئاسة مؤسس الصهيونية هرتزل قد اقترح عدة مواطن لتكون فيها الدولة اليهودية منها:

١ ـ أوغندا.

---

(١) «الطريق إلى بيت المقدس» للدكتور جمال عبد الهادي (٢/ ٤٨) ـ دار الوفاء.

(٢) «مذكرات وايزمان» ص(٢٧).

(٣) «مذكرات وايزمان» ص(١٨، ٢١، ٢٤).

(٤، ٥) «مذكرات وايزمان» ص(٢٥)، وانظر: «عقيدة اليهود في تملك فلسطين وتفنيدها» لعابد الهاشمي ص(٢١٦).

٢ ـ الأرجنتين.

٣ ـ مدغشقر.

٤ ـ فلسطين أرض الميعاد.

ولما ذكرت فلسطين في المؤتمر، قال هرتزل كلمتـه المشهورة: «اليوم أنشأنا الدولة اليهودية»[(١)].

قال اليهودي حاييم وايزمان في مذكراته:

«إذا سأل سائل: ما أسباب حماسـة الإنجليز لمساعدة اليهود، وشدة عطفهم على أماني اليهود؟ فالجواب على ذلك أن الإنجليز هم أشد الناس تأثرًا بالتـوراة، وتديّن الإنجليز هو الذي سـاعدنا في تحـقيق آمـالنا؛ لأن الإنجليزي المتديّـن يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب إعـادة اليهود إلى فلسطين، وقد قدّمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات»[(٢)].

وبعد سقوط القدس عام ١٩٦٧:

قال راندولف تشرشل:

«لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسـيحيين لا يقلّ عن سرور اليـهود، إن القدس قـد خرجت من أيدي المسلـمين، وقد أصـدر الكنيـست اليهـودي ثلاثة قرارات بضـمهـا إلى القدس اليـهودية، ولن تعـود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود»[(٣)].

---

(١) «بيت المقدس» لشُرّاب ص(٤٦٠).

(٢) «مقارنة الأديان» للدكتور أحمد شلبي ص(١٠٦).

(٣) «حرب الأيام الستة» لراندولف تشرشل ـ الترجمة العربية ص(١٢٩).

* لورانس العرب على خطا هرتزل:

هذا الصليبي ملك العرب غير المتوّج وصانع ملوك العرب، هذا الذي أغرى العرب بالخروج على الخلافة العثمانية يقول: «إنني جدّ فخور أنني في المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق الدم الإنجليزي؛ لأن دم إنجليزي واحد أحبّ إليّ من جميع الشعوب التي نحكمها، ولم تكلفنا الثورة العربية سوى عشرة ملايين دينار».

يقول هذا الصليبي: «إني أؤيد الصهيونية، إني أعتبر اليهود النقلة الطبيعيين للخميرة الغربية الضرورية جدًّا لدول الشرق الأدنى»، وتأكيده مرة ثانية:

«إني أؤيد الصهيونية، وإن اليهود لا بد أنهم سوف يحوّلون فلسطين إلى دولة منظمة جدًّا، كأنها دولة أوربية باستخدام مهارتهم ورأس مالهم».

❑ وعن وعد بلفور قال:

«إن المشروع يعطي العرب أكثر مما هو يتمنى أن يحصل لهم عليه»، بينما وصل اندفاعه الصهيوني إلى حد مخاطبة مطران القدس بقوله عن (وايزمان): «إنه رجل عظيم لا تستحق أنت ولا أنا أن نمسح حذاءه»[1].

❑ في بريطانيا أسس البروتستانت صندوقًا سُمِّي (صندوق اكتشاف فلسطين) أيام حكم فكتوريا، وكان رئيس الصندوق هو رئيس أساقفة كنتربري وهو أكبر الأساقفة في بريطانيا، وذلك بغرض اكتشاف أرض الميعاد، وحدودها ومعالمها كما وردت في التوراة.

---

(١) «صحوة الرجل المريض» لموفق بني المرجة ص(٢٩٥).

* وفرنسا صليبية:

□ قال (بيرموروا) رئيس وزراء فرنسا الأســبق في حفل أقامته مجلة المنبر اليهــودية الناطقة بلسان الطائفــة اليهودية في فرنســا: «يوجد تشابه كبير بين الرسالة التوراتية التي نحملها معًا، والتي تشكل قاعدة كل ثقافة غربية وبين الأهداف التي نسعى إليها»[١] .

مثلما قال مسيوبيدو وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين، وطلبوا منه وضع حد للمـعركة الدائرة في مراكش فأجابهم: «إنها معركة بين الهلال والصليب»[٢] .

* والألمان على خطى الإنجليز:

□ قال «أكرم زعيتر» في مذكراته سنة ١٩٣٦م ص(٢٤٤):

«ومن الأسرار التي كشفها وايزمان أن الحكومة الألمانية أسفت جدًّا لاختطاف الإنجليز منها خطوة (وعد بلفور)، وقد حاول الألمان أن يفهّموا ممثلي اليهــود في ألمانيا أنهم كانوا سيــخطون هذه الخطوة، ولكنهم تمهّلوا لارتباطهم بتركية»[٣] .

* والروس أيضًا فالكفر ملة واحدة:

قبل وعد بلفور بأسبوعين كان وعد لينين لليهود، ففي أكتوبر صدر وعــد لينين لليــهود بإقــامــة وطن قــومي لهم في فلسطين، وبعــدها في ٢نوفمبر سنة ١٩١٧ صدر وعد بلفور، ولقد كان موقف الاتحاد السوفيتي

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤٣).
(٢) «مأساة مراكش» لروم رولاند ص(٣١).
(٣) «بيت المقدس» لشُرَّاب ص(٤٦٠).

معبرًا أصدق التعبير على أن الكفر ملة واحدة، وعداوة الكافرين لهذا الدين لا يختلف فيها اثنان، فلقد اعترف الاتحاد السوفيتي بإسرائيل بعد دقائق من اعتراف أمريكا بها، وصرّح ممثلها في الأمم المتحدة (أندريه غروميكو): «أصيبت الأمة اليهودية بنكبات وآلام، يعجز عن وصفها اللسان، لذلك فإننا نسأل الأمم المتحدة باسم الشعب اليهودي المشرد أن نراعي آماله ونحققها، فنوجد له وطنًا ونقرّر له حقوقًا، ومن المستنكر أن نمنع عن الأمة اليهودية هذا الحق»[1] .

◻ وصرّح الكنسي كوسيجن اليهودي - رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي نصًّا: «إننا لا نحبذ تصفية إسرائيل. وقد كنا أول خالقها، ومازلنا نؤمن أنها يجب أن تبقى».

ولقد كانت روسيا المصدر الرئيسي لهجرة اليهود، فقد قالت جولدا مائير رئيس وزراء العدو: «لقد قلت لكم دائمًا إن عودة اليهود الروس إلى أرض الميعاد أمر لا ريب فيه».

ولقد كانت الصلة عريقة بين لينين، ومؤسس الدولة الصهيونية حاييم وايزمان.

وفي عام واحد وفي شهر واحد حصلت الصهيونية على وعد بلفور وقامت الثورة الشيوعية في روسيا.

وقبلها في عام ١٩١٦ تم اجتماع بين لينين وحاييم وايزمان في

---

(١) المحاضر الرسمية لمناقشات الأمم المتحدة المجلد الأول - نقلاً عن «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» ص(٢٢٢).

(٢) مجلة لايف الأمريكية ٣١/١/١٩٦٨.

سويسرا، واتفقا على ضـرورة فتح أبواب الهجرة إلى فلسطين من العالم أجمع، وإقامـة دولة اشتراكيـة في فلسطين لتكون قاعدة رئيسـية لتنطلق منها الحركة الماركسية إلى جميع أنحاء الشرق الأوسط.

وقـال لينين لوايزمـان: «إن تحرير الـيهـود من سـيطرة ملوك أوربا وحكّامها، وارتقـاءهم إلى أرقى المراكز في أوربا يعتمـد أصلاً على نجاح الثورة الشيوعـية في روسيا... وإن فتح أبواب الشرق للهـجرة اليهودية واستيطان اليهود في فلسطين سيعجـل بنهاية الإمبراطورية العثمانية!... ومن الواجب إقامة دولة يهودية في فلسطين على أسس اشـتراكية، حالما تفرغ الثورة الاشتراكية في روسيا من تحقيقها»[1].

◻لقد كان عدد اليهود في روسـيا حوالي ستة ملايين - أي: ثلث عددهم في العالم، لغرض السيطرة الكـاملة على روسيا، والهيمنة على الشيـوعية الـعالمية، خـاصة وأن مؤسس الشـيوعـية كارل مـاركس كان يهوديًّا.

تقـول صحـيفـة (ذي جـويش ترانسكريت) اليـهودية في عـددها ١٩٤٦/٢٩: جميع الشيوعيين هم تحت السيطرة اليهودية، وأن مائة منظمة يهودية تولت الإشراف على المؤتمر العام للحزب الشيوعي ٢حزيران ١٩٣٤.

◻أما في أواخر القرن التاسع عشر فقد كان عددهم في روسيا أكثر من نصف يهود العالم[2].

وكانت نسـبة الـيـهود بين موظـفي الدولة السوفيـتيـة عام ١٩٣٣م

---

(١)«من يحكم واشنطن ومـوسكو» ص(٢) من المقـدمة لبنيـامين فريدمـان، ودنيس هافي - إعداد زهدي الفاتح دار النفائس.

(٢)«مقارنة الأديان» ص(٧٢).

(٦١٪) كما أن ٨٨٪ من أصل المسؤولين الروس عام ١٩٣٧م كانوا من اليهـود وأن ٣١٣ جنرالاً يهـوديًّا كانوا بين قادة الجيوش السـوفيتية التي حاربت هتلر.

◻ يقول الأستاذ (أنور الجندي) في موسوعته: «مقدمات العلوم والمناهج» ١٠/ ٦٧٢ ـ ٦٧٣: «أعلن بن جوريون أن السـوفيت هم الذين ساندوا إسـرائيل في إلحاق الـهزيمة بالـعرب خـلال ١٩٤٨، ١٩٤٩م، وقال: إن الروس كانوا يرسلون الأسلحة إلى تشـيكوسلوفاكيا لتصل إلى اليهـود الذين قاتلوا العرب وطردوا الفلسطيـنيين من وطنهم، وهذا أحد أبعاد القضية، وإن موقف (ولسون)، وقد حمل لواء مساعدة اليهود لقيام دولة إسرائيل في مؤتمر الـصلح بعد الحرب العالمية الأولى، وفـرض قيام الوطن القومي بالاشتراك مع بلفور وغيره هو بُعد آخر.

ولقد أشارت الوثائق إلى أن الاتحاد السوفيتي قدّم وحده أربعين في المائة من الأموال الضخمة التي تدفقت عـلى اليهود قبل احتلال فلسطين لشراء الأراضي من العرب بينما قدّمت الدولة الشرقية ٢٨٪ في نسبة هذه الأموال»[١].

◻ وقال مندوب بولندا إحـدى دول المعسكر الشيوعي: «إن قـصدنا الوحيد هو التـعبير عن أعمق مشـاعرنا نحو مآسي اليهود، فـاليهود في حاجة إلى ألوان العطف والعون»[٢].

◻ أما مندوب تشيكوسلوفاكيـا لدى الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م فقد

---

(١) «مقدمات العلوم والمناهج» لأنور الجندي (١٠/ ٦٧٢ ـ ٦٧٣).

(٢) «موسكو وإسرائيل» ص(٧٨) للدكتور عمر حليق.

قال: «ليس هناك حاجة لنا وللأمم لسمـاع الشكاوى عما يحدث للعرب خـلال الثلاثين عـامًا، فـإن مصـائب اليهـود تشغـلنا وتستـأثر بعقـولنا ومشاعرنا»[١].

ويعلن مندوب يوغسـلافيا في نفس السنـة: «إن فلسطين ليست للعرب وحدهم بل لليهود أيضًا»[٢].

«وقد بلغ عـدد المتطوعين من شبـاب اليهود من الـدول الشيوعـية عـشرين ألف مـسلح ـ فـيمـا روت المصـادر الصهـيـونية ـ وفـدوا من تشيكوسلوفاكـيا وبولندا ورومانيا وبلغاريا بالإضافـة إلى السلاح الذي ما لبث بعد فترة الهدنة الأولى أن تدفق على إسرائيل من تشيكوسلوفاكيا»[٣].

* والأمم المتحدة لعبة يهودية:

ألا تعجب من لوني علم الأمم المتحـدة، وكيف يوافق نص التوراة «. . . وخـرج مـودكاي من حـضـرة الملك بثـوب الملك السـمنجـوني والأزرق»[٤].

فهل هناك من حجة أقـوى من هذه؟! في هيمنة اليهود على الأمم المتحدة وتحكّمهم في اختيار ووصف علمها.

ولقـد صـرّح بن جـوريون في مـجلة تايم ١٦/ آب/ ١٩٤٨م: «إن هدف الأمم المتحدة هو مثل أعلى يهودي».

---

(١) «موسكو وإسرائيل» ص(١٢٩).
(٢) «موسكو وإسرائيل» ص(٢٩).
(٣) «التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية» لنهاد القادري ص(٩١).
(٤) «إستين» (٨/ ١٠).

وصرّح قبله أحد زعماء الصهيونية ناحوسو كولوف في ٢٧/آب/١٩٢٢م أمام مؤتمر كارلسباد الصهيوني: «إن عصبة الأمم هي فكرة يهودية، لقد خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة»[(١)] .

* أمريكا البروتستانتية والحركة الصهيونية المسيحية:

انتقلت حمى الصليبية إلى أمريكا بهجرة الأنجلو ساكسون إليها، ومع تصاعد القوة الأمريكية في هذا القرن تصاعد المد البروتستانتي، وتحوّل إلى عقيدة أصولية، وفي أواخر السبعينيات الميلادية، شهدت الساحة الأمريكية بروز التيار أكثر تشددًا داخل أتباع المذهب البروتستانتي الحرفي، وأطلق على هذا التيار (الحركة الصهيونية المسيحية)، ويُطلق عليهم أحيانًا: (الإنجيليون اليمينيون)، وانتساب هؤلاء إلى الصهيونية - رغم نصرانيتهم - ليس غريبًا على قوم يدينون بالتوراة التي تقدّس جبل صهيون، وما كان عليه من مقدسات، ولهذا فإنهم يتبنون الدعوة إلى الدعم المطلق لدولة اليهود من أجل تحقيق الطموحات الإسرائيلية، أو التنبؤات التوراتية في الشرق الأوسط، ويأتي على رأسها السعي لتحقيق مشروع (إسرائيل الكبرى) و(القدس الكبرى)، وإعادة بناء الهيكل؛ لأنه بكل بساطة سوف يكون مكانًا لدعوة المسيح في القدس التي ستصبح عاصمة له - في معتقدهم -.

□ قال بنيامين نتنياهو عندما كان سفيرًا لدولته في الأمم المتحدة حيث خاطب جموعًا من النصارى الصهاينة في ٦ فبراير سنة ١٩٨٥م، وقال لهم معترفًا بجميلهم وجميل كل النصارى تجاه اليهود: «لقد كان

---

(١) «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» ص(٢٢٢).

هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي ظل يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنة، تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين»، وقال: «المسيحيون ساعدونا في تحول الأسطورة إلى دولة يهودية»، وأضاف: «إن الذين يستغربون مما يظنون أنه صداقة حديثة بين إسرائيل ومؤيديها المسيحيين، يجهلون أمر اليهود أو المسيحيين، إن هناك روابط روحية تشدنا بإحكام وثبات، إنها شراكة تاريخية أدّت، وتؤدي دورها بشكل جيد لتحقيق الأحلام الصهيونية»[١] .

□ يقول «أيوجين روستو» رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م، يقول: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية.

لقد كان الصراع محتدمًا ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة، ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

ويتابع: «إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، عقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي، بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي،

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٤٧) نقلاً عن النبوءة والسياسة ص(١٤٠).

ولا تستطيع أمـريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعـادي للإسلام وإلى جانب العـالم الغربي والدولة الصهـيونية؛ لأنهـا إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكّر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها»[١] .

فروستو الصليبي يحدد أن هدف الاستعمار في الشرق الأوسط هو تدمير الحـضارة الإسلامية، وأن قيـام إسرائيل هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمرارًا للحروب الصليبية .

* بداية أمريكا صليبية صهيونية :

«كانت المواعظ خلال الحرب الأهلية يشبِّه (أمريكا بالشعب اليهودي الذي يسعى لدخول الأرض الموعودة) .

بل إن صلتهـا التاريخيـة ببني إسرائيل تمتـد إلى استشـارة بنجامين فرنكلين وتوماس جـفرسون[٢] في موضوع اختيـار شعار مناسب للاتحاد الأمريكي اقـترحا أن يحمل شـعار الولايات المتحدة صـورة بني إسرائيل وهم يقطعون البحـر الأحمر المنشق أمامهم، وهم يتجـهون نحو الحرية، وفوق ذلك العبارة الآتية : «مقاومة الحكام المستبدين من طاعة اللَّه»[٣] .

اقترح «جـيفرسن» الرئيس الأمريكي الأقـدم أن يمثل رمز الولايات المتحـدة الأمريكية على شكل (أبناء إسـرائيل) تقودهم في النهار غيـمة، وفي الليل عمود من النار . . بدلاً من النسر، وهذه الغـيمة هي السحاب الأبيض الذي ظلّل اللَّه به قـوم موسى في التـيه ليقـيهم حـرّ الشمس،

---

(١) «قادة الغرب يقولون» لجلال العالم ص(٣١ ـ ٣٢) .
(٢) من زعماء الثورة الأمريكية وواضعي دستور الولايات المتحدة .
(٣) «عقيدة اليهود في تملك فلسطين» ص(٢٢٤ ـ ٢٢٥) نقلاً عن «التوراة ـ تاريخها وغاياتها» ترجمة وتعليق سهيل ديب ص(٦٦) .

فالشكل الذي اقـترحه الرئيس الأمريكي، يتفق والـنص الوارد في «سفر الخروج»: (وكان الرب يسير أمامهم نهـارًا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم) [١].

وقبل وصول هـرتزل نفسه سن الرشد كـانت القيادات المسيـحية الأمريكيـة والأوربية هي أول من رفع الشعار القـائل عن فلسطين: (إنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض).

وأول جماعة ضغط صهيونية أسسها كنسيون أصوليون عام ١٨٨٧م بزعامة القس «وليام بلاكـستون» حينما أنشأ في شيكاغـو منظمة أسماها (البعـثة العـبرية بالنيـابة عن إسرائيل، ودعـا لأول مؤتمر دولي لمناقـشة أوضاع الإسرائيلين ومطالبهم في فلسطين كوطن تاريخي لهم [٢].

* السفارة النصرانية الدولية:

وهناك جماعة أخرى أصولية إنجيلية تؤمن بحرفية التوراة والإنجيل، وتعطي اليـهود الوعـد الذي يفـترونه على اللّـه، هذه الجمـاعة تسـمى «السفارة المسيحية الدولية»، وتعـتقد هذه الجماعة أن اللّه وحده هو الذي أنشأ هذه «السفارة» ومـقرها في القدس وتنتشر فروعهـا في جميع أنحاء العالم، ويقول مؤسس هذه الطائفة:

«إننا صهاينة أكثر من الإسـرائيليين أنفسهم؛ وإن القدس هي المدينة الوحـيـدة التـي تحظى باهتـمـام اللّه، وإن اللّـه قـد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد».

---

(١)«عقيدة اليهود» ص(٢٢١).

(٢)«عقيدة اليهود» ص(٢١٨).

وتؤمن هذه المنظمة بأنه إذا لم تبق «إسرائيل»، فإنه لا مكان للمسيح عند مجيئه الثاني.

ولا تكتفي هذه المنظمة بدعم إسرائيل، بل تدعم سياستها التوسعية وتعتبر أن الضفة الغربية والقطاع حقوق أعطاها الرب للشعب اليهودي.

وهذه المنظمة التي تعتبر من أخطر المنظمات في أمريكا والعالم كله كانت لها سبعة أهداف: الهدف الأخير منها هو تنصير اليهود في أرض فلسطين، أي: أن يؤمنوا بعودة المسيح ويتنصروا تقدمة لمجيئه، ولكن اليهود استطاعوا إلغاء هذه النقطة فبقيت النقاط الست الأولى في هذا البرنامج؛ ولنقرأ هذه النقاط:

أولاً: إبداء الاهتمام البالغ بالشعب اليهودي وبدولة «إسرائيل».

ثانيًا: تذكير وتشجيع «المسيحيين» للصلاة من أجل القدس وأرض «إسرائيل».

ثالثًا: تعليم «المسيحيين» في أنحاء العالم وتثقيفهم في كل ما يجري «بإسرائيل».

رابعًا: حث القيادات «المسيحية» والكنائس والمنظمات الدينية على ممارسة النفوذ المؤثر في بلادها لمصلحة «إسرائيل» والشعب اليهودي.

خامسًا: إنشاء أو مساعدة مشروعات في «إسرائيل» لتحقيق رفاهية اليهود.

سادسًا: ممارسة نفوذ وفاقي بين العرب واليهود. وحذفوا السابعة!!

* **بال الثانية**:

والآن نضرب مثلاً واحدًا من أعمال هذه المنظمة الأخطبوطية

المنتشرة في جميع أنحاء العالم.

تعرفون أنه في مدينة بال بسويسرا انعقد المؤتمر الصهيوني الأول الذي حضره هرتزل عام ١٨٩٧م، وأرادت هذه المنظمة عن عمد، وإصرار أن تقيم مؤتمرًا لها في المدينة نفسها، ولكنه للصهيونية الإنجيلية الأصولية، وليست اليهودية، وقد أقاموه بالفعل في هذه المدينة عام ١٩٨٥م، وقالوا في إعلان هذا المؤتمر:

«نحن الوفود المجتمعين هنا من دول مختلفة وممثلي كنائس متنوعة بهذه القاعة الصغيرة نفسها التي اجتمع بها منذ ثمانية وثمانين عامًا مضت الدكتور تيودور هرتزل ومعه وفود المؤتمر الصهيوني الأول الذي وضع اللبنة الأولى لإعادة ميلاد دولة «إسرائيل» جئنا معًا للصلاة ولإرضاء الرب، ولكي نعبر عن ديننا الكبير وشرفنا العظيم «بإسرائيل» الشعب والأرض والعقيدة، ولكي نعبر عن التضامن معها، وإننا ندرك اليوم بعد المعاناة المريرة التي تعرض لها اليهود أنهم ما زالوا يواجهون قوى حاقدة ومدمرة مثل تلك التي تعرضوا لها في الماضي، وإننا كمسيحيين ندرك أن الكنيسة أيضًا لم تنصف اليهود طوال تاريخ معاناتهم واضطهادهم، إننا نتوحد اليوم في أوروبا بعد مرور أربعين عامًا على اضطهاد اليهود؛ لكي نعبر عن تأييدنا «لإسرائيل»، ونتحدث عن الدولة التي تم إعداد ميلادها هنا في بال، إننا نقول ذلك أبدًا، ولا رجعة للقوى التي يمكن أن تتقدم لاسترجاع أو تكرار اضطهادات جديدة ضد الشعب اليهودي».

وقال أيضًا: «إننا نهنئ دولة «إسرائيل» ومواطنيها على الإنجازات العديدة التي تحققت في فترة وجيزة تقل عن أربعة عقود، إننا نحضكم

على أن تكونوا أقوياء في اللَّه، وعلى أن تستلهموا فطرته في مواجهة ما يعترضكم من عقبات، وإننا نناشدكم بحب أن تحاولوا تحقيق العديد مما تصبون إليه، وعليكم أن تدركوا أن يد اللَّه وحدها هي التي ساعدتكم على استعادة الأرض وجمعتكم من منفاكم طبقًا للنبوءات التي وردت في النصوص المقدسة، وأخيرًا فإننا ندعو كافة اليهود في جميع أنحاء المعمورة بالهجرة إلى «إسرائيل» كما ندعو كل مسيحي أن يشجع ويدعم أصدقاءه اليهود في كل خطواتهم الحرة التي يستلهمونها من اللَّه».

نرجو أن نتذكر أن هذا المؤتمر كله نصارى، فلا توهمنا هذه النصوص فنظن أن المؤتمر للأصولية الصهيونية.

ولننظر ماذا قرر هذا المؤتمر، هل كانت قراراته متعلقة بالنصارى، وشؤونهم الدينية؟ لنقرأ أهم القرارات:

أولاً: عدم تقديم تنازلات من الغرب إلى الاتحاد السوفيتي طالما أنه لا يسمح بهجرة اليهود منه إلى دولة «إسرائيل» (وهذا كما تعلمون طبق تمامًا).

ثانيًا: تشجيع «إسرائيل» ومواطنيها على المشاركة الكاملة في كل الهيئات والمؤسسات الدولية، والمطالبة بانسحاب جميع الدول الأوروبية والأمريكية من أي اجتماع يعقد، ولا تمثل فيه «إسرائيل» (وهذا القرار وضع؛ لأن العرب يهددون أحيانًا بالانسحاب فتضطر الدول لمجاراة العرب لأنهم أكثرية).

ثالثًا: على كل الأمم الاعتراف بإسرائيل، وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها. ونخص بالذكر حكومة «الفاتيكان».

(قد تقولون لماذا يخصونها؟ فأقول:

لأن الفاتيكان هي عاصمة الكاثوليك، والكاثوليك لا يؤمنون هذا

الإيمان العـميق لـلبروتسـتـانت «بإسرائيل»، وهذا يـعني أن المسلمين لو تحركوا يسـتطيعون اسـتـخدام عنصرين مهمين اسـتخدامًا جـيدًا، العنصر الأول: الكاثوليك، والعنصـر الثـاني: اليـهود المنشـقـون غيـر المؤيدين لإسرائيل ولا سـيما في أمـريكا حيث يوجـد ثلاث ملايين يهودي غـير مؤمنين بدولة «إسـرائيل»، ومنهم كتاب وأدباء ومفكرون يهـاجمون دولة «إسرائيل»، ولكن لا أحد يجيد استخدامهم أو الإفادة منهم).

رابعًـا: يعلن المؤتمر أن يهوذا والسامـرة بحق التوراة والقانون الدولي وبحكم الواقع جزء من «إسرائيل».

خامسًا: نطالب كل الأمم بالاعتراف بالقدس عـاصمة أبدية موحدة «لإسرائيل»، ونقل سفاراتها من تل أبيب إليها.

سادسًا: مطالبة الدول الصديقـة «لإسرائيل» بالتوقف عن تزويد أية دولة في حالة حرب مع إسرائيل بالأسلحة بما في ذلك مصر التي وقعت معها اتفاقية كامب ديفيد.

ســابـعًــا: مطالبة كل الحكـومات بنبذ منظمـة التحرير الفلـسطينية واعتـبارها منظمة إرهابيـة، وتأتي هذه المطالبة تنفيـذًا لما ورد في التوراة حول أن اللَّه يبارك من يبارك اليهود، ويلعن من يلعنهم.

ثامنًا: إدانة كل أشكال معاداة السامية، وهي عداء «إسرائيل» واليهود.

تاسـعًا: الدعوة لتذكر كل الفظائع التي ارتكبتـها ما تسمى بالحضارة المسيحيـة ومن يسمون المسيحيين ولا سيـما المذابح التي قامت في الحرب العالمية الثانية.

أي أنهم يرون أن كل من وقف في وجه اليهود من النصارى ليسوا نصارى حقيقيين.

عاشرًا: العمل نحو توطين اللاجئين العرب الذين تركوا «إسرائيل» عام ١٩٤٨م في البلدان التي رحلوا إليها.

حادي عشر: مساعدة «إسرائيل» اقتصاديًّا وذلك بإنشاء صندوق دولي برأسمال قدره مائة مليون دولار للاستثمار في تطويرها.

وبالفعل ما انتهى المؤتمر إلا وجمع مائة مليون دولار إضافة إلى المساعدات التي تجمع باستمرار لمساعدة «إسرائيل» وضمن ذلك يقومون بتشجيع الاستثمار الخاص في «إسرائيل».

ثاني عشر: مطالبة كل المسيحيين، وكل الأمم بعدم الخضوع لأنظمة المقاطعة العربية «لإسرائيل».

(وبالطبع ستتوقف المقاطعة وتنتهي بعد مدريد مع أنها أصلاً ما كانت إلا شكلية في أغلب الأحيان).

ثالث عشر: دعوة مجلس الكنائس العالمي في جنيف إلى الاعتراف بالصلة التوراتية التي تربط بين الشعب اليهودي وبين أرضه الموعودة، وكذلك بالبعد التوراتي والنبوئي لدولة «إسرائيل».

ويعني هذا أن العقيدة التي قامت عليها دولة «إسرائيل» عقيدة إيمانية يجب على مجلس الكنائس أن يعترف بها.

رابع عشر: يصلي أعضاء المؤتمر وينظرون بشوق إلى اليوم الذي تصبح فيه القدس مركزًا لاهتمام الإنسانية حينما تصير مملكة الرب حقيقة وواقعًا [1] اهـ.

---

(١) عن السفارة النصرانية وهذا المؤتمر: انظر «البعد الديني» ص(١٤)، و«النبوءة والسياسة» ص(١٣١)، وقد حضرت المؤلفة المؤتمر وشرحت ما دار فيه عن مشاهدة.

ومملكة الرب يفهمها النصـارى على أنها مملكة المسيح ابن مريم بناء على ما عندهم.

أما اليهود فيفهمونها على أنها مملكة المسيح الدجال كما تقدم.

وهنا لا بد أن أؤكـد أن الذين يـؤمنون بهـذا الوعـد التـوراتي هم المؤمنون بالمسيح الدجال، وبالتالي فكل من يعـتقد أو يوافق على مشروع إسرائيل آمنـة مطمئنة فإنه شـاء أم أبى، علم أو لم يعلم، يعـمل لإنشاء مملكة المسيح الدجال هذه، ويسـعى لتحقيق النبوءة التوراتيـة التي يدعيها هؤلاء، ويخـدم راضيًـا أم غيـر راضٍ، يعلم أو لا يعلم، هذه الأهداف الصهيونية التي يؤمن بها هؤلاء الأصوليون مع أولئك اليهود.

وها هنا مـفرق الطريق بين الإسـلاميين وبين اللاهثـين وراء سراب مدريد وغير مدريد.

فلا حرج ولا تردد في الإجابة القاطعة الواضحة عن سؤال: ما هو موقف الإسلاميين من مؤتمر السلام؟ فهو الرفض الحاسم والإنكار الجازم ليس عنادًا ولا تصلبًا، ولكنه موقف عقدي محتوم»[1].

* «معركة هَرْمَجدّون» واعتقاد البروتستانت واليهود فيها:

أصل كلمة «هَرْمَجِـدُّون» عبرية، ومعناها الحرفي: جبل مـجيدو، فكلمة «هار» تعني في العبرية: جبل، فإذا أضيفت إلى اسم الوادي صار «هارمجيدو» التي دُمِجت في النصوص القديمة إلى «هرمجدون».

وأرض مجـدو تبعد ٥٥مـيلاً عن تل أبيب، وهي في موقع يبـعد ٢٠ميلاً شرق حيفا، عـلى بعد ١٥ميلاً من شاطئ المتوسط، وترتبط في

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» ص(٦٣ ـ ٦٨).

الاعتقاد القديم بأنها الأرض التي كان الفاتحون القدامى يعتقدون أن أي قائد يسيطر عليها يمكنه أن يصمد أمام أعدائه مهما كانت أعدادهم، ويعتقد اليهود والنصارى أن جيوشًا من مئتي مليون جندي سيأتون إلى مجدو للبدء في خوض حرب نهائية، ونصوصهم تدل على أن هذه المعركة سوف تتورط فيها كل الأمم، أي ستكون حربًا عالمية، ولكن أوارها سيشعل أولاً في منطقة الشرق الأوسط وفي فلسطين بالذات، والنصارى يعتقدون أيضًا أن تلك الحرب سوف تستغرق مدة سبع سنين، وهي مدة كافية تعطي لليهود فرصة كي يروا بأنفسهم كيف ينتقم اللَّه من أعداء المسيح مما يدل على صدقه فيؤمنوا به. ويعتقدون أيضًا ـ بمقتضى الإنجيل ـ أنه ستمر سبعة أشهر حتى يتمكن «بيت إسرائيل» من دفن جثث الضحايا وينظفوا الأرض منها»[١] .

□ «ويعتقد هؤلاء أن نهاية المعركة ستكون انتصارًا حاسمًا للنصارى وتدميرًا كاملاً للوثنيين، أي: المسلمين، وذلك بأن يرتفع النصارى فوق السحاب مع المسيح، وأما المسلمون فيغرقون في بحيرة النار المتقدة بالكبريت على حد قول الرؤيا، أي: أن هؤلاء المنتسبين للمسيح زورًا الذين اتخذوه إلهًا من دون اللَّه سينجون جميعًا حتى عرايا شيكاغو وباريس ومقامري لاس فيجاس وشواذ سان فرانسيسكو ومدمني ميامي، وأما المؤمنون الموحدون القانتون فسيهلكون، ولو كانوا عند الكعبة؛ لأنهم كنعانيون، وقد فسروا النار الكبريتية بأنها قنابل نووية يلقونها على المسلمين!!

---

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٦٠ ـ ١٦١).

□ تقول غريس هالسيل: «اقتناعًا منهم بأن هرمجدون نووية لا مفر منها بموجب خطة إلهية، فإن العديد من الإنجيليين المؤمنين ألزموا أنفسهم سلوك طريقٍ مع إسرائيل يؤدي بصفــة مباشرة - باعترافــهم أنفسهم - إلى مجزرة أشد وحشية وأوسع انتشارًا من أي مجزرة يمكن أن يتصورها عقل أدولف هتلر الإجرامي»[1].

هذه العــقيدة الألــفية يـؤمن بها فـئات مخـتلفة فـي أمريكا غـير الأصوليين الإنجيليين ابتداءً من رؤساء الجمهورية وانتهاءً بكثير من العامة.

وقد ظهــرت كتب عن هذه النبوءات، ولاقت رواجًا هائلاً أهمــها كتابان:

الأول: كتابًا «دراما نهاية الزمن»، ومؤلفه: (أوترال لوبرتس).

والثاني: كتاب «نهاية الكرة الأرضية العظيمة» ومؤلفه: (لندسي).

وكلاهما يصور بشكل درامي مثير نهاية العالم القريبة وانهيار حضارته ودمار جيوشه بقيام معــركة هرمجدون، حتى أن أحدهم يقول: لا داعي للتفكير في ديون أمريكا الخارجية أو ارتفاع الضرائب أو مستقبل الأجيال القادمة، فالمسألة بضع سنوات ويتغير كل شيء في العالم جذريًّا»[2].

* صحوة صليبية إنجيلية أمريكية:

يؤكد الكتاب التعريفي الذي توزعه المراكز الثقافية الأمريكية - ومنها مركز جدة - بعنوان «أمــريكا اليوم» أن الأمريكان ليسوا شعبًا غــير متدين كما نظن، وهذا صحيح، ولكن الدين عندهم فضفاض ومرن، يكفي أن

---

(١) «البعد الديني».
(٢) «القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى» ص(٣٣، ٣٤، ٣٧).

تؤمن بما تقوله الكنيسة، وما توجه به من تعاليم، وتكون عضواً فيها بشكل ما، ولا يعني تدينهم السلوك الجاد، وهناك إحصاءات أجريت تقول: إن أكثر الشعوب النصرانية تدينًا من حيث النسبة العددية هي أيرلندا في المقام الأول ثم أمريكا.

ويذكر معهد جالوب المتخصص في الإحصاءات أن أكثر من ٩٤٪ من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يؤمنون بالله (بالطبع على عقيدتهم)، وأن ٧١٪ من سكانها يؤمنون بالبعث بعد الموت على العقيدة الإنجيلية، وتقول أيضًا بعض الإحصاءات: إن عدد أعضاء الجسم الكنسي في الولايات المتحدة سنة ١٩٧٠م كان ١٣١ مليونًا من الأمريكان، وجميعهم ينتمون إلى الكنائس، وارتفع عام ١٩٨٠ إلى حوالي ١٣٥ مليونًا، ولكنه قفز خلال السنتين التاليتين إلى ١٣٩ مليونًا وستمائة ألف.

أما بكم يتبرع هؤلاء الأمريكان للكنائس؟ يقول الإحصاء: في عام ١٩٨٢م (وهو يعتبر قديمًا): أنهم يتبرعون بحوالي ستين ألف مليون دولار، في حين أن النشرات الحكومية مثل (أمريكا اليوم) تقدره بنصف هذا الرقم، وهو كثير، وقد نشرت المجلة الدولية لأبحاث التنصير سنة ١٩٨٩م أن مجموع التبرعات الكنسية لأغراض التنصير هو (١٥١) ألف مليون دولار (أي في أمريكا وغيرها). وقد ارتفع الرقم سنة ١٩٩٠م إلى أكثر من (١٨٠) مليار.

وقد رصدوا لتنصير الصومال وحدها (١٩٦) ملياراً.

* جامعات ومدارس:

ثم نأتي للمدارس الدينية والجامعات والشبكات التلفازية في أمريكا، كم تتوقعونها؟ أتظنون أن الصحوة النصرانية في أمريكا مثل الصحوة

الإسلامية عندنا هنا ليس لها مجلة أو صحيفة أو إذاعة فضلاً عن أية قناة تلفازية عبـر الأقمار الصناعية؟! لا بل تمتلك الكنائس وتدير عـدة مئات من المدارس والجامعات والمعاهد في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي عام ٨١ ـ ١٩٨٢م بلغ عدد معاهد التعليـم العالي ١٩٤٨ معهداً، فكم تكون الآن؟!

أما المدارس فقد كان عددها عام ١٩٥٤م لا يزيد عن ١٢٣ مدرسة ثم قفز عددها عام ١٩٨٠ إلى ما يزيد على ١٨ ألف مدرسة.

وليس جديداً أن يقال إن الجامعات الشـهيرة في أمريكا أنما أسست على أساس ديني بروتستانتي ومنهـا (هارفارد وييل وجورج تاون وديتون وبيلور ودنفر وبوسطن.. إلخ).

وإجمالاً تستطيع أن تقول: إن للأصوليـة النصرانية في أمريكا أكثر من ٢٠ ألف مـدرسـة ومعـهـد وكليـة والملايين من الطلاب والدارسين للتوراة، وكلهم يؤمنون بهذه العقائد التوراتية التي تحدثنا عنها.

* الإعلام الديني:

بل تأتي الدلائل أغـرب من هذا كله، وهي أثر الدين في الإعـلام الأمريـكي، فمـحطات الإذاعة والتـفاز مـشغـولة بالحديث عن التـوراة ورجالها، ويقولون: إن صور نجوم البـرامج الدينية المسموعة والمرئية من أمثـال جيري غـراهام وجيـري فولويل احتلت صـفحـات أبرز المجلات الأسبوعـية، وأصبحـت تسيطر على عقول الأمـريكان، حتى إن هؤلاء النجـوم ـ نجوم الأصـولية؛ ومنهم سـويجـارت صاحب برنامج الحـملة الصليبية الذي انهزم في مناظرة من الشيخ أحمد ديدات أصبحوا ينافسون

نجوم «السينما» والفن والرياضة في اجتذاب اهتمام الجماهير وتتبع أخبارهم وأحاديثهم باستمرار.. وقدرت بعض الإحصاءات نسبة الأمريكيين المستمعين والمتابعين لبرامج الأصولية الدينية في عام ١٩٨٠ بحوالي ٤٧٪ من السكان، ويقولون: إنهم يفتتحون محطة إذاعية كل أسبوع ومحطة تلفاز كل شهر.. ذلك إحصاء منذ أكثر من عشر سنوات فكم وصل العدد الآن..؟!

وهناك رابطة مشهورة على مستوى أمريكا اسمها «الرابطة الوطنية للمذيعين الدينيين» أي: المذيعين العاملين في الإذاعات الدينية في جميع أنحاء أمريكا، وقد أنشئت هذه الرابطة عام ١٩٤٤ يوم كان عدد المحطات الإذاعية ٤٩ محطة، أما في عام ١٩٨٠ فقد أصبحت ٨٠٠ محطة وارتفعت عام ١٩٨٢ لتبلغ ١٠٠٠ محطة تنتج وتدير برامج دينية.

ومما يجدر ذكره أن هذه الرابطة أخذت منذ ١٩٨٠ بعد هذا التوسع الهائل في تنظيم مؤتمر سنوي لأعضائها، وفي هذا المؤتمر تقام صلاة إفطار لمصلحة «إسرائيل»، وتسيطر الحركة الأصولية النصرانية الغربية على جميع شبكات الكنيسة المرئية والمسموعة، ويتلقى نجمان من نجومها وهما جير فولويل وبات روبيرتسون يتلقيان أموالاً أكثر مما يتلقاه الحزبان الرئيسان في أمريكا الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري.

كل هذه حقائق من الصحافة الأمريكية، وقد اعتبرت الحركة الأصولية الأمريكية من الظواهر السياسية في القرن العشرين، وانكب علماء الاجتماع والنفس على دراسة هذه الظاهرة.

وقد تنامت الأصولية النصرانية ليصبح عددها الآن ما يقارب ثمانين مليونًا، ولذلك تعتبر من أهم الحركات في القرن العشرين ويتوقع لها

أحد المحللين أن تستمر خمسمائة عام على الأقل، هكذا يقدرون[١] .

* الكنيسة المرئية :

التلفاز الديني في أمريكا أمره عجب؛ إذ تنتشر البرامج التلفازية في أمـريكا بشكل يصعب مـعه حـصـرها على وجه الدقـة . . ولكن رابطة الإذاعيين الدينيين تقول: إن لديها ألف محطة تلفازية وإذاعية مشتركة في نشاطها، كما تقدر أن عدد المستمعين إلى المحطات الإذاعية المشتركة فيها يصل إلى ١١٥ مليون نسمة أسبوعيًّا، وحوالي ١٤ مليون شخص من أعضـائها يشاهـدون الكنائس المرئية، وتقول بـعض الدراسات: إن أهم عشر كـنائس مرئية في الولايات المتحـدة يشاهدها ٤٠٪ من مـشـاهدي التلفاز الأميركي .

وبالطبع هنا تجد الفرق بين يسر الإسلام وعسر غيره، فنحن جعلت لنا الأرض مسجدًا وطهورًا كـما قال رسول اللَّه ﷺ، ولكن النصارى لا يستطيعون الصلاة إلا في الكنيسة، فتفتقت أذهان موجهيهم عن فكرة هي أنهم قالوا: نحن نأتيكم بالكنيسـة المرئية يوم الأحد . . ففي أي لحظة افتح التلفاز، وستجد الكنيسـة أمامك، فأصبحت الأسر الأمريكية تجلس وتفتح التلفاز فيجدون الكنيسة أمامهم، ويسمونها «الكنيسة المرئية».

ويقدر مـعهد جالوب المتـخصص في الإحصـاء أنه في عام ١٩٨٢ كان ٥٢ مليـون أمريكي يشاهدون برنامـجًا أو أكثر من برنامج الكنيـسة المرئية شـهريًّا وعام ١٩٨٣ حين ظهر الإيدز ارتفع العدد إلى ٦٠ مليون شخص .

(١) انظر التفاصيل في كتاب «البعد الديني».

وفي الدراسة الاستطلاعية التي أعدتها منظمة إذاعات الدول الإسلامية بجدة عن إذاعات التنصير أن في أمريكا وحدها ٣٨ محطة تلفزيونية و٦٦ شبكة كابل و١٤٠٠ محطة راديو ومن بينها أربع خدمات تلفزيونية تتجاوز ميزانية البرامج لكل منها ٥٠ مليون دولار سنويًّا، ولك أن تقارن هذا بواقع الإعلام الإسلامي!!

وفيما يمكن أن نعده نموذجًا لما تبثه هذه البرامج يقول جيمي سويجارت: أشعر أن الولايات المتحدة الأمريكية مرتبطة بحبل ولادة سري مع إسرائيل، وتعود هذه الروابط في اعتقادي إلى ما قبل ظهور الولايات المتحدة الأمريكية بزمن طويل كما ترجع الفكرة اليهودية النصرانية إلى «إسرائيل» ووعد الرب له، وهو وعد أعتقد أنه يشمل الولايات المتحدة الأمريكية أيضًا؛ لأن اللَّه ما زال يقول: إني أبارك الذين يباركون «إسرائيل» وألعن من يلعنونها، ومن فضل اللَّه على الولايات المتحدة الأمريكية أنها ما زالت قوية اليوم، وأنا واثق أن هذا يعود إلى كونها تقف وراء «إسرائيل»، وأدعو اللَّه أن تظل دومًا سندًا «لإسرائيل».

أي أن بركة أمريكا تأتيها من وقوفها إلى جانب «إسرائيل»، ومعنى ذلك أن قوة أمريكا من قوة «إسرائيل».

وهذه قــائمة بأســماء أهــم عشــرة برامج في الكنائس المرئيــة تبعــًا لأكثرها شعبية واجتذابًا للمشاهدين في الولايات المتحدة الأمريكية(١) :

اسم البرنامج واسم صاحبه	البث	المشاهدون أسبوعيًّا	المشاهدون شهريًّا
«السبعمائة ناد» "The 700 Club" (بات روبرتسون) (Pat Robertson)	يومي	٤٤٢٠٠٠٠	١٦٣٠٠٠٠٠
«الحملة الصليبية الأسبوعية» "Weekly Cnusade" (جيمي سواغيرت) (Jimmy Swaggert)	أسبوعي	٣٦٤٠٠٠٠	٩٢٥٤١٠٠
«ساعة من القوة» "Hour of Power" (روبرت شلر) (Robert Shuller)	أسبوعي	٢٧٢٠٠٠٠	٧٦٤١٠٠٠٠
«مجّدوا الرب» "Praise The Iord (PTL)" (جيم باكير) (Jim Bakker)	يومي	٢٤٦٢١٠٠	٥٧٧٣٢٠٠
«توقّع معجزة» "Expect a Miracle" (أورال روبرتس) (Oral Rlberts)	أسبوعي	٣٠٣٧٦٠٠	٥٧٧٣٢٠٠
«ساعة من إنجيل زمان» "Old-Time Gospel Hour" (جيري فولويل) (Jerry Fal well)	يومي	١٨٧٠٠٠٠	٥٦٠٣٤٠٠
«برنامج واستعراض كينيث كوبلاند» (kenneth Copland)	أسبوعي	١٧٨٢٩٠٠	٤٩٢٤٢٠٠
«دراسة في الكلمة» "A Study in the Word" (جيمي سواغيرت) (Jimmy Swaggert)	يومي	١٨٦٧٨٠٠	٤٥٨٤٦٠٠
«يوم الاكتشاف» "Day of Discovery" (بول فان غوردر) (Paul V. Gorder)	أسبوعي	١٤٤٣٣٠٠	٤٠٧٥٢٠٠
«برنامج واستعراض ركس هامبرد» (Rex Humbard)	أسبوعي	١٦١٣١٠٠	٣٧٣٥٦٦٠

(٢) David W. Clark, "Religious Television Audience, paper presented at: The Siciety for the Scientific Study of Religion, Savannah, Georgia, 25 Ectober 1985, P. 27.

---

(١) كتاب «البعد الديني» ص(٩٧).

(٢) «القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى» ص(٤٧ ـ ٥٥).

* ولسن رئيس أمريكا المتعصّب الإنجيلي ابن راعي الكنيسة وراء وعد بلفور والانتداب البريطاني:

لقد افتعل الصليبيون قناع «الانتداب» ليحكموا باسمه التركة العثمانية الممنوعة، وكان مهندس ذلك هو «ابن راعي الكنيسة» كمى سمّى نفسه، وهو المتعصب الإنجيلي «ولسن» رئيس أمريكا حينئذ.. وكان هو وراء وعد بلفور، وكان ولسن هو الذي يحكم أمريكا أثناء الحرب العالمية الأولى.

□ يقول «ولسن» هذا عن نفسه: «إنه يجب على ابن راعي الكنيسة أن يكون قادرًا على المساعدة لإعادة الأرض المقدسة لشعبها اليهودي»، وتقول عنه إحدى المؤلفات اليهوديات: «إن التزام الرئيس ولسن بالصهيونية كان عميقًا جدًا وكان معنيًا بالفكر الصهيوني النصراني للدرجة التي لم ير فيها النتائج الأخلاقية والسياسية والدينية للبرنامج الصهيوني»، ومن الغرائب المضحكات كما يقول أحد الكتاب: «أن ولسون رئيس أكبر دولة مدعي الثقافة كان يظن أن عدد اليهود في العالم مائة مليون في الوقت الذي لم يكن يتعدى عددهم أحد عشر مليونًا»!!.

فانظروا كيف استطاعوا تربيته لترسخ في ذهنه هذه المعتقدات!

وفي أيام ولسن، ومن بعده ظهر رجل لا بد من الإشارة إليه وهو أحد الزعماء المهمين في الولايات المتحدة، وهو رئيس لجنة العلاقات الخارجية في الكونجرس الأمريكي بعد الحرب العالمية الأولى.. يقول في خطاب ألقاه في بوسطن عام ١٩٢٢: «إنه جدير بالثناء أن يرغب الشعب اليهودي في كل أنحاء العالم أن يكون هناك وطن قومي لأفراد جنسه

الراغبين في العودة إلى البلاد التي كانت مهداً لهم، والتي عاشوا وعملوا فيها عدة آلاف من السنوات، وإنني لا أحتمل فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين»، هذا هو حديث رئيس لجنة العلاقات الخارجية في الكونجرس عام ١٩٢٢ أي: قبل ٢٦ عامًا على قيام دولة «إسرائيل» يؤكد أنه لا يطيق أن تبقى القدس وفلسطين تحت سيطرة المسلمين!!

ذلك كله حتى نعلم أنه قبل اشتداد عود اليهود كان النصارى يؤمنون بضرورة «إسرائيل» في فلسطين»[١].

*** سبعة رؤساء أمريكيون أصوليون إنجيليون يضعون نصب أعينهم معركة «هرمجدون»:**

وينقل كتاب «البعد الديني» عن الرئيس كارتر أنه قال:

«لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين، وجسدوا هذا الإيمان بأن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة، بل هي علاقة فريدة؛ لأنها متجذرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه. لقد شكل إسرائيل والولايات المتحدة مهاجرون طليعيون ونحن نتقاسم تراث التوراة»[٢].

ومن الأدلة التي يستدل بها الباحثون على تدين أمريكا وعودتها إلى المحافظة أنها اختارت آخر رئيسين قبل بوش من المتدينين المحافظين، وهما كارتر وريجان، فكارتر كان ملتزمًا التزامًا صارمًا بالكنيسة الإنجيلية،

---

(١) «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» ص(٤٦).

(٢) «البعد الديني في السياسة الأمريكية» للدكتور يوسف الحسن ص(٧٦).

ولا يزال كارتر إلى هذا اليوم مبشرًا، ويتنقل من أفغانستان إلى الحبشة والسودان وغير تلك البلدان مدافعًا عن التنصير، ومبشرًا بالنصرانية، وهذا معروف عند كل من تتبع أخباره، فهو رجل منصر وقسيس.

عندما زار كارتر القدس المحتلة في مارس ١٩٧٩م، وقف أمام الكنيست الإسرائيلي وأدلى بتصريح جاء فيه: «إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة، لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها؛ لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه»(١).

وقد صرح الرئيس ريجان أكثر من إحدى عشرة مرة أن نهاية العالم باتت وشيكة، وأنه يؤمن بمعركة هرمجدون، وقال في حديث مع المدير التنفيذي للوبي الإسرائيلي (إيباك):

«حينما أتطلع إلى نبوءاتكم القديمة في العهد القديم وإلى العلامات المنبئة بهرمجدون أجد نفسي متسائلاً عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك واقعًا، ولا أدري إذا كنت قد لاحظت مؤخرًا أيًّا من هذه النبوءات، لكن صدقني أنها قطعًا تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه».

وقال ريجان:

«إنني دائمًا أتطلع إلى الصهيونية كطموح جوهري لليهود.. وبإقامة دولة إسرائيل تمكن اليهود من إعادة حكم أنفسهم بأنفسهم في وطنهم التاريخي ليحققوا بذلك حلمًا عمره ألفا عام»(٢).

---

(١)«قبل أن يُهدم الأقصى» ص(١٤٣).

(٢)المصدر السابق ص(١٧٢ ـ ١٧٩).

ويقول مايـك إيفانز أحد زعماء الأصـولية الإنجيليـة، ـ وسيأتي الحـديث عنه ـ: «في ينايـر ١٩٨٥ دعا الـرئيس ريجـان: جيـمي بيكر وجيمي سواغـارت وجيري فولويل (وهم من زعماء الأصـوليين وسيأتي الحديث عن الأخيرين) ودعاني أيضًا مع مجـموعة صغيرة أخرى للقائهم بصورة شـخصـية؛ لن أنسى مـا قاله لنا، أعـرب الرئيس عن إيمانه بأن أمريكا على عتبة يقظة روحية وقال:

إنني مؤمن بذلك من كل قلبي، إن اللَّه يرعى أناسًـا مثلي ومثلكم في صـلاة وحب ابتـهـالين لإعداد العـالم لصـورة ملك الملوك وسـيـد الأسياد»[1]. يعني: المسيح.

وقف الرئيس الأمريكي الـسابق ريجان ١٩٨٤ أثناء زيارته لمعـبد يهودي في نيويورك، وقـال للحاضرين من اليهود والنصارى: «جـميعنا هنا اليوم أحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أبناء وبنات الإله نفسه».

في يناير (كـانون الثاني) ١٩٨٥ وجـه ريجـان دعوة لجيم بيكر وجمي سواجـرت وجيري فالويل ولفـيف من الكنيسة الإنجيـلية، وكان اللقـاء خـاصًّـا، وقال ريجان: أعتقد بأن أمريكا كانت على شفا صحوة روحية، وأن اللَّه هيأ أناسًا على شاكلتي لتهيئة العالم لمقدم رب الأرباب.

أعلن ريجان أن عـام ١٩٨٤ هو عام (الكتـاب المقدس) بعـهديه القديم والحديث.. وقال في حديث صـحفي: «إنهم يهاجمونني؛ لأنني أعلنت أن هذه السنة سنة الكتاب المقدس، إنني أعتز بهذا الاتهام وأحمله وسامًا على صدري.. لقد أخـبروني أنه منذ بداية الحضارة سُنت ملايين

---

(١) «النبوءة والسياسة» ص(١٩٤).

القوانين، ولكنها جميعًا لم تصل إلى مستوى قانون اللَّه في الوصايا العشر لموسى».

▫ يقول الأمريكي (أندرولانج) مدير الأبحاث في معهد الدراسات المسيحية، والمقيم بواشنطن: «لقد أجريت دراسة عميقة عن ريجان والاعتقاد بمجدو ووجدت أن ريجان قد نشأ على ذات نظام المعتقدات التي نشأ عليها كل من (كلايد، وجيري فالويل، وجيمي سواجارت) ومبشرين آخرين، وإن لدى ريجان اعتقاد بهذا اليوم على الأقل إلى وقت قريب من توليه الرئاسة».

وقد عقد (لانج) مؤتمرًا صحفيًّا نظمه معهد الدراسات المسيحية، وقال في المؤتمر: «إنني وآخرون من المعهد أردنا التحقيق في أمر ريجان وأيدلوجية مجدو بالنظر إلى إمكانية أن يعتقد رئيس ما - شخصيًّا - بأن اللَّه قد قدر سلفًا حربًا نووية، هي إمكانية تثير عددًا من الأسئلة المخيفة، فهل سيؤمن رئيس معتقد بهذه الإمكانية لتفاوض على نزع السلاح حقًّا؟ وهل سيكون إذا وقعت أزمة نووية واعيًا ومتعقلاً؟ أم أنه سيكون تواقًا للضغط على زرٍّ ما شاعرًا بذلك أنه يحقق تخطيط اللَّه المقدر سلفًا لنهاية الزمن»؟!!.

وفي الحقيقة فإن رونالد ريجان نفسه يشير إلى عواطفه الدينية المبكرة، إذ قال في مقابلة تليفزيونية مع المبشر جيم بيكر عام ١٩٨٠: «كنت محظوظًا؛ لأن أمي غرست فيَّ إيمانًا عظيمًا أكثر بكثير مما أدرك في ذلك الحين».

ويعارض ريجان بباعث من معتقده الديني مسألة الفصل بين الدين والسياسة التي يتبجح كثير من حكام المسلمين بالتغني بها. يقول: «لا

يوجد شيء اسمه الفصل بين الدين والسـياسة، وإن القائلين بهذا الفصل لا يفهمون القيم التي قام عليها المجتمع الأمريكي»[١].

والمقربون من ريجان يؤكدون بأن اعتقاده بقرب مجدو أكيد وقوي. تقول الكاتبة (جريس هالسيل):

يروي (جيـمس ملز) ـ الذي كـان رئيسًـا لمجلس شـيـوخ ولاية كاليـفورنيا ـ ضمن مـقالة نشرتها له مـجلة (سان رييجو مـاجازين) في أغسطس ١٩٨٥م أن ريجان سـأله أثناء مأدبة حضراها، عمـا إذا كان قد قرأ الفـصلين (٣٨، ٣٩) من (حزقـيال)، فأكـد ملز لريجان أنه قـد قرأ بالفـعل وناقش فقـرات حزقـيال التي تتـحدث عن يأجـوج ومأجـوج، وعندئذ تحدث ريجان بحـرارة عن تحول ليبيا إلى الشيـوعية، وأصر على أن هذا علامة تدل على أن يوم معركة مـجدو ليس ببعيد (لأن تحول هذه الدولة إلى الشيوعـية يجعلها من القوى الشـريرة التي ستنضم مع الجيش الشرقي الكبير ضد إسرائيل).

ـ ثم قام (ملز) بتـذكير ريجان بأن حزقـيال قال أيضًا: أن الحـبشة ستكون بين القوى الشريرة، فقال ريجان: «إنني أوافق على أن كل شيء لم يأخـذ مكانه بعـد، ولكن لم يبق إلا حـدوث هذا الشيء فـقط، إذ يجب أن يسيطر الحمر على أثيوبيا»!.

ـ وعندما قـال ملز إنه لا يعتقـد أن هذا أمر مرجح، قـال ريجان: «اعتقد بأن هذا أمـر لا مفر منه، إنه ضروري لتحقـيق النبوءة القائلة بأن أثيوبيا ستكون من الأمم الكافرة التي ستقف ضد إسرائيل»[٢].

---

(١) «الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل الكيلاني ص(١١).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٥٤، ١٥٥).

ويبدو أن ريجان قـد ذهب بعيدًا في إيقانه من أن المسـألة أصبحت مسألة وقت بالنسبة لمجيء اليوم، فهو يعتقد أن لا عقبات هناك تحول بين ذلك اليـوم، وبين حدوثه، قال ريجـان للمز: «إن كل النبـوءات الأخرى التي تعين تحقيقها قبل معركـة مجدو قد حدثت والفصل ٣٨ من حزقيال يقول: إن الـلَّه سيأخـذ بني إسرائيل من وسط الـكفار حيث سـيكونون مشتتـين، ثم سيلم شملهم مرة أخرى في أرض الميعـاد، وقد حدث هذا بعد قـرابة ألفي سنة، ولأول مرة في التاريخ فـإن كل شيء مهيأ لمعـركة مجدو، والمجيء الثاني للمسيح».

وهناك قرائن تدل على أن ريجان ظل مـحتفظًا باعتقاده فـي معركة مجدو حتى ركب سُدَّة الحكم في أكبر دولة في العالم وأقواها.

فعندما رشح نفسه للرئاسة عام ١٩٨٠م أدلى رونالد ريجان بتعليق عن نهاية العالم أثار انتباه المعلقين السـياسيين؛ حتى قال أحد المعلقين في صحـيفة نيويورك تايمز (وليـام سافيـر): إن ريجان كان يخاطب حـينئذ مجموعة من زعماء اليهود، وقال لهم: «إن إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي نستطيع الاعتماد عليها كبقعة ستحدث فيها معركة مجدو».

وقال ريجان في مناسبـة أخرى للمبشر جيـري فالويل: «جيري.. إنني اعتقد أحيانًا بأننا نتجه الآن بسرعة عالية جدًّا نحو معركة مجدو».

وفي أكتوبر (تشـرين) ١٩٨٣ كشف ريجان النقاب عن أن مـعركة مجـدو ليست فقـط عقيـدة لا تزال تسكن قلبه، بل إنهـا لا تزال تشغل باله. فقـد اتصل هاتفـيًّـا مع (توم داين) من اللجنة المركزية الأمـريكية الإسـرائيلية للشـئون العامـة، التي هي أقوى مـجـموعـة ضغط قـوية لإسـرائيل، وقال دايـن إن ريجان قـال له: «أتدري..؟ إنني أعـود إلى

أنبـيائكم القـدامى في العهـد القديم، وإلى الدلائل التي تنبئ بمـجدو، وأجدني أتسـاءل عمـا إذا كنا الجيل الذي سـيشـهد ذلك. . لا أدري إن كنت لاحظت أيًّا من هذه التنبؤات في الأزمنة الأخيرة. . ولكن صدقني إنها تصف بالتأكيد الزمن الذي نعيشه».

والرئيس الأمريكي ريجـان لم يكن يخفي توجيهاته الديـنية الدفينة قبل، وبعـد تولي الرئاسة، وهو بعد أن نجح في انتخـابات الرئاسة التي جاءت به لمقـعد الحكم لبس القبعـة اليهودية المعـروفة، وألقى خطابًا في مؤتمر يهودي، كدليل التزامه بالصهيونية وولائه المطلق لليهود.

❑ قال المسـتشار الأمريكي للأمن القـومي (بريجنسكي): «إن على العرب أن يفـهموا أن العلاقـات الأمريكية الإسـرائيلية لا يمكن أن تكون متـوازنة مع العـلاقات العربـية؛ لأن العلاقـات الأمريكيـة الإسرائيلـية علاقات حميمة مبنية على التراث التاريخي والروحي»[١] .

* بوش وما أدراك ما بوش!!

❑ وقف الرئيس الأمـريكـي «جـورج بوش» أمـام حـائط (المبكى) (البراق) في القدس، وقد لبس القبعة اليهودية وقبَّل أحجار الحائط القديم الذي يرمـز للهيكـل. وكانت الزيارة في عـام ١٩٨٧ عندمـا كان نائبًـا لريجان ونشرت الجرائد صورته على هذه الهيئة»[٢] .

جورج بوش الذي كـان نائبًا لريجـان وساعـده الأيمن، والذي قدّم لليهود ما لم يقدمه قبله لا ريجان ولا غيره.

---

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٥٦ ـ ١٥٧).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤٢، ١٤٣، ١٤٤).

والذي أظهر أثناء أزمة الخليج من التعاطف مع الأصوليين ما لم يسبقه إليه أحد؟!

كما أن بوش له علاقات صداقة حميمة مع زعماء الأصوليين الإنجيليين وخاصة جيري فولويل الذي يقول عنه بوش: «أعتقد بكل أمانة أننا برجال من أمثال جيري فولويل، فإن شيئًا فظيعًا كالإبادة الجماعية لليهود لن يحدث ثانية[1] ـ وسيأتي الحديث عن هذا الأصولي لاحقًا ـ.

وتذكر غريس هالسيل أن فولويل أقام حفل غداء في ٢٥ يناير ١٩٨٦ على شرف بوش، وقال في الحفل: «بوش سيكون أفضل رئيس في عام ١٩٨٨»[2] .

ومهما قيل عن ماضي بوش الإجرامي، فإنه يصف نفسه في كتابه «التطلع إلى الأمام» بأنه متدين، وأن جده كان قسيسًا، وأنه هو وأسرته يقرءون الكتاب المقدس كل يوم، ويتحدث كيف واجهته مشكلة تعميد ابنته حينما كان سفيرًا في الصين، وصورته وهو يرتدي القبعة السوداء ويلثم حائط المبكى على طريقة اليهود يعرفها الجميع.

* (١٩٩٩ نصر بلا حرب):

هذا عنوان كتاب للرئيس «نيكسون» أكثر رؤساء أمريكا فكرًا وتنظيرًا، والعنوان يشعر بالفكرة الألفية وسيطرة الحكومة الواحدة على العالم، يقول نيكسون:

«في العالم الإسلامي من المغرب إلى أندونيسيا ورثت الأصولية

---

(١) «البعد الديني» ص(١٧٢).

(٢) «النبوءة والسياسة» ص(٣٢)، وهذا ما حدث فعلاً كما هو معلوم: وفي ذلك دليل على ارتباط بوش بالأصولية وضرورة اعترافه لهم بالجميل!!.

الإسلامية مكان الشيوعية باعتبارها الأداة الأساسية للتغيير العنيف» [١].

ويختم كـتابه بعبارات لا يتـفوه بها إلا أعتى الأصـوليين الإنجيليين فيقول: «عندما كانت أمريكا ضعيـفة وفقيرة منذ مائتي سنة مضت كانت عقيـدتنا هي المبقية علينـا، وعلينا ونحن ندخل قرننا الثالث، ونسـتقبل الألف سنة المقبلة أن نعيد اكتشاف عقيدتنا ونبث فيها الحيوية».

وقد نشـرت له مجلة الشـؤون الخارجيـة تعليقًا عـلى اللقاء الأول الشهير بين ريجان وغورباتشوف قال فيه:

«يجب على روسـيـا وأمريكا أن تعـقـدا تعاونًا حـاسـمًا لضـرب الأصولية الإسلامية» [٢].

* الرئيس الأمريكي ترومان يعترف بإسرائيل، بعد ١١ دقيقة فقط من إعلان قيامها:

في عهـد الرئيس الأمريكي ترومان طلب خـمسة آلاف قـسيس بروتستانتي أمـريكي إلى الحكومة أن تتدخل لإباحة الهجـرة اليهودية إلى

---

(١) «١٩٩٩ نصر بلا حرب» لريتشار دنيكسون ص(٣٠٧).

(٢) ذكر مؤلف كتاب (أمريكا والشرعية) حادثة تدل على أن الأصولية المتعصبة تجاوزت رجال الكنيسـة والسياسة إلى المثـقفين الكبار. فقـد تحدث جمال الغـيطاني الأديب المصري عن رحلته إلى موسكو مع الشاعر الفلسطيني سميح القاسم ليمثلا اليساريين العرب، ويتحدثا عن الأمجـاد الثورية شعرًا ونثـرًا، ولكن المفاجأة كمـا رواها الغيطاني أن أكبر شـاعر في الوفد الأمريكي قام لإلقـاء قصيدة، وقدم بمقدمة قال فـيها: «يجب علينا نحن الأمريكان والسوفـيت تناسي خلافـاتنا والتحـالف معًـا لضرب الإسـلام»، فإذا بالغيطـاني وزملائه يتبادلون النظرات، ويتساءلون: هل هذه هي التقدمية التي كلنا لها المديح..؟!
انظر: «القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى» ص(٣٧ ـ ٤٠).

فلسطين دون قيد أو شرط وسارع الرئيس ترومان إلى الاستجابة»[١].

وصرح الرئيس الأمريكي (ترومان) في جوابه على سؤال موجه إليه عن كتابه المفضل فأجاب «إنه التلمود»[٢].

ولقد اعترف ترومان بإسرائيل دولة، بعد ١١ دقيقة فقط من إعلان قيامها في تل أبيب، وبادر بتمويل آلاف الملايين من الدولارت من الضرائب الأمريكية إلى دولتهم»[٣].

* الرئيسي الأمريكي روزفلت وميداليته:

في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق روزفلت، تمت موافقته على اتخاذ النجمة الإسرائيلية شعارًا رسميًا لدوائر البريد، وللخوذ التي يلبسها الجنود في الفرقة السادسة، وعلى أختام البحرية الأمريكية وعلى ميدالية رئيس الجمهورية[٤].

❏ يقول «بول فندلي» عضو الكونجرس الأمريكي في كتابه «من يجرؤ على الكلام»: «الواقع أن جميع النصارى ينظرون إلى الشرق الأوسط من منظار الصلة الروحية بإسرائيل، ومن زاوية الميل إلى معارضة، أو عدم تصديق أي شيء يشكك في سياسة إسرائيل، والقناعات الدينية هي التي جعلت الأمريكيين يستجيبون لنداءات اللوبي الإسرائيلي».

---

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤٢).
(٢) المصدر السابق ص(١٤٣).
(٣) «عقيدة اليهود» ص(٢٢٣).
(٤) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤٣).

ويقول: «أعتقد أن أسباب البـركة في أمريكا عبر السنين أننا أكرمنا اليهود الـذين لجأوا إلى هذه البلاد، وبورك فينا لأننا دافـعنا عن إسرائيل بانتظام واعترفنا بحقها في الأرض»[1] .

□ وعندمـا انعقـد المجـمع العالمي الثـاني للكنائس المسيـحيـة في (أفانستـون) عام ١٩٥٤م قدمت له اللجنة المختـصة ببحث علاقـة اليهود بالكنيسة تقريرًا جاء فيه: «إن الرجـاء المسيحي بالمجيء الثاني للمسيح لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء شعب إسرائيل الذي لا نراه بوضوح فقط في كتب العهـد القديم ـ التوراة ـ بل فيمـا نراه من عون إلهي دائم لهذا الشعب، ولا نرتاح قبل أن يقبل شعب اللَّه المختار المسيح كملك».

وأصدرت مجموعة من الأساقفة في المؤتمر المذكور البيان التالي:

«إننا نؤمن أن اللَّه اخـتار إسـرائيل ـ الشعب المخـتار ـ لكي يتـابع خلاصه للبشرية. ومهما كـان موقفنا، فلا نتمكن من نكران أننا أغصان قد تطعمت علـى الشجرة القديمة التي هي إسرائيـل. ولذلك فإن شعب العهد الجـديد لا يمكن أن ينفصل عن شعب العهـد القديم. . إن انتظارنا لمجيء المسـيح الثـاني يعني أملنا القـريب في اعـتناق الشـعب اليهـودي للمسيحية وفي محبتنا الكاملة لهذا الشعب المختار»[2] .

* جيري فولويل:

صاحب برنامج «سـاعة من إنجيل زمـان»، وهو من أشهر قـيادات التيار الأصـولي الأمريكي وله منظمة يسمـونها «الأغلبية الأخـلاقية» أو

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤١).
(٢) مجلة الأمل العدد (١٠٤/ ١٩٨٢).

«الأغلبية المعنوية».

ومن كلماته: «إن دعم الولايات المتحدة لإسرائيل ليس من أجل مصلحة «إسرائيل»، ولكن من أجل مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها». يقول هذا الرجل: «إن الولايات المتحدة الأمريكية جمهورية نصرانية يهودية».

◻ يقول هذا الصليبي - وهو صديق شخصي لبيجين وشامير:

«لا أعتقد أن في وسع أمريكا أن تدير ظهرها لشعب إسرائيل، وتبقى في عالم الوجود فالرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهود».

وقال: «أنتم تعلمون أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يجلس المسيح يومًا على عرش داود في القدس».

وقد قام برحلة إلى فلسطين عام ١٩٨٣ اصطحب فيها ٦٣٠ مسيحيًّا استقلوا الطائرة من نيويورك إلى تل أبيب، وذهبوا إلى «مجدو» مكان المعركة المنتظرة.

◻ ويقول «فولويل»: «إن الوقوف ضد «إسرائيل» هو وقوف ضد اللَّه»، ويشير في برامجه إلى ما يسميه (وعد اللَّه لإبراهيم منذ أربعة آلاف عام)، وقول الرب: «سأبارك من يبارك إسرائيل، وألعن من يلعنها» كما في التوراة ويضيف:

وبناء على هذا فإن على الولايات المتحدة ألا تتردد في تقديم كل الدعم المالي والعسكري إلى «إسرائيل».

وعندما قامت دولة «إسرائيل» عام ١٩٤٨ لم يعتبر ذلك مفتاحًا

للنبوءات التوراتية فحسب بل قال: «إن هذا علامة على مباركة اللَّه وفاء لشعب اللَّه».

ويقول فولويل ـ وهذه عبارة مهمة بالنسبة لمشروع السلام ـ: «إنه لا مـجال للنقـاش بكون يهـوذا والسامـرة جـزءًا من «إسرائيل»، وكـذلك الجولان، وإن القدس عاصمة أبدية موحدة لـ «إسرائيل».

وقد أنشأ فولويل جـامعة سماها «جامعـة الحرية» ويقول: إن عدد طلابهـا سيـصل عام ٢٠٠٠ إلى خـمسـين ألف طالب، ويتعلم فـيهـا الطلاب علم اللاهوت من وجـهة النظر اليهـودية، وهذه الجامعـة ينتمي طلابها إلى دول كثيرة.

وهو يؤكـد باستمـرار (أن إعادة تأسـيس إسرائيل عـند المسيـحيين الأصوليين هو إيفاء بالنبوءات) أي: وعود التوراة المحرفة.

وهو لا يكتفي بالحدود الجغرافية الحالية لـ «إسرائيل» بما فيها الضفة الغربية وغزة والجولان بل يطالب بامـتداد أراضيها من الفرات إلى النيل، ويقول فـي برنامجـه «ساعة من إنجـيل زمان» حـينما غـزا اليهـود لبنان واحتلوا بيـروت عام ١٩٨٢ ـ يقول: «يذكر سفـر التكوين من التوراة أن حـدود «إسـرائيل» ستـمـتـد من الفـرات إلى النيل، وسـتكون الأرض الموعودة»، والأرض الموعـودة كما يقـول: «هي العراق وسورية وتركـيا والسعودية ومصر والسودان وجميع لبنان والأردن والكويت»، فالأصولية الإنجيلية ترى أن كل هذه الأرض أرض كنعان، إذن كلها موعودة.

ويهاجم هذا الـرجل العرب، ويقول: لا مكان للعـرب بيننا، ولا علاقـات حسنة معـهم؛ لأنهم ينكرون قيم الولايات المـتحدة الأمـريكية وطريقة معيشتها، ويرفضون الاعتراف بـ «إسرائيل».

وهذا اتباع لما جاء في التوراة من أن هناك سبعة شعوب ملعونة أهمها الشعب العربي.

بقي أن نقول إن «جيري فولويل» هذا صديق حميم للرئيس الأمريكي بوش، وقد أعلن بوش أكثر من مرة صداقته له كما سبق[1].

* «**بات روبرتسن**» **صاحب الخط ٨٠٠:**

والرجل الثاني «بات روبرتسُن»، وهذا معروف في أنحاء أمريكا كلها بأنه نجم تلفازي ديني، وقد أنشأ هذا الرجل محطة تلفازية تغطي أكثر من ستين دولة أجنبية، وتستخدم الأقمار الصناعية في البث، ويقول الرجل أنه يتلقى أكثر من أربعة ملايين مكالمة عن طريق الخط المجاني رقم ٨٠٠.

وهذه المكالمات تحتوي الفتاوى والأسئلة والاسترشادات الكنسية، ويجيب عليها هو وزمرته.

وهناك محطة مشهورة هي (C.B.N)

هذه المحطة يملكها «بات روبرتسن» وجماعته الإنجيلية الأصولية، وهي تذيع باستمرار على مدار ٢٤ ساعة وتركيزها الأساسي على برامج الوعظ.

وكذلك «نادي السبعمائة» ـ كما في الجدول ـ، ويملك أيضًا جامعة تسمى جامعة C.B.N .

---

(١)يراجع كتاب «البعد الديني» و«النبوءة والسياسة» و«الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل كيلاني، و«المنظمات اليهودية الأمريكية» للي أوبرين»، و«المبشرون البروتستانت والنية القاتلة» لجريس هالسيل، وكتاب «القدس الوعد الحق والوعد المفترى».

وتقـول عنه نيويورك تايمز لا يوجـد في عقل بات روبرتسـن سوى الأيام الأخـيرة من الزمن، والمجيء الثـاني للمسـيح، ونشـوب معـركة هرمجدون. أي: أنه يتوقع نزول المسيح ـ عليه السلام ـ بنهاية هذا الألف الثـاني للميـلاد، ويعلل ذلك بأن إعـادة مـولد «إسرائيل» هي الإشـارة الوحيـدة إلى أن العد التنازلـي لنهاية الكون قـد بدأ، كما أنه مـع مولد «إسرائيل» فإن النبـوءات أخذت تتحقق بسرعة، أي: أن كل مـا أخبر به الكتاب المقدس سيأتي اعتبارًا من وجود دولة «إسرائيل».

وفي برامجه يؤكد دائمًا على عداوته للعرب، ويسميهم أعداء اللَّه، ويعتقد أنه لا مجال للعدل مع الفلسطينيين طالما أن رغبة اللَّه هي تأسيس «إسرائيل» وفي تعيين حدودها.

ويقول في إحدى نـشراته أن احتلال «إسرائيل» لـلقدس في حرب حزيران ٦٧ هو أهم حدث تنبـؤي في حياتنا، وأن زمان غير اليـهود قد قارب على النهاية، وأن شبكته الإذاعية ستكون جزءًا حيـويًّا من حركة الإله نحو دعم «إسرائيل».

وقد كان هذا الرجل ـ بات روبرتسن ـ ضـمن الوفد الرسمي الذي رافق بوش في زيارته للسـودان عـام ١٩٨٥ التي وقع على أثرها اتفـاق أمريكي ـ سوداني بـترحيل يهود الفلاشـا إلى «إسرائيل» وهذا يدل على قوة العلاقة التي تربط هذا الرجل بالرئيس بوش».

وقد نشرت جريدة الشـرق الأوسط بتاريخ ١٢/ ١١/ ١٤١٢هـ خبرًا عنوانه «داعية ديني يشتري أكبر وكالة أنباء أمريكية»، وذكرت قصة شراء شـركة روبرتسـن المسمـاة شـركة الإعـلام الإمـريكية لوكـالة «يونايتـد انترناشيـونال» الشهيرة، وقـالت: «وتنتمي شركة الإعـلام الأمريكية إلى

شبكة الإذاعة المسيحية التي يمتلكها روبرتسن وهي سلسلة من محطات التلفزيون والراديو تنتشر في مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وتصل هذه القناة العائلية الخاصة المقصورة على المشتركين إلى ٥٤ مليون أسرة أمريكية»[١] .

* جورج أوتس: اليهود في أي مكان ما زالوا هم شعب اللَّه المختار

أما الرجل الثالث المشهور في إطار الأصولية الإنجيلية فيدعى جورج أوتس، وله منظمة كبيرة تسمى «رعوية المغامرة الكبرى»، وهذه المنظمة تؤمن بحرفية التوراة، وأنها كتاب من عند اللَّه، وبالتالي فهي تؤمن بأن «إسرائيل» مقدمة لعودة المسيح ـ عليه السلام ـ ثانية، وتلتزم التزامًا كاملاً بدعم اليهود، وتقول في إحدى إعلاناتها:

«نحن ملتزمون بأمن «إسرائيل» كما نؤمن بأن كل الأرض المقدسة هي ميراث للشعب اليهودي، غير قابل للنقل أو التصرف، وهو الوعد الذي أعطي لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولم يلغ قط» وتضيف:

«كما أن إنشاء «إسرائيل» الحديثة هو إيفاء لا ينازع للنبوءة التوراتية، ونذير بمقدم المسيح، ونعتقد أن اليهود في أي مكان ما زالوا هم شعب اللَّه المختار وأنه يبارك من يباركهم ويلعن من يلعنهم»[٢] .

* مايك إيفانز:

وهناك شخصية أخرى من شخصيات الأصولية النصرانية، هو «مايك ايفانز» وهو أيضًا رجل له علاقة حميمة بالرئيس بوش، وهو من

---

(١) «القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى» ص(٥٧ ـ ٦٠).

(٢) «القدس» ص(٦٠).

أكثـر الأصوليين النـصارى تطرفـًا، ورأيه يتلخص في أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تسعى سعيًا حثيثًا من أجل إقامة إسرائيل، ويرى أن مثل هذا العـمل لوجه اللَّه، وتأييدًا لكلمـة اللَّه، ويملك برنامجًا اسـمه «إسرائيل مفتاح أمريكا للبقاء»، وهذا البرنامج يبث لمدة ساعة يوميًّا في أكثر من خمسين محطة تغطي أكثر من ٢٥ ولاية أمريكية.

ويقول «إيفانز»:

إن تخلي «إسـرائيل» عن الضفـة الغربيـة سوف يجر الدمـار على إسـرائيل وعلى الولايات المتـحـدة الأمـريكيـة من بعـدها، ولو تخلت إسرائيل عن الضفة الغربية، وأعادتها للفلسطينيين، فإن هذا يعني تكذيبًا بوعد اللَّه في التوراة، وهذا سيـؤدي إلى هلاك «إسرائيل» وهلاك أمريكا من بعدها إذا رأتها تخالف كتاب اللَّه وتقرها على ذلك، ويناشد «إيفانز» الشعب الأمريكي التقدم لتأييد أفضل صديق للولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بتوقيع إعـلان البركة الإسرائيلي؛ لأن الرب أمـره بوضوح بإنتاج هذا البرنامج الخاص بإسرائيل.

ويقول: «إن كلمة اللَّه غير قابلة للتفاوض، ونحن نؤمن علاوة على ذلك بأن الكتب المقدسة تعترف بالقدس عاصمة روحية لإسرائيل، وأن المسيح اليهودي سيعود إليها كذلك».

ويضـيـف: «ومن أجل هذا تعاهدنـا على الصلاة من أجل شـعب «إسرائيل»، والوقوف معه في كفاحه من أجل الحرية والسلام».

ويضيف: «نـحن نؤمن بكلمة اللَّه حـينما تقـول: سوف أبارك من يبـاركهم وألعن من يلعنهـم، نحن نؤمن أن من واجب أمريكا الوقـوف بجانب «إسرائيل»، وكلمة اللَّه تعترف بالقدس، وعلينا واجب الاعتراف

بكلمة اللَّه».

وبرنامجه يشاهده عشرات الملايين في أمريكا وأوربا وأمريكا اللاتينية.

وقد وزع إيفانز بيان «القدس دي سي» على عدد من الأمريكان، ووصل عدد الذين وقعوا عليه إلى مليون أمريكي، وأرسلوا هذه التوقيعات إلى رئيس أمريكا وإلى رئيس وزراء «إسرائيل». وقدمّ هذا إلى شامير، وكتب إيفانز وقتها يقول:

«إن عيني شامير اغرورقت بالدموع، وقال: إن أولئك المسيحيين يحبوننا حبًّا عظيمًا»[1].

* أمريكا وقراراتها السياسية المتأثرة بمعتقداتها الدينية:

نشرت جريدة الواشنطن بوست - في ٢٦/ ١٢/ ١٩٨٣ - إحصائية أجراها معهد «جالوب» أثبت أن ستين بالمائة من الأمريكين يهتمون بالدين، وأن اثنين وأربعين بالمائة منهم يداومون على الصلاة في الكنائس، وأن ستًّا وعشرين بالمائة منهم يقبلون على دراسة الكتاب المقدس.. كما قرر أكثر من ثلث الأمريكين أن قراراتهم السياسية تتأثر بمعتقداتهم الدينية»[2].

ويقرر معهد جالوب أن ٦٠ مليون شخص أو أكثر يشاهدون برنامجًا أو أكثر من برنامج الكنيسة المرئية شهريًّا.

(١) «القدس» ص(٦١ - ٦٣)، و«قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤٢).

(٢) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٧١).

* والفاتيكان:

«كان بابا الفاتيكان من الأسباب الأساسـية في سرعة قبول إسرائيل عضـوًا بالأمم المتحدة بـعد قيـامها، فـقد ألقى بثقـله عام ١٩٤٩ خلف الطلب الذي تقدمت به دولة إسرائيل لتـصبح عضوًا في الهيئـة العالمية، وأشار على الدولة الكاثوليكية ـ التي يرعى كنيستها ـ بأن تُصوّت بالموافقة على هذا الطلب»[١].

ولقد ظل الكاثوليك حتى فترة قريبة يرفضون تاريخيًّا سيطرة اليهود على بيت المقـدس ولا يشجّـعون عودتهم، فلـما عادوا أعـاد الكاثوليك النظر في مواقفهم العدائية لليهود.

اجـتمع المجـمع المسكوني في دورته الثـانية (المؤتمر الديني العـالمي للكنيسة الكاثوليكيـة) في عام ١٩٦٢ في الفاتيكان، وضم ٢٨٥١ مندوبًا عن الكنائس الكاثوليكية في العالم، إضافة إلى ممثلي الطوائف المسيحية الأخرى من الأرثوذكس والبروتسـتانت وقرر نص التبرئـة بأغلبية عظمى ضد ١٨٨ صوتًا فقط.

(. . . وتضع الكنيسة نصب عينيها دائمًا ما قاله بولس الرسول في شأن اليهود الذين هم إسرائيليون، ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد.

ومن الواجب أيضًا أن نذكـر أن اتحاد الشعب اليهودي مع الـكنيسة هو جزء من الأمل المسيحي.

لذا يجب على الجميع. . عدم إظهار الشعب اليهودي كأنه ملعون،

---

(١) «قبل أن يهدم الأقصى» ص(١٤١).

أو القيام بما يباعد بين الناس وبين اليهود، ويجب بالإضافة إلى ذلك أن نحرص كل الحرص ألاّ نعزو إلى يهود عصرنا ما ارتكب من أعمال أيام المسيح»[١] .

ولقد حُذِفت سائر الأدعية والصلوات التي كانت تتضمّن إدانة اليهود في عبادات الكنيسة الكاثوليكية، ثم حصل لقاء تاريخي بين (البابا) وشمعون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، وكان ذلك في بداية الثمانينات، وقد بدا (البابا) في الصور منحنيًا أمامه ليصافحه، وفي عام ١٩٩٣ اعترف الفاتيكان رسميًّا بدولة اليهود إلاّ أنه ظل متحفّظًا على التنازل عن القدس عاصمة لهم.

والذي يظهر أن الفاتيكان زعيم الكاثوليكية في العالم لن يقرّ بحيازة اليهود ولا المسلمين للقدس في دولة إسرائيل أو فلسطين أو غيرها، فالقدس هي القدس عند الكاثوليك والأرثوذكس عاصمة المسيح والمسيحيين»[٢] .

* ونصارى فلسطين:

أعد البطاركة وزعماء الطوائف النصرانية في القدس مذكرة نُشرت في ١٤ نوفمبر ١٩٩٥م، طالبوا فيها بتحويل القدس إلى «عاصمة للجنس البشري»!!!

وأكد أصحاب المذكرة أن الرب اختار القدس مكانًا لسكنه ـ تعالى اللَّه عن زعمهم ـ وأن القدس هي مكان الخلاص، وفيها وُلدت الكنيسة،

---

(١) «عقيدة اليهود في تملّك فلسطين» ص(٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٤٩ ـ ١٥٠).

ولقـيت المذكـرة النظر إلى أن سـفْر الرؤيا قـد بشّـر بمجيء المسـيح إلى «القدس الجديدة»، المدينة التي سـيمسح فيهـا الرب كل الدموع! وقالت المذكرة: إن القدس بالنسـبة لكل مسيحي هي منبع الحيـاة؛ فكل مسيحي يُولد في القدس، والوجود في القدس يعني الوجود في بيت الرب!»[١].

❑ يقول إيمانويل هيمان: «كل التيارات الأرثوذكـسية المختلفة، تتبع طريقًا سـيؤدي بها في المسـتقبل إلى أرضية مـشتركة، ألا وهي اقتـناعها جميعًا بقرب مجيء المسيح المنتظر»[٢].

وأخيرًا:

صدر كتاب عام ١٩٩٣م بعنوان «بابل أو القدس» لمؤلفه (يان فيلان دارهوفن) جاء فيه «تعارض السفارة المسيحية الدولية مطالب المسلمين في البيت المقدس، وتطالب بالتسامح تجاه اليهود الذين يطالبون بالصلاة فيه، وتؤكد على حق إسرائيل في جعل القدس عاصمة موحدة لهم»[٣].

فنصارى العالم يتخذون موقفًا موحّدًا برفض سيطرة المسلمين على القدس.

*** عجبًا لمن يتحدثون ويحملون شعار ـ اللَّه محبة ـ:**

إن عـقـدة «الجـويـم»، أو الكفـار أو العامـة أو «الجنتـيل» الذين خلقهم اللَّه لخدمة اليهود، ولكن خلقهم على هيـئة البشر لئلا يستوحش منهم اليهود. هذه العـقيدة يشارك البروتسـتانت اليهود فيهـا، ولهذا فإن الحديث عن فناء «العامة» من غير اليهـود وأشباههم من البروتستانت هو

(١) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٥٠).
(٢) «الأصولية اليهودية» لإيمانويل هيمان.
(٣) «حمى سنة ٢٠٠٠» ص(١٥٠ ـ ١٥١).

من الأحاديث المنعشة لأرواحهم والمسعدة لأسماعهم.

قال القس «جيري فالويل» في محاضرة ألقاها في ١٢ ديسمبر ١٩٨٤م عن أحداث هرمجدون: «ما أعظم أن نكون مسيحيين؛ إن أمامنا مستقبلاً رائعًا، نشكر اللَّه أن هذه المعركة سوف تكون نهاية أيام العامة (الجنتيل)؛ لأنها بعد ذلك سوف تعد المسرح لقدوم الرب المسيح بقوة وعظمة»!!!.

إذن فأين الحديث عن السلام والمحبة؟!!

ومن أراد المزيد عن كلامهم عن هذه الحرب المتوقعة فلينظر إلى كتاب «دراما نهاية الزمن» لمؤلفه «أوترال لوبرتس» وقد بيعت منه ملايين النسخ، وكتاب: «الكرة الأرضية، ذلك الرجل العظيم» من تأليف «هال لندسي» وقد بيعت منه نحو ١٨ مليون نسخة.

❊ الإعلام العربي العلماني عريض القفا يتاجر في المخدرات الفكرية غافل عن روح الأمة:

إن المشاعر الدينية تلقي بظلالها على تصرفات اليهود والنصارى حيال قضية القدس وفلسطين، ولا يمكن أبدًا أن نجد تفسيرًا مقبولاً لتأييد النصارى لإسرائيل عندما نعزل القضية عن خلفيتها الدينية[1].

❑ يقول الشيخ عبد المعز عبد الستار:

«حدثنا الإمام فقيد الإسلام السيد محمد أمين الحسيني مفتي

---

(١) يراجع كتاب «الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي» لإسماعيل كيلاني، و«المنظمات اليهودية الأمريكية» للي أوبرين، و«المبشرون والبروتستانت والنية القاتلة» وكتاب «البعد الديني في السياسة الأمريكية» للدكتور يوسف الحسن.

فلسطين ورئيس الهيئـة العربية العليا لفلسطين ـ رحـمه اللَّه ـ قال: كنت أود زيارة المندوب البريـطاني حاكم فلسطين، فقـال لي: إن أمي علمت بوجودك وتودّ مقابلتك، فقلت له: أهلاً وسهلاً، وجاءت العجوز، فكان أول مـا قالتـه لي: أرجـوك ألا تقف ضد إرادة الرب، فـقلت لهـا: يا سيدة، ومن يستطيع أن يقف ضد إرادة الرب؟ قالت: أنت، فقلت لها: كـيف؟ قالت: لأنك لا تريد أن تُعطي الـيهـود الأرض التي أعطاها اللَّه لهم.

قلت: إنها أرضي وبيتي وكيف يعطيها اللَّه لهم، وأنا أين أذهب؟

قالت: إنها إرادة اللَّه!

ولما انتهت المقـابلة قلت لابنها: إن والدتك طيبـة متأثرة باليـهود، قال: لا، بل نحن البروتستانت نؤمن بهذا، والأناجيل تبشر به.

ولما أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض سنة (١٩٣٩)م تحدّد فيه أعداد المهاجرين اليـهود إلى فلسطين ثار اليهود وسـيّروا المظاهرات في عواصم أوربا تهتف:

الكتاب المقدس لا الكتاب الأبيض يعطينا الحق في فلسطين.

التوراة لا الكتاب الأبيض تعطينا حقنا في فلسطين»[١].

□ يقول كـارتر في مذكراته: «كانت الأخـلاق اليهودية والنصـرانية ودراسة «التوراة» أواصر بين اليهـود والنصارى، وقد ظلت هذه الأواصر جزءًا من حياتي. كذلك قد كنت أعتقـد اعتقادًا راسخًا بأن اليهود الذين لم تقض عليهم جائحة النازية يستحقون أن يكون لهم وطن خاص، كما

---

(١) «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» لعبد المعز عبد الستار.

أن لهم الحق في أن يعيشوا في سلام بين جيرانهم، واعتبرت أن هذا الوطن القومي لليهود يتماشى مع تعاليم «التوراة»! ولذا فإنه أمر شرعه اللَّه!! وقد جعلت اعتقاداتي الخلقية والدينية هذه التزامي بأمن إسرائيل التزامًا لا يتزعزع»[١].

□ «وحينما سئل وزير دفاع إسرائيلي سابق، وهو عالم آثار يهودي أيضًا، ومفسّر غير متفرّغ للتوراة، عمّا إذا كانت مطالب إسرائيل «الدينية» والتاريخية يجب أن يكون لها دور في السياسة الإسرائيلية، أجاب قائلاً: «هذا هو أساس الوجود الإسرائيلي وهي: الشعب اليهودي، والكتاب المقدس، وأرض اليهود. (ولذلك) إذا اجتمعت التوراة وأمة التوراة فلا بد أن تكون معهما أيضًا أرض التوراة»[٢].

□ «لقد نشرت الصحف منذ سنوات تصريحًا للجنرال الإسرائيلي المعروف «موسى ديّان» يبرر به ضم القدس إلى إسرائيل وإنشاء مستوطنات جديدة فيقول: «إن على الذين يعارضون هذه السياسة مراجعة موقفهم من الإنجيل والتوراة!»[٣].

وخيانة الإعلام العربي العلماني للَّه ولرسوله وللإسلام ولفلسطين والقدس وتاريخ الأمة ما فوقها خيانة.. لقد انكشفت سوءته. لماذا كل هذا الصمت المريب في إظهار حقيقة الصراع.. في ظل غيبوبة مفروضة على الأمة؟ لماذا يسكت عن كل هذا الضجيج المقذع والذي صخ الأسماع للمعركة التي ينتصر فيها بوق اليهود ونواقيس النصارى ـ كما يزعمون ـ

(١) الترجمة لجريدة «الشرق الأوسط» جدة ـ ٤/ ١٠/ ١٩٨٢.
(٢) «القدس قضية كل مسلم» ص(١٠٠).
(٣) المصدر السابق ص(٩٥).

لماذا لا تثار الغيرة الإيمانية؟ ولماذا الخوف من حنين الأمة إلى دينها - لا أم لكم -؟ ولماذا الخوف من الغيرة الإيمانية وإيضاح حقيقة المعركة وأنها دينية؟!!!!

وإيقاظ المشاعر الدينية - أيها البله.. البائعون لكل شيء روح الأمة التي لو فارقتها لفارقتها الحياة.

لماذا هذا السياج القذر من التعتيم والتعمية الذي يقام حول حقيقة المعركة حتى لا تنتبه الأمة وجماهيرها اللاهية إلي ما يراد لها، حين تعرض القضية تعرض بشكل جزئي مهمش مختزل مغبش مغلف بالخيانة في كل فصولها، وبرايات مزيفة، يزيّفون حقيقة المعركة لغرض في نفوسهم دفين - يخافون صحوة المارد من غفلته، ليقول: إني لم أمت، ها أنذا. إن الإعلام العربي العلماني مهمته الاتجار في المخدرات الفكرية، ويعمل على ترويجها حتى تصاب الأمة كلها بحالة من إدمان الترف المعرفي التائه، أو التجاهل والتشاغل المذهبي.

* تصم آذانهم عن قول اللّه تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

«إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان.. إنها هي العقيدة.. هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة، إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها، ولكنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها، ولكن المعسكرين العريقين في العداوة

للإسلام والمسلمين يلونانها بـألوان شتى، ويرفعان عليها أعـلامًا شتى، في خـبث ومكر وتورية، إنـهم قـد جرّبـوا حمـاسـة المسلـمين لدينهم وعقـيدتهم حين واجهوهم تحت راية العـقيدة، ومن ثَمّ استـدار الأعداء العريقون فغـيَّروا أعلام المعركة.. لم يعلنوها حربًا باسـم العقيدة - على حقـيقتـها - خوفًـا من حماسـة العقيدة وجَـيَشانهـا. إنما أعلنوها باسم الأرض، والاقتـصاد، والسـياسة، والمـراكز العسكريـة، وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها! ولا يجوز رفع رايتها، وخوض المعركة باسمها. فهذه سمة المتخلّفين المتعَصّـبين! بينما هم في قرارة نفوسهم: الصـهيونية العالمية، والصليـبية العالمية بإضافة الشـيوعية العالمية جميعًا يخـوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتـحطيم هذه الصـخرة العـاتيـة التي نطحـوها طويلاً، فـأدمتـهم جميعًا»[1] .



---

(١) «الظلال» لسيد قطب (١/ ١٠٨).

❁ إِن بين الإِسلام والكفر حرباً[1] ❁

لوْ رَأيتَ الأقصَى يَئِنُّ سَجِينًا
وإِذا بالأذانِ فيهِ نَحِيبُ

دَاسَ صهيونُ قُدسَهُ حِين ذَلت
أُمَّةٌ شَدوُها الكَذُوبُ نَعيبُ

جَاءَ رَهطُ الغِربانِ بعدَ نُسُورٍ
وبعَودِ الغِربانِ شَرٌّ يَؤوبُ

إِذْ رَأيتَ الإِسلامَ شرقًا وغربًا
ضَائعًا تائهًا حَوتهُ الكُروبُ

فَبِلادُ الإِسلامِ نَهبُ عَدُوٍّ
مُلحدٍ فيه للشُّرورِ نَصِيبُ

كفرُه في الأنامِ شرقًا وغربًا
ورأى الكفر شَمال والجنوب

وسَكَتنا عَلى الأفاعي صلالاً
حينَ ضَمت تلكَ الصلال الجُيوبُ

وَلُدِغْنَا مَثنى لُدِغنا رُبَاعًا
حين ضَاعَ الإِيمانُ فَهُوَ غَرِيبُ

---

(١) لعلي هاشم رشيد.

وَنَسِينا قَولَ الرسولِ بَألاَّ
يُلدَغَ المُؤمنُ الحَصيفُ الأرِيبُ
ثانيًا مِن صلال جُحرٍ بِقَفرٍ
لو تَبَدَّى وهُوَ النَّدِيُّ الخَصيبُ
فَالأفاعي تُبَدِّلُ الثَّوبَ غِشًّا
ولذا العيشُ قُربُها لا يطيبُ
يا أخي حِكمَةٌ عَرَفتَ فَخُذها
مِن خَبيرٍ وَقَدْ علاهُ المَشِيبُ
إنَّ مَن كانَ مُشرِكًا وكَفوراً
كُفرُه في الدِّماءِ مِنْه الدَّبيبُ
مَن يُعادي الرَّحمنَ جَهراً تُراهُ
عَن عداءِ الرَّحمنِ يومًا يَتوبُ؟!
أَم تُراهُ من الضَّلالةِ يَشفَى
وإلى واضحِ الصِّراطِ يثوبُ
خَتَمَ اللَّهُ قَلبَهُ، دَعْهُ للَّـ
ـه رَمَادُ الكَفُورِ منه الشُّبوبُ
وسُكونُ الرياح يُنْذرُ دَومًا
بالأعاصيرِ حينَ يَأتي الهُبوبُ
والأفاعي ملساءُ مثلُ حُريرٍ
فهل العيشُ والأَفاعي يَطيبُ

إنَّ بينَ الإيمانِ والكُفْرِ حَرْبًا
عُمْرُها عُمْرُ كَوْننا لا تَغيبُ
لِيَميزَ الخبيثَ رَبٌّ رَحيمٌ
لدُعاءِ الداعينَ صِدْقًا.. يُجيبُ
ولَهُ النصرُ في النهايةِ حَتْمٌ
إنْ تَرَجَّتْ لَدَى الصراعِ الخطوبُ

❁ الصليبيون.. وحروبهم الصليبية وما فعلوه بالمسلمين في فلسطين وغيرها[1] ❁

مَكَائِدُ...! والشَّيْطَانُ مَدَّ حِبَالَها
وَأَبرَمَ مِن نَهْجٍ وَمِنْ خُطُوَاتِ[2]
يُجَمِّعُ من أَهْلِ الكِتَابِ طَوَائِفًا
وَيجمَعُ من كُفْرٍ طَغَى وَشَتَاتِ
كأنَّ بَريقَ الشَّرْقِ هَيَّجَ فِتْنَةً
وَأطلَقَ مِنْها وثْبَةَ الشَّهَوَاتِ

---

(١) من قصيدة «ملحمة التاريخ» من ديوان «جراح على الدرب» للدكتور عدنان النحوي ص(١٤٤ ـ إلى ما بعدها).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ . . . من آية ٢١.

يُمنّيهُمُ السّحْرَ الغَنيَّ وَجَنَّةً
وَكنْزًا بِبطْنِ الأرضِ والفَلَوَاتِ
ويَدْفَعُهُمْ حِقْدُ السِّنينَ ومَوْجَةٌ
وَدَفْقَةُ إجرامٍ ونَزعُ طُغاةِ
يُوَارُون أَحلامَ الضَّلال بِفرِيَةٍ
وَيُخْفون منْ مَكْرٍ ومِنْ غَضبَاتِ
ويُلقُوْنَ رَايَاتِ «الصَّليب» أَمَامَهمْ
سِتارًا يُوَاري نَهْمَةَ الغَزَوَاتِ
فَيا أيُّها التاريخُ أيُّ عِصَابَةٍ
تَوَلَّتْ منَ الإجْرَام زَيفَ رُوَاةِ
أيُصْلَبُ عِيسى...! ثُمَّ يُجعَلُ خالقًا
فَيَا وَيلَ بُهتَانٍ وَوَيْلَ جُناةِ
وَمَا صَلبُوه...! غَيرَ أنَّ عِصَابَةً
منَ الشرِّ حاكَتْها سِتَارَ غُوَاةِ
وَتَمضِي مَعَ التاريخِ حتّى كأنّها
حَقَائقُ شَدَّتْ عُرْوَةً وَصِلاتِ
يَهِيجُ لَها حَشْدُ الضّلالِ حَمِيَّةً
مَنَ الجَهْلِ أمْواجًا عَلى حَمَلاتِ[1]

---

(١) الحروب الصليبية وما تبعها من غزو ومكر على مر السنين حتى يومنا هذا.

وَتَدفعُ ما بَينَ الشعوب ضَغَائنًا
وَتُوقِدُ من نَارٍ ومِنْ جَمَراتِ
وَيأبى رَسُولُ اللَّهِ عيسى شُرُورَها
وَيَأبى صَفَاءُ الدِّين وَيلَ عُداةِ
وَلَو صَدَقوا في الدينِ صَانُوه بينَهُمْ
وما هَتَكوا أعراضَهم بِزُناةِ
ومَا شَرَعُوا للنَّاس شِرْعَةَ مُلْحِدٍ
وَمَا نَزَعُوا للسُّوء من دَفَعَاتِ
وَلَكِنَّما الأهواءُ تَقْتُلُ أَهْلَهَا
وتَرْميْ بِهِم فيْ سَبْسَبٍ وَفَلاةِ
يكيدُون للإسلامِ... وَيْلَ مَكَائدٍ
وَعِزُّهُمُ فيْه وصِدْقُ نَجَاةِ
هُوَ الدّيْنُ...! لَوْ قاموا إِليه أَعَزَّهُمْ
به اللَّهُ في طُهْرٍ وفي بَرَكاتِ
تَجَمَّعَتِ الأحْقَادُ سوداءَ والتَقَت
مَطَامعُها مَوْجًا مِنَ الظُّلُماتِ
تَدَفَّقَ مِنْهَا الكيْدُ والمَكْرُ والأَسَى
قُرُونًا وَأَجيالاً وصَبْرَ دُهاةِ
لِتُلْقي بَينَ النَّاسِ مِنْ رَعْشَةِ الهَوى
صُنُوفًا وَألوانًا مِنَ الرَّعَشاتِ

وَتَدفَعَ مِنْ حُمّى الهَوَى جَاهليّةً
تَدَفَّقُ في عِرْقٍ وفي نَبَضَاتِ
وتستَلَّ أَلبَابَ الرِّجَال وَهِمَّةً
وتَطويَهُمُ في غَفْوَةٍ وسُبَاتِ
وتَدفَعَهُم عَبَرَ الدُّرُوبِ طَوائفًا
تَهاوت وأحزابًا وحَربَ فِئاتِ
هُوَ المَكرُ...! في كُلِّ المَيَادينِ مُطْبِقٌ
ليَرسُمَ من حَرفٍ ومن كلماتِ
وَيَدفَعَ أقْلامًا تَصُوْغُ له المُنَى
ويرفعَ من صَوتٍ ومن نبراتِ
ويَنْصُبَ أصنامًا تُرَاقُ لها الدِّمَا
وينتَهِكَ الأعراضَ والحُرماتِ
وَيَدْفعَ أَشباهَ الرّجَالِ يَقُودُها
عَبيداً ويَرمِيها على شَفراتِ
وَيُرْخِي حِبَالَ الودّ بينَ وُعُوده
حَبائلَ شيطانٍ وكيدَ عُداةِ
وُعُودَ نُيُوبٍ كَشَّرت ومخالبٍ
تجمعَ فيها المَوتُ للوثباتِ
وفي كل يَومٍ رَايةٌ يَدّعي بها
ذووها صلاحَ الحالِ بالدعواتِ

فَـقـومِـيَّـةٌ كـانت أشـد ضَـرَاوَةً
علينا وأنكى من نِصالِ بُغاةِ
رَمَـوهَا إلينَا فِـتنَةً خَـاضَ شَـرَّهَا
شـيـوخٌ وفـتـيـانٌ وَغَيٌّ فَـتـاةِ
ويَنسَلُّ... ! يُلقي حَيثُمَا سَارَ فتنَةً
على بسـمـاتِ الغَـدرِ والنظراتِ
ويَطوِي جَناحَيـهِ عَلَى ذُلّ خِدعَـةٍ
وينشُـرُ كـفـيـهِ بِفَـيضِ هِبَـاتِ
وَيَغـرُسُ في الأقْصى بُذُورَ مُصِيبَةٍ
ويجـمـعُ من كُـوخٍ ومن شـجـراتِ
فَـتَنْبُتُ أغْـراسٌ وتَنـمُـو شُـجَـيْـرَةٌ
ويمتـدُّ من كُـوخٍ إلى حُـجـراتِ
إلى ساحة ضجّتْ.. وأيك.. وروضة
إلى قلعـة تعلو على ذَرَواتِ
تَلَفَّتُّ... أين المسلمـونَ ودَارُهُم
بَقـيـةُ أطلالٍ وجـمـعُ رُفَـاتِ
كأنَّ الذي يَمشي على الأرضِ هَالكٌ
منَ الخَـدَرِ القَـتَّـالِ والسَّكَراتِ
وكَـم طَـرَقَ الآذانَ مِـن نُـذُرٍ دوت
فـمـا وعَتِ الألبَـابُ من طَرقَـاتِ

سُكَارَى على لهوٍ.. حَيارَى على خُطَا

أسـارى لِشَـوقٍ هَائجِ النزَعَـاتِ

فـهل أوبَةٌ للَّه يا قَـومِ ينجَلِي

بهـا الذُّلُّ عن عِـزٍّ وعن فُـرجَاتِ

وهل رجعَةٌ للَّه نَصدُقُ حَقَّهـا

وننفُضُ عنا سَكرَةَ الهَجعَاتِ

فَهـذا ابتـلاءٌ محَّص اللَّه عِندَه

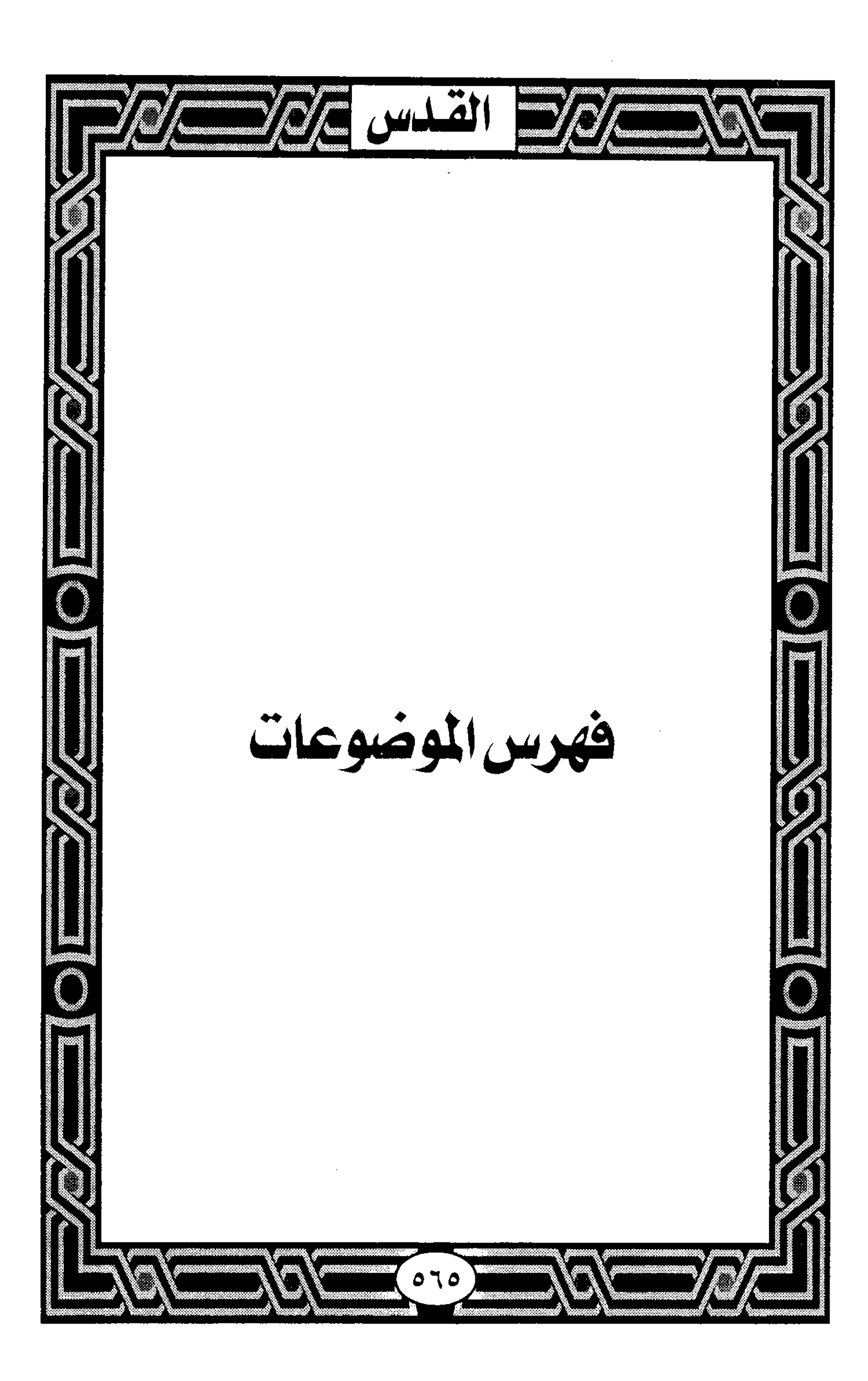
نُفـوسًـا وألقى بينهـا بعظاتِ

لِيَستَبدِلَ الرحمنُ قَومًا سِواهُمُ

إذا مـا تولوا في دُرُوب غُـوَاةِ







فهرس الموضوعات



الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الصفحة | الموضـــوع

الموضوع	الصفحة

الصفحة | الموضوع

الموضوع	الصفحة

الصفحة | الموضوع

الموضوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

* * *